فتافيت

من المواقف والطرائف والتنكيت

تأليف
عبد الرحمن بن زيد السويداء

الجزء الخامس

الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م
دار السويداء للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

توضيح

في هذا الكتاب **فتافيت من المواقف والطرائف والتكيت** بأجزائه الخمسة العديد من المواقف التاريخية، والأدبية، والاجتماعية ، والاقتصادية ويحتوي على العديد من الواقف القوية، والغرائب من الأمور التي حدثت لأناس على مدى أكثر من خمسة عشر قرناً ١٥٠٠ سنة كما يضم العديد من القصائد الشعرية بفنون الشعر العربي وكثير منها في الغزل لفحول شعراء العربية وكذلك قصائد في الشعر الشعبي ومنها قصائد الغزل والمعاناة لشعراء الشعر الشعبي مشروحة وقد بلغ عددها ٢٨٦٠ بيتاً بالإضافة إلى المِلَحْ المضحكة والقصص الشيقة القصيرة والطويلة المختصرة وهو كتاب مسلّي ومفيد وقد امتدحه كثير من الكتاب بتقريضاتهم، وأطراه الشعراء بقصائدهم وقد احتوى على أكثر من ٢٢٠٠ فقرة، وهو الآن مائدة مبسوطة بين أيدي القراء ليختاركل منهم ما يروق له من محتوى هذه الأسفار الخمسة.

والله ولي التوفيق.

١٨٢١- كان في أيام سليمان بن عبد الملك بن مروان رجل يقال له: خزيمة بن بشر الأسدي مشهور بالمروءة والكرم والمواساة، وكانت نعمته وافرة، فلم يزل على تلك الحالة، حتى احتاج إلى إخوانه الذين كان يواسيهم، ويتفضل عليهم، فواسوه ثم ملوه، فلما لاح له تغيرهم، أتى امرأته، وكانت ابنة عمه فقال لها: يا بنت العم، قد رأيت من إخواني تغيراً، وقدعزمت على لزوم بيتي إلى أن يأتيني الموت، ثم أغلق بابه عليه، وأقام يتقوت بما عنده حتى نفد، وبقى حائراً في حاله، وكان عكرمة الفياض والياعلى الجزيرة فبينما هو في مجلسه وعنده جماعة من أهل البلد إذ جرى ذكر خزيمة بن بشر فقال عكرمة: ما حاله؟ فقالوا: صار في أسوأ الأحوال، وقد أغلق بابه ولزم بيته، فقال عكرمة الفياض: (وما كان سُمِّيَ الفياض إلا للافراط في الكرم) فما وجد خزيمة بن بشر مؤاسيا ولا مكافئاً! قالوا: لا، فأمسك عند ذلك فلما كان الليل عمد إلى أربعة آلاف دينار، فجعلها في كيس واحد، ثم أمر باسراج دابته وخرج سراً من أهله، فركب ومعه غلام واحد يحمل المال، ثم سار حتى وقف بباب خزيمة، فأخذ الكيس من الغلام ثم أبعده عنه، وتقدم إلى الباب فطرقه بنفسه فخرج خزيمة، وقال له: أصلح بهذا شأنك فتناوله فرآه ثقيلاً فوضعه وقبض على لجام الدابة وقال له: من أنت جعلت فداك؟ فقال له ما جئتك في هذا الوقت من الليل وأنا أريد أن تعرفني، قال خزيمة: ما أقبله أو تخبرني من أنت؟ قال: أنا جابر عثران الكرام، قال: زدني، قال: لا ثم أنصرف. ودخل خزيمة بالكيس على إمراته،

فقالها: ابشري قد أتى الله بالفرج. فلو كان في هذا فلوس لكانت كثيرة. قومي فأسرجي، قالت: لا سبيل إلى السراج، فبات يلمس الكيس فيجد تحت يده خشونة الدنانير ولا يصدق رجع عكرمة إلى مترله فوجد إمرأته قد افتقدته وسألت عنه فاخبرت بركوبه منفرداً فارتابت وشقت جيبها ولطمت خدها، فلما رآها على تلك الحالة. قال لها: ما دهاك يا ابنة العم؟ قالت: سوء فعلتك بابنة عمك، أمير الجزيرة لا يخرج بعد هدأة من الليل منفرداً عن غلمانه في سر من أهله إلا إلى زوجة أو سرية، فقال: لقد علم الله ما خرجت لواحدة منهما، قالت: فخبرني فيم خرجت؟ قال: يا هذه لم أخرج في هذا الوقت إلا وأنا أريد ألا يعلم بي أحد، قالت: لا بد أن تعلمني، قال: فأكتميه إذاً، قالت: سأفعل، فاخبرها بالقصة على وجهها ثم قال: تحبين أن أحلف لك قالت: لا، سكن قلبي.

* * *

١٨٢٢- ثم أصبح خزيمة فصالح غرماءه وأصلح من حاله، ثم تجهز يريد سليمان بن عبد الملك بفلسطين فلما وقف ببابه، دخل الحاجب فأخبره بمكانه، وكان مشهوراً، وكان الخليفة به عارفاً، فإذن له، فلما دخل عليه سلم بالخلافة، قال: يا خزيمة ما أبطأك عنا؟ قال سوء الحال يا أمير المؤمنين، قال فما منعك من النهوض إلينا؟ قال: ضعفي، قال: فما أنهضك؟ قال لم أشعر يا أمير المؤمنين بعد هدأة من الليل، إلا ورجل

يطرق بابي، وكان منه كيت، وكيت وأخبره بقصته من أولها إلى آخرها، فقال: هل عرفته؟ قال: لا والله لأنه كان متنكراً وما سمعت منه إلا "جَابِرْ عَثَرَاتِ الكِرَاْم" قال فتلهف سليمان بن عبد الملك على معرفته وقال: لو عرفناه لأعناه على مروءته ثم قال: علي بفتاة، فأتي بها، وعقد لخزيمة الولاية على الجزيرة،وعلى عمل عكرمة الفياض، وأجزل عطاياه، وأمره بالتوجه إلى الجزيرة، فخرج خزيمة متوجها إليها، فلما قرب منها خرج عكرمة وأهل البلد للقائه،فسلم عليه، ثم سارا جميعاً إلى أن دخل البلد، فنزل خزيمة في دار الإمارة، وأمر أن يؤخذ عكرمة وأن يحاسب،ففضل عليه مال كثير، فطلبه خزيمة بالمال فقال: مالي إلى شيء منه سبيل فأمر بحبسه، ثم بعث يطالبه فأرسل إليه: إني لست ممن يصون ماله بعرضه فاصنع ما شئت، فأمر به فكبل بالحديد وضيق عليه، فأقام على ذلك شهراً فاضناه ثقل الحديد وضربه، وبلغ ذلك ابنة عمه فجزعت فيه واغتمت، ثم دعت مولاة لها ذات عقل، وقالت: إمضي الساعة إلى باب هذا الأمير فقولي له: عندي نصيحة، فإذا طلب منك فقولي: لا أقولها إلا للأمير خزيمة، فإذا دخلت عليه، سليه الخلوة، فإذا فعل قولي له: ما كان هذا جزاء " جَابِرْ عَثَرَاتِ الكِرَاْم " معك في مكافأتك له بالضيق والحبس والحديد! قال: ففعلت فلما سمع جزيمة قولها: قال: واسوءتاه!! جابر عثرات الكرام غريمي!! قالت: نعم فأمر من وقته بدابته فأسر جت وركب إلى وجوه أهل البلد فجمعهم وسار بهم إلى باب الحبس ففتح ودخل فرأى عكرمة الفياض في قاع الحبس

قد أضنناه الضر، فلما نظر عكرمةإلى خزيمة وإلى الناس أحمشه (أخجله) ذلك فنكس رأسه، فأقبل خزيمة حتى انكب على رأسه فقبله فرفع رأسه إليه وقال: ما أعقب هذا منك؟ قال: كريم فعالك وسوء مكافأتي، فقال: يغفر الله لنا ولك، وأمر بفك قيوده وأن توضع في رجليه فقال عكرمة: تريد ماذا؟ قال خزيمة: أريد أن ينالني من الضر مثل مانالك فقال: أقسم عليك ألا تفعل.

فخرجا جميعاً إلى أن وصلا إلى دار خزية فودعه عكرمة وأراد الانصراف فلم يمكنه من ذلك، قال وما تريد؟ قال: أغير من حالك ما أراه، وأما حيائي من ابنة عمك فأشد من حيائي منك، ثم أمر بالحمام فاخلي ودخلا جميعا ثم قام خزيمة فتولى خدمته بنفسه ثم خرجا فخلع عليه وحمل إليه مالاً كثيراً ثم سار معه إلى مترله وأستأذنه في الاعتذار من إبنة عمه فأذن له، فاعتذر إليها وتذمم من ذلك ثم سأله أن يسير معه إلى أمير المؤمنين وهو يومئذ مقيم بالرملة (بفلسطين) فأنعم له بذلك فسارا جميعا حتى قدما على سليمان بن عبد الملك، فدخل الحاجب فأخبره بقدوم خزيمة بن بشر، فراعه ذلك، وقال: والي الجزيرة يقدم علينا بغير أمرنا مع قرب العهد به! ما هذا الا لحادث عظيم!فلما دخلا عليه قال: قبل أن يسلم. ما وراءك يا خزيمة؟ قال: خير يا أمير المؤمنين، قال: فما أقدمك؟ قال: ظفرت "بجابر عثرات الكرام" فاحببت أن أسرك لما رأيت من شوقك إلى رؤيته، قال: ومن هو؟ قال: عكرمة الفياض فإذن له بالدخول فدخل فسلم عليه بالخلافة فرحب به وأدناه من مجلسه وقال:

يا عكرمة كان خيرك له وبالاً عليك، ثم قال له:اكتب حوايجك وما تختاره في رقعة فكتبها فقضيت على الفور، ثم أمر له بعشرة آلاف دينار مع ما أضيف إليه من التحف والطرف ثم دعا بقناة وعقد له على الجزيرة وأرمينية واذربيجان وقال له: أمر خزيمة إليك إن شئت أبقيته وإن شئت عزلته قال بل أرده إلى عمله ياأمير المؤمنين ثم أنصرفا جميعاً و لم يزا لاعاملين لسليمان بن عبد الملك مدة خلافته.

* * *

١٨٢٣- النفط أو "البترول" أو الذهب الأسود الذي نعيش اليوم بفضل الله ثم من فضل عائداته، والذي قلب وغير وجه المملكة الشاحب الكئيب إلى الوجه المشرق المنير المشرق المضيئ عمره يزيد قليلاً عن سبعين سنة حين اكتشف وتدفق على أرض الجزيرة العربية لأول مرة في مطلع عام ١٣٥٨هـ حيث قام الملك عبد العزيز رحمه الله بتاريخ ١٣٥٨/٣/١٥هـ ١٩٣٩م وهو أول من أدار المحبس بيديه واندفعت عشرة آلاف طن من النفط وهي أول شحنة تصدر من النفط واستمر هذا التدفق بعد ذلك لمدة خمس سنوات بشكل متقطع حتى إذا دخل عام ١٣٦٤هـ ١٩٤٤م تم تصدير النفط أو البترول بصورة تجارية لأول مرة في تاريخ المملكة ودخلت فيما يسمى "بعصر النفط" وتغير الاقتصاد من مرحلة العوز والفاقة إلى مرحلة التأثير في الاقتصاد العالمي وبدأ الانتعاش يدب في عروق الاقتصاد والحيوية تتفاعل في أوصال البنية

الاقتصادية والاجتماعية. ومنذ ذلك التاريخ وحتى اليوم الذي بلغت فيه الصادرات اليومية من النفط أكثر من عشرة ملايين برميل فأغدقت المملكة بالمال الذي قامت عليه بنيتها الأساسية وحصل الازدهار الذي حدث على وجه المملكة والذي انطلق منذ ما يزيد على ثلاثة عقود من الآن في العهد الذي يسمى بزمن الطفرة منذ عام ١٣٩٦- ١٤٠٥هـ ١٩٧٦- ١٩٨٥م هذه السنوات العشر هي التي قلبت وجه المملكة من الوجه الكئيب إلى الوجه الوضاء والازدهار وكل هذا من تأثير الثروة النفطية المتدفقة إلى جميع أنحاء العالم، وكان لقطع النفط عن الدول التي ساعدت الكيان الصهيوني في حربها للعرب عام ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م أثر كبير في ارتفاع أسعاره مما عاد بالفائدة على خزينة الدولة، فتكون لديها فائض من المال تفجر في سنوات الطفرة المشار إليها،ولا يزال النفط يتدفق وعائداته تصب في خزينة الدولة التي تصرف منها على المشاريع والمصانع والمزارع وغيرها من أوجه الاقتصاد والتغذية والتعليم وغير ذلك من أوجه الحياة المزدهرة وإلى مزيد من البناء في الجوانب الأخرى المحتاجة إلى البناء والتشييد، وقد سمعت تعليقاً لأحد الأعضاء الذي شاركوا في حفل الملك عبد العزيز في أول شحنة نفط عندما زار المملكة قبل وفاته أنه قال: حسبت أن أجد المملكة وقد رصفت شوارعها بالذهب الأصفر على ما يصب في خزينتها من الأموال الهائلة طيلة هذه المدة التي تجاوزت نصف قرن.

١٨٢٤- العود أحمد، أول من قال ذلك خداش بن حابس التميمي وكان خطب فتاة من بني ذهل بن شيبان ثم من بني سدوس يقال لها "الرباب" وهام بها زمانا، ثم أقبل يخطبها، وكان أبواها يمتنعان لجمالها وميسمها فردًا خداشا، فاضرب عنها زماناً، ثم أقبل ذات ليلة راكباً فأنتهى إلى محلتهم وهو يتغنى ويقول:

ألا ليت شعري يا رباب متى أرى لنا منك نجعا أو شفاء فاشتفي
فقد طالما عنيتني ورددتني وأنت صفيي دون من كنت اصطفي
لحا الله من تسمو إلى المال نفسه إذا كان ذا فضل به ليس يكتفي
فينكح ذا مال دميما ملوماً ويترك حراً مثله ليس يصطفي

فعرفت الرباب منطقة، وجعلت تتسمع إليه، وحفظت شعره، وأرسلت إلى الركب الذين فيهم خداش أن انزلوا بنا الليلة، فنزلوا وبعثت إلى خداش أن قد عرفت حاجتك فأعد على أبي خاطبا، ورجعت إلى أمها فقالت: يا أمه، هل أنكح إلا من أهوى، والتحف إلا من أرضي؟ قالت: لا، فما ذاك؟ قالت: فانكحيني خداشاً، قالت: وما يدعوك إلى ذلك مع قلة ماله؟ قالت: إذا جمع المال السيء الفعال فقبحا للمال فأخبرت الأم أباها بذالك، فقال: ألم نكن صرفناه عنا فما بداله؟ فلما أصبحوا غدا عليهم خداش، فسلم وقال: العود أحمد، والمرء يرشد والمورد يحمدفتزوجها، ويقال أن أول من قال ذلك وأخذ الناس عنه مالك بن نويرة اليربوعي حين قال:

جزينا بني شيبان أمس بقرضهم وعدنا بمثل البدء والعود أحمد

١٨٢٥- قرأت للكاتب جعفر عباس في جريدة اليوم عن عالم الرياضيات "أينشتاين" صاحب النظرية النسبية، فقد سئم الرجل من تقديم المحاضرات بعد أن تكاثرت عليه الدعوات من الجامعات والجمعيات العلمية وذات يوم بينما كان في طريقه إلى المحاضرة قال له سائق سيارته: أعلم يا سيدي أنك مللت من تقديم المحاضرات وتلقي الاسئلة، فما قولك في أن أنوب عنك في محاضرة اليوم، خاصة وأن شعري منكوش ومنتفش مثل شعرك وشكلي "مبهدل" مثلك وبيني وبينك شبه ليس بالقليل ولأنني استمعت إلى العشرات من محاضراتك فإن لدي فكرة لا باس بها عن النظرية النسبية واستطيع أن "أخم" المستمعين بمصطلحات علمية بعضها صحيح وبعضها "مفبرك" ولكن لو صدقوا أنني أنت "أينشتاين" فان المسألة ستعدي على خير، فأعجب "أينشتاين" بالفكرة، وتبادلا الملابس، ووصلا إلى قاعة المحاضرة، حيث وقف السائق على المنصة، وجلس العالم العبقري الذي كان يرتدي زي السائق في الصفوف الخليفة، وسارت المحاضرة على ما يرام، إلى أن وقف "بروفسور" مُتَنَطِّعْ وطرح سؤالاً من الوزن الثقيل، وهو يحس أنه سيحرج "أنيشتاين" هنا ابتسم السائق "المستهبل" وقال "للبروفيسور" سؤالك هذا ساذج لدرجة أنني ساكلف سائقي الذي يجلس في الصفوف الخلفية بالرد عليه يعني "انيشتاين" وبالطبع فقد قدم السائق رداً جعل البروفيسور يتضاءل خجلاً.

١٨٢٦- الأمير الشاعر حمود بن عبيد الرشيد ١٣٢٤هـ ١٩٠٦م رحمه الله وكان شاعراً فحلاً مثل أبيه ويغلب على شعره الشعر السياسي فهو شاعر الأمارة الرشيدية في وقت ازدهارها في زمن الأمير محمد بن عبد الله الرشيد ١٣١٥هـ ١٨٩٧م رحمه الله وكان سريع البديهة حاضر الاستجابة وذات يوم دخل عليه الشاعر خضير بن راضي الصعيليك الشمري وهو شاعر مشهور وله قصائد جيدة وقد نشرت للشاعرين عينة من قصائدهما في كتابي "شعراء الجبل الشعبون" الذي صدر في خمسة أجزاء، دخل خضير على الأمير حمود في مكتبة فاراد حمود أن يختبر شاعرية خضير وسرعة بديهته فقال مرتجلاً:

١- يَا خْضَيْروْا خِلّى قِصِيْرٍ وْ مَرْبُـوعْ ... اللّي كِمَا نَظْـمَ اللُّـوَا لُوْعْذَابَـهْ

٢- عِسْلُوْجِةٍ هَا فِي حَشَاهَا بَلاَجُـوْعْ ... شِمْحُوْطْ مِنْ رِدْفَهْ تِمَـزَّعْ ثْيَابَـهْ

فأجابه خضر على الفور واللحظة:

٣- هَذِيْكْ مَايِهْيَا لَهَـا قَاصِـرْ البَـوْعْ ... اللّيْ لْيَا شَـافْ الخَسَـارَةْ يَهَابَـهْ

٤- يَا كُوْدْ مِثْلَكْ يَا اشْقَر الرِّيْشْ قَـاطُوْعْ ... سِدِيْسْ مَا تِنْفِقْ ضحى اليَوم جَابَـهْ

قال حمود: صح لسانك، وأجازه وكساه وأعطاه حاجته.

* * *

١٨٢٧- دخل عقيل بن علفة المري على يحي بن الحكم، وهو يومئذ أمير المدينة فقال له يحي: أنكح ابن خالي، يعني ابن أو فى، فلانة ابنتك؟ فقال؟ ابن خالك ليرضى مني بدون ذلك، قال: وما هو ؟ قال: أن أكف

عنه سنن الخيل (عدوها لمرحها ونشاطها) إذا غشيت سوامه (مواشيه) فقال يحي لحرسيين بين يديه أخرجاه، فأخرجاه، فلما ولىّ قال: أعيداه إليّ فاعاداه، فقال عقيل له: مالك تكرني إكرار الناضح؟ (أي السانية تذهب وتعود في المنحاة) قال: أما والله إني لأكرك أعرج حافياً، قال عقيل: كذلك قلت:

تعجبت إذ رأت رأسي تجلله　　من الروائع شيبا ليس من كبر
ومن أديم تولى بعد جدته　　والجفن يخلق فيه الصارم الذكر

قال له يحي: أنشدني قصيدتك هذه كلها، فقال: ما أنتهيت إلا ما سمعت، فقال أما والله أنك لتقول فتقصّر، فقال: إن ما يكفي من القلادة ما أحاط بالرقبة، قال: فأنكحني أنا إحدى بناتك، قال: أما أنت فنعم، فقال يحى: أما ولله لأملأنك مالاً وشرفاً، فقال: أما الشرف فقد حملت ركائبي منه ما أطاقت، وكلفتها تجشم مالم تطق، ولكن عليك بهذا المال، فإن فيه صلاح الأيّم ورضا الأبي، فزوجه،فخرج فهداها إليه، فلما قدمت عليه بعث إليها يحي مولاة له لتنظر إليها، فجاءتها فجعلت تغمز عضدها، فرفعت يدها فدقت أنفها (المولاة) فرجعت إلى يحي وقالت: بعثني إلى أعرابية مجنونة صنعت بي ما ترى! فنهض إليها يحي فقال لها: مالك؟ قالت: ما أردت أن أبعث إلي أمة تنظر إليّ! ما أردت بما فعلت إلا أن يكون نظرك إليّ قبل كل ناظر فإن رأيت حسنا كنت قد سبقت إلى بهجته، وإن رأيت قبيحاً كنت أحق من ستره فسر بقولها وحظيت عنده.

١٨٢٨- تبلغ الغيرة بالمراة بالطبع بعضهن وليس ذلك على الاطلاق حدا يصعب تصوره، حيث لا تطيق بعضهن وهن من أصبن بضيق الأفق وحشرية الصدر، حيث لا تطيق الواحدة من هذه الشريحة عن ذكر الضَّرَّة أو "الجارة" فضلاً عن أن تماشيها وتعيش معها أما من وهبهن الله سعة الأفق ورحابة النظرة وسعة البال، فهن على خلاف ذلك، وتكثر نسبة هذه الشريحة من النساء وتقل من منطقة إلى أخرى ولديَّ شاهد على ما أقول، فقد نشرت جريدة اليوم في عدد يوم الجمعة ٢٠/١٠/١٤٣٣هـ الموافق ٧/٩/٢٠١٢م من مراسلها بالطائف عيد العتيبي ما يلي: في حادثة غريبة من نوعهاوضعت معلمة بمحافظة الطائف شرطاً أساسياً للزواج من أحد الأشخاص عندما شرطت على العريس الزواج من صديقتيها المدرستين في المدرسة التي تعمل فيها، ما أثار هذا الشرط غرابة كبيرة لدى المقربين من العريس، وبعد مساع من أهل الخير، وضغط المقربين من العريس اقتنع بالفكرة وقام بالزواج من العروس وصديقتيها عن طريق مأذون شرعي واحد. ويالها من عروس جريئة ومنصفة وعلمت أن هناك بالرياض طبيبتين تعملان في أحد المستشفيات اتفقتا مع السائق الذي يحضرهما للمستشفى صباحاً ويعيدهن بعد انتهاء الدوام إلى بيوتهن، اتفقتا معه على الزواج منه مَعَاً والمهر وتكاليف الزواج منهن، وخصصت كل واحدة منهن للزوج ثلاثة آلاف ريال شهرياً، وعاشا معه في شقتين متجاورتين في بناية واحدة.

١٨٢٩- أسمع من السِّمْعِ الأزل، لأن هذه الصفة لازمة له، والسِّمْعُ سبع مركب لأنه ولد الذئب من الضبع (الأب ذئب والأم ضبع) والسمع كالحية لا يعرف الأسقام والعلل، ولا يموت حتف أنفه بل يموت بعرض من الأعراض يعرض له وليس في الحيوان شيء عدوه كعدو السمع لأنه أسرع من الطير قال الشاعر:

تراه حديد الطرف أبلج واضحاً أغَرَّ طويل الباع أسمع من سمع

ويقال: وثبات السمع تزيد على عشرين أو ثلاثين ذراعاً. قال حمزة: ومن المركبات حيوان العِسبّار، والأَسْبُور، والدَّيْسَمْ فأما العِسبّار فولد الضبع من الذئب (الأب ضبع والأم ذئبة) وهو بازاء السمع، وأما الأسبور، فولد الكلب من الضبع (الأم ضبع والأب كلب) وأما الديسم فولد الذئب من الكلب (الأب ذئب والأم كلبة)، ومن المركبات حيوان بين الثعلب والهرة الوحشية قال حسان بن ثابت الأنصاري:

أبـوك أبـوك وأنـت ابنـه فبـئس الـبني وبـئس الأب

وأمـك سـوداء نوبيـة كـأن أنـا ملـها الحنظـب

يبيـت أبـوك لهـا مردفـا كماسـافد الهـرة الثعلـب

ومن المركبات نوع آخر من الحيات يقال له: الهرهير، مركب من السلحفات وبين الأسود السالخ وهو من أخبث الحيات ينام ستة أشهر لا يسلم سليمه. (أي الذي ينهشه).

* * *

١٨٣٠- يتناقل الرواة الشعبيون قصة للشريف بركات بن مبارك بن مطلب، وسبب هجرته من الحجاز إلى الأحواز على ساحل الخليج العربي الشرقي، أن زوجة أبيه قد غارت منه ففعلت له دسيسة فرقت بينه وبين أبيه، حيث أهانه أبوه أمام جمع من جلسائه، فكبر الأمر عنده، عندما ألصقت به تهمة هو برئ منها، لكن أباه قد الزمه إياها، وقيل أنها عملت له مقلب آخر، يتعلق به شخصياً، فقد كان طباخه يُعِدُّ له ضمن وجبة الغداء ترتيب معين حيث ينظف كرش الذبيحة تماماً ويقطع فيها قطعا من أطايب اللحم والشحم والبهارات والأبازر التي تطيب طعمها وتزكي نكهتها، وتربط فوهتها وتطبخ مع اللحم حتى إذا استوت وحان تقديم طعام الغداء وضعت هذه الكرش فوق الصحن، فإذا طابت نفسه من الطعام أخذ سكينا وشق بها هذه الكرش حيث يجد قطع اللحم والشحم وقد نضجت وفاحت رائحة الأبازير ولَذَّ طعم اللحم ونكهته فأكل منه ما يريد ثم دفعه إلى جلساته على الصينية، فأتت المرأة إلى الطباخ وطلبت منه ألا يفعل ذلك، وإنما يطبخ الكرش بفرثها في قدر مستقل ويضع بعض البهارات لتضيع رائحتها ثم يضعها كالعادة فوق الصينية، فقال الطباخ: إنني أخشى أن يقتلني؟ فقالت له: سأحميك منه، وإن لم تفعل ما قلته لك سأقتلك أنا بنفسي، فإذا قدمتها على الصينية كالعادة تعال عندي وأنا أحميك منه ولن ينالك منه أي أذى وعندي لك هدية ثمينة ومبلغاً كبيراً من المال، فأقدم الطباخ على الخطوة وطبخ الكرش بفرثها، وعندما قدمها فوق الصينية لاذ بالفرار إلى المرأة ثم قام

الشريف الشاب بركات يتناول الغداء كالعادة وأخذ السكين وشق الكرش فخرج عليه الفرث فكاد أن يصعق من هول المفاجأة وطلب الطباخ حالاً ولكنه لم يجده فقد أصبح في حرز مكين عند المرأة، عند ذلك عرف أن هذا التصرف كان بتدبير المرأة، وكانت هذه القشة التي قمصت ظهر البعير، وأيقن أن أباه سيقف في صفها وخرج ومن معه من مكة متجهين إلى مكان بعيد في ذلك الوقت، إلى الأحواز على الخليج العربي وكون له إمارة المشعشعين هناك وفور وصوله أرسل لوالده القصيدة التي مطلعها:

٥- عَفَا الله عِنْ عَيْنٍ لَلاَغْضَا مْحَارْبَة وْجِسْمٍ دِنِيفٍ زَايْد الَهْمِ شَاعْبَةْ

٦- أَسْهَرْ ليَا نَامْ المِعَافَى وْمَدْمِعْيْ إنْهَلْ مَابَيْنَ النَّظِيْرِين سَاكِبَةْ

٧- دَعْ العَذِلْ عَنِّيْ يَا نصِيْحِيْ وْخَلِّنِيْ شَرْوَاكْ ما يَرْضَى هَوَ ان لْصَاحِبَةْ

٨- شَهَرْتْ عْنَ الزِّهَدَاْ وهِيْ لْي فِضِيَّةْ وْلاَ يَمْنَعْ المَخْلُوْقْ مَا الله كاتِبَةْ

٩- فِيْ كِلْ دَارٍ لَلْرِّجَالْ مِعِيْشَة وَ الأَرْزَاقْ كَافِلْهَا جْزَالٍ وَهَايْبَةْ

إلي أن قال:

١٠- إخْتَرْتْ بِعْدَ الدَّار عِنْ نَازِحْ النِّيا وْلاَ قَوْلِةٍ بْرِكَاتْ قِدْ هَانْ جَانْبَة

١١- فْيَا مِبْلِغٍ مِنِّي ذِوِيْ الجُوْدْ وَالثَّنَا وْمِنْ شَبْ شَارَاتْ المَعَانِيْ مِكَاسْبَةْ

١٢- مْبَارَكْ زَيْنَ الجَانِيَاتْ بِنْ مِطْلَبْ ذَرَا الجَارْ وَالعَانِيْنْ مِنْ كِلْ جَانْبَة

١٣- يَا كَعْبَةَ الْوِفَّادْ لَلضَّيْفْ بَالْقِسَا إلَى النّدلْ ذَلْ وْلاَ ذْواغْضَى بْحَاجْبَةْ

١٤- إلَى قَلْ مَاءْ المِزْنِمَاتْ وَاجْدِبَتْ وْقَلْ الحَيَا وَاوْقَاتْ الإمْحَالْ كَالْبَة

١٥- بَنَيْتْ لَنا بَيْتٍ مْـنَ العِـزْ شَـامِخْ   سَلْ اللهْ إلاّيَهْـدِمْ الضِّـدْ جَانْبَـهْ
١٦- لاَ تَحْسَبْ إنِّي بَعْدْ حِسْنَاكْ وَ الرِّضَا   أَغَضْبَكْ بَالدِّنْيا وْمَا كِنْتْ غَاضِبَهْ
١٧- لَكِنْ جَانِيْ مِنْكْ مَضْـمُوْنْ كِلْمَـةْ   عَلَى حَضْرَةْ الرِّمَّاقْ وَالَخْلْق قَاطْبَـةْ
١٨- بَهَـا تْعَـاتِبْنِي وَلاَ دِسْـتْ زَلّـةْ   وْغَيْرِيْ وْلَوْ دَاسْ الرِّدَا مَـا تْعَاتِبَـهْ
١٩- مَارَيْتِنِيْ مِنْ غَيْـرْ ذَنْـبٍ جَنَيْتُـهْ   عَسَاهْ يِحْضَى بَالَجَنَى مِـنْ تْعَاتِبَـهْ
٢٠- عَسَاكْ تَذْكِرْنِيْ لْيَا جَتْـكْ ضَـيْقَةْ   وْجَا المَالْ يِحْدَا جَافْلٍ مِـنْ مَعَازْبَـهْ
٢١- بْيَوْمٍ كِدَاجْ اللَّيْـلْ غَـاطٍ قِتَامَـهْ   فِيْهَ السِّـبَايَا كَـالَخَوارِيْقْ لاَعْبَـهْ
٢٢- بْيَوْمٍ مْنَ الجَوْزَا يِسْتَا قِدْبُهْ الحَصَـا   تِلُوْذْ بِعْضُـوْ ذْ المِطَايَـا جَخَادْبَـهْ
٢٣- قِلْتَهْ عَلَى بَيْـتٍ قِـدِيْمٍ سِـمِعْتُهْ   وْهُوْ مِثِلْ مَا قَالْ التِّمِيْمِيْ لْصَـاحِبَهْ

إلى أن ختمها بقوله:

٢٤- وْتَرْ مَاتِعِيْبْ الدَّوْحَةْ إلاّ مْن أَصْلَهْ   وْلاَ آفَةْ الإِنْسَانْ إلاّ قَرَايْبَهْ

وكامل القصيدة في كتابنا "درر الشعر الشعبي ج٢ ص (٥٠١-٥٠٤).

* * *

١٨٣١- الغطاء النباتي على الأرض من أشجار وشجيرات وأعشاب موسمية ودائمة والذي يغطي وجه الأرض على مدار السنة في المناطق المطيرة وأحواض الأنهار والينابيع ويغطي الأراضي غير المطيرة عندما يصيبها المطر في أوقات متفاوته من السنة، ويتنوع هذا النبات من أشجار كبيرة وبعضها هائل في كبره وارتفاعه وبعضها لا يرى إلا تحت المجهر وقد بلغ

عدد النباتات التي تم تصنيفها حتى الآن بما يزيد عن ٣٧,٥٠٠٠ ثلاث مائة وخمس وسبعين ألف نبتة معظمها معروف وبعضها نادرجداً وهناك نباتات في بعض المناطق في الكرة الأرضية لا يعرف العلماء عنها شيئاً حتى الآن، ولا يزالون يبحثون عنها لكي يصنفوها والتقسيم الحالي للنبات تم حوالي ١٧٣٥م على يدي عالم النبات السويدي(كارل لينيه) ولكن قبل (لينيه) كانت الكائنات الحية تسمى باسماء تعبر عن مظهرها ومن أوائل التصنيفات التي تمت في اليونان عام ٣٠٠ قبل الميلاد.

* * *

١٨٣٢- نعمة الزفت أو القار أو الاسفلت من النعم التي أنعم الله بها علينا، والتي تسير عليها السيارات الآن والطائرات في المطارات والمغطاة بها الآن الطرق الطويلة والمتوسطة والقصيرة وفي الشوارع والميادين وغيرها وبدايتها متواضعة جداً ولا تكاد تذكر ففي ١٣٦٦/١/٢٥هـ ١٩٤٦م قامت أمانة العاصمة بمكة المكرمة لأول مرة برصف الشارع العام الممتد من المعابدة إلى جرول بالقار "الأسفلت" وبعد ذلك بأربعة أعوام وبالتحديد في ١٣٧٠/٣/٥هـ ١٩٥٠م تم الاحتفال ببدء العمل بتعبيد الطريق الواصل بين جدة والمدينة المنورة بحضور الأمير فيصل بن عبد العزيز نائب الملك بالحجاز والأمير منصور بن عبدالعزيز وزير الدفاع ووزير المالية عبد الله السليمان رحمهم الله. وفي ١٣٦٥/٦/١٥هـ ١٩٤٥م أصدر الملك عبد العزيز رحمه الله أوامره بتعبيد الطريق بين

المدينة المنورة والقصيم ليكون صالحاً لعبور السيارات حيث أن الرحلة تستغرق يوماً ونصف بعد انتهائه، واستمرت الحال على ما هي عليه حتى عام ١٣٨٢هـ ١٩٦٢م وفي ١٣٨٢/١٠/٢٣هـ صدرت أوامر ملكية من الملك سعود بن عبد العزيز – رحمه الله – بتعميد وزارة المواصلات بتعبيد أربعة آلاف كيلاً من شبكة الطرق، ثم بعد ذلك عمت الطرق التي امتدت عشر سنوات من عام ١٣٩٦- ١٤٠٥هـ ١٩٧٦- ١٩٨٥م وما بعدهاحتى أجزاء واسعة من المملكة بالطرق السريعة والمزدوجة والفردية والزراعية حتى لم يبق بلدة ولا قرية إلآ ما ندر لم تصلها الخطوط المزفتة والتي لم تصلها حتى الآن فهي في طريق الوصول إليها، وهكذا نرى أنه بعد الطرق الترابية التي كانت السيارات تمر عليها بما فيها من منحنيات ومطبات وتجاعيد (بطناح) قد عاني الناس منها الأمرين واتلفت السيارات وخربت البضائع المنقوله عليها، وكانت بداية ذلك بتزفيت شارع في مكة. وقد سافرت بنفسي بين حائل والرياض عدة مرات ابتداء من عام ١٣٨٢هـ على سيارات شحن "لوري" ولمست ما يعانيه المسافرون من التعب والعنت واستغرقت الرحلة من حائل إلى الرياض في إحدى السيارات يومين بلياليها وفي ثانية يومين وليلة ولا نصل إلى الرياض إلا في حالة رثة وعلى الواحد من الغبار ما يكاد يغطي جسمه.

* * *

١٨٣٣- حدث ابو عبيدة قال: حدثني غير واحد من هوازن من أولي العلم،وبعضهم قد أدرك أبوه الجاهلية أو (جده) قالوا: اجتمع عامر بن الظرب العدواني، وحممة بن رافع الدوسي، ويزعم النساب أن ليلى بنت الظرب أمُّ دوس، وزينب بنت الظرب أم ثقيف هو (قيس) اجتمع عامر وحممة عند ملك من ملوك حمير، فقال: تساءلا حتى أسمع ما تقولان، فقال عامر لحممة: أن تحب أن تكون أياديك؟ قال: عند ذي الرثية العديم (والرثية وجع المفاصل واليدين والرجلين والضعف) وعند ذي الخلة الكريم، والمعسر الغريم والمستضعف الهضيم. قال: من أحق الناس بالمقت؟ قال: الفقير المختال، والضعيف الصوال، والعيي القوال، قال: من أحق الناس بالمنع؟ قال: الحريص الكاند، والمستميد الحاسد، والملحف الواجد (الملحف شديد الطلب) قال: من أجدر الناس بالصنيعة؟ قال: من إذا أعطى شكر، وإذا منع عذر، وإذا مطل صبر، وإذا قدم العهد ذكر، قال من أكرم الناس عِشرَةَ؟ قال: من إذا قرب منح، وإذا بعد مدح، وإذا ظلم صفح، وإذا ضويق سمح، قال: من ألأم الناس؟ قال: من إذا سَأل خضع، وإذا سُئِلَ منع، وإذا ملك كنع (تخفى) ظاهره جلع، وباطنه طبع، قال: فمن أحلم الناس؟ قال: من عفا إذا قدر، وأجمل إذا انتصر، و لم تطغه عزةالظفر، قال: من أحزم الناس؟ قال: من أخذ رقاب الأمور بيديه، وجعل العواقب نصب عينيه، ونبذ التهيب دبر أذنيه، قال: فمن أخرق الناس؟ قال: من ركب الخطار، واعتسف العثار،وأسرع في البدار قبل الاقتدار، قال: من أجود الناس؟ قال: من

بذل المجهود، و لم يأس على المفقود، قال: من أبلغ الناس؟ قال: من جلى المعنى المزيز، باللفظ الوجيز، وطبق المفصل قبل التحزيز، قال: من أنعم الناس عيشاً؟ قال: من تحلى بالعفاف، ورضي بالكفاف، وتجاوز ما يخاف إلى ما لا يخاف، قال: فمن أشقى الناس؟ قال: من حسد على النعم، وسخط على القسم، واستشعر بالندم قبل فوت ما لم يحم، قال: من أغنى الناس؟ قال: من استشعر اليأس، وأظهر التجمل للناس، واستكثر قليل النعم، و لم يسخط على القسم، قال: فمن أحكم الناس؟ قال: من صمت فاذكر، ونظر فاعتبره، ووعظ فازدجر، قال: من أجهل الناس؟ قال: من رأى الخرق مغنماً، والتجاوز مغرماً، قال أبو عبيدة: الخَلّة: الحاجة، والخُلّة: الصداقة، والكاند: الذي يكفر النعمة والكنود: الكفور، والمستميد: المستمير وهو المستعطي وكنع: تقبض للاختفاء يريد أنه ممسك بخيل، والجشع أسوأ الحرص، والطبع: الدنس، والاعتساف ركوب الطريق على غير هداية، والمزيز: من قولهم هذا أفر من هذا أي أفضل منه وأفيد، وأكبر، والطبق من السيوف الذي يصيب المفاصل لا يجاوزها.

* * *

١٨٣٤- خطب شبيب بن البرصاء إلى يزيد بن هاشم بن حرملة المري ابنته، فقال: هي صغيرة، قال شبيب: لا ولكنك تبغي أن تردني، قال له يزيد: ما أردت ذاك، لكن أنظرني هذا العام، فإذا انصرم فعلي أن أزوجك،

فرحل شبيب من عنده مغضباً، فلما مضي قال ليزيد بعض أهله: والله ما أفلحت! خطب إليك شبيب سيد قومك فرددته! قال: هي صغيرة، قال: إن كانت صغيرة فستكبر عنده، فبعث إليه يزيد: إرجع فقد زوجتك، فإني أكره أن ترجع إلى أهلك وقد رددتك، فأبى شبيب أن يرجع وقال هذه القصيدة:

لعمري لقد أشـرفت يـوم عنيـزة على رغبة لوشد نفسـي مريرهـا
ولكـن ضـعف الأمـر ألا تمـره ولا خـير في ذي مـرة لا يغيرهـا
تـبين أدبـار الأمـور إذا مضـت وتقبل أشـباها عليـك صـدورها
ترجي النفوس الشيء لا تسـتطيعه وتخشى من الأشياء مـالا يضـيرها
ألا إنما يكفي النفـوس إذا اتقـت تقى الله ممـا جـاورت فيجيرهـا
ولا خـير في العيـدان إلا صـلابها ولاناهضات الطـير إلا صـقورها
ومستنبح يدعو وقد حـال دونـه من الليل سجفا ظلمـة وسـتورها
رفعت له ناري فلما اهتـدي لهـا زجرت كـلابي أن يهـر عقورهـا
فبات وقد أسرى من الليـل عقبـة بليلة صدق غاب عنـها شـرورها
وقد علـم الأضـياف أن قـراهم شواء المتـالي عنـدنا وقـد يرهـا
إذا افتخرت سعد بن ذبيان لم يجـد سوى ما ينينا مـا يعـد فخورهـا
وإني لتـراك الضـغينة قـد بـدا ثراها من المـولى فـلا أسـتثيرها
مخافـة أن تجـني علـي وإنمـا يهيج كـبيرات الأمـور صـغيرها
إذا قيلت العـوراء وليـت سمعهـا سواي ولم أسمع بهـا مـاد بيرهـا

وحاجة نفس قد بلغت وحاجة ... تركت إذا ما النفس شح ضميرها

حياء وصبراً في المواطن إنني ... حيي لدى أمثال تلك ستيرها

* * *

١٨٣٥- الشاعرة بنّا بنت أبي الحنايا البرازية المطيرية جرت بينها وبين أختها مويضي بنت أبي الحنايا البرازية رحمهما الله محاورة وكل واحدة لها رأيها في الزوج حيث عبرت بنا عن الزوج الذي ترغبه فارساً لأحلامها بقولها:

٢٥- شَوْقِيْ غَلَبْ شَوْقِكْ عَلَى هَبَّةْ الرِّيْحْ ... ومْحَصِّلٍ دَرْبَ الكَرَمْ وَ الشّجَاعَةْ

٢٦- رْكَابْ شَوْقِيْ كْلِ يَـوْمٍ مِشَـاوِيْحْ ... وْلْيَا لِفَى صَكُّوْا عَلَيْـهْ الجَمَاعَـةْ

٢٧- يَالْبِيْضْ شُوْ مَنْ لَلرِّجَـالْ المِفَـالِيْحْ ... لاَ تَقْرِبِنْ رَاعْ الرِّدَى وَ الدَّنَاعَـةْ

لكن أختها مويضي عارضتها ولا ندرى أهي صادقة بقولها أم لها مقصد آخر:

٢٨- مَا هَمْ بَخَافِيْنِيْ رْجَـالْ الشّـجَاعَةْ ... وَدِّيْ بَهَمْ مَـارْ المَنَـاعِيْرْ صَـلْفِيْنْ

٢٩- إِرِيْـدْ مِنْـدَسٍّ بْوَسْـطَ الجِمَاعَـةْ ... يَرْعَى غَنَمْهَمْ والـبَهَمْ وَالبَعَـارِيْنْ

٣٠- وَلْيَـا نِزَرْتَـهْ رَاحْ قَلْبَـهْ رَعَاعَـةْ ... يِقُولْ يَادَاف الحَشَـاوِيْش تَبْغِـيْنْ

٣١- وإنْ قِلْتْ لَهْ هَاتْ الحطَبْ قَالْ طَاعَةْ ... عَجْلٍ بِجِيْبْ الْقِدْر هُوْ وَالمِـوَاعِيْنْ

٣٢- وَلَوْ أَضْرِ بَهْ مِشْـتَدِّةٍ فِـي ذْرَاعَـةْ ... لاَهُوْ بْشَاكِيْنِي وَلاَ النَّـاسْ دَارِيْـنْ

* * *

١٨٣٦- يمر القارئ الكريم في هذا الجزء على فقرات عن هارون الرشيد، وهارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور رحمه الله الخليفة

العباسي تولى الخلافة في الليلة التي توفى فيها أخوه موسى الهادي بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور وولد له ابنه عبد الله المأمون بن هارون الرشيد في ليلة ١٦/٣/١٧٠هـ ٧٨٦م وتوفى رحمه الله عام ١٩٣هـ في طوس من أعمال أصفهان بعد أتولى الخلافة مدة ٢٣ سنة فقط، هذه الفترة التي بلغت فيها شهرة الرشيد الآفاق وارتفع صيته إلى أصقاع العالم القديم وتعتبر هذه الفترة القصيرة نسبيا غرة في جبين الخلافة العباسية وبها بلغت الخلافة قمة قوتها واكتمالها وقال فيها الرشيد كلمته المشهورة يعني السحابة حين قال:"أمطري أين شئت فسوف يأتيني خراجك" وما سأتطرق له في هذا المجال موضوع آخر، فالمعروف عن الرشيد أنه رجل قوي ورجل صالح والمشهود له أنه كان يحج عاماً ويغزو عاماً، وقد حج إلى مكة على قدميه في حجة تفصيلها في الجزء الثالث من هذا الكتاب، هذا معروف عنه وكان يلقب "بجبار بني العباس" ومع هذا يمر القارئ على فقرات تنم عن حب الرشيد للغناء من المغنين والمغنيات من الجواري بالاضافة إلى الشعراء والرواة، وأنه يطرب للغناء ولا غرو في ذلك فاخوته من أبيه ابراهيم بن المهدي بن أبي جعفر المنصور مغنيا، وأخته عُلَيَّة بنت المهدي بن أبي جعفر المنصور مغنية وأحد أبنائه مغنيا،وكان يهتم بالمغنين أشد اهتمام فلا تكاد تمضي ليلة من ليالي تواجده في بغداد إلا وقد سمر واستمع إلى مغنين ومغنيات ويجيزهم بالأموال السخية والعجيب هنا أن تكون شخصية مثل هارون الرشيد على قوته وعنفوانه وسعة ملكة وقوة خلافته يتمتع بسماع الغناء

وفي ظني الجازم أن هذا الجانب يأتي من باب الترويح عن النفس كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال" ساعة وساعة" وفي حديث آخر أو كلام مأثور "روحوا عن أنفاسكم فإن النفوس إذا كَلّتْ عميت" أو ما في معناه، والأغاني التي كان يستمع إليها الرشيد من الشعر الفصيح بيتين أو ثلاثة بما يقتضيه الحال، وآلات العزف هي العود بصفة رئيسة وبعض ملحقاته هذا الغناء الذي يستمع إليه من الكلام المباح وفي سماعه إلى نغمات العود وأبيات القصيدة ما يريح نفسه وينقله من هموم الخلافة ومشاكل الأقاليم وأخبار الغزوات وغير ذلك من الأخبار الجادة ولو سويعات من الوقت يشعر خلالها بالراحة ليستأنف العمل الجاد بقوة ونشاط ذهني، وقد يسأل سائل، كيف يوفق بين كونه يحج سنة ويغز وسنة وبين هذا النهج؟ وليعلم السائل الغزوة في السنة من شهرين إلى ثلاثة اشهر وتسعة أشهر مقيم في بغداد وكذلك الحج يستغرق من شهرين إلى ثلاثة أشهر وتسعة أشهر مقيم في بغداد يتبع خلالها طريقة الترويح عن النفس المشار إليها والاستماع إلى الشعر والرواة، وكان لديه حصيلة جيدة من الشعر الذي يحفظه والمعلومات التي يلم بها ويجادل الرواة والشعراء والمغنين.

* * *

١٨٣٧- إدارة المرورأو السير أو ضبط المرور ومراقبة سير السيارات على الطرق، أتدري أيها القارئ متى بدأ؟ لقد بدأ في ١٣/٥/١٣٥٨هـ

حين تم افتتاح أل مكتب للمرور في المملكة بمديرية الأمن العام للاشراف على حركة المرور في العاصمة مكة المكرمة.وذلك بعد أن زادت عدد السيارات التي استوردها الناس وكان لكل عائلة سيارة. أما رخصة القيادة للأشخاص متى منحت أول رخصة كقيادة السيارة ففي ١٣٦٦/٢/١٣هـ ١٩٤٦ أصدرت مديرية الأمن العام أول رخصة قيادة لقائدي السيارات الخصوصية ومعاونيهم. وكانت تعد في ذلك الوقت من المهن الصعبة التي لا يجيدها إلا المهرة وإنني أذكر سائق السيارة في عام ١٣٧٠هـ وكأنه قائد سفينة الفضاءفي وقتنا الحالي، فالسائق له معاون معه، يفرش له الفراش ليجلس عليه وينام، ويجهز له الشاي ويطبخ له الغداء والعشاء وغير ذلك من الخدمات، ويداري خاطره، وسائق تلك الشاحنة إذا اقتربنا منها ونحن أطفال صغار نراه يجلس مشمخراً ويمشي متبختراً وكأنه في زهو الطاووس وقد انتفخ رأسه من الكبر، وينظر الناس له بإجلال وإكبار واستمر هذا الوضع حتى عام ١٣٨٠هـ ١٩٦٠م وصار كثير من الناس يملكون السيارات ويقودونها بكل براعة ومهارة وسقطت أُبَّهَةُ السائق الذي كان له مكانته بالأمس وفي ١٣٦٨/١٢/٢٣هـ ١٩٤٨م أعلنت إدارة الأمن العام بتعيين أول شرطي بإضاءة أول إشارة مرور كهربائية لتنظيم حركة السير بمدينة الرياض.ثم جرى تعميم ذلك مع توفر الكهرباء في المدن، وإنني لأذكر حركة المرور وهي توجه بيد الجندي الذي يقف على التقاطعات وينفخ بالصافرة حين يوقف هذا الاتجاه ويفتح الاتجاه الآخر، أذكر ذلك في

مدينة حائل قبل تأسيس الكهرباء العامة فيها التي سيأتي ذكرها لاحقا، وفي بعض الأحياء من مدينة الرياض التي قدمت إليها عام ١٣٨٢هـ ــ ١٩٦٢م وإشارة المرور الآن عمت جميع التقاطعات وجرى لها بعض التطوير ونحن بانتظار المزيد من التطور في إدارة المرور بضبط حركة السير والقضاء على التجاوزات.

* * *

١٨٣٨– رب ساع لقاعد، قالوا: أول من قاله معاوية بن أبي سفيان وذلك أنه لما أخذ من الناس البيعة لابنه يزيد قال له: يا بني ، قد صيرتك ولي عهدي بعدي، وأعطيتك ما تمنيت، فهل بقيت لك حاجة؟ أو في نفسك أمر تحب أن أفعله؟ قال يزيد: يا أمير المؤمنين، ما بقيت لي حاجة ولا في نفسي غصة ولا أمر أحب أن أناله إلا أمر واحد. قال: وماذاك يا بني ؟ قال كنت أحب أن أتزوج، أم خالد إمرأة عبد الله بن عامر بن كريز، فهي غايتي ومنيتي من الدنيا، فكتب معاوية إلى عبد الله بن عامر فاستقدمه فلما قدم عليه أكرمه وانزله أياماً، ثم خلا به فأخبره بحال يزيد، ومكانه منه، وإشارة هواه، وسأله طلاق أم خالد على أن يطعمه فارس خمس سنين (أي يعطيه ما يأتي من مقاطعة فارس من الأموال من الزكاة والضرائب لمدة خمس سنين) فأجابه إلى ذلك وكتب عهده وخلى عبد الله سبيل أم خالد، فكتب معاوية إلى الوليد بن عتبة وهو عامل المدينة أن يعلم أم خالد أن عبد الله قد طلقها لتعتد، فلما انقضت عدتها

دعا معاوية أبا هريرة، فدفع إليه ستين الفا وقال له: أرحل إلى المدينة وتأتي أم خالد فختطبها على يزيد، وتعلمها أنه ولي عهد المسلمين وأنه سخي كريم وأن مهرها عشرون ألف دينار وكرامتها عشرون ألف دينار، وهديتها عشرون ألف دينار، فقدم أبو هريرة المدينة ليلاً، فلما أصبح أتي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيه الحسن بن علي فسلم عليه وسأله:متى قدمت؟ فقال قدمت البارحة، قال: وما أقدمك؟ فقص عليه القصة، فقال الحسن: فاذكرني لها، ثم مضى فلقيه الحسين بن علي وعبيد الله بن عباس فسألاه عن مقدمه، فقص عليهما القصة، فقالا له: إذكرنا لها، فقال نعم، ثم مضى فلقيه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن مطيع بن الأسود، فسألوه عن مقدمه فقص عليهم القصة، فقالوا: أذكرنالها قال: نعم ثم أقبل حتى دخل عليها، فكلمها بما أمر به معاوية ثم قال لها: إن الحسن والحسين ابني علي وعبد الله بن جعفر وعبيد الله بن العباس وابن الزبير وابن مطيع سألوني أن أذكرهم لك، فقالت أما هي فالخروج إلى بيت الله، والمجاورة له حتى أموت، أو تشير علي بغير ذلك؟ قال أبو هريرة: أما أنا فلا أختار لك ذلك، قالت: فاختر لي.قال: اختاري لنفسك، قالت: لا بل اخترلي أنت، قال لها: أما أنا فقد اخترت لك سيد شباب أهل الجنة قالت: قد رضيت بالحسن بن علي، فخرج إليه أبو هريرة فأخبر الحسن بذلك وزوجها منه وانصرف إلى معاوية بالمال، وقد كان بلغ معاوية قصته، فلما دخل على معاوية قال له: إنما بعثتك خاطباً و لم أبعثك محتسباً قال

أبو هريرة: إنها استشارتني والمستشار مؤتمن فقال معاوية عند ذلك إسلمي يا أم خالد، رب ساع لقاعد وآكل غير حامد.

*　*　*

١٨٣٩- كان قَيْلٌ (ملك) من أقيال حمير منع الولد دهراً، ثم ولدت له بنت فبنى لها قصراً منيفا بعيداً عن الناس، ووكل بها نساء من بنات الأقيال يخدمنها ويؤد بنها حتى بلغت مبلغ النساء فنشأت أحسن منشأ وأتمه في عقلها وكمالها، فلما مات أبوها مَلَّكها أهل مخلافها (مقاطعتها) فأصطنعت النسوة اللواتي ربينها وأحسنت إليهن، وكانت تشاورهن، ولا تقطع أمراً دونهن فقلن لها يوماً: يا بنت الكرام لو تزوجت لتم لك الملك، فقالت: وما الزوج؟ فقالت احداهن: الزوج عز في الشدائد، وفي الخطوب مساعد، إن غضبت عطف، وإن مرضت لطف، قالت: نعم الشيء هذا فقالت الثانية: الزوج شعاري وتدفئتي حين أصرد، ومتكئي حين أرقد، وأنسى حين أفرد، فقالت: إن هذا لمن طيب العيش، فقالت الثالثة الزوج لما عناني كاف، ولما شفني شاف، يكفيني فقد الألاف، ريقه كالشهد، وعناقه كالخلد لا يمل قرانه ولا يخاف حرانه. فقالت: أمهلني أنظر فيما قلتن، فاحتجبت عنهن سبعاً ثم دعتهن فقالت: قد نظرت فيما قلتن، فوجدتني أُمَلِّكُهُ رقي، وأبثه باطلي وحقي، فإن كان محمود الخلائق، مأمون البوائق، فقد أدركت بغيتي، وإن كان غير ذلك فقد طالت شقوتي، على أنه لا ينبغي إلا أن يكون كفئاً كريما يسود

عشيرته، ويرب فصيلته، لا أتقمع به عاراً في حياتي، ولا أرفع به شناراً لقومي بعد وفاتي، فعليكنه فابغينه (أي ابحثن عنه) وتفرقن في الأحياء فايتكن أتتني بما أحب فلها أجزل الحباء (العطية والجائزة) وعلي لها الوفاء، فخرجن فيما وجهتهن له،وكنا بنات مقاول (ملوك) ذوات عقل ورأي فجاءها إحداهن.وهي عمرة بنت زرعة بن ذى خنفر فقالت: قد أصبت البغية، فقالت: صفيه ولا تسمية، فقالت: غيث في المحل وثمال الأزل، مفيد مبيد، يصلح النائر، وينعش العاثر، ويغمر الندي، ويقتاد الأبي، عرضه وافر وحسبه باهر، غض الشباب طاهر الأثواب قالت: من هو؟ قالت: سبرة بن عوال بن شداد بن الهمال، ثم دخلت الثانية فقالت:أصبت بغيتك قالت: صفيه ولا تسمية قالت: مصامص النسب، كريم الحسب، كامل الأدب، عزيز العطايا، مألوف السجايا، مقتبل الشباب خصيب الجناب، أمره ماض، وعشيره راض، قالت: من هو؟ قالت: يعلي بن هزال بن ذي جدن، ثم دخلت الثالثة، فقالت: ما عندك؟ قالت: وجدته كثير الفوائد، عظيم المرافد، يعطي قبل السؤال وينيل قبل أن يستنال، في العشيرة معظم، وفي الندى مكرم، جم الفواضل كثير النوافل، بذال أموال، محقق آمال، كريم أعمام وأخوال قالت: من هو؟ قالت: رواحة بن حمير بن مضحي بن ذي هلاهلة. فاختارت يعلي بن هزال فتزوجته فاحتجبت عن نسائها شهراً ثم برزت لهن فأجزلت لهن الحباء (الهبات) واعظمت لهن العطاء.

١٨٤٠- المطارات المنتشرة في أنحاء المملة الآن منها ثلاثة مطارات دولية في كل من الرياض وجدة والدمام وثلاثة وعشرين مطاراً اقليمياً في كل من القريات، وطريف وعرعر، والجوف وتبوك ورفحاء والقيصومة وحفر الباطن وحائل، والوجه، والقصيم والمدينة المنورة، وينبع، والدوادمي والقطيف، والطائف وأبها وبيشة ووادي الدواسر ونجران وجازان وشرورة، وأول هذه المطارات مطار الظهرات في المنطقة الشرقية ففي تاريخ ١٣٦٨/٦/٣هـ ١٩٤٨م استلمت الحكومة السعودية من الحكومة الأمريكية المكلفة بإنشاء المطارات بالمملكة مطار الظهران وأقام الأمير منصور بن عبد العزيز وزير الدفاع حفلاً بهيجاً بهذه المناسبة. وسبب الاسراع في تنفيذ المطار هو وجود شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) وكثرة القادمين إلى الشركة من الأمريكيين وعائلاتهم والمسئولين الأمريكيين وأسرهم، ويعتبر في وقته تحفة فنية جميلة. وقد سافرت للمنطقة الشرقية عدة مرات من هذا المطار إلى الرياض والبحرين والإمارات العربية ثم تم إنشاء مطار جدة القديم وبعد ذلك تم إنشاء مطار الملك عبد العزيز بجدة وتبعه افتتاح مطار الملك خالد بالرياض عام ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م وآخر هذه المطارات الدولية مطار الملك فهدبالدمام الذي تم افتتاحه في ١٤٢٠/٨/٢٠هـ ١٩٩٠م أما المطارات الاقليمية فكانت بداياتها متواضعة جداً على مساحات ترابية تهبط الطائرات عليها ثم جاء التطوير الأخير حيث دخلت مرحلة جديدة ، فقد تم تعميم المطارات الاقليمية على طراز واحد في جميع

المدن المتوسطة والكبيرة بمسمى مطار إقليمي وحينما بدأت الحاجة تم افتتاحه وقد أصبح مطار المدينة المنورة يستقبل الرحلات الدولية في وقت الحج، وهناك أمل أن يصبح مطار حائل الأقليمي مطاراً دولياً نظراً لتوسطه في الشمال ولمرور معظم الخطوط العالمية من فوقه من الشرق إلى الغرب وبالعكس ومن الشمال إلى الجنوب وبالعكس، ومع دخول الخطوط العالمية في الخدمة داخل المملكة يعزز هذا الأمل فعسى أن نرى ذلك قريبا لا سيما وأنه قد بدأت رحلات من حائل إلى دبي.

* * *

١٨٤١- يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري، وقد لزمه غرماؤه بدين فقال لهم: انطلقوا معي نجلس على باب الأمير، عسى أن يخرج الأشراف من عنده فيروني فيقضوا عني، فانطلقوا به، فكان أول من خرج إما عمر بن عبيد الله بن معمر وإما طلحة الطلحات الخزاعي، فلما رآه قال: أبا عثمان ما أقعدك هاهنا؟ قال: غرمائي هؤلاء لزموني بدين لهم علي، قال: وكم هو؟ قال: سبعون ألفاً، قال: علي منها عشرة آلاف درهم، ثم خرج الآخر على أثره فسأله كما سأل صاحبه قال: هل خرج أحد قبلي؟ قال: نعم ، فلان قال: فما صنع. قالوا: ضمن عشرة آلاف درهم، قال: فعلي مثلها، قال: ثم جعل الناس يخرجون فمنهم من يضمن الألف إلى أكثر من ذلك حتى ضمنوا أربعين ألف درهم، وكان يأمل عبيد الله بن أبي بكرة فلم يخرج حتى غربت الشمس فخرج مبادراً فلم يره حتى كاد

يبلغ بيته، فقيل له : أنك مررت بابن المفرغ ملزوماً، وقد مر به الأشراف فضمنوا عنه فقال: واسوءتاه، إني لخائف أن يظن بي أني تغافلت عنه، فكر راجعاً، فوجده قاعداً، فقال له: أبا عثمان ما يجلسك هاهنا قال غرمائي هؤلاء يلزموني، قال: كم عليك قال: سبعون ألفا قال وكم ضمن لك؟ قال أربعون ألفاً قال: استمتع بها وعلي دينك أجمع فقال فيه يخاطب نفسه:

لو شئت أن تغني ولم تنصبي ... عشت بأسباب أبي حاتم
عشت بأسباب الجواد الذي ... لا يختم الأموال بالخاتم
من كف بهلول له غرة ... ما إن لمن عاداه من عاصم
المطعم الناس إذا حاورت ... نكباؤها في الزمن الحاضر
والفاصل الخطة يوم اللجا ... للأمر عند الكربة اللائم
كم من عدو شامت كاشح ... أخزيته يوماً ومن ظالم
أذقته الموت على غرة ... بأبيض ذي رونق صارم

* * *

١٨٤٢- كان أسيد بن عنقاء الفزاري من أكثر أهل زمانه وأشدهم عارضة ولساناً، فطال عمره، ونكبه دهره، وأختلت حالته فخرج عشية يتبقل لأهله (يجمع لهم البقل وهو ما يأكله الانسان من عشب الأرض الجني) فمرَّ به عُمَيْلَة الفزاري فسلم عليه وقال: ياعم، ما أصابك إلى ما أرى من حالك؟ فقال: بخل مثلك بماله، وصوني وجهي عن مسألة الناس،

فقال عُمَيْلَةُ والله لئن بقيت إلى غد لأغيرن ما أرى من حالك، فرجع ابن عنقاء إلى أهله فأخبرها بما قال له عملية، فقالت له:لقد غرك كلام غلام جنح ليل، فكأنما القمت فاه حجراً، فبات متململاً بين رجاء ويأس فلما كان السحر، سمع رغاء الابل وثغاء الشاء وصهيل الخيل ولجب الأموال فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا عملية ساق إليك ماله قال:فاستخرج ابن عنقاء ثم قسم له الملك شطرين وساهمه عليه، أعطي نصفه لأسيد بن عنقاء ونصفه استبقاه لنفسه، فأنشأ ابن عنقاء يقول:

رآني على ما بي عملية فاشتكى ... إلى ماله حالي أمر كما جهر
دعاني فآساني ولو ضن لم ألم ... على حين لابدو يرجي ولا حضر
فقلت له خيراً واثنيت فعله ... وأوفاك ما أبليت من ذم أو شكر
ولما رأى المجد استعيرت ثيابه ... تردى رداء سابغ الذيل واتزر
غلام رماه الله بالخير مقبلاً ... لها سيمياء لا تشق على البصر
كأن الثريا علقت فوق نحره ... وفي انفه الشعرى وفي خده القمر
إذا قيلت العوراء أغضى كأنه ... ذليل بلا ذل ولو شاء لا نتصر

* * *

١٨٤٣- جاور رجلان من هوزان يقال لهما: عمرو وعامر في بني مرة بن عوف بن ذبيان وكانا قد أصابا دماً في قومهما، ثم إن قيس بن عاصم المنقري أغار على بني مرة، فأصاب عامراً أسيراً في عدة أسارى كانوا عند بني مرة، ففدى كل قوم أسيرهم من قيس بن عاصم، وتركوا

الهوزاني، فاستغاث أخوه بوجوه بني مرة سنان بن أبي حارثة، والحارث بن عوف، والحارث بن ظالم، وهاشم بن حرملة والحصين بن الحمام فلم يغيثوه، فركب إلى موسم عكاظ، فأتى منازل مذحج ليلاً فنادى:

دعوت سنانا وابن عوف وحارثا ... وعاليت دعوى بالحصين وهاشم

أعيرهم في كل يوم وليلة ... بترك أسير عند قيس بن عاصم

حليفهم الأدنى وجار بيوتهم ... ومن كان عما سرهم غير نائم

فصموا وأحداث الزمان كثيرة ... وكم في بني العلات من متصامم

فياليت شعري من لاطلاق غلة ... ومن ذا الذي يحظى به في المواسم

فسمع صوتا من الوادي ينادي بهذه الأبيات:

ألا أيهذا الذي لم يجب ... عليك بحيٍّ يجلّي الكرب

عليك بذى الحي من مذحج ... فإنهم للرضى والغضب

فناد يزيد بن عبد المدان ... وقيسا وعمرو بن معد يكرب

يفكوا أخاك بأموالهم ... وأقلل بمثلهم في العرب

أولاء الرؤوس فلا تعدهم ... ومن يجعل الرأس مثل الذنب

فاتبع الصوت فلم ير أحداً، فغدا على المكشوح واسمه قيس بن عبد يغوث المرادي فقال له: إني وأخي رجلان من جشم بن معاوية أصبنا دماً في قومنا، وإن قيس بن عاصم أغار على بني مرة وأخي فيهم مجاور فأخذه أسيراً فاستغثت بسنان بن أبي حارثة، والحارث بن عوف، والحارث بن ظالم، وهاشم بن حرملة، فلم يغيثوني، فأتيت الموسم لأصيب من يفك أخي، فانتهيت إلى

منازل مذحج فناديت بكذا وكذا، فسمعت من الوادي صوتا أجابني بكذا وكذا، وقد بدأت بك لتفك أخي فقال المكشوح: والله إن قيس بن عاصم لرجل ما قارظته معروفا قط ولا هو لي بجار، ولكن اشتر أخاك منه وعلي الثمن ولا يمنعك غلاؤه، ثم أتى عمرو بن معد بكرب فقال له مثل ذلك فقال: هل بدأت بأحد قبلي؟ فقال:نعم بقيس المكشوح، فقال: عليك بمن بدأت به فتركه، وأتى يزيد بن عبد المدان فقال له: يا أبا النضر إن قصتي كذا وكذا فقال مرحبا بك وأهلاً، إبعث إلى قيس بن عاصم، فإن هو وهب لي أخاك شكرته، وإلا أغرت عليه حتى يتقيني بأخيك، فإن نلتها وإلا دفعت إليك كل أسير من بني تميم بنجران فاشتريت بهم أخاك، قال: هذا الرضا، فأرسل يزيد إلى قيس بن عاصم بهذه البيات:

يا قيس أرسل أسيراً من بني جشم … إني بكل الذي تأتي به جازي

لا تأمن الدهر أن تشجى بغصته … فاختر لنفسك إحمادي واعزازي

فافكك أخا منقر عنه وقل حسنا … فيما سئلت وعقبه بايجاز

وبعث بالأبيات رسولاً إلى قيس بن عاصم فأنشده إياها، ثم قال له: يا أبا علي، إن يزيد بن عبد المدان يقرأ عليك السلام ويقول لك: إن المعروف قروض، ومع اليوم غد، فاطلق لي هذا الجشمي، فإن أخاه قد استغاث بأشراف بني مرة وبعمر وبن معد يكرب، وبمكشوح مراد، فلم يصب عندهم حاجته، فاستجاربي، ولو أرسلت إليّ في جميع أساري مضر بنجران لقضيت حاجتك، فقال قيس بن عاصم لمن حضره من بني تميم: هذا رسول يزيد بن عبد المدان

سيد مذحج وابن سيدها ومن لا يزال له فيكم يد، وهذه فرصة لكم فماذا ترون؟ قالوا: نرى أن نغليه ماله، فقال قيس: بئس ما رأيتم أما تخافون سجال الحروب، ودول الأيام ومجازاة القروض! فلما أبوا عليه قال: بيعونيه، فأعطوه عليه، فتركه في أيديهم، وكان أسيراً في يد رجل من بني سعد، وبعث إلى يزيد فأعلمه بما جرى، وأعلمه أن الأسير لو كان في يده أو في منقر (عشيرته)" لأخذه وبعث به ولكنه في يد رجل من بني سعد، فأرسل يزيد إلى السعدي أن أرسل إليّ بأسيرك ولك فيه حكمك، فأتى به السعدي إلى يزيد بن عبد المدان فقال له: احتكم، فقال السعدي مئة ناقة ورعاؤها، فقال له يزيد: إنك لقصير الهمة قريب الغنى جاهل باخطار بني الحارث، أما والله لقد غبنتك يا أخي بني سعد، ولقد كنت أخاف أن تأتي ثمنه على جُلّى أموالنا، ولكنكم يا بني تميم قصار الهمم، وأعطاه ما احتكم به، فجاوره الأسير وأخوه حتى ماتا عنده بنجران.

*   *   *

١٨٤٤- بعد أن نشرت ما توفر لدى من شعر زيد بن سلامة الخشيم الخالدي رحمه الله والذي سبقت ترجمته، نشرت شعره بكتابي "شعراء الجبل الشعبيون الذي صدر مؤخراً في خمسة أجزاء واحتوى على أكثر من ٣٠٠٠ صفحة، حصلت على هذه القصيدة من الاستاذ الراوية علي بن عبد العزيز السويداء الخالدي وقد تعذر إدخالها في الكتاب المشار إليه وهي قصيدة تستحق النشر حين قال زيد:

٣٣- قَالْ الذّي مَـارَدّدْ القِيْـل تَرْدِيْـدْ   يَلْبَسْ جدِيْدْ وَلاَ يْرِيْـدْ السِّـمَال

٣٤- يَاتِنْ تُوالِيْفٍ عَلَى كِـلْ مَـا ارِيْـدْ   وِلْيَا بَغَيْتْـهْ تِقِـلْ يْعَمَـلْ قْبَـالِيْ

٣٥- مِثْلَ الدِّبَى وانْ طَبْ رَزْعْ الكُوَادِيْدْ   وِ إلاَّ الجَرَادْ لَيَـا تِقَلّـلْ رْهَـالِيْ

٣٦- أَقْعِدْ وأَقُومْ وْلاَدْرِيْ وَيْن أَنَا رِيْـدْ   مِثْلَ المِعِيْـد لْيَـا ابْـتَلاَهْ الجِفَـال

٣٧- يَا زَيْنْ صَـايِبْنِيْ جْفَـالْ المَعَاوِيْـدْ   عَلَيْكْ شِفْنِيْ بَسْ أَلاَفِـخْ ظْلاَلِـيْ

٣٨- يَا قَلْبْ مَا تَدْلَـهْ بْنَقِـلْ البُوَارِيْـدْ   وْتجُوْزْ عِنْ طِرْيَا حَسِـيْنَ الـدَّلاَل

٣٩- يَا قَلْبْ لَوْ تَنْسَاهْ عَيَّدتْ أَنَـا عِيْـدْ   أَبِيْ عَسَى تَطْرَبْ وْ يِنْسَـاحْ بَـالِيْ

٤٠- لَوْلاَ الحَيَا نَطَّيْـتْ رُوْسَ الاَقَاوِيْـدْ   وَانطْ رُوْسْ مْشَـمَرخَاتْ الجِبَـال

٤١- وَأَصِيْحْ وَاقُوْلْ انْظُرُوْيَا لإجَاوِيْـدْ   أَفْعَـالْ بْـرَاّقْ الثَّنَايَـا بْحَـالِيْ

٤٢- بَرَانْ بَـرْيْ وْبَيَّـدْ الحَيْـلْ تَبْيِيْـدْ   لْيَا مَا غَداَ جِسْمِيْ سْـوَاهْ الخِـلاَل

٤٣- يَا زَيْنْ شِفْنِيْ عِـنْ كِـثِيرْ المَنَاقِيْـدْ   إِفْضِيْ لْيَا شِفْتَ الخَلاَيِـقْ قْبَـالِيْ

٤٤- وِالاَّ أَنْتْ هَرْجَكْ يِرْبِعْ القَلْبْ ويزيْدْ   بَالْعَوْنْ لْيَا مِنِّـيْ نِظَرْتَـكْ لْحَـالِيْ

* * *

١٨٤٥- خرج معن بن أوس المُزَني إلى البصرة ليمتار منها ويبيع إبلاً له، فلما قدمها نزل بقوم من عشيرته، فتولت ضيافته إمرأة منهم يقال لها ليلى، وكانت ذات جمال ويسار، فخطبها فأجابته فتزوجها، وأقام عندها حولاً في أنعم عيش، فقال لها بعد الحول: يا ابنة العم إني تركت ضيعة لي ضائعة، فلو أذنت لي فاطلعت طلع أهلي ورممت مالي! فقالت: كم

تقيم؟ قال: سنة، فأذنت له، فأتى أهله فأقام فيهم وأزمن (أي طال مقامه) فلما أبطأ عليها رحلت إلى المدينة فسألت عنه فقيل لها إنه بعمق (ماء لمزنية) فخرجت حتى إذا كانت قريبة من عمق نزلت مترلاً كريماً، وأقبل معن في طلب ذو دله قد أضلها وعليه مدرعة من صوف وبت من صوف أخضر، (والبت الطيلسان) وعمامة غليظة فلما رفع (أبصر) له القوم مال إليهم ليستسقي، ومع ليلى ابن أخ لها ومولى من مواليها جالس أمام خباء له فقال له معن: هل من ماء؟ قال: نعم، وإن شئت سويقا، وإن شئت لبنا، فأناخ، وصاح مولى ليلى، يا منهلة، وكانت منهلة الوصيفة التي تقوم على معن عندهم بالبصرة، فلما أتته بالقدح وعرفهاحسر عن وجهه ليشرب عرفته وأثبتته، فتركت القدح في يده وأقبلت مسرعة إلى مولاهّا، فقالت: يا مولاتي، هذا والله معن إلا أنه في جبة صوف وبت صوف، فقالت: هو والله عيشهم، الحقى مولاي فقولي له: هذا معن فاحبسه فخرجت الوصيفة مسرعة، فأخبرت فوضع معن القدح وقال: دعنى حتى القاها في غير هذا الزي، فقال: لست بارحاً حتى تدخل عليها، فلما رأته ليلى قالت: أهذا العيش الذي نزعت إليه يا معن؟! قال: إي والله يا ابنة عم! أما أنك لو أقمت إلى أيام الربيع حتى ينبت البلد الخزامي والرخامي والسخبر والكمأة لأصبت عيشا طيباً.. فغسلت رأسه وجسده والبسته ثيابا لينة وطيبته وأقام معها ليلته أجمع يهرجها (يجامعها) حتى غدا، متقدما إلى عمق، حتى أعدلها طعاماً ونحر ناقة وذبح غنماً وقدمت على الحي فلم تبق إمرأة إلا اتتها وسلمت

عليها، فلم تدع منهن إمرأة حتى وصلتها بهدية، وكان لمعن إمرأة بعمق يقال لها أم حِقّةْ فقالت لمعن: هذه والله خير لك مني فطلقني وكانت قد حملت فدخله من ذلك وقام، ثم إن ليلى رحلت إلى مكة حاجة ومعها معن، فلما فرغا من حجهما انصرف فلما حاذيا منعرج الطريق إلى عمق قال معن: ياليلى كأن فؤادي ينعرج البصرة! قالت: ما أنا ببارحة مكاني حتى ترحل معي إلى البصرة أو تطلقني، فقال: أما إذا ذكرت الطلاق، فأنت طالق، فمضت إلى البصرة ومضى إلى عمق، فلما فارقته ندم وتبعتها نفسه فقال في ذلك:

توهمت ربعاً بالمعبر واضحاً ... أبت قرتاه اليوم إلا تراوحا

أربت عليه دارة حضر مية ... ومرتجز كأن فيه المصابحا

إذا هي حلت كربلاء ولعلعا ... فجوز العذيب دونها فالنوابحا

وباتت نواها من نواك وطاوعت ... مع الشانئين الشامتات الكواشحا

فقولا لليلي هل تعوض نادماً ... له رحبة قال الطلاق ممازجا

فإن هي قالت: لافقولا لها بلى ... ألا تتقين الجاريات الدوابحا

* * *

١٨٤٦- هذه السيارت التي امتلأت منها الشوارع والميادين والساحات كامل عمرها وتواجدها عندنا بالمملكة نحو ثمانين سنة وعمر تكاثرها نحو خمسين سنة، وعمر كثافتها الحالية نحو ثلاثين سنة، فأول سيارة دخلت

إلى نجد السيارة التي أهدمّا الدولة العثمانية لأمير حائل آنذاك سعود بن عبد العزيز الرشيد رحمه الله عام ١٣٣٦هـ ـ ١٩١٨م وانزلت من القطار على طريق تركيا الشام المدينة المنورة في محطة... واحضرت إلى حائل وبالكاد الوقود الذي فيها قد أوصلها إلى حائل والسيارة الثانية التي أهداها الوجيه حسن القصيبي رحمه الله.للملك عبد العزيز رحمه الله بتاريخ ١٣٥٤/٢/٤هـ ـ ١٩٣٥م وهي من نوع فورد موديل (تي) جلبها له من البحرين وعندما وصلت إلى صحراء الدهناء بين الرياض والأحساء لم تستطع اجتيازها إلا بمساعدة الابل التي جرمّا بالحبال حتى اجتازت الرمال.

ثم أخذت السيارات ترد لنقل الحجاج من جدة إلى مكة عبر طرق ترابية وفي داخل مكة والمشاعر وذلك عام ١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦م حين استخدمت السيارات لنقل الحجاج وكانت السيارات تسير بشكل متقطع لكثرة وقوفها نتيجة إصابة الركاب بالدوخة والغثيان وذلك لخشونة الطريق وروائح عوادمها الكريهة. ثم أخذت السيارات ترد ببطء لأناس مخصصين. وإني لأذكر في مدينة حائل وليس فيها سوى سيارتين واحدة للأمير والثانية للقاضي حتى إذا دخل عام ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٠م كثر إقتناء السيارات وخاصة سيارات النقل "اللواري" من ماركة "فورد" وأذكر في مدينة حائل سيارات بعضها لنقل البضائع والركاب من جدة إلى حائل وبعضها من الرياض إلى حائل. ثم جاءت سنوات الطفرة عام ١٣٩٦- ١٤٠٥هـ ـ ١٩٧٦- ١٩٨٥م فانهمرت علينا

السيارات الخاصة الصغيرة والنقل الصغير (ونيتات) وقد كتبت عن السيارات في سلسلة هذا الكتاب عدة موضوعات عن السيارات، ولكوننا شعب استهلاكي فقد غزتنا الشركات العالمية لصناعة السيارات من مختلف الماركات والشركات العالمية وأصبح سباق المواطنين على شراء الطرازات الجديدة دون أن يفكروا إلى صناعة نوع واحد من السيارات فضاقت بها الأرض بما رحبت.

* * *

١٨٤٧- من يقرأ بعض الفقرات الواردة في هذا الجزء عن الهبات ولاعطيات من النقود الذهبية والفضية والملابس والأطعمة التي ينفقها الخلفاء والوزراء وذوي الشأن على الشعراء والرواة والمغنين والمغنيات والحفلات التي تقام بهذه المناسبات وتكاد أن تكون كل ليلة في أيام الخلافة الأموية والعباسية وخاصة في زمن هارون الرشيد، هذه الأموال التي تنفق على هذا الجانب وتخص فئة قليلة من الناس من الفئات المشار إليها والذين يحصلون عليها بما يشبه طريقة التسول، يرابط الواحد منهم على باب الخليفة زمنا حتى يتنسى له الدخول إليه، كما فعل الأصمعي مع هارون الرشيد، ثم ينفتح الباب أمامة، أو ينقل للخليفة خبر مغن ماهر أو مغنية حاذقة ليستدعيها ويسمع منها فتطربه، وينتظر شاعر يتزلف إليه ويمدحه بابيات خادعة مليئة بالنفاق والمداهنة، والثوب الذي يلبسه إياه من هذا النسيج الكاذب الفاضح الذي يكشف عن عورة الممدوح، ويأتي من

باب الضحك على الذقون حين يمدح الخليفة أو الوزير بما ليس فيه وهو في واقع الحال يذمه حين يتمنى أن تكون تلك الخصال المذكورة فيه، المهم أن يحصل في النهاية على جائزة بعشرات الآلاف من الدنانير الذهبية أو الدراهم الفضية، أو الملابس الفاخرة وغيرها، كل هذه الأموال التي تنفق وتبذر باسراف منقطع النظير مقابل اللذة والاطراب لهذا الخليفة أو تدبيج قصيدة أو قصائد يمدحه فيها، هذه الأموال هي أموال بيت المسلمين، أموال بيت الخلافة المجمعة بالدنيار والدرهم وأجزائه من أصقاع ولايات الخلافة العربية الاسلامية من أيدي الشعب من فلاحين ورعاة مواشي وغيرهم من فئات الشعب الكادحة، هذه الأموال التي تولى جبايتها جباة بأقسى الأساليب لاستحصالها من أيدي أبناء الشعب، ينال الممتنع عن دفعها إلى أقسى العقاب البدني من ضرب بالسياط الأصبحية والعسف والقسوة والحبس وغير ذلك من أساليب القسوة والشواهد على هذه الأساليب كثيرة، وقد جأر الشعراء بالشكوى من جباة هذه الأموال كقول الفرزدق وهو يصرخ بالشكوى مما يقاسيه قومه من القهر والعسف في عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان حين قال:

فكيف بعامل يسعى علينا — يكلفنا الدراهم في البدور

وأنّا بالدراهم وهي منا — كرافع راحته إلى العبور

وإن سقنا الفرايض لم يردها — وصد عن الشويهة والبعير

إذا وضـــع الســـياط لنـــا نهـــاراً أخـــذنا بالرِّبَـــا ســـوق الحريـــر

والقصيدة طويلة تقطر ألماً وحسرة. وللراعي النميري قصيدة أخرى للخليفة عبد الملك بن مراوان يقول فيها:

أوَلِـــيَّ أمـــر الله إن عشـــيرتي أمســـى ســـوامهم عـــزين فلـــولا

أوَلِـــيَّ أمـــر الله إنـــا معشـــر حنفـــاء نســـجد بكـــرة وأصـــلا

فـــادفع مظـــالم عيلـــت أبناءنـــا عنـــا وأنقـــذ شـــلونا المـــأكولا

وغير ذلك كثير من التشكي بالقصائد التي صدرت من الشعراء إزاء العاملين على تحصيل هذه الأموال من الشعب، ويأخذ المحصلون نصيبهم من هذه الأموال من باب "والعاملين عليها" ثم يرفع الباقي إلى خزينة الخلافة حيث ينتهي به المطاف إلى قنوات التبذير والاسراف المشار إليها ومن يريد تفاصيل أكثر فاليرجع كتب التاريخ.

* * *

١٨٤٨- قرأت كتاباً مترجماً عن تكوين الثروة لكاتب أمريكي من أصل ياباني، هو " روبرت تي كيوساكي" وزوجته، وهو كتاب جيد يتضمن ما يعمله الأثرياء لأبنائهم غير ما يعمله الفقراء وافراد الطبقة الوسطى لأبنائهم والكتاب يتحدث عن الفروق في المفاهيم التي يسير عليها الناس والتي تجعل هناك بونا شاساعاً بين المقومين التي ضرب بهما المثل "حب المال رأس كل خطيئة" والمثل الثاني "قلة ذات اليد هي رأس كل خطيئة" ويعزو ذلك إلى أن المدارس تركز على المهارات المدرسية والمهنية ولا

تولي اهتماماً للمهارات المالية، كيف تكون ثريا. وأن التقصير في هذا الجانب،فالمقولة التي يتناقلها الآباء لأبنائهم: إدرس جيداً حتى تحصل على درجات جيدة في آخر مؤهل ثم تحصل على وظيفة جيدة بمركز محترم. هذه المقولة تدخل منفذها إلى طريق العبودية المحصورة بالحصول على المال الذي يذهب في بند المصاريف على المأكل والمشرب والملبس والسكن وتسديد الفواتير، وكلما زاد مرتبه زادت مصاريفه وأخيراً يصل إلى سن التقاعد وهو لم يُحَصِّلْ شيئاً وذهب عمره سدى... وهذه المدارس لا تعلمه كيفية جمع المال وتنميته وتكوين الأصول الثابتة للمال والتي تدر على الفردمن المال وهي ثابتة بمكانها كالعقارات ويوازن بين الأصول الثابتة والخصوم وهي المصاريف التي يصرفها الانسان على شئون حياته لذلك مثلا قد بدأه بنفسه وهو محاولة تكوين ثروة متواضعة في بدايتها ثم نمت حتى أصبحت بالملايين، وهذه التجربة التي بدأها وهو غلام حين بدأ يجمع علب الصفيح والألمنيوم الفارغة ويكون منها كمية يبيعها على أصحاب المصانع وشيئاً فشيئاً حتى توسع ودخل في مجال أوسع ثم مجال أوسع حتى صار من أصحاب الملايين ومن أهل المبادئ التي سار عليها هو قوله: لا تقل إنني لا أستطيع القيام بهذا العمل "فهذا يدعو إلى الكسل والخمول والاستسلام، ولكن يجب أن تقول: "كيف استطيع القيام بهذا العمل" فحينئذ تدفع عقلك إلى التفكير والعمل وكلما زادت قوة العقل كلما زاد ما تجنيه من المال.

١٨٤٨- طوق الحمامة يضرب مثلاً لما يلزم ولا يبرح ويقيم ويستديم قال الجاحظ:قد أطلق العرب والأعراب والشعراء على الحمامة هي التي كانت دليل نوح ورائده، وهي التي أستجعلت عليه الطريق (طلبت جعلاً أي جائزة) عليه الطوق الذي في عنقها، وعند ذلك أعطاها الله تلك الزينة في عنقها، ومنحها الله تلك الحلية بدعاء نوح عليه السلام، حين رجعت إليه ومعها من الكرم ما معها، وفي رجلها من الطين والحمأة ما فيها، فعوضت عن ذلك خضاب الرجلين، ومن حسن الدلالة والطاعة طوق العنق وفيها يقول ابن أبي الصلت:

وأرسلت الحمامة بعد سبع تدل على المهالك لاتهاب

فعادت بعدما ركضت بشيء من الأمواه والطين الكباب

فلما فتشوا الايات صاغوا لها طوقا كما عقد السخاب

إذا ماتت تورثه بنيها وإن قتلت فليس له استلاب

وقال جهم بن خلف وهو أحسن ما وصف به الطوق:

وقد شاقني صوت قمرية طروب الغناء هتوف الضحى

مطوقة كسيت زينة بدعوة مرسلها إذ دعا

والعرب تسمى القماري، واليمام، والفواخت، والدباسي، والشغانين، والوراشين، وما جانسها كلها حماماً فجمعوها بالاسم العام وفرقوها بالاسم الخاص، ورأينا صورها متشابهة من جهة

التزاوج، ومن طرق الغناء والدعاء والنوح، وكذلك هي في القدور وصور الأعناق وقصب الريش وصيغة الرؤوس والأرجل والسوق والبراثن وقد أكثر الشعراء في طوق الحمامة والتمثيل به قال الفرزدق:

ومن يــك خــائف لأذاة شــعري　　فقــد أمــن الهجــاء بنــو حــرام

هُــمُ منعــوا ســفيههم وخــافوا　　قلائــد مثــل أطــواق الحمــام

وقال ابراهيم بن علي بن هرمة:

إني إمرؤ لا أصــوغ الحلــى تعملــه　　كفاي لكن لســاني صــائغ الكلــم

إني إذا مــا امــرؤ خفــت نعامتــه　　في الجهل واستحصدت منه قوى الأدم

عقــدت في ملتــوى أوداج لبتــه　　طوق الحمامة لا يبلى علــى القــدم

وقال الباهلي:

نهــاني أن أطيــل الشــعر قصــدي　　إلى المعــنى وعلمــي بالصــواب

وأبعــثهن أربعــة وخمســاً　　بألفــاظ مثقفــة عــذاب

وهــن إذا وسمــت بهــن قومــاً　　كــأطواق الحمامــة في الرقــاب

وقال المتنبي:

أقامــت في الرقــاب لــه إيــاد　　هــي الأطــواق والنــاس الحمــام

ومن أمثال العرب: طُوِّقَ طوق الحمامة أي تقلدها تقليداً باقياً بقاء طوق الحمامة إلى يوم القيامة.

* * *

١٨٤٩- قال الأصعمي: حجت أعرابية ومعها ابن لها، فأصيبت به (أي توفى) فلما دفن قامت على قبره، وهي موجعة فقالت: يابني غذوتك رضيعاً، وفقدتك سريعاً، وكأنه لم يكن بين الحالين مدة ألتذُّ بعيشك فيها، فاصبحت بعد النضارة والغضارة، ورونق الحياة والتنسم في طيب روائحها، تحت أطباق الثرى جسداً هامداً، ورفاتاً سحيقاً، وصعيداً جزراً؟ أي بني ! لقد سحبت عليك الدنيا أذيال الفناء، واسكنتك دار البلى، ورمتني بعدك بكبة الردى، أي بني! لقد أسفر لي وجه الدنيا عن صباح داج ظلامه ثم قالت: أي ربي ومنك العدل، ومن خلقك الجور، وهبته لي قرة عين، فلم تمتعني به كثيراً، بل سلبته وشيكاً، ثم أمرتني بالصبر، ووعدتني عليه الأجر، فَصَدَّقْتُ وعدك، ورضيت قضاءك، فرحم الله من ترحم على من استودعته الردم، ووسدته الثرى، اللهم ارحم غربته وآنس وحشته، واستر عورته، يوم تكشف الهنَّات والسوءات فلما أرادت الرجوع إلى أهلها وقفت على قبره فقالت: أي بني!إني قد تزودت لسفري، فليت شعري مازادك لبعد طريقك، ويوم معادك؟ اللهم إني اسألك له الرضى برضائي منه، ثم قالت: استودعك من استودعنيك في أحشائي جنيناً، وأشكل الوالدات! ما أمَعَّن حرارة قلوبهن، واقلق مضاجعهن، وأطول ليلهن، وأقصر نهارهن، وأقل إنسهن، وأشد وحشتهن، وأبعدهن عن السرور، وأقربهن إلى الأحزان، لم تزل تقول هذا ونحوه حتى أبكت كل من سمعها، وحمدت الله عز وجل واسترجعت وصلت ركعات عند قبره، وانطلقت.

١٨٥٠- تختلف الزهور وتتنوع من حيث الشكل والألوان والروائح وعدمها من بيئة إلى أخرى على الكرة الأرضية، والزهور بسيقانها وكؤوسها وبتائلها وبراعمها واحجامها منها الكبير ومنها الصغير فهل تعلم أيها القارئ العزيزأن أضخم زهرة في العالم هي زهرة (الرافليسيا) وهي زهرة بلا ورق تنمو في الغابات المدارية في جنوب شرق أسيا ويصل عرض هذه الزهرة إلى متر واحد، وقد يبدو منظرها جذابا بألوانها الحمراء والبيضاء، ولكنها ذات رائحة كريهة كرائحة اللحم الفاسد، وهذه الرائحة تجذب الذباب إليها ليقوم بتلقيحها أما أصغر زهرة في العالم فتنمو لأصغر نبات مزهر في عالم النبات وهو "الطحلب البطي" الذي ينمو في نهر الأمزون البرازيلي وبعض أنواعه يصل عرضه إلى أقل من ٠،٥ ملليمتر وفي كامل نموه، وبالطبع زهرته أقل من ذلك.

* * *

١٨٥١- قال الحسين بن ادريس الحلواني: سمعت الامام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله يقول: ما أفلح سمين إلا أن يكون محمد بن الحسن، قيل له: وَلِمَ ذلك؟ قال لأنه لا يعدو العاقل إحدى خلتين: إما أن يهتم لآخرته ومعاده، أو دنياه ومعاشه، والشحم مع الهم لا ينعقد، ثم قال: كان بعض ملوك الأرض قديماً كثير الشحم لا ينتفع بنفسه، فجمع الحكماء وقال: احتالوا لي بحيلة يخف عني لحمي هذا قليلاً فما قد روا له على شئ فجاءه رجل عاقل لبيب متطبب فقال: عالجني ولك الغنى،

قال: أصلح الله الملك! أنا طبيب منجم! دعني حتى أنظر الليلة طالعك لأرى أي دواء يوافقه، فلما أصبح قال: أيها الملك، الأمان، فلما أمنه، قال: رأيت طالعك يدل على أنه لم يبق من عمرك غير شهر واحد فإن اخترت عالجتك وإن أردت بيان ذلك فاحبسني، فإن كان لقولي حقيقة فخل عني والا فاقتص مني، قال فحبسه، ثم رفع الملك الملاهي واحتجب عن الناس، وخلا وحده مغتما، فكلما انسخ يوم زادهما وغماً، حتى هزل وخف لحمه ومضى بذلك ثمان وعشرون يوماً فبعث إليه واخرجه فقال: ما ترى؟ فقال: أعز الله الملك! أنا أهون على الله من أن أعلم الغيب، والله أني لم أعلم عمري فكيف أعلم عمرك! ولكن لم يكن عندي دواء إلا الغم، فلم أقدر أن اجلب اليك الغم إلا بهذه الحيلة، فإن الغم يذيب الشحم فأجازه الملك على ذلك واحسن إليه غاية الاحسان وذاق حلاوة الفرح بعد مرارة الغم.

* * *

١٨٥٢- قدم هشام بن عبد الملك إلى بيت الله الحرام، فلما دخل الحرم قال: إئتني برجل من الصحابة، فقيل يا أمير المؤمنين: قد تفانوا؟ قال: فمن التابعين، فأتي بطاوس اليماني، فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه، ولم يسلم بأمير المؤمنين ولم يكنه، وجلس إلى جانبه بغير إذنه، وقال: كيف أنت يا هشام؟ فغضب من ذلك غضباً شديداً حتى هم بقتله، فقيل له: أنت يا أمير المؤمنين في حرم الله، وحرم رسول الله صلى الله

عليه وسلم ولا يكون ذلك منك، فقال: يا طاوس، ما حملك على ما صنعت؟ فقال: وما صنعت؟ قال: خلعت نعليك بحاشية بساطى ولم تسلم عليَّ بيا أمير المؤمنين، ولم تكني وجلست بإزائي بغير أذني، وقلت يا هشام كيف أنت؟ فقال طاوس: أما خلع نعلي بحاشية بساطك، فإنني أخلعها بين يدي رب العزة والجلال في كل يوم خمس مرات فلا تعاتبني ولا تغضب على، وأما قولك لم تسلم علي بأمرة المؤمنين، فليس كل المؤمنين راضين بإمرتك، فخفت أن أكون كاذبا، وأما قولك لم تكنني فإن الله عز وجل سمى أنبياءه فقال: يا داود، ويا يحي و يا عيسى، وكنا أعداءه فقال: (تبت يدا أبي لهب) وأما قولك جلست بازائي، فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل حوله قوم قيام فقال هشام: عظني، فقال له: إني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: إن في جهنم حيات وعقاب كالبغال، تلدغ كل أمير لا يعدل في رعيته. فقام فخرج.

* * *

١٨٥٣- قال اسحاق بن ابراهيم الموصلي عملت في أيام الرشيد لحنا بشعر اسماعيل بن يسار النسائي:

سقيا لأرض إذا مانمت نبهني بعد الهدوِّ بها قرع النواقيس

كأن سوسنها في كل شارقة على الميادين أذناب الطواويس

فأعجبني وعملت على أن أبا كربه الرشيد، فلقيني في الطريق خادم لِعُلَيَّة بنت المهدي أخت هارون الرشيد وأمها جارية، فقال: مولاتي تأمرك بدخول الدهليز لتسمع بعض جواريها غناء أخذته عن أبيك وشكت فيه الآن ، فدخلت معه إلى حجرة قد أفردت كأنها كانت معدة، فجلست وقدم لي طعام وشراب فنلت حاجتي منهما، ثم خرج إليَّ الخادم فقال: تقول لك مولاتي: أنا أعلم أنك قد غدوت إلى أمير المؤمنين بصوت أعددته له محدث، فأسمعنيه ولك جائزة سَنِيَّة تتعجلها، ثم ما يأمر به لك بين يديك، ولعله لايأمر لك بشيء أولا يقع الصوت منه بحيث توخيت فيذهب سعيك باطلاً. فاندفعت فغنيتها إياه، و لم تزل تستعيده مراراً ثم أخرجت إلى عشرين ألف درهم وعشرين ثوباً، وقالت: هذه جائزتك و لم تزل تستعيده مراراً، ثم قالت : اسمعه مني الآن، فغنته غناء ما خرق سمعي مثله، ثم قالت: كيف تراه؟ قلت: ارى والله ما لم أر مثله؟ قالت: يافلانة: أعيدي له مثل ما أخذ، فأحضرت لي عشرين ألفا أخرى، وعشرين ثوباً، فقالت: هذا ثمنه، وأنا الآن داخلة إلى أمير المؤمنين أبدأ أتغنى به، وأخبره أنه من صنعتي، وأعطي الله عهداً لأن نطقت أن لك فيه صنعة لأقتلنك! هذا إن نجوت منه، وإن علم بمصيرك إلي، فخرجت من عندها والله إني لموقن بما أكره من جائزتها أسفاً على الصوت، فما جسرت والله بعد ذلك أن اتنغم به في نفسي فضلاً أن أظهره حتى ماتت، فدخلت على المأمون في أول مجلس له للهو بعدها، فبدأت به أول ما غنيت، فتغير لون المأمون وقال: من أين لك ويلك هذا؟! قلت:

ولي الأمان على الصدق؟ قال: ذلك لك فحدثته الحديث. قال: يابغيض! فما كان هذا من النفاسة حتى شهرته. وذكرت هذا منه مع ما قد أخذته من العوض! وهجنني فيه هجنة وددت معها أني لم أذكره، فآليت أغنية بعدها أبداً.

* * *

١٨٥٤- عالم أجنة يهودي يعتنق الإسلام لأنه اكتشف أن بصمات الرجل تبقى لدى المرأة لمدة ثلاثة أشهر، وعلم أن القرآن قد نزل بهذا الشأن وسبق اكتشافه بأربعة عشر قرناً (١٤٠٠سنة) بقوله تعالى: ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ [1] وفي آية ثانية قوله جل وعلا: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [2] وفي حالة وفاة الزوج زاد على ذلك شهر وعشرة أيام في قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [3] وحينما رأى ذلك العالم سبق الإسلام إلى هذا الشأن وان اكتشافه جاء متأخراً كتب مقالاً بعنوان: "المرأة المسلمة أنظف امرأة على وجه الأرض" وهذا نصه من على صفحة جريدة الجزيرة بتاريخ ١٤٣٣/٤/٦هـ الموافق ٢٠١٢/٨/١٤م.

---

[1] سورة الطلاق، الآية ٤.

[2] سورة البقرة، الآية ٢٢٨.

[3] سورة البقرة، الآية ٢٣٤.

عالم الأجنة اليهودي "روبرت غيلهم" اعتناقه الإسلام، وذلك بعد أن أذهلته الآيات القرآنية التي تحدثت عن عدة المرأة المطلقة وهو الذي أفنى عمره في أبحاث البصمة الزوجية للرجل وتأكد بعد أبحاث مضنية، أن بصمة الرجل تزول بعد ثلاثة اشهر من المرأة، وعلى أثر ذلك اقتنع أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يضمن حصانة المرأة وتماسك المجتمع، وأن المرأة المسلمة أنظف امرأة على وجه الأرض، وأعلن العالم "روبرت غيلهم" وهو زعيم اليهود في "معهد إلبرت شتاين" والمختص في علم الأجنة إسلامه بمجرد معرفته للحقيقة العلمية ولإعجاز القرآن في سبب تحديد عدة الطلاق للمرأة بمدة ثلاثة أشهر، حيث أفاد أن اقتناعه كان بالأدلة العلمية التي مفادها أن جماع الزوجين ينتج عنه ترك الرجل لبصمته الخاصة لدى المرأة، وأن كل شهر مع عدم الجماع يسمح بزوال نسبة معينة تتراوح ما بين ٢٥-٣٠% وبعد الأشهر الثلاثة تزول البصمة كلياً، مما يعني أن المطلقة تصبح قابلة لتلقي بصمة رجل آخر، وتلك الحقيقة دفعت عالم الأجنة اليهودي للقيام بتحقيق في حي أفارقة مسلمين بأمريكا، تبين أن كل النساء يحملن بصمات أزواجهن فقط، فيما بينت التحريات العلمية في حي آخر لأمريكيات متحررات أنهن يمتلكن بصمات متعددة من اثنين إلى ثلاثة، مما يوضح أنهن يمارسن العملية الجنسية خارج الأطر الشرعية المتمثلة في الزواج، وكانت الحقيقة مذهلة للعالم حينما قام باجراء التحاليل على زوجته ليتبين أنها تمتلك ثلاث بصمات مما يعني أنها تخونه، وذهب به الحد لاكتشاف أن واحد

من أصل ثلاثة أبناء فقط هو ابنه، وعلى أثر ذلك يضمن حصانة المرأة وتماسك المجتمع وأن المرأة المسلمة أنظف امرأة على وجه الأرض.

* * *

١٨٥٥- انفتاح قريش تجارياً على العالم القديم يومذاك، فقد كانت قريش متقوقعة تجارياً في مكة وما حولها، مكتفية بما يصل إليها من الجزيرة العربية ومن الحجاج الذين يفدون إليها لغرض الحج ويجلبون معهم منتجاهم الحيوانية كالألبان ومشتقاها والأصواف والأوبار والأشعار والجلود والمنسوجات الصوفية وغيرها، حتى إذا جاء عهد عبد مناف بن قصي بدا الانطلاقة إلى الأقطار الخارجية والممالك والأمبراطوريات المحيطة به، وذلك بإرسال أبنائه الأربعة الملقبين بالمُجَبِّرِيْن إلى كل من الشام والحبشة واليمن وفارس، فارسل ابنه هاشم بن عبد مناف إلى الشام وقيصر الروم، وابنه عبد شمس بن عبد مناف إلى الحبشة مملكة النجاشي، وابنه عبد المطلب بن عبد مناف إلى اليمن ملوك حمير، وابنه نوفل بن عبد مناف إلى الفرس وذلك لمد حبل مع كل منهم، والحبل يعني العصمة والعهد والذمة وذلك للتبادل التجاري بين قريش وهذه الممالك بما يسمى الإِيْلاَفْ، فانطلق كل واحد من هؤلاء الأبناء إلى القطر الذي وجه إليه لهذا الغرض وقيل ان هاشماً عندما وصل إلى الشام وإلى قيصر الروم لم يقدم عليه مباشرة وإنما أقام بالمدينة بمكان تجمع الناس، وصار كل ليلة يو لم بشاة يطعم منها من معه ومن حوله وذلك

ليلفت الأنظار إلى نفسه واستمر على ذلك بضعة أيام وذلك حتى يعلم به القيصر ويستدعيه ليسأله عن صنيعه هذا لأن مثل هذا العمل غريب في تلك البلاد، فلما وصل خبره إلى القصير أرسل إليه واستدعاه ليعلم كنه أمره، فعرض هاشم عليه الأمر مفصلاً فقال القيصر:وما قدر الحاجة إليكم حتى نتكلف هذه الذمة؟ فقال هاشم: ليس كل من يحسن إليه الملك محتاجاً لما عنده، ولو كان ذلك لقل إحسان الملوك، ولأن نأتيك بوجه الضراعة والحاجة إليك خير من أن نأتيك بوجه الاستغناء عنك، والدالة عليك. فأعجب القيصر بكلامه وأمضى له على ما أحب وأخذ منه الميثاق أو الإيلاف، وكذلك أخذ الإيلاف عبد شمس من النجاشي ملك الحبشة ومثله نوفل من ملك الفرس وكذلك عبد المطلب من ملوك حمير باليمن فانطلقت قوافل قريش بموجب هذه الإيلافات شمالاً وجنوباً وغربا وشرقاً تنقل البضائع والسلع القرشية إلى تلك الأقطار وتأتي من بضائع وسلع تلك الأقطار إلى مكة، وما هي إلا سنوات حتى أصبح المكيون من قريش وغيرها من القبائل من أثرى الناس، فصاروا ينقلون بضائع إلى مكة والشام ومختلف الأقطار الأخرى وينقلون بضائع الشام إلى مكة واليمن والأقطار الأخرى وكذلك بضائع الحبشة إلى مكة والشام واليمن وفارس، وبضائع فارس إلى مكة والحبشة واليمن والشام وتنظم بناء على ذلك رحلتي الشتاء والصيف بسبب هذا الإيلاف الذي

ذكره الله في كتابه الكريم حين قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ [1]

* * *

١٨٥٦- حكايات خلف بن زويد الرمالي رحمه الله ومواقفه الطريفة كثيرة ومن حكاياته أنه قصد الشيخ عتيق بن حمود بن فالح الشلاقي الشمري رحمه الله،وهو شيخ يعنى له، وعندما أقبل على نزل العرب الذي فيه رفيقه، وإذا فتاة تحطب فشدت انتباهه، وأوقف مطيته غير بعيد عنها بحيث يراها من بعد حوالي مئة متر وهي لم تأبه بوقوفه مستمرة بعملها تقليع الحطب وجمعه وصوب نظره إليها وتمعن بها، ثم قال فيها القصيدة التالية، وحينما انتهت من الحطب حملت الحزمة على رأسها وعادت بها إلى بيت أهلها فتابعها حتى رآها من بعيد رمت بحزمة الحطب عند بيت أهلها ودخلته وتأكد من البيت ثم سأل عن بيت رفيقه عتيق، وحل ضيفا عليه، فاستقبلة استقبال الفرح والسرور وأكرمه أيما إكرام، ثم روى أبو زويد لعتيق قصته مع الفتاة وأسمعه القصيدة التي قاها فيها، فعرفها عتيق من وصفه لبيت أهلها وقال له: يا أبو زويد، لقد وقعت على فتاة عازم على تزوجها وجار كلام على ذلك ورغم هذا فقد جاءتك مني وسأتنازل عنها لك إذا رضيت

[1] سورة قريش، الآية ١ - ٢.

بذلك وانتشرت القصيدة وسمعتها الفتاة ورغم إعجابها بالقصيدة وفرحتها بها إلا أنها رفضت الزواج من أبي زويد وبقيت على تزوجيها لعتيق ونقتطف من القصيدة ما تيسر وكاملها في كتابنا "شعراء الجبل الشعبيون".

يَارَاكِبْ اللِّيْ مَا بْمَشْيَهْ تِضِدِّيْ   مَحَاقْبَهْ مِنْ سَوْجَهَا لَلْحَقَبْ بِيْضْ

إلى أن قال:

٤٥- نَصَّهْ عَتِيقْ اللِّـي لْشَـوْفُهْ نْـودِّيْ   قَرْمٍ يِبِيْعَ الرُّوْحْ بَـارْدَى المَعَـارِيْضْ

٤٦- مِنْ مَـاكِرٍ تِبْعُـهْ عَـدِيْمٍ يْهَـدِّيْ   رَبْعُهْ لَهَمْ يَـوْمَ المِلاَقَـا مَـرَاكِيْضْ

٤٧- لاَ يَابَعَدْ حَيِّـيْ وْمَيْتِـيْ وْجِـدِّيْ   وْباللِّي عَذَا يَالْقَرْمْ فِيْـكَ المَعَـاوِيْضْ

٤٨- أَبِيْ عَلَيْكْ ابْدِيْ خَفِيَّـاتْ سَـدِّيْ   يَـالْقرمْ يَـازَيْنَ النِّبـا والتَعَـارِيْضْ

٤٩- عَتِيْقْ وَاجَرْحِيْ بَـرىَ وِاسْـتَرِدِّيْ   مِنْ زَغْزِيٍّ نَقَّـضْ الجَـرْحْ تَنْقِـيْضْ

٥٠- عَيَنْه كِمَا السَّاعَةْ لْوَقْـتٍ تِعِـدِّيْ   أَوْ عَيْنْ رِيْمٍ سَوْهَجِتْ عِقِبْ تَـرْبْيض

٥١- وَدَّكْ قِبَلْ عَيْنَكْ عْنَهْ مَـا تْصِـدِّيْ   وإنْ جِيْتْ عِنْدَهْ تَقِصْرْ الرِّجِلْ وتريْض

٥٢- شَـوْفَهْ بْلَيَّـا شَـبْ نَـارٍ يْغِـدِّيْ   يَا صَارْ قَلْبَكْ سَادْ رمَعْ هَوَى الْبِـيضْ

٥٣- أَبُوْ ثِلِيْـلٍ فَـوْقْ رِدْفَـهْ يْعَـدِّيْ   وشْ لَوْنَهَا يَافَرَّعَتْ عِقِـبْ تَنْقِـيْضْ

٥٤- وَالرِّدْفِ شَطْ خْـوَيِّر مَـا يْـرَدِّيْ   غَاذِيْهْ شَاوِيٌّ كِثِيْـر التَخِـا ضِـيْضْ

٥٥- زَيْـنَ الثَّنَايَـا وَالبَـرَاطِمْ وْخَـديٌّ   واخْدُوْدَهَا حِمْرٍ غَشَى حِمْرَهَا بِـيْضْ

٥٦- يَـاعُوْدْ مَـوْزٍ لُـهْ بَخَـدٍّ يْنَـدِّيْ   يَشْرَبْ مْن الرَّقَّـادْ سَـيْلَهْ تِفَـابِيْضْ

٥٧- وِانْهُوْدَهَا لَلْجَيْـبْ تَبِـيْ تِقِـدِّيْ   كِنْ الحَمَامْ بْجَيْـبْ ثَوْبَـهْ مِبَـايْيضْ

٥٨- بِنْتَ الذِّيْ عَـيْنٍ لُرَبْعُـهْ تْقَـدِّيْ   وْحَقَّهْ عَلَيْه مْنَ الضُّـوَارِيْ لَعَـافِيضْ

*   *   *

١٨٥٧- قال الزبيري: حدثني أبي: خرجت إلى ناحية فيد متنزهاً، فرأيت ابن عائشة يمشي بين رجلين من آل الزبير، وإحدى يديه على يد هذا، والأخرى على يد هذا، وهو يمشي بينهما كأنه امرأة تجلى على زوجها، فلما رأيتهم دنوت فسلمت وكنت أحدث القوم سناً، فاشتهيت غناء ابن عائشة فلم أدر كيف أصنع، فكان ابن عائشة إذا هيجته تحرك، فقلت: " رحم الله كثيراً وعزة! ما كان أوفاهما واكرمهما وأصونهما لأنفسهما! لقد ذكرت بهذه الأودية التي نحن فيها خبر عزة حين خضبت كثيراً . فقال ابن عائشة: كيف كان حديث ذلك؟ قلت: حدثني من حضر بذلك، ومن هاهنا تتفق رواية بن شبة والزبيري قال: خرج كثيريريد عزة وهي منتجعة بالصواري وهي أودية بناحية فدك، فلما كان منها قريباً، وعلم أن القوم جلسوا في أنديتهم للحديث بعث أعرابياً فقال له: اذهب إلى ذلك الماء فإنك ترى امرأة جسيمة لحيمة تبالط الرجال الشعر، قال ابن اسحاق المبالطة، أن تنشد أول الشعر وآخره، فإذا رأيتها فناد: من رأى الجمل الأحمر؟ مراراً، ففعل، قالت: ويحك! قد أسمعت فانصرف، فانصرف إليه فأخبره، فلم يلبث أن أقبلت جارية معها طست وتور (إناء صغير) وقربة ماء حتى انتهت إليه، ثم جاءت بعد ذلك عزة فرأته جالساً محتبياً قريباً من ذراع راحلته، فقالت له: ما على

هذا فارقتك! فركب راحلته وهي باركة، وقامت إلى لحيته فأخذت التور فخضبته وهو على ظهر جمله حتى فرغت من خضابه، ثم نزل فجعلا يتحدثان حتى علق الخضاب ثم قامت إليه فغسلت لحيته ودهنته ثم قام فركب وقال:

إن أهل الخضاب قد تركوني   موزعاً مولعاً بأهل الخضاب

وذكر بقية الأبيات قال ابن عائشة: أنا والله أغنيه وأجيده فهل لكم في ذلك؟ فقلنا وهل لنا عنه مدفع! فاندفع يغني بالأبيات فخيل إليّ أن الأودية تنطق معه حسنا.

* * *

١٨٥٨- الصحف التي امتلأت المدن منها وتعددت في مناطق المملكة حتى أصبحت في زمننا بالرياض صحيفتان رئيستان هما الرياض والجزيرة وفي المنطقة الغربية أربع صحف هي عكاظ والمدينة والبلاد والندوة وفي المنطقة الجنوبية صحيفة الوطن وفي المنطقة الشرقية صحيفة اليوم ومجموعها ثمان صحف رئيسة عدا الصحف الخاصة مثل الرياضة والرياض نيوز وغيرها، تطبع هذه الصحف مئات الآلاف من الأعداد كلها تطبع باللغة العربية عدا (آراب نيوز) أتدري أيها القارئ العزيز متى بدأت؟ لقد انشئت أول صحيفة اسمها صوت الحجاز بتاريخ ١٣٥٠/١١/٢٧هـ ثم تحولت صوت الحجاز إلى صحيفة البلاد الحالية وهي صحيفة سعودية سياسية يومية كانت تصدر مرتين أسبوعياً وكان

الاشتراك فيها خمسة ريالات سنوية وكانت تتكون من أربع صفحات ويعتبر صدورها امتداداً لجريدة (بريد الحجاز) التي أصدرها الشيخ محد صالح نصيف عام ١٣٤٣هـ الموافق ١٩٢٤م في العهد الهاشمي.

أما الصحف التي تصدر اليوم والتي تزخر بالمقالات المدبجة الفارغة المليانة التي تكاد أن تصب في مكان واحد وتجري وفق خط واحد لا تحيد عنه قيد أنملة، ذلك الخط الذي حدد لها بعد تحولها إلى مؤسسات صحيفة معانة. هذه المقالات التي تملأ الصفحات بسواد حروفها وهي فارغة من المضمون الصحفي الذي يعبر عن آراء الكتاب واحتياجات المواطن والوطن إلا القليل منها كما تغص تلك الصحف بالإعلانات التجارية التي تملأ عشرات الصفحات من تلك الصحف وتكلف المعلنين مئات الآلاف من الريالات ولا يكاد يطلع عليها أحد أو ينظر إليها بطرف عين، وإذا أردت قراءة ما جاء في الصحف من أخبار فما عليك سوى الإطلاع على صحيفة واحدة تكفيك عن السبع الباقيات لأن مصدر الأخبار واحد، اللهم إلا ما ينفرد منها ببعض الزوايا والأعمدة لبعض الكتاب التي يرى فيها بصيص ضوء حرية الرأي من طرف خفي وماعدا ذلك فليس فيها إلا ازدياد الصفحات من الصور والإعلانات التي بلغ بعضها إلى ستين صفحة وأكثر من ذلك وأقل وانتفخت انتفاخ البالون، وتنتعش الصحف وتستفيد عندما يتوفى مسئول كبير أو شخصية بارزة من الذين يعزون بصفحة كاملة ملونة أو عادية يعود مردودها على الصحيفة بمئات الآلاف أو عندما يتعين مسئول كبير في منصب رفيع

تكون تلك الإعلانات للتهنئة من المهنئين والمتزلفين ومن يسيرون في جوقة العازفين على الأوتار المرغوبة.

* * *

١٨٥٩- عندما أفضت الخلافة إلى بني العباس اختفى رجال بني أمية ومنهم إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك بن مروان، وكان ابراهيم رجلاً عالماً وهو في سن الشبيبة، فأخذوا له أمانا من السفاح فقال له يوماً: حدثني عمَّا مَرَّ بك في اختفائك، فقال: كنت ياأمير المؤمنين مختفياً بالحيرة في مترل شارع على الصحراء (مفض على الصحراء) فبينما أنا على ظهر البيت إذ أنظر إلى أعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة، فتخيلت أنها تريدني ، فخرجت من الدار متنكراً حتى أتيت الكوفة ولا أعرف أحداً أختفى عنده، فبقيت في حيرة، فإذا أنا بباب كبير ورحبة واسعة، فدخلت فيها، فإذا رجل وسيم حسن الهيئة على فرس قد دخل الرحبة ومعه جماعة من غلمانة وأتباعه فقال: من أنت؟ وما حاجتك؟ فقلت رجل خائف على دمه، وقد استجار بمترلك، فأدخلني مترله، ثم صيرني في حجرة تلى حُرَمه، وكنت عنده في كل يوم ما أحبه من مطعم ومشرب وملبس، ولا يسألني عن شيء من حالي، إلا أنه يركب كل يوم مركبه، فقلت له يوماً: أراك تدمن الركوب، ففيم ذلك؟ قال: ابراهيم بن سليما قتل أبي صبراً (أي حبس حتى مات) وقد بلغني أنه مختف في الحيرة، فأنا أطلبه لأدرك منه ثأري، فكثروا لله تعجبي، وقلت:

القدر ساقني إلى حتفي في مترل من يطلب دمي، وكرهت الحياة، فسألت الرجل عن اسمه واسم أبيه، فأخبرني، فعلمت أن الخبر صحيح وأنا الذي قتلت أباه، فقلت له: ياهذا، قد وجب علي حقك ومن حقك أن أدلك على خصمك، وأقرب لك الخطوة، قال: وماذاك؟ قلت أنا إبراهيم بن سليمان قاتل أبيك، فخذ بثأرك، فقال إني أحسبك رجلاً أَمَضَّهُ الاختفاء فاحببت الموت، فقلت لا والله، ولكن أقول لك الحق، لقد قتلته يوم كذا بسبب كذا، فلما علم صدقي تغير لونه، واحمرت عيناه، وأطرق مَلِيّاً ثم قال: أما انت فستلقي أبي عند حكم عدل، فيأخذ بثأره، وأما أنا فغير مخفر ذمتي، فاخرج عني فلست آمن عليك من نفسي، وأعطاني ألف دينار فلم أخذها منه فانصرفت عنه فهذا أكرم رجل رأيته بعد ياأمير المؤمنين.

* * *

١٨٦٠- حكى الحسن بن سهل قال: كنت يوماًعند يحيي بن خالد البرمكي وقد خلا في مجلس لأحكام أمر من أمور الرشيد، فبينما نحن جلوس إذ دخلوا عليه جماعة من أصحاب الحوائج، فقضاها لهم، ثم توجهوا لشأنهم فكان آخرهم قياماً أحمد بن أبي خالد، فنظر يحيي إليه، والتفت إلى الفضل ابنه، وقال: يابني، إن لأبيك مع أبي هذا الفتى حديثاً، فإذا فرغت من شغلي هذا فذكرني أحدثك به، فلما فرغ من شغله وطعم قال له ابنه الفضل: أعزك الله ياأبي أمرتني أن أذكرك حديث أبي خالد، قال:

نعم يابني، لما قدم أبوك من العراق (يعني نفسه) أيام المهدي كان فقيراً لا يملك شيئاً، فاشتد بي الأمر، إلى أن قال لي من في مترلي: إنا كتمنا حالنا، وزاد ضررنا، ولنا اليوم ثلاثة أيام ما عندنا شيئاً نقتات به! فبكيت يابني بكاءاً شديداً، وبقيت ولهان حيران مطرق مفكراً، ثم تذكرت منديلاً كان عندي فقلت لهم: ما حال المنديل! فقالوا: هوباق عندنا، فقلت أدفعوه إلى، فأخذته ودفعته إلى بعض أصحابي وقلت له: بعه بما تيسر فباعه بسبعة عشر درهما، فدفعتها إلى أهلي وقلت: أنفقوها إلي أن يرزق الله غيرها. ثم بكرت من الغد إلى باب أبي خالد، وهو يومئذوزير المهدي فإذا الناس وقوف على داره ينتظرون خروجه، فخرج عليهم راكبا، فلما رآني سلم على وقال: كيف حالك؟ فقلت: يا أبا خالد حال رجل يبيع من مترله بالأمس منديلاً بسبعة عشر درهما! فنظر إلي نظراً شديداً وما أجابني فرجعت إلى أهلي كسير القلب،واخبرقمم بما اتفق لي مع أبي خالد، فقالوا: بئس والله ما فعلت! توجهت إلى رجل كان يرتجيك لأمر جليل،فكشفت له سرك، وأطلعته على مكنون أمرك فازدريت عنده بنفسك، وصغرت عنده مترلتك، بعد أن كنت عنده جليلاً فما يراك بعد اليوم إلا بهذه العين! فقلت: قد قضي الأمر بما لا يمكن أستدراكه، فلما كان من الغد بكرت إلى باب الخليفة، فلما بلغت الباب استقبلني رجل فقال لي: قد ذكرت الساعة بباب أمير المؤمنين، فلم التفت لقوله، فاستقبلني آخر فقال لي كمقالة الأول ثم استقبلني حاجب أبي خالد، فقال أين تكون؟ قد أمرني أبو خالد باجلاسك إلى

أن يخرج من عند أمير المؤمنين، فجلست حتى خرج، فلما رآني دعاني وأمر لي بدابة فركبت وسرت معه إلى مترله، فلما نزل قال: علي بفلان وفلان الحناطين (الذين يبيعون الحنطة أو القمح) فأحضرا فقال لهما: ألم تشتريا مني غلات السواد بثمانية عشر ألف الف درهم (ثمانية عشر مليون درهم) قالا: بلى، قال: الم اشترط عليكما شراكة رجل معكما؟ قالا: بلى، هذا هو الرجل الذي اشترطت شراكته لكما. ثم قال لي: قم معهما، فلما خرجنا قالا لي: ادخل معنا بعض المساجد حتى نكلمك في أمر يكون لك فيه الربح الهني، فدخلنا مسجداً فقالا لي: إنك تحتاج في هذا الأمر إلى وكلاء وأمناء وأعوان ومؤن لا تقدر منها على شيء فهل لك أن تبيعنا شركتك بمال نعجله لك فتنتفع به، ويسقط عنك التعب والنصب؟ فقلت لهما: وكم تبذلان؟ فقالا مئة الف درهم، فقلت لا أفعل فمازالا يزيداني وأنا لا أرضى إلى أن قالا ثلاثمائة ألف درهم ولا زيادة عندنا على هذا فقلت حتى أشاور أبا خالد، قالا: ذلك لك فرجعت إليه واخبرته فدعا بهما، وقال لهما: هل وافقتما على ما ذكر؟ قالا: نعم، قال: اذهبا فانفذاه المال الساعة، ثم قال لي أصلح أمرك وتهيا فقد قلدتك العمل، فأصلحت شأني وقلدني ما وعدني به. فما زلت في زيادة حتى صار أمري إلى ما صار، ثم قال لولده الفضل يا بني، ما تقول في ابن من فعل بأبيك هذا الفعل؟ وما جزاؤه؟ قال: حق لعمري وجب عليك له فقال:والله يا ولدي ما أجد له مكافأة غير أن أعزل نفسي وأوليه.

١٨٦١- قرأت في جريدة اليوم ما كتبه الأستاذ محمد العصيمي في يوم الأحد ١٤٣٣/١٢/١هـ بعنوان ٢٣٧٠٠٠ ريال شهريا من جيبك سنويا، وشد انتباهي هذا العنوان فقرأته وإذا هو منقول عن المدير العام للبحوث والدراسات الاقتصادية في مجلس الغرف التجارية السعودية الدكتور مغاوي شلبي، نقل لنا أنه من الممكن أن يقفز متوسط دخل الفرد السعودي من ٧٨,٧٥ ألف ريال إلى ٣١٥ الف ريال سنويا في حال تمكنت الأجهزة المعنية من القضاء على الفساد المالي والاداري بالمملكة، وقال ليزيدنا شوقاً أن القطاع الخاص في المملكة ينفق سنويا على الرشاوي ما يتراوح بين ٢٠- ٣٠ مليار دولار، بينما تبلغ فاتورة الفساد سنويا حسب تقارير البنك الدولي حوالي ٢ تريليون دولار، وإذا خصمت منه ٧٨٠٠٠ ريال هي متوسط المدخول الحالي تقريبا من ٣١٥٠٠٠ ريال تمثل المدخول الممكن بعد القضاء على الفساد فإن فاتورة الحرامية الباهضة تسرق ٢٣٧٠٠٠ ريال سنوياً من جيب كل مواطن ومواطنة، وهذا يعني أن الحرامية يسرحون ويمرحون في دهاليز (البزنس) المحرم ويتضخم عددهم سنة بعد أخرى، والدليل بالأرقام وليس بالأقوال، أن مؤشر الفساد في المملكة كان في قياس المؤشر العالمي خلال عام ١٩٩٧م نقطتين فقط وفي عام ٢٠٠٣ قد بلغ إلى "٤,٥"نقطة بينما تراجع خلال عام ٢٠٠٦ إلى "٣٠٣" نقطة ثم ارتفع مرة أخرى عام ٢٠١٠م ليصل إلى "٤,٧" نقطة وهو ما وضع المملكة ولا فخر في المرتبة الخمسين بين دول العالم في اقترافات الفساد، وفي

المرتبة السادسة بين دول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وعلى ذلك أو نتيجة له كيف ستردم الهيئة هذه الجحور الهائلة العفنة التي تشبه جحور الأرانب تنفذ على بعضها وتهرب من صياديها؟ ليس لدي بطبيعة الحال إجابة عن هذا السؤال؟

* * *

١٨٦٢- عبد الله بن عبد الملك السلولي ولقبه "تويت" وكان يهوى إمرأة من أهل اليمامة اسمها سعدى بنت أزهر، وكان يقول فيها الشعر فبلغها شعره من وراء، وراء، ولم تره، فمر بها يوماً وهي مع أتراب لها، فقلن: هذا صاحبك، وكان دميماً، فقامت إليه وقمن معها فضربنه ومزقن ثيابه، فاستعدى عليهن (إشتكى هن) فلم يعده الوالي فأنشأ يقول:

إن الغواني جرحن في جسدي من بعد ما قد فرغن من كبدي
وقد شققن الرداء ثمت لم يعد عليهن صاحب البلد
لم يعدني الأحول المشوم وقد أبصر ما قد صنعن في جسدي

فلما جرى هذا بينه وبينها عقد له في قلبها رقّة، وكانت تتعرض له إذا مَرَّ بها، واجتاز يوماً بفنائها فلم تتوار عنه، وأرته أنها لم تره فلما وقف مليا سترت وجهها بخمارها فقال تويت:

ألا ايها الساري الذي ليس نائماً على تِرَةٍ إن مت من حبها غدا
خذوا بدمي سعدى وسعدى منيتها غداة النوى صادت فؤادً مقصداً

بآيــة مـــاردت غـــداة لقيتـــها على طرف عينــها الــرداء المــوردا

ثم لقيها بعد ذلك راحلة نحو مكة حاجة، فاخذ بخطام بعيرها ثم قال:

قل للـــتي بكـــرت تريـــد رحـــيلا للحـــج إذ وجـــدت إليـــه ســـبيلا

مـــا تصـــنعين بحجـــة أو عمـــرة لا تقـــبلان وقـــد قتلـــت قتـــيلاً

أحيي قتيلك ثم حجـــي وانســـكي فيكـــون حجـــك طـــاهراً مقبـــولاً

ثم تزوجها أبو الجنوب يحي بن أبي حفصة فحجبها وانقطع ما كان بينهما وبين تويت فطفق يهجو زوجها يحي بقوله:

عنـــاء ســـيق للقلـــب الطـــروب فقـــد حجـــت معذبـــة القلـــوب

أقـــول وقـــد عرفـــت لهـــا محـــلاً ففاضت عـــبرة العـــين الســـكوب

وقلت زحـــام مثلـــك مثـــل يحـــى لعمـــرك لـــيس بـــالأمر المصـــيب

فمـــا لـــك مثـــل لِمَّتِـــهِ تـــدري وما لـــك مثـــل بخـــل أبي الجنـــوب

إذا فقـــد الرغيـــف بكـــى عليـــه واتبـــع ذاك تشـــقيق الجيـــوب

يعـــذب أهلـــه في القـــرص حـــتى يظلـــوا منـــه في يـــوم عصـــيب

* * *

١٨٦٣- قال أحد التجار: قصدت الحج في بعض الأعوام، وكانت تجارتي عظيمة، وأموالي كثيرة، وكان في وسطي هَمَّيَانْ (حزام يوضع فيه النقود) فيه دنانير وجواهر قيمة، وكان الهميان من الديباج الأسود، فلما كنت ببعض الطريق نزلت لأقضى بعض شأني فانحل الهميان من وسطي،

وسقط ولم أعلم بذلك إلا بعد أن سرت عن الموضع فراسخ، ولكن ذلك لم يؤثر في قلبي لما كنت أحتويه من غنى، واستخلفت ذلك المال عند الله إذ كنت في طريق إليه تعالي، ولما قضيت حجتي، تتابعت علي المحن، حتى لم أعد أملك شيئاً! فهربت على وجهي من بلدي ولما كان بعدسنين من فقرى أفضيت إلى مكان وزوجي معي، وما أملك في تلك الليلة إلا دانقا ونصف (الدانق سدس الدرهم) وكانت الليلة مطيرة فأويت في بعض القرى إلى خان خراب (الخان بمترلة الفندق) فجاء زوجي المخاض فتحيرت، ثم ولدت فقالت: يا هذا الساعة تخرج روحي فاتخذ لي شيئاً أتقوى به، (أي طعام) فخرجت أخبط في الظلمة والمطر حتى جئت إلى بَدَّال (بياع الأطعمة) فوقعت عليه، فكلمني بعدجهد، فشرحت له حالي، فرحمني وأعطاني بتلك القطع حِلْبَةً وزيتا وأغلاهما، وأعارني إناء جعلت ذلك فيه وجئت أريد الموضع فلما مشيت بعيداً وقربت من الخان زلقت رجلي وانكسر الاناء وذهب جميع ما فيه، فورد على قلبي أمر عظيم ما ورد عَلَيَّ مثله قط! فأقبلت أبكي وأصيح وإذا برجل قد أخرج رأسه من شباك في داره، وقال: ويلك مالك تبكي! ما تدعنا أن ننام! فشرحت له القصة، فقال: يا هذا، البكاء كله لسبب دانق ونصف! قال: فداخلني من الغم أعظم من الغم الأول، فقلت يا هذا، والله ما عندي شيء لما ذهبت مني، ولكن بكائي رحمة لزوجي ولنفسي، فإن إمرأتي تموت الآن جوعاً ووالله لقد حججت في سنة كذا وكذا وأنا أملك من المال شيئاً كثيراً، فذهب مني هميان فيه دنانير

وجواهر تساوي ثلاثة آلاف دينار، فما فكرت فيه، وأنت تراني الساعة أبكي بسبب دانق ونصف، فاسأل الله السلامة ولا تعايرني فتبلى مثل بلواي. فقال لي: يا رجل ما كان صفة هميانك، فأقبلت أبكي، وقلت: ما ينفعني ما طالبتني به أو ما تراه من جهدي وقيامي في المطر حتى تستهزئ أيضاً! وما ينفعني وينفعك من صفة همياني الذي ضاع منذ كذا وكذا! ومشيت فإذا الرجل قد خرج وهو يصيح بي، خذ ياهذا، فظننته يتصدق عَلَيَّ فجئته وقلت له: أي شيء تريد؟ فقالي لي: صف لي هميانك، وقبض عليَّ فلم أجد للخلاص سبيلا غير وصفه فوصفته له، فقال لي: أدخل فدخلت فقال: أين امرأتك؟ قلت في الخان، فأنفذ غلمانه فجاءوا بها وادخلت إلى حُرَمِهِ فأصلحوا شأنها، وأطعموها كل ما تحتاج إليه.وجاءني بجبة وقميص وعمامة وسراويل، وادخلت الحمام سحراً، وطرح ذلك علي، وأصبحت في عيشة راضية، وقال لي: أقم عندي أياماً فأقمت عشرة أيام كان يعطيني في كل يوم عشرة دنانير، وأنا متحير في عظم بره، بعد شدة جفائه! فلما كان بعدذلك قال لي: في أي شيء تتصرف؟ قلت: كنت تاجراً، قال: فلي غلات وأنا أعطيك رأس مال تتجر فيه وتشركني فقلت أفعل، فاخرج لي مئتي دينار فقال: خذها واتجر فيها ها هنا فقلت هذا معاش قد أغناني به الله يجب أن الزمه، فلزمته فلما كان بعد شهور ربحت فجئته فأخذت حقي واعطيته حقه، فقال: إجلس فجلست فأخرج لي هيماني بعينه وقال: أتعرف هذا؟ فحين رأيته شهقت واغمى عَلَيَّ فما أفقت ألا بعد ساعة! ثم قلت:

يا هذا أمَلَكٌ أنت أم نبي! فقال: أنا أحفظه منذ كذا وكذا سنة، فلما سمعتك تلك الليله تقول ما قلته وطالبتك بالعلامة فأعطيتها أردت أن أعطيك للوقت هيمانك، فخفت أن يغشى عليك فأعطيتك تلك الدنانير التي وهمتك أنها هبة، وإنما أعطيتكها من هميانك، فخذ هميانك وأجعلني في حل ! فشكرته ودعوت له وأخذت الهميان ورجعت إلى بلدي فبعت الجواهر وضممت ثمنها إلى ما معي واتجرت فما مضت إلا سنيات حتى صرت صاحب عشرة ألاف دينار وصلحت أحوالي.

* * *

١٨٦٤- دخل رجل بدوي عليه شعث السفر على داود المهلبي، وكان إذا حضر الطعام يتقدم بضرف البوابين ولا يمنع من الوصول إلى طعامه، فلما فرغ من الطعام وثب قائماً وأومى إليه وقال: من أنت يا فتى؟ قال: شاعر قصدتك بأبيات من الشعر، قال داود: مهلاً قليلاً، ثم دعا بقوس فأوترها، وأومى إليه وقال له: قل، فإن أنت أحسنت خلعت وأجزلت وإن أخطأت رميتك بهذا السهم يقع في أي موضع يقع فيه فتبسم البدوي وقال:

أمنت بداود وجود يمينه — من الحدث المرهوب والبؤس والفقر

وأصبحت لا أخشى بداود نبوة — ولا حدثان إن شددت به أزري

له حكم لقمان وصورة يوسف — وملك سليمان وصدق أبي ذر

فتى تهرب الأموال من جود كفه — كما يهرب الشيطان من ليلة القدر

فقوسك قوس الجود والوتر النــدى وسهمك فيه الموت فأقتل به فقــري

فضحك داود ورمى بسهمه مع القوس من يده وقال: يا فتى العرب بالله عليك هل كان ذكر القوس في الأبيات؟ فقال: لا والله! ففرح بذلك وقال يا فتى العرب بالله عليك أيما أحب إليك أعطيك على قدرك أم على قدري؟ فقال: بل على قدري! قال: كم على قدرك؟ قال: مئة الف درهم، فأمر له بها.. ثم قال: ما منعك أن تقول على قدي؟ فقال: أيها الأمير، أردت أن أقول ذلك، فإذا الأرض لم تساو قدر الأمير فطلبت على قدري، فقال: لله دَرُّكَ! والله إن نثرك لأحسن من نظمك! وأمر له بمئة ألف ثانية وأمر الا ينقطع عنه.

* * *

١٨٦٥- من ينظر اليوم إلى الطرق عبر الجبال التي أخضعت مناكبها وَبُقِرَتْ أجوافها وبطونها وذللت ظهورها وجرفت جنوبها وتلوت حول أعناقها حتى أذلتها وجعلتها طرقا سالكة لتعبرها السيارات صغيرها وكبيرها في طرق كالثعابين السوداء تتلوى حول قامات الجبال فيراها الناظر لها من عل وكأنها الحبال الملتفة على تلك الجبال الراسية وكأن تلك الخطوط السوداء قد ربطتها وأوثقت رباطها بحيث لا تستطيع حراكاً ولا لمبتغاها إدراكاً، ومن أولى التجارب التي أسرت تلك الجبال ما حدث في جبال الهدى الواقعة بين مكة المكرمة والطائف ففي ١٣٨٥/٢/٣هـ تم افتتاح طريق (الهدى – مكة المكرمة) تحت رعاية الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله وقد بدأ العمل بهذا الطريق عام ١٣٧٨هـ في عهد

الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله. وتم هذا الافتتاح بعد مدة عمل شاق دام سبع سنوات ويبلغ طول هذا الطريق المنحنى ٨٧ كيلاً ويُعَدُّ الطريق انجازا فريداً من نوعه تحقق في العهد السعودي وانجازاً عالمياً في مجال الطرق الجبلية وهو الشريان الرئيس لمدينة الطائف الذي يربطها بمكة المكرمة وجدة واستمر المرور عليه لمدة ١٣ ثلاثة عشر عاماً جرى خلالها توسعته وتهذيب المنحنيات الخطيرة فيه وتشذيب الزعانف والانوف التي تعيق الطريق بحيث أصبح طريقا واسعا ومزدوجاً مريحاً حين افتتحه الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله في ١٣٩٨/٨/٢٨هـ وأصبح الطريق أكثر أمانا من ذي قبل عندما كان منفرداً وزالت عنه الكثير من العوائق، ثم أعقب ذلك مدَّ الطرق الجبلية في جبال تهامة طريق الطائف إلى أبها وشق الأنفاق في جبال مكة وجبال عسير.

* * *

١٨٦٦- قال دكين الراجز: امتدحت عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينة، فأمر لي بخمس عشرة ناقة كرائم فكرهت أن أرمي بهن الفجاج، ولم تطب نفسي ببيعهن فقدمت عليَّ رفقة من مصر فسألتهم الصحبة، فقالوا ذاك إليك، ونحن نخرج الليلة، فأتيته فودعته وعنده شيخان لا أعرفهما فقال لي: يا دكين، إن لي نفسا تواقه، إن صرت إلى أكثر من مما أنا فيه فأتني ولك الاحسان، قلت: أشهد لي بذلك قال: أشهد الله

به، قلت من خلقه؟ قال: هذين الشيخين، فأقبلت على أحدهما فقلت: من أنت أعرفك؟ قال: سالم بن عبد الله بن عمر فقلت له: استسمنت الشاهد وقلت للآخر من أنت؟ قال: أبو يحى مولى الأمير، فخرجت من بلدي بهن، فرمى الله في أذناهن البركة حتى اعتقدت (إقتنيت) منهن الابل والعبيد، فإني لبصحراء فلج إذا ناع ينعى سليمان (أي سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي) قلت: فمن القائم بعده؟ قال: عمر بن عبد العزيز، فتوجهت نحوه، فلقيني جرير منصرفا من عنده، فقلت يا أبا حزرة من أين؟ قال: من عند من يعطي الفقراء ويمنع الشعراء، فانطلقت فإذا هو في عرصه دار (ساحة) وقد أحاط به الناس فلم أخلص إليه فناديت:

يـــا عمـــر الخـــيرات والمكـــارم وعمــــر الوســـائع العظـــائم

إني امـــرؤ مـــن قطـــن بـــن دارم طلبت ديـــني مـــن أخـــي المكـــارم

إذ تنتحـــي والليـــل غـــير نـــائم عنـــد أبي يحـــي وعنـــد ســـالم

فقام أبو يحي فقال: يا أمير المؤمنين لهذا البدوي عندي شهادة عليك، فقال: أعرفها، إدن يا دكين، أنا كما ذكرت لك، إن نفسي لم تنل شيئاً قط إلا تاقت لما هو فوقه، وقد نلت غاية الدنيا فنفسي تتوق إلى الآخرة، والله ما رزأت من أموال الناس شيئاً ولا عندي إلا ألف درهم، فخذ نصفها، قال: فوالله ما رأيت الفا كان أعظم بركة منه، ودكين هذا هو الذي يقول:

إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه ... فكل رداء يريديه جميل
وإن هو لم يرفع إلى الله نفسه ... فليس إلى حسن الثناء سبيل

وهي المنسوبة للسموءل بن عاديا ظلما وبهتاناً.

* * *

١٨٦٧- كان زرارة بن عدس (التميمي) رجلاًشريفاً فنظر ذات يوم إلى ابنه لقيط فرأى منه خيلاء ونشاطاً، وقد جعل يضرب غلمانه وهو يومئذ شاب، فقال له: أصبحت تصنع صنعاً كأنما جئتني بمائة من هجان ابن المنذر أو تزوجت بنت قيس بن خالد (الشيباني)! قال لقيط: لِلَّهِ على ألا يمسَّ رأسي غسل، ولا آكل لحماً ولا أشرب خمراً حتى أجمعها جميعاً أو أموت. فخرج لقيط ومعه ابن خال له يقال له القراد بن إهاب، وكلاهما كان شاعراً شريفاً فسارا حتى أتيا بني شيبان، فسلما على ناديهم وقال لقيط: أفيكم قيس بن خالد؟ وكان سيد ربيعة يومئذ، قالوا: نعم، قال: أو أيكم هو؟ قال قيس: أنا، فما حاجتك؟ قال: جئتك خاطباً ابنتك، وكانت على قيس يمين ألا يخطب إليه أحد بنته علانية إلا أصابه بشر وسَمَّعَ به (فضحه) فقال له قيس: ومن أنت؟ قال: لقيط بن زرارة بن عدس، قال قيس: عجباً منك! هلاَّ كان هذا بيني وبينك؟ قال: لِمَ ياعم؟ فوالله أفيك لرغبة، وما من عيب، ولئن ناجيتك لأخدعنك ولئن عالنتك لا أفضحك. فأعجب قيس كلامه، وقال: كفء، كريم، إني قد زوجتك ومهرتك مئة ناقة، ليس فيها ناب (كبير) ولا كزوم (ذهبت

أسنالها)، ولا تبيت عندنا عزباً ولا محروماً. ثم أرسل إلى أم الجارية، إني قد زوجت لقيط بن زرارة ابنتي فلانة فاصنعيها (جهزيها) واضربي لها ذلك البلق فإن لقيط لا بيت فينا عزبا. وجلس لقيط يتحدث معهم فذكروا الغزو فقال لقيط: أما الغزو فارداها اللقاح، وأجزلها الجمال وأما المقام فأسمنها للجمال وأحبها للنساء، فاعجب ذلك قيساً، وأمر قيسا فذهب إلى البلق فجلس فيه وبعث إليه ام الجارية بمجمرة وبخور، وقالت للجارية: إذهبي إليه فوالله لئن ردها ما فيه خير، فلما جاءت الجارية بالمجمرة بخر شعره ولحيته، ثم ردها عليها، فلما رجعت الجارية خبرتها بما صنع، فقالت: إنه لخليق للخير، فلما أمسى لقيط أهديت إليه، الجارية فمازحها بكلام اشمأزت منه، فنام وطرح عليه طرف خميصته وباتت قريباً منه، فلما استثقل (نام) إنسلّت فرجعت إلى أمها فانتبه لقيط فلم يرها، فخرج حتى أتى ابن خاله قراداً وهو في أسفل الوادي فقال له: إرحل (شد عليه) بعيرك وإياك أن يسمع رغاؤها، فتوجها إلى المنذر بن ماء السماء، وأصبح قيس ففقد لقيطاً، فسكت ولم يدر ما الذي ذهب به، ومضى لقيط حتى أتى المنذر فأخبره ما كان من قول أبيه وقوله، فأعطاه مئة من هجائنه (إبله) فبعث بها قراد إلى أبيه زرارة، ثم مضى إلى كسرى فكساه وأعطاه جوهراً ثم عاد إلى قيس بن خالد فجهز بنته، ولما أرادت الرحيل قال لها: يابنية كوني لزوجك أمة يكن لك عبداً، وليكن طيبك الماء، فإنك إنما يذهب بك إلى الأعداء، واعلمي أن زوجك فارس مضر، وأنه يوشك أن يقتل أو يموت، فلا تخمشي عليه وجهاً ولا تحلقي

شعراً، فقالت له: أما والله لقد ربيتني صغيرة، وأقصيتني كبيرة وزودتني عند الفراق شر زاد وارتحل بها لقيط فجعلت لا تمر بحي من أحياء العرب إلا قالت: أهؤلاء قومك؟ فيقول: لا، حتى طلعت على محلة بني عبد الله بن دارم، فرأت القباب والخيل العراب، فقالت يالقيط: أهؤلاء قومك؟ قال نعم، فاقام أياماً يطعم وينحر ثم أقامت عنده حتى قتل يوم جبلة نحو(٥٥٣م) فبعث إليها أبوها أخاً له لتحمل إليه فلما ركبت أقبلت حتى وقفت على نادي بني عبد الله بن دارم فقالت: يابني دارم أوصيكم بالغرائب خيراً فوالله ما رأيت مثل لقيط لم تخمش عليه امرأة وجها و لم تحلق عليه شعراً فلولا أني غريبة لخمشت وحلقت فأثنوا عليها.

* * *

١٨٦٨-يغطي سطح الكرة الأرضية اليابسة بغطاء نباتي كثيف في بعض المواضع كالغابات والأدغال، ومتوسط في بعضها فيما حول الغابات وخفيف ونادر في البعض الثالث كما في الصحارى والقفار، ونادر كما في الصحاري القاحلة التي لا نبات فيها، مثل الصحراء الكبرى في افريقيا والنبات يتكون من الأشجار وهو أكبر البنات ثم الشجيرات والحشائش والأعشاب والطحالب ولو تساءل متسائل عن أكبر الأشجار وأضخمها وأطولها على مستوى العالم لوجدنا أنه أضخم الأشجار في العالم شجرة (السيكويا) التي توجد في ولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية وهي في نفس الوقت أقدم الأشجار حيث يصل عمرها إلى ثلاثة آلاف

٣٠٠٠ سنة وأضخم هذه الأشجار هي تلك التي تسمى (الجنرال شيرمان) والتي يصل ارتفاعها إلى ٢٧٢قدم ومحيطها أكثر من ١٠١ مئة وواحد قدم ويقدر وزنها بحوالي ٢١٤٥الفين ومئة وخمسة وأربعين طناً. وقد أمكن حفر نفق للسيارات داخل جذع أحد الأشجار، أما أطول أنواع (السيكويا) وهو الخشب الأحمر الذي يصل طول الشجرة منه إلى ثلاثمائة وستة وستين ٣٦٦ قدماً وبوصتين أما أطول أشجار التاريخ فمسألة تخضع للتخمين ويقال إن اللقب تستحقه شجرة (تنوب) في كولومبيا البريطانية ١٩٤٠م حيث كان طولها ٤١٧ أربعمائة وسبعة عشر قدماً. ومن هذا النوع من الأشجار شجرة في ولاية واشنطن طولها ٣١٠ ثلاثمائة وعشرة أقدام، وأضخم الأشجار جذعاً شجرة (سرو) في ولاية (أوكساكا) بالمكسيك تسمى (سانت ماريا) حيث يصل محيط جذعها إلى ١١٣مئة وثلاثة عشر قدماً وارتفاعها خمسة أقدام فقط، وفي عام ١٧٧٠م عثر على شجرة كستنا وتسمى "كستناء" المئة حصان على حافة جبل "إتنا" بصقلية يصل محيط جذعها إلى ٢٠٤ مئتين وأربعة أقدام، ومن الجدير بالذكر أن كل هذه الأشجار الضخمة قد نبتت من بذرة لا تزن أكثر من ١/٢٥٠ من الجرام فسبحان الله العظيم.

* * *

١٨٦٩- رواتب أو مكافآت الآئمة والمؤذنين القائمة الآن جرى العمل بها منذ٢٣/٩/١٤٠١هـ ١٩٨١م حين أمر الملك خالد بن عبد العزيز

سعود ــ رحمه الله ــ بزيادة رواتب ومكافآت الآئمة والمؤذنين جرَّاء خدماتهم لشعيرة الإسلام العظيمة. وكانت هذه المكافآت من قبل ضئيلة ومتقطعة ولا تصرف إلا بعد أربعة أو ستة أشهر مرة واحدة. وإني لأذكر حكاية طريفة من أحد الأئمة أو المؤذنين حين كانت تصرف في أوقات متباعدة، ذلك أن المندوب الذي يوزع هذه المكافآت قد تغير وجاء موظف آخر، فأعطى هذا الشخص مكافآته وفيها زيادة أربعة ريالات، فقال المُعْطَى للموظف: إن في مكافأتي زيادة أربعة ريالات، فقال الموظف من باب التباهي بأمانته ودقته وحرصه على هذه الريالات كان يأكلها الموظف السابق! فأطرق هذا نظره إلى الأرض وهو يقول بلهجته العفوية : " الله أكبر لو تروح أنت ياشئ ييي يطلع لنا" بحيث مسح بهذه الجملة كبرياء الموظف بالأرض ومكأفاة الأئمة والمؤذنين الآن ضعيفة جداًمن أضعف المكافآت التي تصرفها الدولة وهي الدولة الإسلامية التي بلغت مبراها المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي في نفس الوقت الذي يُقتِّرون فيه على العاملين بشعيرة الإسلام العظيمة في بلدهم ومن مواطنيهم بحيث لا تمثل هذه المكافأة الحد الأدنى الذي يستطيع الإنسان أن يعيش فيه تحت خط الفقر أمام متطلبات الحياة في الوقت الحاضر ١٠٥٠ ريالاً ١٢٠٠ ريال ٢٥٠٠ ريال ٣٠٠٠ ريال ٤٥٠٠ ريال هذه المبالغ في الوقت الراهن لا تفي بأقل احتياجات الإنسان ولا تستحق أن يرتبط الإنسان بالمسجد من أجل ١٠٥٠ ريالاً أو ١٢٠٠ ريالاً وهي الأكثرية التي لا تستطيع العيش منها اللهم إن كان له وظيفة

أخرى يعيش منها، ولذلك تعيش المساجد الان حالة من غياب وهرب من الأئمة والمؤذنين الذين تدفعهم الحاجة إلى البحث عن مصدر رزق آخر يأكلون منه لقمة العيش، خاصة الشباب الذين هم على أعتاب الزواج، كيف يتسطيع الشاب الزواج بتكاليفه الباهظة ومكافأته حسب الفئات الموضحة أعلاه حتى أن يعاد النظر في هذه المكافآت وأن تحول إلى وظائف رسمية يستفيد منها بعد التقاعد فهو خدمة لدين الله وأنفع للناس من النوادي الرياضية التي يصرف عليها مئات الآلاف أو الملايين وليس لها مردود معين على الوطن والمواطنين ولا أجر يرجى في الآخرة.

* * *

١٨٧٠- قال إبراهيم الزهرى: قدم الفرزدق المدنية في أمارة إبَّان بن عثمان، قال فإني والفرزدق وكثير عزة، جلوس بالمسجد نتناشد الأشعار، إذ طلع علينا غلام شخت (الشخت الدقيق الضامر أصلاً لا هزالاً) آدم (من الأدمة وهي السمرة الخفيفة) في ثوبين ممصرين (أي مصبوغين بصفرة غير شديدة) ثم قصد نحونا حتى جاء إلينا فلم يسلم، فقال : أيكم الفرزدق؟ فقلت مخافة أن يكون من قريش: أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها! ، فقال: لو كان كذلك لم أقل هذاله، فقال له الفرزدق: ومن أنت لا أُمَّ لك ؟! قال: رجل من بني الأنصار ثم من النجار ثم أنا ابن أبي بكر بن حزم. بلغني أنك تزعم أنك أشعر العرب، وتزعم مضر ذلك لك، وقد قال صاحبنا حسان شعراً فأردت أن أعرضه عليك،

وأُوجِّلُكَ سنة، فإن قلت مثله فأنت أشعر العرب والا فأنت كذاب منتحل، ثم أنشد قول حسان:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى　　واسيافنا يقطرن من نجدة دما

متى ما تزرنا من معـــد عصـــابة　　وغسان نمنع حوضنا أن يهدما

أبى فعلنا المعروف أن ننطق الخنا　　وقائلنا بـــالعرف إلا تكلمـــا

ولدنا بني العنقاء وابني محـــرق　　فأكرم بنا خالاً واكرم بنا ابنما

فأنشده القصيدة عن آخرها، وقال له: إني قد اجلتك فيها حولاً. ثم انصرف، والفرزدق مغضباً يسحب رداءه لا يدري أي طريق يسلك حتى خرج من المسجد، قال: أقبل كثير عليَّ فقال: قاتل الله الأنصاري! ما أفصح لهجته، وأوضح حجته، وأجود شعره! قال: فلم نزل في حديث الفرزدق والأنصاري بقية يومنا، حتى إذا كان الغد، خرجت من مترلي إلى مجلسي الذي كنت فيه بالأمس، أتاني كثير فجلس معي، فإنا نتذاكر الفرزدق ونقول: ليت شعري ما فعل، إذ طلع علينا في حلة أفواف يمانية موشاة، له غديرتان، حتى جلس في مجلسه بالأمس ثم قال: أما فعل الأنصاري؟ قال: فنلنا منه وشتمناه، فقال: قاتله الله! ما رميت بمثله ولا سمعت بمثل شعره! فارقتكما فأتيت مترلي فأقبلت أصعد وأصوب في كل فن من الشعر فلكأني مفحم أو لم أقل قط شعراً، حتى نادى المنادي بالفجر، فرحلت ناقتي (شددت عليها) ثم أخذت بزمامها فقدقما حتى أتيت ذباباً (جبل بالمدينة) ثم ناديت بأعلى صوتي: أخاكم أبا لبنى، وقال سعدان: أباليلى! فجاش صدري كما يجيش المرجل، ثم عقلت ناقتي وتوسدت

ذراعها فما قمت حتى قلت مئة وثلاثة عشر بيتاً، فبينما هو ينشدنا إذا طلع علينا الأنصاري حتى انتهى إلينا فسلم ثم قال: أما أني لم آتك لأعجلك من الأجل الذي وقته لك، ولكني أحببت أن أراك إلا مسألتك عما صنعت فقال الفرزدق: إجلس ثم أنشده:

عزفت بأعشاش وما كدت تعــزف　　وأنكرت من حدراء ما كنــت تعــرف

ولج بك الهجــران حــتى كأنمــا　　ترى الموت في البيت الذي كنت تيلف

لحاجة صرم لــيس بالوصــل إنمــا　　أخو الوصل من يدنو ومــن يتلطــف

إلى آخر القصيدة.

* * *

١٨٧١- قال حماد بن إسحاق عن أبيه: دعاني الرشيد (هارون الرشيد) لما حج فقال: صر إلي موضع كذا وكذا فإن هناك غلاماً مجنوناً يغني صوتاً حسنا هو:

هما فتاتان لما يعرفــا خلقــي　　وبالشــباب علــى شــيبي يــدلاني

وله أم فصر إليها وأقم عندها واحتل حتى تأخذه منها، فجئت استدل حتى وقفت على بيتها، فخرجت إلي فوهبت لها مئتي درهم فقلت لها: أريد ان تحتالي على ابنك حتى آخذ منه الصوت الفلاني، فقالت: نعم، وادخلتني دارها، وأمرتني فصعدت إلي عليه لها (دور ثاني) فما لبثت أن جاء ابنها فدخل، فقالت له: ياسليمان، فدتك نفسي! أمك قد أصبحت خاثرة مغرمة فأحب أن تغني ذلك الصوت:

هما فتاتان لما يعرفا خلقي

فقال لها: ومتى حدث لك هذا الطرب؟ قالت: ماطربت ولكنني أحببت أن تفرج من هم لحقني، فاندفع فغناه، فما سمعت أحسن من غنائه، فقالت له أمه: أحسنت!فديتك! فقد والله كشفت عني قطعة من همي، فاسألك أن تعيده، قال: والله مالي نشاط، ولا أشتري همي بفرحك، فقالت: أعده مرتين ولك درهم صحيح تشتري به ناطفا(نوع من الحلوى) قال: ومن أين لك الدرهم، ومتى حدث لك هذا السخاء؟ قالت: فأخذه وغنى مرتين، فدالي وكاد يستوي، فأومأت لها من فوق أن تستزيده، فقالت: يابني بحقي عليك إلا عدته، فقال: أظن أنك تريدين أن تأخذيه فتصيري مغنية، فقالت: نعم! كذا هو، قال: لا وحق القبر(من في القبر) إلا أعدته إلا بدرهم آخر، فأخرجت له درهماً آخر، فأخذه وقال: أظنك والله قد تزندقت وعبدت الكبش فهو ينقدلك هذه الدراهم، أو قد وجدت كنزاً، فغناه مرتين وأخذته واستوى لي، ثم قام فخرج يعدو على وجهه، فجئت إلى الرشيد فغنيته به وأخبرته بالقصة، فطرب وضحك وأمر لي بألف دينار وقال لي: هذه بدل مئتي درهم، ثم غنيته أبياتاً لابن سُريج:

ولقد قالت لأتراب لهـا   كالمها يلعبن في حجرتها
خذن عني الظل لا يتعبني   وعدت سعياً إلى قبتها
لم يصبها نكد فيما مضى   ظبية تختال في مشيتها

* * *

١٨٧٢- اللحم من الشاة كل يفضل شيئاً منه: فمنهم من يفضل الهبر من الفخذين والوركين وسريدتي الظهر، ومنهم من يحب لحم العضدين المختلط بالعصب، ومنهم من يفضل لحم أسفل الفخذين المختلط بالعصب ويقال لهما الموزتين، ومنهم من يفضل لحم الجنب وذؤابة الجنب وما بين الأضلاع ومنهم من يفضل لحم الرقبة لخلوه من الدسم ومنهم من يحب لحم الخبيبتين وهما اللحمتان المستطيلتان من داخل الظهر وليس هناك في اللحم ألين منهما وألَذُّاذا نضجتا، ولكنا نجد عمروبن بحر الجاحظ ــ رحمه الله ــ يقول كان أبو عبد الرحمن الثوري تعجبه الرؤس ويصفها ويسميها العرس، لما فيها من الألوان الطيبة، وربما سمي الرأس الكامل والجامع حيث يقول: الرأس شيء واحد وهو ذو ألوان عجيبة وطعوم مختلفة، والرأس فيه الدماغ، وطعمه مفرد، وفيه العينان، وطعمهما مفرد، الشحمة التي بين أصل الأذن ومؤخر العين، وطعمها مفرد، على أن هذه الشحمة خاصة أطيب من المخ وأرطب من الزبد وادسم من السِّلاء، وفي الرأس اللسان وطعمه مفرد، والخيشوم، والغضروف، ولحم الخدين وكل شيء في هذه طعمه مفرد، والرأس سيد البدن والدماغ هو معدن العقل، وخاصة الحواس وبه قوام البدن وفيه يقول الشنفري الأزدي:

إذا نزعوا رأسي وفي الرأس اكثري وغودر عنـــد الملتقـــي ثم ســـائري

وقيل لأعرابي: أتحسن أن تأكل الرأس؟ قال: نعم أبخص عينيه وأفك لحييه، وأسحى خديه، وأرمي بالدماغ لمن هو أحق به مني وأبو الأسود الدؤلي مشهور بالبخل، وقف عليه أعرابي وهو يأكل تمراً فقال الأعرابي: أدخل؟ قال: وراءك أوسع لك. قال: الرمضاء أحرقت رجليّ، قال: بل عليهما يبردان، قال: أتأذن لي أن آكل معك؟ قال: سيأتيك قدرك، فقال تالله ما رأيت رجلاً ألأم منك، قال: بلى، قد رأيت ولكن نسيت، ثم أقبل ابو الأسود يأكل حتى لم يبق بالطبق إلا تميرات يسيرة نبذها للأعرابي، فوقعت تمرة منها فأخذها الأعرابي ومسحها بكسائه، قال أبو الأسود: ياهذا إن الذي تمسحها به أقذر من الذي تمسحها منه، قال: كرهت أن أدعها للشيطان، قال: لا والله ولا لجبريل وميكائيل ماكنت تدعها!!!.

* * *

١٨٧٣- نعمة الكهرباء التي أنعم الله بها علينا، وأصبحت العمود الفقري لحياة الناس، بل أصبحت روح العصر وعمر تواجدها بالمملكة نحو خمس وسبعين سنة حينما بدأت، وأول ما وجدت في المدن الرئيسة مكة المكرمة والرياض وجدة والدمام، ثم توسعت إلى المدن المتوسطة بالتتابع وبدأت أول الأمر بمولدات صغيرة يغطي الواحد منها شارعاًأو حياً من الأحياء أو المدينة بأكملها، فكان الحرم المكي أول مكان أضيئ بالكهرباء ففي ١٣٤٧/٨/١هـ ١٩٢٨م تمت إضاءة المسجد الحرام

بالكهرباء حث بلغ مجموع المصابيح في الحرم ألف مصباح (لمبة) على ماكينتين كبيرة وصغيرة بالتناوب. ثم جاءت ينبع بعد ذلك حين قامت بلدية ينبع بإضاءة البلدة لأول مرة في ١٣٤٩/٢/٢٨هـ ــ ١٩٣٠م بمقادير من الأضواء (لوكسات) وعلقتها في شوارع البلدة، ثم صدرت أوامر عليا بتأسيس الشركة الوطنية للكهرباء بالرياض في ١٣٦٥/٤/٢٦هـ ــ ١٩٤٥م. ثم بدأت شركة كهرباء الطائف بتوزيع التيار الكهربائي عل المساكن والمحلات التجارية وإلغاء المولدات الخاصة وذلك بتاريخ ١٣٦٩/٤/٢٠هـ ــ ١٩٤٩م، وفي ١٣٧١/١١/٨هـ ــ ١٩٥١م تم تشغيل المرواح لأول مرة في الحرم المكي وكانت تشغل في أوقات الصلوات فقط، تلى ذلك صدور أوامر ملكية بالموافقة على منح الشركة السعودية للكهرباء بإضاءة مساكن الموظفين في مكة المكرمة، وذلك بتاريخ ١٣٦٩/٦/١٩هـ ــ ١٩٤٩م وعقب ذلك بدأت شركة القوة الكهربائية في مقاطعة الظهران بإنارة المدنية بالمصابيح الكهربائية في ١٣٧٠/٤/١٠هـ ــ ١٩٥٠م ثم قامت الشركة الوطنية السعودية للكهرباء بأول عمليات الإنارة لأحياء وشوارع الرياض في ١٣٧٢/٧/٢٥هـ، وبدأت المدن الأخرى تأخذ نصيبها من الكهرباء وفي ١٤٠٨/٨/٢٥هـ افتتح الملك فهد بن عبد العزيز ــ رحمه الله ــ مشروع كهرباء حائل المركزي الذي يخدم ٢٩٤مدينة وبلدة وقرية.

وإني لأذكر مدينة حائل عام ١٣٨٠هـ ــ ١٩٥٨م وأحياء المدينة يضاء كل حي بمولدات صغيرة للإضاءة فقط من وقت حلول الظلام في الليل

وحتى الساعة الرابعة (غروبي) العاشرة (زوالي) ثم تطفأ المولدات ويعود الناس إلى السُرج والأتاريك (باتروماكس) وكذا الحال في البلدات والقرى الذين يرغبون إدخال الكهرباء إلى بلداهم وقراهم فلما تأسس مشروع الكهرباء المركزي المشار إليه انتهى دور المولدات الصغيرة، وفكرة توليد الكهرباء واحدة من المولدات الصغيرة والمولدات الضخمة التي تعمل على مدار الساعة وتمون المدن والمصانع والمزارع بالطاقة الكهربائية على مدار الوقت.

* * *

١٨٧٤-روى الفضل بن العباس بن المأمون قال: كنت مع المعتز (الخليفة العباسي) في الصيد، فانقطع عن الموكب وأنا ويونس بن بُغَا معه، ونحن بقرب قنطرة وصيف، وكان هناك دَيْر فيه ديراني يعرفني وأعرفه، نظيف ظريف، مليح الأدب واللفظ، فشكى المعتز العطش، فقلت ياأمير المؤمنين في هذا الدَّير، ديراني أعرفه خفيف الروح لا يخلو من ماء بارد، أفترى أن نميل إليه؟ قال: نعم فجئنا فأخرج لنا ماء بارداً، وسألني عن المعتز ويونس، فقلت: فتيان من أبناء الجند، فقال: بل مفلتا من حور الجنة، فقلت له: هذا ليس في دينك، فقال: هو الآن في ديني، فضحك المعتز، فقال لي الديراني: أتأكلون شيئاً؟ قلت: نعم، فأخرج شطيرات وخبزاً واداماً نظيفا، فأكلنا أطيب أكل، وجاءنا بأطراف أشنان (لتنظيف الأيدي) فاستظرفه المعتز، وقال لي: قل له فيما بينك وبينه: من تحب أن

يكون معك من هذين لا يفارقك، فقلت له: فقال "كلاهما وتمراً" فضحك المعتز حتى مال على حائط الدير، فقلت للديراني: لابد من أن تختار، فقال: الاختيار لله، في هذا دمار، وما خلق الله عقلاً يميز بين هذين، ولحقهما الموكب فارتاح الديراني، فقال له المعتز: بحياتي لا تنقطع عما كنا فيه فإني لمن ثُمَّ مولى، ولمن هاهنا صديق، فمزحنا ساعة ثم أمر له بخمسمائة ألف درهم، فقال: والله ما أقبلها إلا بشرط، قال وماهو؟ قال: يجيب أمير المؤمنين دعوتي مع من أراد، قال: ذلك لك، فاتعدنا ليوم جئناه فيه، فلم يبق غاية وأقام للموكب كله ما احتاج إليه، وجاءنا بأولاد النصارى يخدموننا ووصله المعتز يومئذ صلة سَنِيَّة و لم يزل يعتاده ويقيم عنده.

* * *

١٨٧٥- ذكر الهيثم بن عدي وأصحابه أن جماعة من بني عذرة حدثوا أن جميلاً (بن معمر) رصد بثينة ذات ليلة في نجعة لهم، حتى إذا صادف منها خلوة دنا منها في ليلة ظلماء ذات غيم ورعد وريح، فحذفها بحصاة فأصابت بعض أترابها ففزعت وقالت: والله من حذفني في هذا الوقت بحصاة إلا الجن! فقالت لها بثينة وقد فطنت إن جميلاً فعل ذلك فانصرفي ناحية مترلك حتى ننام فانصرفت، وبقيت مع بثينة أم الجُسَير وأم منظور، فقامت إلى جميل فأدخلته الخباء معها وتحدثا طويلاً ثم أضطجع واضطجعت إلى جنبه فذهب النوم بهما حتى أصبحا، وجاءها غلام

زوجها بالصبوح من اللبن بعث به إليها، فرآها نائمة مع جميل فمضى لوجهه حتى خبر سيده، ورأته ليلى والصبوح معه، وقد عرفت خبر جميل وبثية فاستوقفته كأنها تسألهن وبعثت بجارية لها، وقالت حذري بثينة وجميلا، فجاءت الجارية فنبهتهما، فلما تبينت بثينة الصبح قد أضاء والناس منتشرين ارتاعت، وقالت: ياجميل، نفسك .. نفسك! فقد جاءني نبيه بصبوحي من اللبن فرآنا نائمين، فقال جميل وهو غير مكترث بما خوفته منه:

لعمرك ما خوفتني من مخافة بثين ولا حذرتني موضع الحـذر

فأقسم لا يلفي لي اليوم غرة وفي الكف مني صارم قاطع ذكر

فأقسمت عليه أن يلقي نفسه تحت المنضد (متاع البيت المنضود) وقالت: اسألك ذلك خوفاً على نفسي من الفضيحة لا خوفاً عليك ففعل ذلك ونامت كما كانت واضطجعت أم الجسير إلى جانبها وذهبت خادمة ليلى إليها فأخبرتها الخبر، فتركت العبد يمضي إلى سيده، فمضى والصبوح معه وقال له: إني رأيت بثينة مضطجعة وجميل إلى جانبها، فجاء نُبَيْهُ إلى أخيها وأبيها فأخذ بأيديهما وعرفهما الخبر، وجاءوا بأجمعهم إلى بثينة وهي نائمة فكشفوا عنها الثوب فإذا أم الجسير إلى جانبها نائمة، فخجل زوجها وسَبَّ عبده، وقالت ليلى لأخيها وأبيها: قبحكما الله! أفي كل يوم تفضحان فتاتكما ويلقاكما هذا الأعور فيها بكل قبيح ! قبحه الله وإياكما! وجعلا يسبان زوجها ويقولان له كل

قبيح، وأقام جميل عند بثينة حتى أجَنَّهُ الليل ثم ودعها وانصرف وحذرتهم بثينة لما جرى من لقائه إياها، فتحامته مدة فقال في ذلك:

أأن هتفت ورقاء ظلت سفاهة تبكي على جمل لورقاء تهتف

فلو كان لي بالصرم ياصح طاقة صرمت ولكني على الصرم أضعف

* * *

١٨٧٦- من طرائف وغرائب" خروف العيد" أن تونسياً اشترى خروفاًقبل العيد بأسبوع ووضعه على سطح منزله، وظل يعتني به بالعلف والماء ويحاول إخماد شغبه الذي أصبح مصدر إزعاج للجيران، وقبل يومين من العيد صعد الرجل يتفقد أحوال الخروف، وفي غفلة منه فاجأه الخروف بنطحة مباغتة أفقدته توازنه فوقع من فوق سطح منزله الذي اختاره له، ليقضي به ما قبل العيد ويفقد الرجل أنفاسه بعد إصابة خطيرة كسرت على إثرها جمجمته ولسان حال الخروف يقول : أراد ذبحي فقتلته، وفي مدينة وَجْدَة المغربية ارتفعت حدة الشجار حول نوع ووزن ولون خروف العيد لهذه السنة بين زوجين في الخمسين من العمر، وتطور الأمر إلى تدخل نساء ورجال الحي، مما أسهم في اتساع هوة الخلاف ليرمي الزوجين بالطلاق في ساعة غضب وينهي زواجاً عمره ٢٥ سنة أنجبا فيه سبعة أولاد من الذكور والآناث.

* * *

١٨٧٧- مزاحم بن عمرو العقيلي كان خطب ابنة عم له دنية فمنعه أهلها لاملاقه وقلة ماله، وانتظروا بها رجلاً موسراً في قومها ولم يحقق، وهو يومئذ غائب، فبلغ ذلك مزاحماً من فعلهم، فقال لعمه: ياعم أتقطع رحمي وتختار علي غيري لفضل أباعر تحوزها وطفيفاً من الحظ تحظى به؟ وقد علمت أني أقرب إليك من خاطبها الذي يريدها وأفصح منه لساناً، وأجود كفاً، وأمنع جانباً، واغنى من العشيرة، فقال له: لا عليك فإنها إليك صائرة، وإنما اعلل أمها بهذا ثم يكون أمرها لك، فوثق به وأقام مدة، ثم ارتحلوا ومزاحم غائب، وعاد الرجل الخاطب لها فذكر امرها، فرغب فيها فأنكحوه إياها، فبلغ ذلك مزاحماً فانشأ يقول:

نزلت بمفضى سيل حرسين والضحى ... يسيل بأطراف المحارم آلها

بمسقية الأجفان انفذ دمعها ... مقاربة الآلاف ثم زيالها

فلما نهاها اليأس أن تؤنس الحمى ... حمى البشر جلى غبرة العين جالها

أياليل لا تشحط بك الدار غربة ... سوانا ويعيي النفس فيك احتيالها

فكم وكم من عبرة قد رددتها ... سريع على جيب القميص انهلالها

خليلي هل من حيلة تعلمانها ... يقرب من ليلى الينا احتيالها

فإن بأعلى الأخشبين أراكة ... عدتني عنها الحرب داف ظلالها

وفي فرعها لو تستطاع جناتها ... جنى يجتنيه المجتني لو ينالها

هنيئاً لليلى مهجة ظفرت بها ... وتزويج ليلى حين حان ارتحالها

فقد حبسوها محبس البدن وابتغى ... بها الربح أقوام تساخف مالها

فإن مع الركب الذين تحملوا ... غمامة صيف زعزعتها شمالها

١٨٧٨- الشيخ عبد العزيز بن حمود بن صالح الزيد من أهل حائل بها ولد ونشأ وشب وكتهل وكان له شأن مميز في مجتمعه وحول سُدَّة الأمارة آنذاك، أمارة الرشيد التي انتهت عام ١٣٤٠هـ/١٩٢١م وكان له ضلع في المفاوضات التي أدت إلى انتهائها، فهو ذو رأي سديد ونظرة صائبة بعيدة المدى، أعجب به الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ فعينه بعد تكوين المملكة أميراً على الجوف وما والاها فترة من الزمن عام ١٣٥٧هـ ثم عينه سفيراً للمملكة في دمشق الشام بقي فيها إلى أن لاقى وجه ربه بها عام ١٣٧٩هـ/١٩٥٨م ــ رحمه الله ــ وأسكنه فسيح جناته وعندما كان أميراً بالجوف وفد إليه أحد الشعراء وهو شهاب بن مرزوق الجنيدي الشمري مسترفداً فقال فيه:

يَابُوْ حْمُـوْدَ اللهْ يْمَسِّـيْكْ بَـالخَيْر ... كَيْفْ إِنْتْ يَامِعْطِيْ العَطَايَا الْكِثِيْرَةْ

وَاللهْ يَالَوْلاَ البَيْتْ فَاضِيْ مِـن المَيْـرْ ... وَالكِيْسْ فَاضِـيْ وَالمَنَاشِـبْ كِبِيْـرَةْ

إِنّي لاَخَاوِيْكَمْ عَلَى الشَّـرْ وَالخَيْـرْ ... وَارْزَاقْ رَبِّـيْ كَالهَبَايِـبْ يِـدِيْرَةْ

يَاسْعُوْدْ يَاسِلْطَانْ العَرَبْ وِانْت يَامِيْرْ ... عَسَـاكْ لَلّـي مِثِـلْ حَـالِيْ ذِخِيْـرَةْ

فأعطاه ماقضى حاجته، وكان من شأنه عندما كان سفيراً في دمشق كما نقل إليَّ محمد بن فهد المارك عن أبيه الذي رافقه عند تلك الحادثة قال اتجه السفير وأنا برفقته إلى أحد الضيوف من المملكة ساكناً في أحد الفنادق داخل البلد وذلك للسلام عليه ودعوته لإكرامه وتقديم الخدمات له في دمشق قال: ومرت بنا السيارة مع شارع شعبي فيه باعة البضائع والخضار الذين يطوفون بالشوارع ببضائعهم، فرأى أحد الباعة وقد

وضع سلة بضائعه على الأرض وافترش "كرتوناً" مفروداً واستلقى على ظهره بجانب سلته وغط في نوم عميق في شمس الواحدة ظهراً في يوم من أيام آب (أغسطس) والعرق يتصبب من جبينه وخديه وسط جلبة أصوات الباعة والمارة والمشترين، فأمر السفير سائق السيارة أن يتوقف، ثم ترجل من السيارة ووقف إلى جانب ذلك النائم وهو يقول من أعماق قلبه "ألا واهنيك، لا واهنيك حين تنام في هذا الوقت وعلى هذا الوضع، في حين لا استطيع النوم إلا بحبوب منومة!! ثم عاد إلى السيارة وهو يمسح عينه من الدموع!.

* * *

١٨٧٩-كان راعي الإبل (عبيد بن حصين النميري) يقضي للفرزدق على جرير ويفضله، وكان قد ضخم أمره، وكان من شعراء الناس، فلما أكثر من ذلك خرج جرير إلى رجال من قومه فقال: هلا تعجبون لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق عليَّ وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم! قال جرير: فضربت رأيي فيه، ثم خرج جرير ذات يوم يمشي ولم يركب دابته، وقال: والله ما يسرني أن يعلم أحد، وكان لراعي الإبل والفرزدق وجلسائهما حلقة بأعلى المربد بالبصرة يجلسون فيها، قال فخرجت أتعرض له لألقاه من حيال حيث كنت أراه يمر إذا انصرف من مجلسه، وما يسرني أن يعلم أحد حتى إذا هو قد مرَّ على بغلة له وابنه جندل يسير وراءه على مهر له أحوى محذوف الذنب (مقطوع من شعره)

وإنسان يمشي معه يسأله عن بعض السبب، فلما استقبلته قلت: مرحباً يأبا جندل! وضربت بشمالي على معرفة بغلته ثم قلت: يا أبا جندل! إن قولك يستمع وإنك لتفضل الفرزدق عَلَيَّ تفضيلاً قبيحاًوأنا أمدح قومه وهو يهجوهم وهو ابن عمي، ويكفيك عن ذلك هين، إذا ذكرنا أن تقول كلاهما شاعر كريم، ولا تحتمل مني ولامنه لائمة، قال فبينما هو كذلك واقفاً علي وما رد عليَّ شيئاًحتى لحق ابنه جندل فرفع كرمانية معه فضرب بها عجز بلغته ثم قال: لا أراك واقفاً على كلب بني كليب كأنك تخشى منه شراً أو ترجو منه خيراً ! وضرب البغلة ضربة، فرمحتني رمحة وقعت منها قلنسوتي، فوالله لا يعرِّج على الراعي لقلت سفيه غوي، يعني جندلاً ابنه، ولكن والله ما عاج على فأخذت قلنسوتي فمسحتها ثم أعدهّا على رأسي ثم قلت:

أجنــدل مــا تقــول بنــو نمــير إذا ما الأَيْرُ في است أبيــك غابــا

فسمعت الراعي قال لابنه: أما والله لقد طرحت قلنسوته طرحة مشئومة. قال جرير: ولا والله ما القلنسوة بأغيظ بأمره إليَّ لو كان عاج عليَّ فانصرف جرير غَضِباً حتى إذا صلى العشاء بمترله في عَلِيَّةٍ له (العلية غرفة في الدور الثاني في المترل) قال ارفعوا لي باطية من نبيذ واسرجوا لي ففعلوا ما طلب فجعل يهمهم، فسمعت صوته عجوز في الدار، فأطلعت في الدرجة حتى نظرت إليهن فإذا هو يحبو على الفراش عرياناً كما هو فيه فانحدرت فقالت: ضيفكم مجنون! رأيت منه كذا وكذا! فقالوا لها: اذهبي لطيبك نحن أعلم به وبما يمارس .. فمازال كذلك حتى

كان السَّحر، ثم إذا هو يكبر قد قالها ثمانين بيتاً في نمير فلما ختمها بقوله:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

كبر ثم قال: أخزيته ورب الكعبة، ثم أصبح حتى إذا عرف في الناس قد جلسوا في مجالسهم بالمربد، وكأن يعرف مجلسه ومجلس الفرزدق، دعا بدهن فادهن، وكف رأسه (جمع شعر رأسه وضم أطرافه) وكان حسن الشعر ثم قال: ياغلام، أسرج لي فأسرج له حصاناً ثم قصد مجلسهم، حتى إذا كان بموضع السلام، قال: ياغلام و لم يسلم، قل لعَبيدٍ: أبعثك نسوتك تكسيهن المال بالعراق! أما والذي نفس جرير بيده لترجعن إليهن بمير يسودهن ولا يسرهن! ثم اندفع في القصيدة فأنشدهان فنكس الفرزدق وراعي الإبل وأرَمَّ القوم (سكتوا) حتى إذا فرغ منها سار، وثبت راعي الإبل ساعة، ثم ركب بغلته بشرٍّ وعرٍّ وخلى المجلس حتى ترقى إلى مترله ثم قال لأصحابه: ركابكم، فليس لكم هاهنا مقام فضحكم والله جرير! فقال له بعض القوم، ذاك شؤمك، وشؤم ابنك، قال فما كان إلا ترحلهم قال فسرنا إلى أهلنا سيراً ما ساره أحد وهم بالشريف (في وسط نجد) وهو حي بلاد نمير وانطلقوا من البصرة بالعراق فيحلف بالله راعي الإبل انا وجدنا في أهلنا.

فغض الطرف إنك من نمير

وأقسم بالله ما بلغه إنسيٌّ قط وإنما لجرير أشياع من الجن فتشاءمت به بنو نمير وسبوه وابنه.

*　*　*

١٨٨٠-قال الشيباني: جلس المأمون (عبد الله بن هارون الرشيدي٢١٨هـ) يوماً للمظالم فكان آخر من تقدم إليه وقد هم بالقيام إمرأة عليها هيئة السفر، عليها ثياب رثة، فوقفت بين يديه وقالت: السلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فنظر المأمون إلى يحيي بن أكثم، فقال لها يحيي وعليك السلام يأمة الله، تكلمي عن حاجتك، فقالت:

ياخير منتصف يهدى له الرشد　　ويا إماماً به قد أشرق البلد

تشكو إليك عميد القوم ارملة　　عدا عليها فلم يترك لها سبد

وابتز مني ضياعي بعد منعتها　　ظلما وفرق مني الأهل والولد

فأطرق المأمون حينا ثم رفع رأسه إليها وهو يقول:

في دون ما قلت زال الصبر والجلد　　عني وقرح مني القلب والكبد

هذا أوان صلاة العصر فانصرفي　　واحضري الخصم في اليوم الذي أعد

والمجلس السبت إن يقضى الجلوس لنا　　ننصفك منه وإلا المجلس الأحد

فلما كان يوم الأحد جلس فكان أول من تقدم إليه تلك المرأة فقالت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال: وعليك السلام، أين الخصم؟ قالت: الواقف على راسك ياأمير المؤمنين وأومات إلى العباس ابنه، فقال: ياأحمد بن أبي خالد، خذه بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم، فجعل كلامها يعلو كلام العباس،فقال لها: أحمد بن أبي خالد: ياأمة الله، إنك بين يدي أمير المؤمنين، وإنك تكلمين الأمير فاخفضي من صوتك، فقال المأمون: دعها ياأحمد فإن الحق انطقها وأخرسه، ثم قضى لها برد

ضيعتها إليها، وأمر بالكتاب لها إلى العامل ببلدها أن يوغر لها(يعفيها من الخراج) ضيعتها ويحسن معاونتها وأمر لها بنفقة.

* * *

١٨٨١- حكايات الطفولة لذيذة وقد لا ينساها الإنسان حين يرى الإنسان لداته ومن هم في سنه ورفاقه في الطفولة عندما يكبر ففي يوم من أيام عيد الأضحى ذهبت لمبيعة الغنم بحي عتيقة بالرياض وعندما أوقفت السيارة ونزلت منها وإذا أنا وجهاً لوجه مع أحد رفاق الطفولة من أهل المستجدة ذلك هو عبد العزيز بن رباح الشايع وهو (تنين) لي أي كبري في السن وأخ لي من الرضاعة فقلت له: (عُزيزْ) قال: (دُحَيْم) ثم تعانقنا وخم كل منا صاحبه على صدره دقائق ثم بدأ العناق الحار والقبلات العاطفية النارية استمر هذا الموقف بضع دقائق ثم بدأ كل منا يحدق بصاحبه ويرى معالم وجهه التي تغيرت من عهد الطفولة إلى عهد الشباب ثم عهد الكهولة وقد تغيرت الوجوه بعض الشيء بما ظهر عليها من الشعر وما امتلأت به من اللحم والشحم وكانت فرصة رائعة حدثت فجأة بعد نحو من أربعين سنة من عمرينا عندما رحلنا من المستجدة، وبعد السؤال عن الأحوال والعيال وأمور الحياة الأخرى سألته: ما الذي جاء بك هنا؟ فقال: الذي جاء بك جئت لأشتري أضاحي، فقلت له : حسب علمي أن الذي عليه دين لا تقبل أضحيته حتى يوفى دينه، فقال: صحيح، ولكني ولله الحمد سليم من الدين، بل

إنني بفضل الله أَدَيِّنُ الناس الآن، والرزق عندي واسع ولله الحمد، قلت له: ولكنك مديون!! فسرح في تفكير عميق وعيناه ساهمتان حينا وجاحظتان حيناً آخر وكأنه يحاول أن يتذكر شيئاً ثم قال: من يطالبني بدين؟ قلت: أنسيت الثلاثين ليمونة التي بذمتك لي؟ فقال: ثلاثين ليمونة؟!! يقول ذلك وهو يحاول استجماع ذكرياته، قلت: نعم أنسيت قيمة عشر خرزات التي بعتها عليك؟ وهنا خبط على (كبوت) السيارة وهو يضحك ضحكة عميقة من أعماق قلبه وعيناه تدمعان وهو يقول: أما نسيتها يادُحَيْم؟!! فقلت: كيف أنسى مالي؟ فقال لي عندي لك عن كل ليمونة صندوقا من البرتقال (أبو صرة) قلت: لا أقبل لا أقبل إلا من شجرة الليمونة اللي عندكم. وكان في بستانهم شجرة ليمونة سكرية كبيرة تطلع آلاف من الثمر الذي يكون بحجم الكفين المقبوضتين معاً وكانوا رحمهم الله يوزعون ثمرها على الأهل والجيران والأصدقاء ويأكل منها العار والمار وكانت سكرية لذيذة الطعم جداً. وقصة دين الليمون أننا عندما كنا صبية ننصب الفخاخ لصيد صغار الطيور الوافد من الصعو بألوانه المختلفة والزغابر والبزابيز والعقل القبر والعصافير وغيرها ومن متطلبات الفخ خرزة صغيرة تحجز الطعم ينشب بها المطراف(فضلاً انظر كتابي نجد في الأمس القريب) تجد تفاصيل الفخ وكنا نحصل على هذا الخرز الصغير أصغر من حبة الذرة من الأرض التي سبق أن قطن فيها فئة من البادية وكان عبد العزيز في عينيه رطوبة وغير حاد النظر فيصعب عليه الحصول على الخرز وكنت أحصل على أكثر من حاجتي

فيشتري مني الخرزة الواحدة بثلاث ليمونات، ثلاث ثمار فبلغ الخرز التي اشتراها منه عشر خرزات بثلاثين ليمونة عندما يستوي ثمار ليمونتهم، وافترقنا قبل أن يوفيني الدين ومضت الأيام والأعوام إلى أن حصل هذا اللقاء وبعد ضحكات وساعة من الحبور والسرور افترقنا من ذلك المكان ولم أره مرة ثانية إلا بعد بضعة أعوام عندما تعطلت سيارتي قريباً من مترله بالمستحدة ولما رآني كاد أن يطير من الفرح وأخبرته خبر السيارة فقال: لا يهمك أمرها وأخذني بالأحضان ودخلنا مترله وأرسل للسيارة من يسحبها إلى الورشة ويصلحها وأكرمنا ذلك اليوم وتغدينا عنده على صينية كبيرة فوقها خروف كبير دعى إليها الجيران وبقيت عنده حتى آخر ذلك النهار حيث صلحت السيارة وودعته شاكراً وبعد سنة أو سنتين عملت بوفاته المفاجئة ــ رحمه الله واسكنه فسيح جناته ــ .

* * *

١٨٨٢-العديل بن الفرخ العجلي، وقد لَجَّ الحجاج بن يوسف في طلب العديل الذي لفظته الأرض ونبا به كل مكان هرب إليه، فأتى بكر بن وائل، وهم يومئذ بادون جميع، منهم بنو شيبان، وبنو عجل، وبنو يشكر، فشكا إليهم أمره، وقال لهم: أنا مقتول، أفتسلمونني هكذا وأنتم أعز العرب؟ قالوا: لا والله، ولكن الحجاج لا يراغم، ونحن نستوهبك منه، فإن أجابنا فقد كفيت، وإن حادنا في أمرك حميناك، ومنعناك، وسألنا أمير المؤمنين أن يهبك لنا، فأقام منهم واجتمعت وجوه بكر بن وائل إلى

الحجاج فقالوا له: أيها الأمير، إنا قد جنينا جميعاً جناية لا يغفر مثلها، وها نحن أولاء قد استسلمنا والقينا بأيدينا إليك، فإما إن وهبت فاهل ذلك أنت، وإما أن تعاقب فكنت المسلط الملك العادل، فتبسم وقال: عفوت عن كل جرم إلا جرم الفاسق العديل، فقاموا على أرجلهم، فقالوا: مثلك ايها الأمير لا يستثنى على هل طاعته وأوليائه في شيء، فإن رأيت الا تكدر استثناء، وأن تهب لنا العديل في أول ما تهب، قال: قد فعلت، فهاتوه قبحه الله، فلما أتوه به ومثل بين يديه أنشد يقول:

فلو كنت في سلمى أجا وشعابها ... لكان لحجاج على دليل
بني قبة الاسلام حتى كأنما ... هدى الناس من بعد الظلال رسول
إذا جار حكم الناس الجأ حكمه ... إلى الله قاض في الكتاب عقول
خليل أمير المؤمنين وسيفه ... لكل إمام صاحب وخليل
به نصر الله الخليفة منهم ... وثبت ملكا كاد عنه يزول

إلى آخر القصيدة.

* * *

١٨٨٣- بعض الأشجار تكتسي بالأوراق الكبيرة، وبعض وريقات صغيرة، وجزء من البنات لا ورق له ، وهناك أشجار أوراقها عباة عن أشواك عاسلة، لو تساءلنا عن الوظيفة التي تقوم بها أوراق الأشجار والنبات لوجدناها جزء هام من النبات، لأنها تقوم بأهم عمليتين يحتاج إليهما النبات، وهما: التغذية، والتنفس، وتتم التغذية عن طريق البناء الضوئي

حيث تمتص الورقة ثاني أكسيد الكربون وتحلله إلى قسمين: الكربون الذي يستخدم في تغذية النبات، والأكسجين الذي تطلقه تحت أشعة ضوء الشمس، أما التنفس فهو امتصاص الأكجسين من الهواء عن طريق مسام صغيرة في الأوراق، وإذا أمعنا النظر إلى الورقة لوجدناها تتكون من ثلاثة أجزاء وهي العنق وهو الذي يصل بين الورقة وغصن النبات، وبه أنابيب دقيقة تنقل الغذاء من الورقة إلى النبات ومن النبات إلى الورقة، كذلك به ألياف قوية تمسك الورقة حتى تتحمل الرياح القوية والمطر الغزير، والجزء الثاني هي العروق وهي مجموعة من الأنابيب الدقيقة وتعمل على زيادة قوة الورقة وتحملها، والجزء الثالث هو سطح الورقة الذي يوجد بين العروق، وأشكال الأوراق عديدة الأحجام والأشكال منها الأبري مثل أوراق الصنوبر، ورمحي مثل أوراق الصفصاف، وبعضها مثل ريش الطائر، مثل ورقة رماد الجبل وبعضها على شكل كف اليد مثل ورقة الجميز والتين وبعضها على هيئة القلب مثل ورق التفاح وهناك أوراق ذات حواف مسننة وأوراق ذات أوراق مستوية وغير ذلك كثير، وينتج عن النبات ما يسمى بالنَّتْحِ وهو تبخر الماء من النبات إلى الجو وتتم عملية النتح من خلال المسام الموجودة في الأوراق، يحدث أحيانا من الزهور والسيقان، والنتح نتيجة مباشرة لعملية التمثيل الضوئي في الظروف المناخية الحارة والجافة يفقد النبات من الماء أكثر مما يمتص مما يؤدي إلى ذبوله، وفي فصل الخريف مع بداية برد الشتاء تبدأ أوراق بعض الأشجار في الإصفرار وذلك لأن

"الكورفيل" يفقد لونه الأخضر وتظهر الصبغات الصفراء وتتخلص الأشجار من أوراقها وتصبح عيداناً عارية تبقى طيلة فصل الشتاء، فتبقى في حالة نوم تتجنب فيها فقدان الماء الذي بداخلها حتى إذا دخل فصل الربيع نشرت أوراقها، وبعض الأشجار لا تحت أوارقها في الشتاء وإنما تبقى عليها مثل الزيتون وبعضها تحت أوراقها في أوقات متفاوته من السنة.

* * *

١٨٨٤- من سلبيات الزواج في الماضي أن البعض يؤخرون عقد القران أو الاملاك إلى أخر لحظة حيث يتم العقد في حجرة العرس بحضور "السَّفَارَةُ" وهم الذين يرافقون العريس كما أشير إلى ذلك في فقرة سابقة إذا كانوا من قرية أخرى أو مكان آخر ، وهذا العريس وإخوته ومن معهم من السفارة قد جاءوا من قرية أخرى، وبعد أن تناولوا العشاء من وليمة العرس بعد العصر وتناول القهوة عند جيران أهل العروس بعد صلاة المغرب، وها هم الآن قد اجتمعوا بعد صلاة العشاء لعقد القران في الحجرة ليتم إدخال العروس على العريس وإذا بوالد العروس يأبى الموافقة على العقد إلا أن يحضر العريس للعروس ناقة تسمى "سَنِيْنَةْ" ومن أين للعريس الناقة في هذا الوقت ولاسيما أنه لم يسبق أن اشترطها عليهم، في هذا الوقت حاول الحضور من السفارة وأهل الخير التدخل لدى والد العروس باعفائهم من هذا لشرط، أو أن يأخذ بدلها

قيمتها، أو أن يؤجلها، فأبى وأصر إلا حضور الناقة عينا وحاضراً، وكانت الإبل موجودة عند الناس يومذاك، فذهب الأخ الأكبر للعريس إلى رجل يعرفه من أهل القرية واشترى منه ناقة واحضرها للمكان فأناخها وعقلها ، فأصر أبو العروس إلا أن توسم بوسمه فأوقدوا النار وأحميت قضبان الحديد (المخاطر) ثم وسموا الناقة كل هذا جرى والعريس ومرافقوه ينتظرون في حجرة العرس ثم تم عقد القران وخرج الناس من الغرفة وعند ذلك قال والد العروس: خذ ناقتك يافلان، فقال: كيف نأخذها وقد وسمتها بوسمك؟!!.

* * *

١٨٨٥- الطائرات التي أصبحت أساطيل جرارة وطيارة للدول والشركات والمؤسسات ومن ينظر على " النت" حول الكرة الأرضية يرى ما يبهر العقل ويعرف أن الكرة الأرضية تكاد أن تكون مغطاة بالطائرات على مدار الساعة وتتعجب كيف لا يحصل بينها اصطدام من طائرات حكومية وشركات طيران وقد سبق أن أشرت إلى ذلك في فقرة سابقة، وما يهمنا في هذا المقام هو متى دخلت الطائرات إلى سماء شبه الجزيرة العربية فكان أول ظهور لها عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م ، خلال حصار جدة فقد كانت تساند القوات المناوئة للإمام (الملك) عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ــ رحمه الله ــ فقد سقطت إحدى الطائرات ثم اسقطت الثانية وقد غنمت قوات الإمام عبد العزيز في حصار جدة ثمان

طائرات منها طائرة من طراز (DH-9) خمس من هذه الطائرات تحتاج إلى جهد كبير للإصلاح وواحدة قابلة للإصلاح والطيران لمسافات قصيرة أما الباقي فلم ينظر في إصلاحها نظراً للتكاليف المالية المترتبة على ذلك فأمر الإمام ببيعها جميعاًوشراء طائرات جديدة.

أما الطائرات المدنية فكان وصول أول طائرة مدنية قادمة من مصر بتاريخ ١٣٥٦/٩/٢٢هـ-١٩٣٧م وصل عليها سمو الأمير فهد بن فيصل بن فرحان آل سعود ــ رحمه الله إلى جدة قادماًمن مصر على طائرة أهداها طلعت حرب إلى الملك عبد العزيز استغرقت الرحلة يومين عبر خط سير من القاهرة ــ الوجه ــ رابغ جدة، والأمير فهد أول سعودي يركب الطائرة، وفي عام ١٣٦٤هـ/١٩٤٤م استقل الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ أول طائرة له من عفيف إلى الحوية بالطائف برفقة عدد من أبنائه ورؤساء القبائل وفي نفس السنة ١٣٦٤هـ/١٩٤٤م ثم حصلت المملكة على طائرة مدنية وكانت من طراز (دي-سي ٣داكوتا) واضيفت إليها فيما بعد طائرتان من نفس الطراز وفي نفس العام قام الرئيس الأمريكي (روزفلت) بإهداء أول طائرة من نوع (دي سي ٣) ذات المحرك الواحد للملك عبد العزيز ثم استمر توريد الطائرات.

* * *

١٨٨٦- قال الأصمعي: نزلت على رجل من بني هذيل فأكرمني وأطرفني بلطائف الأخبار، فكان يوم أقصر ما يكون السرور، فلما كان الليل

فرش لي موضعاً لطيفاً موطئاً ونمت وجلس، فقلت: هل بقي لك أرب في السهر؟ قال: لا، عافاك الله، ثم ودعني لما بي، فحدثت أن له شأن فأوهمته بالنوم، فقام وفتح مخدعاً فأخرج منه كلبة عليها الحرير وأطواق الذهب، فقدم لها طعاماً وشراباً، فلما اكتفت غسلها بماء الورد وبخرها بالعود، ثم مكث ساعة، ونزع ما كان عليها ورشها بالرماد والزيت وعاقبها طويلاً وهو مع الفعلتين يبكي بشهيق أخال فيه أن نفسه زهقت ثم أعاد عليها وادخلها المخدع وجلس يبكي وينشد:

أأحبا بنا لو تعلمون بحالنا ... لما كانت اللذات تشغلكم عنا
تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا ... وابديتم الهجران ما هكذا كنا
وآليتموا ألا تخونوا عهودنا ... فقد وحياة الحب خنتم وما خنا
غدرتم ولم نغدر وخنتم ولم نخن ... وحلتم عن العهد القديم وما حلنا
وقلتم ولم توفو بصدق حديثكم ... ونحن على صدق الحديث الذي قلنا

ودام على ذلك حتى طلع الفجر، فجاء يوقظني فرآني منتبهاً، فلما ودعته تفرس في وجهي كلاماً، فقال: أنشدك الله هل رأيت من حالتي شيئاً أنكرته؟قلت: اللهم نعم ، فقال: أو تحب أن أطرفك به؟ قلت:أي والله، فتنفس الصعداء، وكفكف دمعه فلم يملك أن خنقته العبرة فأرسلها وانشد:

أكفكف جفن العين والدمع سافح ... كشبه غدير فوق خدي جارياً
فياليت شعري ذا البكاء إلى متى ... وحتى متى ذا الحزن والجسم بالياً

ثم غيض دمعه، وقال: ياأخا العرب، كانت لي ابنة عم لا أملك الصبر عنها، فتزوجت بها فكانت بي أبر من أمي، وأقمنا مدة لم آل جهداً في الانفاق عليها، فتعاهدنا على عدم التفرق والاستبدال فلما أملقت (افتقرت) أنفة مني فأخذت في التحامل والتجنب فقلت لها: ماذا تريدين؟ قالت: أو فاعل أنت ما أقول؟ قلت: نعم، قالت: تطلقني، فخامرني حبها فقلت: قد فعلت فاعتزلتني، وعاودني القلق فألمت طويلاً، وجئت وشكوت إليها ذلك، وذكرتها العهود والمواثيق، فطيبت نفسي، فحلفت أنها لا تتزوج ولا تتزين لغيري، فقمت وجئتها يوماً فوجدتها على أحسن ما يكون من أنواع الزينة فكلمتها فلم تجب، فسألت: فقيل لي تزوجت، فحلفت لها أن لا آخذ بدلها للبسها وزينتها التي عندي إلا كلبة، وفعلت فأنا الآن أمثلها بتزيين هذه الكلبة، وأذكر عذرها فأسليها وأعافيها كما رأيت. فقلت: هل وقع بينكما بعد ذلك مراسلات، قال: نعم، قد كلفها الذي تزوج بها شططاً وسلمها نقصاً، فندمت، فراسلتني فلم أجب مع أنه لم يكن على البسيطة أعز علي منها ولكنها الغيرة تمنعني. قال الأصمعي فلم أر أغرب منها قصة.

* * *

١٨٨٧- من غرائب وعجائب تقاليد الشعوب، ففي تايلاند تتكفل العروس بكل شيء بدءاًمن ملابس الزواج لها ولعريسها وحتى تجهز مترل الزوجية بكل متطلباته، وفي اندونسيا بجاوى تستضيف العروس عريسها

ثلاثة أشهر تسعين يوماً وهي شهور العسل في بيت والدها، ولا يسمح للعريس في أقل شيء خلالها وعليه فقط أن يعيش مع عروسه ولا يفكر إلا في إسعادها، وعندنا في منطقة حائل قبل خمسين سنة ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م كان العريس يبقى في بيت أهل العروس أسبوعاً كاملاً للبكر وثلاثة أيام للعروس الثيب معززاً مكرماً في حفاوة أهل العروس وجيرانهم، وفي أوروبا بقيت في العصور الوسطى كان الناس يظنون أن الذي يتعب في جسم الإنسان هو الأقدام لذلك كانوا يقومون بوضع الوسائد تحت الأقدام بدلاً من وضعها تحت رؤوسهم وبالتالي فإن الأقدام هي الأحق بالراحة أما الرؤوس فإنها لا تتعب حيث تبقى مرمية على الفراش سبحان مقلب المفاهيم.

* * *

١٨٨٨- عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وأمها ميمونة بنت الحضرمي كانت زوجة عبد الله بن الخليفة أبي بكر بن قحافة ــ رضي الله عنه ــ فأحبها وربما ترك صلاة الجماعة من أجلها، فأمره أبوه أبو بكر الصديق بطلاقها وقال: " قد فتنتك عن دينك وشغلتك عن معيشتك" فطلقها، وقال:

ولم أرى مثلي طلــق اليــوم مثلــها ... ولا مثلــها في غــير جــرم تطلــق

لهــا خلــق سمــح ورأى ومنصــب ... وخلــق ســوي في الحيــاء ومصــدق

أعاتك لا أنساك مــا هبــت الصَّـبَا ... وما نــاح قمــري الحمــام المطــوق

أعاتك ما أنساك ما حج راكب | وما لاح نجم في السماء محلق
أعاتك قلبي كل يوم وليلة | إليك بما تخفي النفوس معلق
ولولا تقاء الله في حق والد | وطاعته ما كان منا التفرق

فبلغ أبو بكر شعره فراجعها وكانت عنده حتى مات شهيداً أصابه سهم في حصار الطائف فانتقض به جرحه فمات فقال لعاتكة حين احتضر، لك حديقة من مالي ولا تزوجي ففعلت ذلك، وحين راجعها قال:

أعاتك قد طلقت عني بغضة | وراجعت للأمر الذي هو كائن
كذلك أمر الله غادٍ ورائح | على الناس فيه الفة وتباين
وقد كان قلبي للتفرق طائراً | وقلبي لما قد قرب الله ساكن
أعاتك إني لا أرى فيك سقطة | وانك قد حلت عليك المحاسن
وأنك ممن زين الله أمره | وليس لما قد زين الله شائن

فمات عبد الله وترك سبعة دنانير فقال أبو بكر:إنا لله، كيف يصبر ابني على سبع كيات (يعني جزاءه على ما اكتنز من الدنانير السبعة) ــ (فأين هو ممن يتركون مئات المليارات من الدولارات اليوم) ــ ، فلما مات قالت عاتكة:

فجعت بخير الناس بعد نبيهم | وبعد أبا بكر وما كان قصرا
فآليت لا تنفك عيني سخينة | عليك ولا ينفك جلدي أغبرا
مدى الدهر ما غنت حمامة أيكة | وما طرد الليل الصباح المنورا
فلله عينا من رأى مثله فتى | أكرَّ وأحمى في الجهاد وأصبرا
إذا شرعت فيه الأسنة خاضها | إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرا

١٨٨٩- قال الحرمازي وخالد بن جمل: كانت إمرأة من موالي بني زهرة يقال لها"بُرَيْكَةُ" من أظرف النساء وأكرمهن، وكان لها زوج من قريش له دار ضيافة، فلما طالت علة قيس بن ذريح قال له أبوه: إني لأعلم أن شفاك الله في القرب فارحل إلى المدينة، فرحل إليها حتى أتى دار الضيافة التي لزوج بريكة، فوثب غلمانه إلى رحل قيس ليحطوه فقال: لا تفعلوا فلست نازلاً أو آتى بريكة فإني قصدتها في حاجة، فإن وجدت لها عندها موضعاًنزلت بكم وإلا رحلت، فأتوها فأخبروها، فخرجت إليه فسلمت عليه ورحبت به وقالت: حاجتك مقضية كائنة ما كانت، فانزل، فنزل ودنا منها فقا: أذكر حاجتي؟ قالت: إن شئت، قال: أنا قيس بن ذريح، قالت حياك الله وقربك! إن ذكر الجديد في كل وقت، قال: وحاجتي أن أرى لبنى نظرة واحدة كيف شئت، قالت: ذلك لك على، فنزل بهم وأقام عندها، وأخفت أمره، ثم أهدى لها هدايا كثيرة، وقال: لاطفيها وزوجها حتى يأنس بك، ففعلت وزارتها مراراًثم قالت لزوجها: أخبرني عنك، أنت خير من زوجي؟ قال: لا ، قالت: فلبنى خير مني؟ قال: لا، قالت: فما بالي أزورها ولا تزورني؟ قال: ذلك إليها، فأتتها وسألتها الزيارة، وأعلمتها أن قيسا عندها، فتسارعت إلى ذلك وأتتها، فلما رآها ورأته بكيا حتى كادا يتلفان، ثم جعلت تسأله عن خبره وعلته فيخبرها، ويسألها فتخبره ثم قالت: ما قلت في علتك فأنشدها قوله:

أعالج من نفسي بقايا حشاشة   على رمق والعائدات تعود

فإن ذكرت لبنى هششت لـذكرها ... كما هـش للشـدي الـدرور وليـد
أجيـب بلـبنى مـن دعـاني تجلـداً ... وبي زفـرات تنجلـي وتعـود
يعيـد إلى روحـي الحيـاة وإنـني ... بنفسـي لوعـا ينـتني لأجـود
ألا ليـت أيامـاً مضـين تعـود ... فـإن عـدن يومـاً إنـني لسـعيد
سقى دار لبنى حيث حلت وخيمـت ... مـن الأرض منـهل الغمـام رعـود
على كل حال إن دنت أو تباعـدت ... فـإن تـدن منافـا لـدنو مزيـد
فلا اليأس يسليني ولا القـرب نـافعي ... ولـبني منـوع مـا تكـاد تجـود
كـأني مـن لـبني سـليم مسـهد ... يظـل علـى أيـدي الرجـال يميـد
رمـتني لـبين في الفـؤاد بسـهمها ... وسـهم لبـينى للفـؤاد صـيود
سلى كل ذي شجو علمت مكانـه ... وقلـبي للـبني مـا حييـت ودود
وقائلة قـد مـات أو هـو ميـت ... وللـنفس مـني أن تفـيض رصـيد

* * *

١٨٩٠- الخطوط الجوية العربية السعودية الوحيدة في الوقت الراهن (وإن كان المتكلم باسمها في كل رحلة يقول جهلاً نشكركم على اختياركم للسعودية!! وهل هناك غيرها حت نختارها، بل إن المسافرين مجبرين عليها). وقد بلغ عدد طائرات اسطولها العشرات إن لم يكن المئات وكان مجموع طائراتها عام ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م عشرين طائرة عشر طائرات منها من طراز (دوجلاس) وخمس من طراز (برستول) وخمس من طراز(دوجلاس ٤) ثم بدأ التطور فيها واستيراد طائرات أحدث من

الأولى فدخلت كما أذكر طائرات (الكونفير) ذات الأربع محركات وداكوتا التي ركبتها وسافرت بها عدة مرات، وكل هذه الطائرات المذكورة من ذوات المحركات، قبل أن يدخل الطيران النفاث بدون مراوح ظاهرة ويعمل على (التوربين) فدخلت عدة طرازات أذكر منها ٧٣٧ ، ٧٢٧، ٧٤٧، ونوع (ترايستار) وغيرها وكانت السعودية هي الناقل الوحيد داخل المملكة ثم دخلت معها الخدمة في الداخل خطوط "ناس " و"الفرسان" فترة قصيرة ثم انسحبتا من الخدمة في الداخل واتجهتا إلى الخدمة في الخارج، ومع كثرة استخدام الناس للطيران بدأت الوسائط الأخرى لم تستطع "السعودية" تغطية الطلب المتزايد بالإضافة لكونها الناقل الوحيد فإنها، استطاعت أن تحتكر عملية النقل وهي مطمئنة أنها لا منافس لها ولهذا تدنت خدماتها وتضايق الناس من كثرة مما طلاتها وتأخر مواعيدها وقد حصل لي فيها عدة مرات ذقت فيها ثقل ساعات الانتظار الطويلة مرة في مطار دمشق الرياض ومرة في حائل إلى الرياض ومرة في الرياض ومرة في الرياض إلى حائل وفي كل مرة نجلس أكثر من ١٢ ساعة في الانتظار وسمعت عن رحلات لمناطق أخرى مثل أبها وجازان ونجران وغيرها الكثير من المآسي والانتظار وخاصة في المناطق النائية في الشمال حائل وتبوك ورفحا والجنوب أبها ونجران وجازان وشرورة وغيرها، ثم قرأت في الصحف أن هناك أحد الخطوط الخليجية سوف تدخل المنافسة مع "السعودية"في الداخل وأنه قد تَمَّ ترشيح الخطوط القطرية للدخول في هذا المجال فعسى أن يكون في ذلك

خير ليرتفع عن المواطنين ما يعانونه من خدمات "السعودية" ولا سيما من لديهم مرضى أو مواعيد لمراجعة الأطباء بالرياض والتي تمتد إلى الشهور فإذا وصل الموعد وتأخرت الرحلة التي حجز عليها أوالغيت فضاع على المريض موعده واضطر إلى الانتظار شهور أخرى وربما تضاعف به المرض قبل أن يأتي الموعد الآخر وعسى الله أن يريد بنا خيراً.

*　　*　　*

١٨٩١– قال وهب بن ناجية الرصافي: كنت ممن وقعت عليه التهمة في مال مصر أيام الواثق (الخليفية العباسي) فطلبني السطان طلبا شديداً، حتى ضاقت على الرصافة وغيرها، فخرجت إلى البادية مرتاداً رجلاً عزيز الدار، منيع الجار، وأعوذ به وأنزل عليه، فبنما أنا أسير إذا رأيت خياماً، فعدلت إليها، فملت إلى بيت منها مضروب وبفنائه رمح مركوز، وفرس مربوط، فذنوت فسلمت، فرد علي نساء من وراء السجف وقالت لي إحداهن: إطمئن يا حضري فنعم مناخ الضيفان بوأك القدر، ومهدك السفر، فقلت: وأني يطمئن المطلوب، أو يأمن المرعوب، من دون أن يأوي إلى جبل يعصمه، أو مأمن أو مفزع يمنعه! وقليلاً ما يهيج من السلطان طالبه، والخوف غالبة! قالت: لقد ترجم لسانك عن ذنب عظيم وقلب صغير، وأيم الله لقد حللت بفناء رجل لا يضام بفنائه أحد، ولا يجوع لساحته كبد، هذا الأسود بن قنان الشيباني أخواله كعب

وأعمامه شيبان، صعلوك الحي في ماله، وسيدهم في حالة، وسندهم في فعاله، صدوق الجوار وقود النار، وبهذا وصفته أمامة بنت خزرج حيث تقول:

إذا شئت أن تلقي فتى لو وزنته بكل معدي وكل يماني
وفي بما فضلا وجوداً وسؤدداً ورأيا فذاك الأسود بن قنان
فتى لا يرى في ساحة الأرض مثله ليوم ضراب أو ليوم طعان

قال: فقلت يا جارية وأنى لي به! فقالت: يا خادم مولاك! فلم تلبث أن جاءت وهو معهما في جماعة من قومه، وقال: أي المنعمين علينا أنت؟ فسبقتني المرأة وقالت:هذا رجل نبت به أوطانه وأزعجه زمانه، وأوحشه سلطانه، وقد ضمنا له ما يضمن لمثله على مثلك، قال: بَلَّ الله فاك، أشهدكم يا بني عمي أن هذا الرجل في جواري وفي ذمتي؟، فمن آذاه فقد آذاني ومن كاده فقد كادني، وأمر ببيت فضرب لي إلى جانبه وقال: هذا بيتك وأنا جارك، وهؤلاء رجالك فلم أزل بينهم في خفض وسعة إلى أن سرت عنهم.

* * *

١٨٩٢- تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها أول من قال هذا المثل الحرث بن سليل الأسدي، وكان حليفا لعلقمة بن خصفة الطائي، فزاره ونظر إلى ابنته الزباء، وكانت من أجمل أهل دهرها، فأعجب بها، فقال له: أتيتك خاطبا، وقد ينكح الخاطب ويدرك الطالب ويمنح الراغب، قال: فأقم

ننظر في أمرك ثم انكفأ إلى أمها فقال: إن الحرث من سليل الأسدي سيد قومه حسباً ومنصباًوبيتاًوقد خطب إلينا الزباء فلا ينصرفن إلا بحاجته، فقالت امرأته لابنتها: أي الرجال أحب إليك؟ الكهل الحجاج، الواصل المناح، أم الفتى الوضاح؟ قالت: لا ، بل الفتى الوضاح، قالت: إن الفتى يغيرك، وإن الشيخ يميرك، وليس الكهل الفاضل الكثير النائل، كالحدث السن الكثير المن، قالت: ياأمتاه، إن الفتاة تحب الفتى كحب الرعاء أينق الكلأ، قالت: أي بنية إن الفتى شديد الحجاب، كثير العتاب، قالت: إن الشيخ يبلي شبابي، ويدنس ثيابي، ويشمت بي أترابي، فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها، فتزوجها الحرث على مئة وخمسين من الإبل وخادم وألف درهم، فابتني بها، ثم رحل بها إلى قومه. فبينما هو ذا يوم جالس بفناء قومه وهي إلى جانبه، إذا أقبل إليه شباب من بني أسد يعتنجون (يتمازحون ويتعاركون) فتنفست الصعداء ثم أرخت عينيها بالبكاء، فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت: مالي وللشيوخ الناهضين كالفروخ، فقال لها: ثكلتك أمك، تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها، فالحقي بأهلك فلا حاجة لي فيك، وقال:

تهزأت إن رأتني لابساً كبراً ... وغاية الناس بين الموت والكبر

فإن بقيت لقيت الشيب راغمة ... وفي التعرف ما يمضي من العبر

وإن يكن قد علا رأسي وغيره ... صرف الزمان وتغيير من الشعر

فقد أروح للذات الفتى جذلاً ... وقد أصيب بها عِيْناً من البقر

عني إليك فإني لا توافقني ... عور الكلام ولا شرب على الكدر

* * *

١٨٩٣- ما إن بلغ الملك عبد العزيز ـــ رحمه الله ـــ منتصف مشواره الطويل في عام ١٣٣٠هـ/١٩١١م ورأى تموجات القبائل ورحلاتهم وتزعزعهم فلا يكاد يضمهم مكان ويضمن ولاءهم حتى ينتقلون إلى مكان آخر، ومتى سنحت فرصة مادية مؤاتية أسرعوا في اهتبالها عند ذلك أمر في عام ١٣٣٠هـ بتوطين البادية بهدف تأمين حياة مستقرة لهم والقضاء على الفكرة القائمة على الغزو الدائم والسلب والنهب والفوضى الداخلية بين أهل البادية بسبب تنقلهم الدائم من مكان إلى آخر بحثاً عن الكلأ والماء، ونادى رؤساء القبائل ووجهائها بأن على كل قبيلة من القبائل أن تطلب المياه والمواردالموجودة في أراضيها بحيث تكون نواة نقطة تحضر، واختار لها اسم "هجرة" تمشيا مع مفهوم الاخوان المحيطين به والذين يساعدونه يومذاك وتبعا لذلك نشأت هجرة الغصغط ، والارطاوية وغيرهما، وصار يحق لكل من شارك الامام عبد العزيز من الاخوان من الرجال المرموقين أن يطلب من الامام أن يعطيه موضعاً أو مورداً في أرض قبيلته ليكون له ولجماعته يبعثون به هجرة لهم وذلك في خطوتين رئيستين، أولهما إلهاء أبناء البادية بأعمال الفلاحة وربطهم بالأرض واشعارهم أنهم اصبحوا من جملة الحضر، وثانيهما القضاء على روح التعصب القبلي والميل إلى التحضر والتدين وإشعارهم أنهم أصبح لهم بلد أو ديرة، بعد أن كانوا يسبحون في نطاق أراضيهم وغيرها دون

أن يكون لهم موضع قدم ، وبناء على هذه الخطوة قامت عشرات بل مئات من الهجر التي تطورت فيما بعد إلى قرى ثم إلى بلدات ومما أعرف في منطقة حائل من هذه الهجر و القرى والبلدات.

١- البَعَايثْ: أعطاها الملك عبد العزيز عام ١٣٤٤هـ للشيخ رباح بن مطلق الحربي وجماعته.

٢- البَلاَّزِيَّة: أعطاها الملك عبد العزيز عام ١٣٤٢هـ للشيخ عبد الرحمن بن مناكد بن معيتق العتري وجماعته.

٣- التِّيمْ: أعطاها الملك عبد العزيز للشيخ فريح بن عمار الحمزي الشمري وجماعته.

٤- حَفْيَرة ابن سُوَيْلَمْ: أعطاها الملك عبد العزيز للشيخ عيد بن سويلم العتري وجماعته.

٥- الحُلَيْفَةُ العليا: أعطاها الملك عبد العزيز للشيخ نافع بن شميلان الرشيدي وجماعته.

٦- الخِبَّة: أعطى مواتها الملك عبد العزيز للشيخ فريح بن عساف الهربيد الشمري وجماعته.

٧- خَنَقَةُ الرُّمَاحِي: أعطاها الملك عبد العزيز عام ١٣٤٣هـ للشيخ حجي بن مليح الرماحي الشمري وجماعته.

٨- روض ابن هادي: اعطاها الملك عبد العزيز للشيخ غازي بن قلادان الرشيدي وجماعته.

٩- الزُّبَيْرةْ: أعطاها الأمير عبد العزيز بن مساعد بن جلوى للشيخ ذعار بن سعدي الحربي وجماعته.

١٠- سقَف: أعطاها الملك عبد العزيز للغيثة من شمر.

١١- شبرية الصفراء أعطاها الأمير عبد العزيز بن مساعد بن جلوي للشيخ عبد الرحمن بن مناكد بن معيتق العتري وجماعته.

١٢- الصَّهَوَةُ: أعطاها الملك عبد العزيز للشيخ مُنِّزل بن صايل الخريصي الشمري وجماعته.

١٣- ضُرَيْغِظْ: أعطاها الملك عبد العزيز للشيخ دليم بن قاسم بن براك الرشيدي وجماعته.

١٤- العجاجة: أعطاها الملك عبد العزيز للشيخ مريخان بن طريس الحربي وجماعته.

١٥- العُظَيْم: أعطاها الملك عبد العزيز للشيخ جذيل بن فارس بن لغيصم الشمري وجماعته.

١٦- عِقْلَة ابن جبرين: أعطاها الملك عبد العزيز للشيخ ملبس بن هجرس بن جبرين الشمري وجماعته.

١٧- عقلة اللبن: أعطاها الملك عبد العزيز عام ١٣٤٣هـ للشيخ فحاس بن سبهان العتري وجماعته.

١٨- فيضة ابن سويلم أعطاها الملك عبد العزيز عام ١٣٤٤هـ للشيخ جرييع بن سويلم العتري وجماعته.

١٩- فيضة أثقب: أعطاها الملك عبد العزيز عام ١٣٤٣هـ للشيخ محسن بن صوياي الرشيدي وجماعته.

٢٠- مراغان أعطاها الملك عبد العزيز عام ١٣٤٣هـ للشيخ ناهس بن فديغم الرشيدي وجماعته.

٢١- الوهيبية أعطاها الملك عبد العزيز للشيخ مبارك بن عمير العتري وجماعته وغير ذلك كثير غير ما أعرف.

* * *

١٨٩٤- ترى الفتيان كالنخل وما أدرك ما الدخل، أول من قال هذا المثل عُثْمَةُ بنت مطرود البجيلية، وكانت ذات عقل ورأي في قومها، وكان لها أخت يقال لها خَوْدْ، وكانت ذات جمال وميسم وعقل، وأن سبعة إخوة غلمة من بطن الأزد خطبوا خوداً إلى أبيها، فأتوه وعليهم الحلل اليمانية، وتحتهم النجائب الفره (جمع فاره وهو الطويل) فقالوا: نحن بنو مالك بن غفيلة ذي النحيين، فقال لهم: انزلوا على الماء، فنزلوا ليلتهم، ثم أصبحوا غادين في الحلل والهيئة ومعهم رَبِيَّةٌ لهم يقال أنها الشعثاء كاهنة، فمروا بوصيدها يتعرضون لها وكلهم وسيم جميل، وخرج أبوها فجلسوا إليه فرحب بهم، فقالوا: بلغنا أن لك بنتا، ونحن كما ترى شباب، وكلنا يمنع الجانب، ويمنح الراغب، فقال أبوها: كلكم خيار فأقيموا نرى رأينا ثم دخل على ابنته فقال: ما ترين؟ فقد أتاك هؤلاء القوم، فقالت: انكحني على قدري ولا تشطط في مهري، فإن تخطئني أحلامهم لا

تخطئني أجسامهم، لعلّيْ أصيب ولداً، وأكثر عدداً، فخرج أبوها فقال: أخبروني عن أفضلكم، قالت ربيبتهم الشعثاء إسمع أخبرك عنهم، هم إخوة وكلهم أسوة، أما الكبير فما لك جرئ فإتك، يتعب السنابك (الخيل) ويستصغر المهالك، وأما الذي يليه، فالغمر، بحر غمر، بقصر دونه الفخر، نهد صقر، وأما الذي يليه فعلقمة صليب المعجمة، (المكسر)منيع المشتمة، قليل الجَمْجَمَةْ (التردد) واما الذي يليه فعاصم سيد ناعم، جلد صارم، حازم، جيشه غانم، وجاره سالم، وأما الذي يليه فثواب، سريع الجواب، عتيد الصواب، كريم القصاب، كليث الغاب، وأما الذي يليه فمدرك، بذول لما يملك، عزوب عما يترك، يغني ويهلك، وأما الذي يليه فجندل، لقرنه (خصمه) مجندل مقل لما يحمل يعطي ويبذل وعن عدوه لا ينكل (يتأخر) فشاورت خود أختها فيهم فقالت عثمة: ترى الفتيان كالنخل وما أدراك ما الدخل" أسمعي مني كلمة: إن شر الغريبة يعلن، وخيرها يدفن انكحني في قومك ولا تغررك الأجسام فلم تقبل منها، وبعثت إلى ابيها أنكحي مدرك، فأنكحها أبوها على مئة ناقةورعاهًا وحملها مدرك فلم تلبث عنده إلا قليلاً حتى صبحهم فوارس من بني مالك بن كنانة فاقتتلوا ساعة ثم إن زوجها وإخوته وبني عامر أنكشفوا (هزموا) فسبوها فيمن سبوا، فبينما هي تسير بكت، فقالوا ما يبكيك؟ أعلى فراق زوجك؟ قالت: قبحه الله، قالوا: لقد كان جميلاً قالت: قبح الله جمالاً لا نفع معه، إنما أبكي على عصياني أختي وقولها: ترى الفتيان كالنخل وما يدرك ما الدخل،

وأخبرهم كيف خطبوها قال لها رجل منهم يكني أبا نواس شاب أسود أفوه (مفتوح الفم) مضطرب الخلق أترضين بي على أن امنعك من ذئاب العرب؟ (أحميك) فقالت لأصحابه: أكذلك هو؟ قالوا: نعم، إنه مع ما ترين يمنع الحليلة (الزوجة) (يدافع عنها) وتنقيه القبيلة، قالت: هذا أجمل جمال وأكمل كمال قد رضيت به فزوجوها منه.

* * *

١٨٩٥- قال الحارث بن خالد المخزومي: بلغني أن الغريض خرج مع نسوة من أهل مكة من أهل الشرف ليلاً إلى بعض المتحدثات من نواحي مكة، وكانت ليلة مقمرة فاشتقت إليهم وإلى مجالسهن وأحادثيهن، وخفت على نفسي لجناية كنت أطالب بها، وكان عمر بن ابي ربيعة مهيبا معظما لا يقدم عليه سلطان ولا غيره، وكان مني قريبا، فأتيته فقلت له: إن فلانة وفلانة وفلانة حتى سميتهن كلهن قد بعثني وهن يقرأن عليك السلام، وقلن تشوقن إليك في ليلتنا هذه لصوت أنشدناه فويسقك الغريض (مغني) وكان الغريض يغني هذا الصوت فيجيده، وكان ابن أبي ربيعة به معجبا وكان كثيراً ما يسأله الغريض أن يغنيه وهو قوله:

أمسى بأسماء هذا القلب معموداً إذا أقول صحا يعتاده عيداً

كأن أحور من غزلان ذي نفر أهدي لها شبه العينين والجيدا

قامت تراءى وقد جد الرحيل بنا لتنكأ القرح من قلب قد اصطيدا

كـــأنني يـــوم أمســـي لا تكلمـــني   ذو بغية يبتغـــي مـــا لـــيس موجـــودا
أجري على موعد منـــها فـــتخلفني   أو أن أصادف مـــن تلقائهـــا جـــودا
فلـــيس تبـــذلي عفـــواً فأكرمهـــا   من أن ترى عندنا في الحرص تشـــديداً

فلما أخبرته الخبر قال: لقد أزعجتني في وقت كانت الدعة أحب فيه إليّ، ولكن صوت الغريض وحديث النسوة ليس له مُتَّرك ولا عنة محيص؟، فدعا بثيابه فلبسها وقال: إمض فمضينا نمشي العجل حتى قربن منهن فقال عمر: خفض عليك مشيك ففعلت، حتى وقفنا عليهن وهن في أطيب حديث وأحسن مجلس فسلمنا فتهيبننا وتحفزن منا فقال الغريض لا عليكن!هذا ابن أبي ربيعة والحارث بن خالد جاءا متشوقين إلى حديثكن وغنائي؟، فقالت: فلانة: وعليك السلام يا ابن أبي ربيعة، والله ما تم مجلسنا إلا بك، إجلسا، فجلسنا غير بعيد، وأخذن عليهن جلابيبهن وتقنعن بأخمرهن وأقبلن علينا بوجوههن وقلن لعمر: كيف أحسست بنا وقد أخفينا أمرنا؟ فقال: هذا الفاسق جاءني برسالتكن وكنت وقيذاً من علة وجدها (الوقيذ المريض) فأسرعت الاجابة ورجوت منكن حسن الاثابة، فرددن عليه قد وجب أجرك ولم يخب سعيك، ووافق منا الحارث إرادة فحدثهن بما قلت من قصة غناء الغريض، فقالت النسوة ما كان ذلك كذلك وقد نبهتنا على صوت حسن يا غريض هاته، فاندفع الغريض يغني ويقول:

أمسى بأسماء هذا القلـــب معمـــوداً   إذا أقـــول صـــحا يعتـــاده عيـــداً

حتى أتى على الشعر كله إلى آخره، فكل استحسنه وأقبل علي ابن أبي ربيعة فجزاني الخير، وكذلك النسوة فلم نزل بأنعم ليلة وأطيبها حتى بدأ القمر يغيب فقمنا جميعاً فأخذ النسوة طريق ونحن طريقا آخر.

*   *   *

١٨٩٦- ليتصور القارئ الكريم أن ثلاثمائة رجل أعمى كل واحد منهم يتوكأ على عصاه دخلوا في صالة كبيرة أو بهو واسع واختلفوا وانقسموا إلى قسمين وتضاربوا بعصيهم فصار كل واحد يخبط بعصاه ولا يدري من يصيب أهو من حزبه أو من مناوئيه، تصور حركة تلك العصيان المصحوبة بالصراخ والعويل والأصوات المتتالية والمتقاطعة كيف يكون هذا المشهد؟ ليس هذا من التصور والخيال وإنما هو ما حدث فعلاً. فقد ذكره المؤرخ والشاعر أسامة بن منقذ الكناني رحمه الله الذي عاش في سيزر إلى الشمال الغربي عن حماة من بلاد الشام من ٤٨٨- ٥٨٤هـ حين قال: حضرت بدمشق وقد وقع بين العميان وبين رجل كان يتولى وقفهم يعرف بابن البعلبكي خلف،فلقوا فيه صاحب دمشق شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بوري رحمه الله عدة مرار، فقال للأمير مجاهد الدين بوزان بن مامين: تالله خلصني منهم واجمعهم وأحضر نائبهم في الوقف وأفصل حالهم، فقال: السمع والطاعة، قال لي مجاهد الدين تفضل واحضر معنا، فاجتمعنا في إيوان كبير في دار وحضر النائب ابن البعلبكي نائب كان قبله يقال له: ابن الفراش، وحضر

العميان في نحو ثلاثمائة رجل، فملوا باقدامهم ودخلوا الايوان كل واحد وعصاه معه في يده، وضعها إلى جنبه ثم تحاوروا الحديث، فكان بعضهم مع النائب الأول ابن الفراش وبعضهم هواه مع ابن البعلبكي فتنازعوا وتخاصموا ساعة ولا يتدخل بينهم لعلو اصواتهم وكثرتهم، ثم تواثبوا في الإيوان نحوٌ من ثلاثمائة عصا في أيدي العميان لا يدرون من يضربون، وعلا الضجيج والصياح حتى ندمت على حضوري فتلطفنا الأمر حتى سكنت الفتنة بينهم ومَشَّيا أمرهم على ما أرادوا، وما صدقنا أنهم ينصرفون.

* * *

١٨٩٧– الثلج الذي يبرد الماء قبل وجود الثلاجات والمبردات والمجمدات في كل بيت يعتبر حدثا مهما خاصة في فصل الصيف وبالأخص في المناطق الحارة مثل مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة وجازان وغيرها في المنطقة الغربية والساحلية الغربية ومثل ذلك مدن الساحل الشرقي كالدمام والخبر ورأس تنورة والجبيل وغيرها هذه المدن من الصعب فيها شرب الماء في الصيف بالذات إلا بعد تبريده بالثلج في الزمن السابق ولأهمية هذا الموضوع فقد قام ولي العهد في ذلك الوقت الأمير سعود بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله بتاريخ ١٣٧١/٨/٢٢هـ ١٩٥١م بافتتاح أول مصنع للثلج بالرياض وقبل هذا التاريخ فقد افتتح مصنعا لتبريد المياه التي يشربها الحجاج في الموسم،هذا الأمر الحيوي والمهم جداً الذي جعل

كبار السئولين يتولون افتتاحه لهو من الأهمية بمكان، وبعد ذلك كثرت مصانع الثلج في كل المدن وأصبح اقبال الناس شديداً على الثلج خاصة في رمضان عند الافطار، حيث يحتاج الصائمون إلى الأفطار بالماء البارد وتبريد المشروبات التي تعد على مائدة الافطار، وإني لأذكر أننا نبادر في رمضان إلى سيارات بيع الثلج في آخر الليل أو الصباح الباكر لكي نحصل على قالب أو قالبين من الثلج ولا يمكن أن يستغني بيت من البيوت صغير أو كبير عن الثلج وخاصة في السنوات التي يأتي رمضان فيها بأشهر الحر، حزيران (جون) وتموز (جولاي) وآب (اغسطس) وايلول (سبتمبر) هذه الأشهر الأربعة التي يستمر فيها رمضان في وقت الحر حوالي ثلاثين سنة في كل دورة من دورات الزمن ثم وردت الثلاجات والمجمدات (الفريزرات) ودخلت كل بيت فخفت حاجة الناس للثلج لوجودها حيث يبرد أهل كل بيت ما يحتاجونه من الماء البارد وما يبرد من المشروبات التي يحتاجونها عند الافطار بالاضافة إلى الثلاجات التي تبرد ما فيها من المشروبات والأطعمة والفواكه والتمور والخضار وغيرها بالاضافة إلى البرادات الخاصة بالماء والمبردات الخاصة بالفواكه والتمور، وإني لأذكر أن أول ثلاجة اشتريتها بالتقسيط عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م حجمها خمسة أقدام وقيمتها يومذاك ٦٠٠ ريال دفعت منها ١٠٠ ريال والباقي أقساط كل شهر مئة في هذه الثلاجة الصغيرة نضع اللحمة وبعض الخضار والفاكهة وجوالين صغيرة معبأة بالماء للشرب وبقيت عندي نحو خمس سنوات حتى اشتريت ما هو

أكبر منها والحمد لله رب العالمين الآن في بيتي أكثر من عشر ثلاجات في الغرف ومجمدات وبرادات ماء كبيرة وصغيرة.

* * *

١٨٩٨- قال ابراهيم الموصلي: أتيت الفضل بن يحي (البرمكي) يوماً فقلت له: يا أبا العباس، جعلت فداك! هب لي دراهم فإن الخليفة قد حبس يده، فقال: ويحك يا أبا اسحاق! ما عندي مال أرضاه لك، ثم قال: هاه! إلا أن ها هنا حضلة أتانا بها رسول صاحب اليمن فقضينا حوائجه ووجه إلينا بخمسين ألف دينار يشتري لنا بها محبتنا، فما فعلت ضياء جاريتك؟ قلت عندي جعلت فداك! قال: فهوذا أقول لهم يشترونها منك، فلا تنقصها عن خمسين الف دينار فقبلت رأسه ثم انصرفت فبكر على رسول صاحب اليمن ومعه صديق لي فقال: جاريتك فلانه عندك؟ فقلت عندي، فقال: أعرضها علي، فأخرجتها، قال: بكم؟ قلت بخمسين الف دينار ولا انقص منها ديناراً واحداً وقد أعطاني بها الفضل بن يحي أمس هذه العطية فقال لي: أريدها له فقلت له: أنت أعلم إذا اشتريتها فصيرها لمن شئت فقال لي: هل لك في ثلاثين ألف دينار مسلمة لك؟ قال: وكان شراء الجارية على اربعمائة دينار ، فلما وقع في اذني ذكر ثلاين الفا ارتج على ولحقني زمع (شبه رعدة) وأشار على صديقي الذي معه بالبيع، وخفت والله أن يحدث بالجارية حدث أوبي، أو الفضل بن يحي فسلمتها وأخذت المال، ثم بكرت على الفضل بن

يحي فإذا هو جالس لوحده، فلما نظر إليّ ضحك ثم قال: يا ضيق الحوصلة (التسرع)حرمت نفسك من عشرين الف دينار فقلت له: جعلت فداك! دع عنك هذا فوالله لقد دخلني شيء أعجز عن وصفه، وخفت أن تحدث لي حادثة أو بالجارية أو بالمشتري أو بك، أعاذك الله من كل سوء فبادرت بقبول الثلاثين الف دينار، فقال: لا ضير، يا غلام جئ بالجارية فجاء بجاريتي بعينها فقال: خذها مبارك لك فيها فإنما أردنا منفعتك ولم نرد الجارية فلما نهضت قال لي: مكانك: إن صاحب أرمينية قد جاءنا فقضينا حوائجه ونفذنا كتبه، وذكر أنه قد جاءنا بثلاثين الف دينار يشترى لنا بها ما نحب فاعرض عليه جاريتك ولا تنقصها عن ثلاثين الف دينار، فانصرف بالجارية، وبكر إليّ رسول صاحب أرمينية ومعه صديق لي آخر، فقاولني ساومني بالجارية فقلت لست انقصها عن ثلاثين الف دينار، فقال لي معي على الباب عشرين الف دينار تأخذها مسلمة بارك الله لك فيها فدخلني والله مثل الذي دخلني في المرة الأولى وخفت مثل خوفي الأول فسلمتها وأخذت المال وبكرت على الفضل بن يحي فإذا هو وحده فلما رآني ضحك وضرب برجله الأرض وقال: ويحك! حرمت نفسك عشرة آلاف دينار، فقلت أصلحك الله خفت والله ما خفت في المرة الأولي، قال: لا ضير ، أخرج يا غلام جاريته فجاء بجاريتي بعينها فلما ولت الجارية صحت بها أرجعي فرجعت فقلت: اشهدك جعلت فداك أنها حرة لوجه الله وأني قد

تزوجتها على عشرة آلاف درهم كسبت لي في يومين خمسين الف دينار فما جزاؤها إلا هذا وفقت إن شاء الله.

* * *

١٨٩٩- قال بيهس الملقب نعامة لأمه حين رجع إليها بعد إخواته الذين قتلوا قال المفضل: كان من حديث بيهس انه كان رجلاً من بني فزارة بن ذبيان بن بغيض وكان سابع سبعة إخوة فأغار عليهم من أشجع بينهم وبينهم حرب، وهم في إبلهم فقتلوا منهم ستة، وبقي بيهس وكان يحمق وكان أصغرهم فارادوا قتله ثم قالوا: وما تريدون من قتل هذا؟ يحسب عليكم برجل ولا خير فيه.فتركوه فقال: دعوني أتوصل معكم إلى الحي،فانكم إن تركتموني وحدي أكلتني السباع، وقتلني العطش،ـــ ففعلوا، فأقبل معهم فلما كان من الغد نزلوا فنحروا جزوراً في يوم شديد الحر فقالوا: ظللوا لحمكم لا يفسد فقال بيهس، لكن بالاثلاث لحم لا يظلل، فلما قال ذلك قالوا: إنه لمنكر، وهموا أن يقتلوه ثم تركوه وظلوا يشوون من لحم الجزور ويأكلون، فقال أحدهم ما اطيب يومنا وأخصبه!فقال بيهس: لكن على بلد قوم عجفي، ثم انشعب طريقهم. فأتى أمه فأخبرها الخبر فقالت: فما جاءني بك بعد إخوتك؟ قال: لو خيرت لاخترت، ثم إن أمه عطفت عليه، ورقت له فقال الناس: لقد أَحَبَّتْ أم بيهس بيهساً، فقال: ثكل ارأمها ولداً أي عطفها على ولد، ثم إن أمه جعلت تعطيه بعد ذلك ثياب إخواته فيلبسها ويقول: يا حبذا

التراث لولا الذلة ثم إنه اتى على ذلك ما شاء الله، فمر بنسوة من قومه يصلحن إمرأة منهن يردن أن يهدينها لبعض القوم الذين قتلوا إخوته، فكشف ثوبه عن استه وغطى به رأسه فقلن له: ويحك ما تصنع يا بيهس فقال:

إلـــبس لكـــل حاجـــة لبوســـها إمـــا نعيمهـــا وإمـــا بوســـها

ثم أمر النساء من كنانة وغيرها فصنعن له طعاماً فجعل يأكل ويقول: حبذا كثرة الأيدي في غير الطعام، فقالت أمه: لا يطلب هذا بثأر أبداً، فقالت الكنانية: لا تأمني الأحمق وفي يده سكين. ثم إنه أخبر أناساً من أشجع في غار يشربون فيه، فانطلق بخال له يقال له "أبو حنش" فقال له: هل لك في غار فيه ظباء لعلنا نصيب منها؟ ثم انطلق بيهس بخاله حتى أقامه على فم الغار فقال: ضربا أبا حنش فقال بعضهم إن أبا حنش لبطل فقال أبو حنش: مكره أخوك لا بطل قال المتلمس:

ومن طلب الأوتار مـا حـزَّ أنفـه قصير وخاص الموت بالسـيف بـيهس
نعامة لمـا صـرع القـوم رهطـه تـبين في أثوابـه كيـف يلـبس

* * *

١٩٠٠- لما تأيمت عائشة بنت طلحة ت ١١٠هـ كانت تقيم بمكة سنة وبالمدينة سنة، وتخرج إلى مال عظيم لها بالطائف وقصر كان لها هناك فتتره فيه وتجلس بالعشيات فيتناضل بين يديها الرماة، فمرَّ بها النميري الشاعر وهو محمد بن عبد الله الثقفي (غير نميري نجد) فسألت عنه

فنسب لها، فقالت إئتوني به، فأتوها به فقالت له: أنشدني مما قلت في (زينب بنت يوسف أخت الحجاج) فامتنع عليها وقال: تلك ابنة عمي وقد صارت عظاماً بالية، قالت: أقسمت عليك فأنشدها قوله:

تضوع مسكا بطن نعمان إذ مشت ... به زينب في نسوة عطرات

تهادين ما بين المحصب من منى ... واقبلن لاشعثا ولا غبرات

أعان الذي فوق السموات عرشه ... مواشي بالبطحاء مؤتجرات

مررن بفخ ثم رحن عشية ... يلبين للرحمن معتمرات

يخبئن أطراف البنان من التقى ... ويقتلن بالالحاظ مقتدرات

تقسمن لُبِّي يوم نعمام إنني ... رأيت فؤادي عارم النظرات

جلون وجوها لم تلحها سمائم ... حرور ولم يسفعن بالسبرات

ولما رأت ركب النميري راعها ... وكن من أن يلقينه حذرات

فأدنين حتى جاوز الركب دونها ... حجابا من القسيِّ والحبرات

فكدت اشتياقا نحوها وصبابة ... تقطع أنفاسي إثرها حسرات

فراجعت نفسي والحفيظة بعدها ... بللت رداء العصب بالعبرات

فقالت: والله ما قلت إلا جميلا، ولا ذكرت إلا كرماً وطيباً ولا وصفت إلا دينا وتقى! أعطوه ألف درهم. فلما كانت الجمعة الأخرى، تعرض لها، فقالت: علي به، فأحضر، فقالت له: أنشدني من شعرك في زينب فقال لها: أو أنشدك من شعر الحارث بن خالد فيك ؟ فوثب مواليها

إليه، فقالت: دعوه فإنه أراد أن يستقيد (بثأر) لبنت عمه، هات مما قال الحارث فأنشدها:

ظعن الأمير بأحسن الخلق وغدا بلبك مطلع الشرق
في البيت ذي الحسب الرفيع ومن أهل التقي والبر والصدق
ما صبحت أحداً برؤيتها إلا غدا بكواكب الطلق

فقالت: والله ما ذكر إلا جميلاً، ذكر أني إذا أصبحت زوجي بوجهي غدا بكواكب الطلق وأني غدوت مع أمير تزوجني إلى الشرق (زوجها مصعب بن الزبير) وإني أحسن الخلق في البيت ذي الحسب الرفيع، أعطوه ألف درهم وأكسوه حلتين، قولوا له ولا تعد لا تأتينا بعد هذا يا نميري.

* * *

١٩٠١- في عام ١٣٧٧هـ ١٩٥٧م ذهبت مع سفارة "(االسَّفَارَةُ من يصاحبون العريس ليلة الزفاف إن كانوا في نفس المدينة أو البلدة أوالقرية أو يسافرون معه إلى مدينة أو بلدة أو قرية أخرى) للاخ سليمان بن محمد الجلعود من بلدة الروضة (التي أصبحت مدينة متوسطة) إلى بلدة العظيم مروراً ببلدة سميراء التي أصبحت هي الأخرى (مدينة متوسطة) ومعنا العم الشيخ عيسى بن سالم السويداء النسابة المشهور رحمه الله والشيخ سعود بن عبد الله الجلعود الراوية المشهور

وأمير سميراء رحمه الله وابنه عبد العزيز بن سعود الجلعود رحمه الله وأخيه عبد العزيز بن محمد الجلعود رحمه الله على سيارة سعد بن عامر العامر "اللوري" تحركنا بعد الظهر من الروضة ووصلنا إلى سميراء قبيل غروب الشمس، وتعيشنا عند جلعود بن سعود الجلعود رحمه الله الذي ينوب عن أبيه أثناء غيابه وبتنا تلك الليلة في سميراء وبعد تناول القهوة والفطور في الصباح تحركنا نحو بلدة العظيم الواقعة إلى الشمال الشرقي عن سميراء وتبعد عنها نحو من ٤٠ كيلاً تاركين جبل حبشي على يسارنا، ولما قربنا من البلدة ضحينا تحت دوحة طلح كبيرة لنتناول الغداء وذهبت السيارة وعليها الجهاز أو الدفاع وهو الذي يدفع لأهل العروس يومذاك من ملابس وطعام وذبائح وغيرها على أن نأتي إليهم بعد صلاة العصر مباشرة لتناول العشاء وليمة العرس، وجلسنا بظل تلك الدوحة الظليلة واشتغل بعض الاخوان في تجهيز القهوة والغداء وفرش فراش وثير للشيخين عيسى وسعود وتقابلا، وجلس من جلس حولهما، وكنت من ضمن الجالسين المصغين لما دار من أحاديث وتبادل الشيخان زمام الحديث فالشيخ عيسى نسابة وفرائضي ولديه قصص يستشهد بها والشيخ سعود لديه قصص ومعها قصائدها حيث يحفظ كثيراً من الأخبار والقصص وشواهدها من الشعر الشعبي، وتمنيت وقتها لو أن معي مسجل اسجل فيه ما دار في تلك الجلسة التي استمرت نحو خمس ساعات لم يفصلها إلا أداء صلاة الظهر وتناول الغداء حينما جهز، وكانت تلك الجلسة التي لم أنسها طول عمري وأتحسر على عدم

تسجيلها حين يتحدث الشيخ سعود فيأتي بقصة وقصيدة حتى إذا انتهى منها أخذ زمام الحديث الشيخ عيسى بقوله: هذه مثل قصة فلان بن فلان وأتى بالقصة وشواهدها وأحداثها وعلاقتها المتشبعة التي تربط بين من حصلت له وبين فلان ثم استلم زمام الحديث الشيخ سعود فجاء بقصة فلان والقصيدة التي قيلت فيها وهكذا دوليك وما شعرنا إلا وقد انحسر ظل الدوحة عنا وجاءتنا الشمس فزحفنا وغيرنا مجلس الشيخين حين مال فيء الدوحة إلى الشرق واستمر الحديث وانتقلنا إلى فئ الدوحة شرقا واستمر الحديث حتى أذان العصر ومضى ذلك اليوم وكأنه ساعة واحدة، وبعد أن أدينا صلاة العصر جماعة امتطينا ظهر السيارة متوجهين إلى أهل العروس ووالدها محمد بن خليفة الصقيه واسم العروس نور بنت محمد الخليفة حيث رحبوا بنا وشربنا عندهم القهوة ثم العشاء بعد صلاة العصر، والسبب الذي يجعل الناس يتعشون في ولائم الأعراس والولائم الكبيرة نهاراً هو عدم وجود الاضاءة ليلاً لعدم وجود الكهرباء إذ لا توجد إلا السرج الغير كافية للاضاءة وبعد العشاء دعانا أمير العظيم الشيخ جذيل بن فارس بن لغيصم وكان صاحب راية مع جماعته أشترك مع الملك عبد العزيز إبان توحيده أجزاء المملكة بعد ما ضم منطقة حائل، وكان العلم أو الراية التي يقاتل جذيل خلفها ملفوفة على عمود طويل ومسندة بأحد زوايا مجلس الرجال وقد شاهدناها وهي في مكانها وبعد تناول القهوة صلينا المغرب وتناولنا القهوة عند

مجموعة من أهل العظيم حتى صلاة العشاء بعد ذلك زففنا عريسنا وغادرنا العظيم.

* * *

١٩٠٢- قال ابن أبي الأبيض: أتيت أبا العتاهية فقلت له: إني رجل أقول الشعر في الزهد، ولي فيه أشعار كثيرة، وهو مذهب أستحسنه لأني أرجو ألا آثم فيه، وسمعت شعرك في هذا المعنى، فاحببت أن أستزيد منه، فأحب أن تنشدني من جيد ما قلت فقال: إعلم أن ما قلته ردئ قلت: وكيف! قال: لأن الشعر ينبغي أن يكون مثل أشعار الفحول المتقدمين أمثل شعر بشار وابن هرمة فإن لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون الفاظه مما لا تخفي على الجمهور من الناس مثل شعري، ولا سيما التي في الزهد، فإن الزهد ليس من مذاهب الملوك ولا من مذاهب رواة الشعر ولا طلاب الغريب، وهو مذهب أشغف الناس به الزهاد وأصحاب الحديث والفقهاء وأصحاب الرياء والعامة وأعجب الأشياء إليهم ما فهموه، فقلت: صدقت ثم أنشدني قصيدته:

لِـدُوْا للموت وابنوا للخراب ... فكلكم يصير إلى تباب

ألا يا موت لم أرمنك بداً ... أتيت وما تحيف ولا تحابي

كأنك قد هجمت على مشيبي ... كما هجم المشيب على شبابي

قال: فصرت إلى أبي نواس فأعلمته ما دار بيننا فقال: والله ما أحسب في شعره مثل ما أنشدك بيتا لآخر، فصرت إليه فأخبرته بقول أبي نواس فأنشد في قصيدته التي يقول فيها:

طول التعاشر بين الناس مملول ... ما لا بن آدم إن فتشت معقول

ياراعي الشاء لا تغفل رعايتها ... فأنت عن كل ما استرعيت مسئول

إني لفي مترل ما زلت أعمره ... على يقين بأني عنه منقول

وليس في موضع يأتيه ذو نفس ... إلا وللموت سيف فيه مسلول

لم يشغل الموت عنا مذ أعدلنا ... وكلنا عنه باللذات مشغول

ومن يمت فهو مقطوع ومجتنب ... والحي ما عاش مغشي وموصول

كل ما بدالك فالآكال فانية ... وكل ذي أكل لابد مأكول

* * *

١٩٠٣– قال ابن عدي: أشتاق الوليد بن يزيد (الخليفة الأموي) إلى معبد بن وهب (مغني) فوجه إليه بالمدينة فأحضر، وبلغ الوليدقدومه فأمر ببركة بين يدي مجلسه فملئت ماء ورد قد خلط بمسك وزعفران ثم فرش للوليد بداخل البيت على حافة البركة، وبسط لمعبد مقابله على البركة ليس معهما ثالث، وجيئ بمعبد فرأى ستراً مرخى ومجلس رجل واحد فقال له الحجاب: يا معبد، سلم على أمير المؤمنين واجلس في هذا الموضع فسلم، فرد عليه الوليد السلام من خلف الستر ثم قال له: حياك الله يا معبدا! أتدري لم وجهت إليك؟ قال: الله أعلم يا أمير المؤمنين،

قال: ذكرتك فأحببت أن أسمع منك، قال معبد: أأغني ما حضر، أم يقترحه أمير المؤمنين؟ قال: بل غني:

ما زال يعدو عليهم ريب دهرهم   حتى تفانوا وريب الدهر عداء

فغناه، فما فرغ منه حتى رفع الجواري السجف ثم خرج الوليد فألقى نفسه في البركة، فغاص فيها، ثم خرج منها فاستقبلته الجواري بثياب غير الثياب الأولى ثم قال له: غني:

يا ربع مالك لا تجيب متيما   قد عاج نحوك زائراً ومسلماً

جادتك كل سحابة هطالة   حتى ترى عن زهرة متبسما

لو كنت تدري من دعاك أجبته   وبكيت من حرق عليه إذا دما

فغناه وأقبل الجواري فرفعن الستر وخرج الوليد فألقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج فلبس ثيابا غير ذلك ثم قال غني، فقال: بماذا يا أمير المؤمنين؟ قال غني:

عجبت لما رأتني   أندب الربع المحيلا

واقفا في الدار أبكي   لا أرى إلا الطلولا

كيف تبكي لأناس   لا يملون الذميلا

كلما قلت أطمأنت   دارهم قالوا: الرحيلا

فلما غناه رمى نفسه في البركة ثم خرج فردوا عليه ثيابه، ثم أقبل الوليد على معبد فقال: يا معبد من أراد أن يزداد عند الملوك حظوة فاليكتم

أسرارهم، فقلت ذلك لا يحتاج يا أمير المؤمنين إيصائي به، فقال: يا غلام إحمل إلى معبد عشرة آلاف دينار تحصل له في فيئ بلده، والفي دينار لنفقة طريقه فحملت إليه كلها وحمل على البريد من وقته إلى المدينة.

*   *   *

١٩٠٤– قال أحمد بن عبيد الله بن عمار: كان للحكم بن عبدل الأسدي حاجة إلى عبد الملك بن بشر بن مروان، فجعل يدخل عليه ولا يتهيأ له الكلام، حتى جاءه رجل فقال: إني رأيت لك رؤيا، فقال: هاتها، فقصهاعليه فقال ابن عبدل وأنا قد رأيت أيضا قال: هات ما رأيت فقال:

أغفيت قبل الصبح نوم مسهد ... في ساعة ما كنت قبل أنامها

فحبوتني فيما أرى بوليدة ... مغنوجة حسن على قيامها

وببدرة حملت إليّ وبغلة ... شهباء ناجية يصل لجامها

ليت المنابر يا ابن بشر أصبحت ... ترقى وأنت خطيبها وأمامها

فقال له ابن بشر إذا رأيت هذا في اليقظة أتعرفه؟ قال: نعم وإنما رأيته قبيل الصبح قال: يا غلام، أدع فلاناً، فجاء بوكيله فقال: هات فلانة فجاءت، فقال: أين هذه مما رأيت؟ قال: هي هي، والا فعليه وعليه، ثم دعا له ببدرة (كيس نقود) فقال مثل ذلك وببغلة فركبها وخرج، فلقيه

قهر مان عبد الملك (القهرمان الكاتب) قال: أتبيعها؟ قال: نعم، قال: بكم؟ قال بستمائة، قال: هي لك فأعطاه ستمائة فقال: أما والله لو أبيت إلا ألفا لأعطيتك قال: إياي تندم! ولو أبيت إلا ستة لبعتك.

*   *   *

١٩٠٥- المصارف أو "البنوك" التي ملأت بفروعها شوارع المدن الكبرى في المملكة وتواجدت فروعها في المدن المتوسطة ونشأ عنها الصراف الآلي على جوانب الشوارع الرئيسة وعلى الطرق الرئيسة، وقرب الأسواق التجارية الكبيرة وقرب محطات الوقود، وتيسرت عملية الصرف من العملة الورقية في كل مكان فما على الانسان سوى ادخال البطاقة الخاصة بالصرف والضرب بالاصبع على الرقم الخاص وادخال المبلغ المطلوب أو الانتظار لثوان معدودة حتى يظهر المبلغ الذي طلبه، كيف كانت بداية هذه المصارف؟ فقد تأسس أول مصرف (بنك) أجنبي تجاري في المملكة عام ١٣٤٥هـ ١٩٢٦م وهو المصرف (البنك الهولندي) وكان له فرعان في الدمام والخبر، وهدفه تقديم التسهيلات للحجاج القادمين من جزر الهند الشرقية (أندونسيا الحالية) التي كانت في ذلك الوقت خاضعة للاستعمار الهولندي.وفي عام ١٣٦٧هـ ١٩٤٧م تم افتتاح أول مصرف (بنك) تجاري قام به رجل الأعمال اسماعيل زهران وقد استمر حتى عام ١٣٩١هـ ١٩٧١م وعقب ذلك

في ١٣٧٠/٧/١هـ ١٩٥٠م تم افتتاح المصرف (البنك البريطاني) في الشرق الأوسط ومركزه الرئيسي في لندن وتم افتتاح فرع له في جدة وفي ١٣٨٠/٩/٥هـ ١٩٦٠م تم افتتاح ثاني مصرف (بنك) وطني على شكل شركة مساهمة سعودية بالرياض وهو (البنك الوطني) وقدواجه بعض المشاكل في السيولة وتوقف نشاطه وآلت أصوله إلى مصرف (بنك الرياض). ثم بعد ذلك توالي افتتاح المصارف المحلية والأجنبية كالمصرف الأهلي ومصرف الرياض ومصرف الراجحي وغيرها، وقبل بضعة عقود من الزمن طلبت مؤسسة النقد العربي السعودي المشاركة في المصارف الأجنبية برأس المال والادارة بمقدار النصف وتم ذلك فأصبح يوجد الآن المصرف العربي الوطني والمصرف السعودي الأمريكي والمصرف السعودي البريطاني والمصرف السعودي الهولندي، والمصرف السعودي الفرنسي وغيرها على هذه الوتيرة وتمت تغطية مدن المملكة بفروع هذه المصارف.

* * *

٢٩٠٦- قال حماد ميسرة الراوية: كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك، فكان هشام يجفوني لذلك دون سائر أهله من بني أمية في أيام يزيد فلما مات يزيد وافضت الخلافة إلى هشام خفته فمكثت في بيتي سنة لا أخرج إلا لمن أثق به من أخواني سراً، فلما لم أسمع أحداً يذكرني سنة، أمنت

فخرجت فصليت الجمعة، ثم جلست عند باب الفيل، فإذا شرطيان قدوقفا عليَّ فقالا لي: يا حماد أجب الأمير سيف بن عمر فقلت في نفسي: من هذا كنت أحذر، ثم قلت للشرطيين: هل لكما أن تدعاني آتي أهلي فأودعهم وداع من لا ينصرف إليهم أبداً ثم أصير معكما إليه؟ فقالا: ما إلى ذلك سبيل فاستسلمت في أيديهما وصرت إلى يوسف بن عمر وهو في الايوان، فسلمت عليه فرد علي السلام، ورمي إليَّ كتابا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر أما بعدفإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به غير مروع ولا متعتع وادفع إليه خمس مئة دينار وجملاً مهريا يسير عليه أثنتي عشرة ليلة إلى دمشق" فأخذت الخمس مئة دينار ونظرت فإذا الجمل مرحول (عليه الرحل وهو الشداد) فوضعت رجلي في الغرز (ركاب الرحل) وسرت أثنتي عشر ليلة حتى وافيت باب هشام فاستأذنت فأذن لي، فدخلت عليه في دار قوراء (واسعة) مفروشة بالرخام وهو في مجلس مفروش بالرخام وبين كل رخامتين قضيب من ذهب وحيطانه كذلك ثياب خز حمر وقد تضمخ بالمسك والعنبر، وبين يديه مسك مفتوت في أوني من ذهب يقلبه بيده فتفوح روائحه فسلمت فرد علي، واستدناني فدنوت حتى قبلت رجله، وإذا جاريتان لم أرقبلهما مثلهما، في أذنى كل واحدة منهما حلقتان من ذهب فيهما لؤلؤتان متقدتان فقال لي: كيف أنت يا حماد؟ فقلت بخير يا أمير المؤمنين، فقال:

أتدري فيم بعثت إليك؟ قلت: لا ، قال: بعثت إليك لبيت خطر ببالي لم أدر من قائله قلت وما هو؟ قال:

فـدعو بالصـبوح يومـا فجـاءت قينـــة في يمينـــها ابريـــق

قلت هذا يقوله عدي بن زيد العبادي في قصيدة له، قال: أنشدنيها فأنشدته:

بكر العاذلون في وضـح الصـبح يقولـــون لي الاتســـتفيق

ويلومون فيك يـا ابنـة عبـد الله والقلـــب عنـــدكم مرهـــوق

لست أدري إذا أكثروا العذل عندي أعـــدو يلـــومني أم صـــديق

زانهـا حســنها وفـــرع عمـــيم وأثيـث صـلت الجـبين أنيـق

وثنايـا مفلجـــات عـــذاب لاقصـــار تـــرى ولا هـــن روق

فـدعوا بالصـباح يومـاً فجـاءت قينـــة في يمينـــها إبريـــق

إلى آخر القصيدة.فطرب هشام ثم قال: أحسنت يا حماد، سل حوائجك فقلت كائنة ما كانت؟ قال: نعم قلت: إحدى الجاريتين، قال: هما لك وما لهما، حتى إذا أصبحت فإذا الجاريتين عند رأسي وإذا عدة من الخدم مع كل منهم بدرة فقال لي أحدهم: أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك خذ هذه فانتفع فأخذتها والجارتيتن وانصرفت.

* * *

١٩٠٧- قال ابراهيم بن محمد المهدي (أخو هارون الرشيد لأبيه وكان أسود حالك اللون فصيح اللسان واسع الصدر سخي الكف حاذقا بصنعته الغناء توفي عام ٢٢٤هـ) حججت مع الرشيد فبينما نحن في الطريق

وقد انفردت أسير وحدي وأنا على دابتي إذ حملتني عيناي (أي نعست) فسلكت بي الدابة غير الطريق فانتبهت وأنا على غير الجادة، فاشتد بي الحر، فعطشت عطشا شديداً فارتفع إليَّ خباء فقصدته، فإذا بقبة وبجانبها بئر ماء بقرب مزرعة، وذلك بين مكة والمدينة و لم أرها إنسيا فاطلعت في القبة فإذا بأسود نائم فأحس بي ففتح عينيه ثم استوى جالساً، فإذا هو عظيم الصورة، فقلت : يا أسود أسقني من هذا الماء فقال: إن كنت عطشان فانزل وأشرب وكان تحتي برذوت (الدابة) خبيث نفور، فخشيت أن أنزل عنه فينفر، فضربت رأس البرذون وما نفعني الغناء إلا ذلك اليوم، وذلك أني رفعت عقيرتي وغنيت فرفع الأسود رأسه إلي وقال: أيما أحب إليك أن أسقيك ماء لوحده أو ماء وسويقا، قلت: الماء والسويق (السويق ما يتخذ من الحنطة والشعير على هيئة دقيق) فاخرج قعباله (القعب القدح) فصب السويق في القدح فسقاني وأقبل يضرب بيده على رأسه وصدره ويقول: واحر صدراه! يا مولاي زدني، وانا أزيدك وشربت السويق ثم قال لي: يا مولاي إن بينك وبين الطريق أميالاً، ولست أشك أنك تعطش، لكني أملأ قربتي هذه وأحملها قدامك فقلت أفعل فملأ قربته وسار قدامي وهو يحجل في مشيته غير خارج عن الايقاع، فإذا أمسكت لأستريح أقبل علي فقال: يا مولاي عطشت فأغنيه إلى أن أوقفني على الجادة، ثم قال لي: سررعاك الله، ولا سلبك ما كساك من النعم بكلام عجمي معناه هذا الدعاء فلحقت بالقافلة والرشيد قد فقدني وقد بث الخيل في طلبي فسر بي حين

رآني فأتيته فقصصت عليه الأمر فقال: على بالأسود فما كان إلا هنيهة حتى مثل بين يديه فقال له ويلك! ما مر صدرك؟ فقال يا مولاي ميمونة؟ قال حبشية يا مولاي فأمر من يستفهمه، فإذا الأسود عبد لبني جعفر الطيار، وإذا السوداء التي يهواها لقوم من ولد الحسن بن علي فأمر الرشيد بابتياعها له، فأبي مواليها أن يقبلوا لها ثمنا ووهبوها للرشيد فاشترى الأسود وأعتقه وزوجه منها ووهب له عمالة بالمدينة حديقتين وثلاثمائة دينار. وقريب من هذه النهاية ما جرى للأمير محمد بن عبد الله الرشيد حين سمع أحد رجاله يغني في محبوبته وعند العودة من الغزو زوجه إياها في قصة بإحدى فقرات الجزء الثالث.

* * *

١٩٠٨- في عشر الستينيات من القرن الرابع عشر المنصرم كانت السيارات قليلة حتى نحو عام ١٣٧٤هـ وكانت معظم السيارات في ذلك الحين من سيارات الشحن (لواري) مفردها (لوري) من ماركة (فورد الأمريكية) وسيارات شحن كبيرة المانية من نوع "وايت" و "دمنتي" هذه السيارات بطيئة في سيرها عندما تنطلق إذ لا تتعدى سرعتها ٣٠ كيلو في الساعة والصبيان ما بين السابعة والسابعة عشر من أعمارهم مولعون في التعلق بموخرة السيارة من باب العبث والمتعة بالتعلق بالسيارة وهي تسير لمسافة من ١٠٠- ٣٠٠ متر وربما من ٥٠٠ – ١٠٠٠متر فإذا أراد الواحد منهم النزول وافلات صندوق السيارة التي يكون في

تلك الساعة قد بلغت سرعتها ٦٠ كيلو أو أكثر فإن الشاب يدلي رجليه إلى الأرض ويبدأ يجري معها قليلا ثم يدفعها إلى الأمام ويطلقها فيكون نزوله منها أسهل ولا يسقط على الأرض مثلما لو أنه أطلق يديه منها دفعة واحدة فإنه يسقط على الأرض وقد يتضرر صدره أو زوره أو وجهه ويديه، هذا يجري من الصبية دون أن يعلم السائق وكثير ما يركب معاون السائق في خلفية صندوق السيارة ومعه عصا طويلة يضرب بها أيدي الصبية والغلمان الذين يتعلقون بموخرة صندوق السيارة ويطردهم عنها، في ذلك الوقت لم تكن المدارس قد انتشرت والصبيان والغلمان إذا رأو السيارة يتجمعون حولها وإذا سارت تعلقوا بمؤخرة صندوقها وإني لأذكر ببلدتنا الروضة التي أصبحت مدينة متوسطة الآن الصبية والغلمان يتعلقون بالسيارات لمسافة حوالي الكيل حتى إذا وصلت السيارة إل شعيب به بطحاء تهدئ السيارة سرعتها نزل منها المتعلقون بها وعادوا يمشون على أقدامهم إلى أهلهم وكذا الحال يجري في المدن والبلدات والقرى الأخرى وبطبيعة الحال كانت الطرق ترابية ونتيجة لهذه العملية المزعجة الضارة على البعض ممن يسقطون فجأة من السيارة وهي تسير بسرعة من ٤٠- ٥٠ ك فيحصل لبعضهم كسور في الأيدي والأرجل ورضوض في الصدور وخدوش في الوجه لذلك صدر أمر سامي بتاريخ ١٣٦٤/٢/٢هـ ـ١٩٤٤م يقضي بحجز الأطفال الذين يتعلقون بالسيارات أثناء مسيرها حتى يدفع ولي أمر الغلام مبلغ عشرة ريالات غرامة وكم يساوي هذا المبلغ يومذاك وأن من كانوا يتعلقون

بالسيارات في ذلك الوقت أين هم الآن ممن يركبون بالسيارات من مختلف الأنواع والطرازات؟ لكنها مثل صرعة التفحيط الآن.

* * *

١٩٠٩- جعفر بن أبي جعفر المنصور المعروف بابن الكردية كان يستخف مطيع بن إياس ويحبه، وكان منقطعا إليه وله معه مترلة حسنة، فذكر له حماداً الراوية وكان صديقه، وكان مطرحاً مجفوا في أيامهم فقال: ائتنابه لنراه، فأتى مطيع حماداً فأخبره بذلك وأمره بالمسير معه إليه، فقال له حماد: دعني فقد كانت دولتي مع بني أمية ومالي عند هؤلاء خير، فآلي مطيع إلا الذهاب معه إليه، فاستعار حماد سواداً وسيفا ثم أتاه ثم مضى به مطيع إلى جعفر فلما دخل عليه سلم عليه سلاماً حسنا وانثى عليه وذكر فضله فرد عليه وأمره بالجلوس فجلس، فقال جعفر: أنشدني، قال لمن أيها الأمير؟ الشاعر بعينه أم لمن حضر؟ قال: بل أنشدني لجرير، قال حماد:فسلخ والله شعر جرير كله من قلبي إلا قوله:

بان الخليط برامتين فودعوا أو كلما عزموا لبين تجزع

فاندفعت فأنشدته إياه حتى انتهيت إلى قوله:

وتقول بوزع قد دببت على العصا هلا هزئت بغيرنا يا بوزع

قال حماد: فقال لي جعفر: أعد هذا البيت فأعدته فقال: أي شئ بوزع؟ قلت: اسم إمرأة فقال: المرأة اسمها بوزع! هو برئ من الله ورسوله ونفيٌ من العباس بن عبد المطلب إن كانت بوزع إلا غولا من الغيلان!

تركتني والله يا هذا لا أنام الليلة من فزع بوزع،يا غلمان: قفاه، فصفعت والله حتى لا أدري أين أنا فتخرق السواد (وهو اللباس الذي يفضله العباسيون) وانكسر جفن السيف ولقيت شراً عظيماً مما جرى عليَّ وكان أغلظ من ذلك كله وأشد بلاء إغرامي ثمن السواد وجفن السيف، فلما انصرفت أتاني مطيع يتوجع لي، فقلت له: أني لا أصيب منهم خيراً وان حظي قد مضى مع بني أمية!؟

* * *

١٩١٠- من حكايات الخراف أو الخرفان أن رجلاً من شمال الجزيرة العربية في حي من أحياء العرب القاطنين في أحشاء الصحراء حيث كان هذا الرجل صاحب غنم يرعاها يسرح بها في النهار فإذا جاء الليل عاد بها إلى أهله (هضل) وأحضرها عند البيت متعبا مرهقاً، وبدأت زوجته تحلب الغنم وبقي هو جالساً يتناول عشاءه فيأخذه الاعياء والتب ويغلبه النوم قبل أن تنتهي زوجته من حلب الغنم وتمضى الأيام والليالي والأسابيع وهو على هذه الوتيرة وهو يشتهي زوجته التي تتأخر في عملها حتى ينام مرة تتعلل بالعمل بحلب الغنم وأخرى تتعلل بالبقاء حتى ينام الأطفال وطال صبره ونفد احتماله، وبلغت معه الغلمة والعرم أن داهمها في غفلة من الأطفال وهي تحلب في وسط الغنم فأخذ إناء الحليب من يدها ووضعه على الأرض ثم باشرها في مكانها على الأرض وسط الغنم، وأثناء عملية الجماع وحركاته واهتزازاته إلى الأمام والخلف

وكان حاسر الرأس أصلعه، فنظر إليه فحل الغنم الخروف القارح الضخم ذا القرنين الكبيرين المعقوفين وظنه يتحداه في المناطحة وبينما الرجل مشغول بشأنه لاه بعمله عن الخروف الذي أقبل عليه حانقا ووقف على رجليه وسدد للرجل نطحة قوية على يافوخ رأسه فألقاه على مسافة أمتار من موضعه يترف رأسه دماً بينماً أصيب المرأة برضوض وأذى نتيجة دعس الخروف لها وصرخت صرخة قوية من هول المباغته والفزع وأسرعت إلى زوجها تضمد جراحه وتحاول إيقاف نزيف الدم المتصبب من رأسه.

* * *

١٩١١- قال ابراهيم بن علي بن هرمة: أول من رفعني في الشعر عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك، فأخذ عليَّ ألا أمدح أحداً غيره وكان واليا على المدينة، وكان لا يدع بري وصلتي والقيام بمؤونتي فلم يلبث أن عزل وولي غيره مكانه، وكان الوالي من بني الحارث بن كعب فدعتني نفسي إلى مدحه طمعاً أن يهب لي كما كان عبد الواحد يهب لي، فمدحته فلم يصنع بي ما ظننت، ثم قدم عبد الواحد المدينة فأخبر أنني مدحت الذي عزل به، فأمر بي فحجبت عنه، ورمت الدخول عليه فمنعت، فلم أدع في المدينة وجها ولا رجلاله نباهة وقدر من قريش إلا سألته أن يشفع لي في أن يعيدني إلى مترلتي عنده فيأبي بذلك فعلا يفعله، فلما أعوزتني الحيل أتيت عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي

الله عنه فقلت: يا ابن بنت رسول الله، إن هذا الرجل قد كان يكرمني،وأخذ علي ألا أمدح غيره فأعطيته بذلك عهداً، ثم دعاني الشّره والكد إلى أن مدحت الوالي بعده، وقصصت عليه قصتي، وسألته أن يشفع لي، فركب معي فأخبرني الواقف على رأس عبد الواحد أن عبد الله بن الحسن لما دخل إليه قام عبد الواحد فعانقه وأجلسه إلى جنبه ثم قال: أحاجة غدت بك أصلحك الله؟ قال: نعم قال: كل حاجة لك مقضية إلا ابن هرمة، فقال له إن رأيت ألا تستثني في حاجتي فافعل قال: قد فعلت، قال: فحاجتي بن هرم، قال: قد رضيت عنه وأعدته إلى مترلته، قال: فتأذن أن ينشدك؟ قال: تعفيني من هذه، قال: أسألك ألا تفعل قال: إئتوني به، فدخلت عليه وانشدته قولي:

وجـــدنا غالبـــا كانـــت جناحـــاً وكـــان أبـــوك قادمـــة الجنـــاح

فغضب عبد الله بن الحسن حتى انقطع رده (صوته) ثم وثب مغضباً وتحوزت في الانشاد ثم لحقته فقلت له: جزاك الله خير يا ابن بنت رسول الله، فقال: لكن لا جزاك الله خيراً يا مَاصٍّ بظر أمه أتقول لابن مروان: وكان أبوك قادمة الجناح، وبحضرتي وأنا ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؟ فقلت: جعلني الله فداك، إني قلت قولاً أخدعه به طلبا لدنياه ووالله ما قست بكم أحداً قط، ألم تسمعني قد قلت فيها: وبعض القول يذهب بالرياح فضحك عبد الله وقال: قاتلك الله ما اظرفك! وهذه كامل القصيدة:

صرمت حبائلاً مـــن حـــب ســـلمى لهنـــد مـــا عمـــدت لمســـتراح

فإنــك إن تقـم لا تلـق هنـدا وإن ترحـل فقلبـك غـير صـاحي

يظـل لمـاره يهـذي بمنـد ويـأرق ليلـه حـتى الصـباح

أعبـد الواحـد المحمـود إني أغـص حـذار سـخطك بـالقراح

فشـلت راحتـاي وجـال مهـرى فالقـاني بمشـتجر الرمـاح

وأقعـدني الزمـان فيـت صـفراً مـن المـال المغـرب والمـراح

إذا فخمـت غـيرك في ثنـائي ونصـحي في المغيبـة وامتـداحي

كـأن قصـائدى لـك فاصـطنعني كرائم قـد عضـلت مـن النكـاح

فـإن أك قـد هفـوت إلى أمـير فعـن غـير التطـوع والسـماح

ولكـن سـقطة عيبـت علينـا وبعـض القـول يـذهب بالريـاح

لعمـرك إنـني وبـني عـدي ومـن يهـوي رشـادي أو فلاحـي

إذا لم تـرض عـنى أو تصـلني لفـي حـين أعالجـه متـاح

وإنك إن خططـت إليـك رحلـي بغـربي الشـراة لـذو ارتيـاح

هششت لحاجة ووعـدت أخـري ولم تبخـل بنـا جـزة السـراح

وجـدنا غالبـا خلقـت جناحـاً وكـان أبـوك قادمـة الجنـاح

إذا جعـل البخيـل البخـل ترسـا وكـان سـلاحه دون السـلاح

فـإن سـلاحك المعـروف حـق تفـوز بـه لـذى شـيم صـحاح

* * *

١٩١٢- هذه الهوية أو بطاقة الأحوال المدنية التي يحملها كل مواطن والتي أساسها حفيظة النفوس أو التابعية، والتي يجري حولها الازدحام في المدن

الكبيرة والمتوسطة والصغيرة والتي لا يحصل عليها الانسان في هذا الوقت إلا بموجب مواعيد مسبقة ووسط زحام شديد، لو تساءل الانسان اليوم متى بدأت؟ لقد بدأت في ١٣٦٦/٦/٢٢هـ ١٩٤٦م حين أعلنت الحكومة بيانا لعموم المواطنين والمقيمين يقضي بأن كل سعودي يكلف باقتناء حفيظة نفوس وكل أجنبي ورقة إقامة خلال ثلاثة شهور. ومن هنا بدأ اعطاء المواظفين حفائظ نفوس بصفة الزامية وصار يلزم كل من أراد أن يدخل بوظيفة حكومية أو عمل في شركة أن يحصل على حفيظة النفوس وتضايق الناس من هذا الاجراء وحصل ازدحام حول دوائر الجوازات وإحصاء النفوس حتى قال الشاعر حماد بن ذايد الجهني وهو يريد أن يدخل العمل في شركة "أرامكو" والزموه باحضار التابعية فقال من قصيدة له:

توابع قصة أثمان عند الحكومة نداعي به
حطيت أنا الحبر بيهامي وامضيت به عند ابن شيبة

وكان الناس يحصلون على حفيظة النفوس بدون صورة شمسية حيث كانت الحفيظة التي يحصل عليها المواطن من أربع صفحات صغيرة حتى عام ١٣٧٤هـ ١٩٥٤م وأول ما أخذت الحفيظة عام ١٣٧٤هـ عندما أردت دخول امتحان الشهادة الابتدائية كانت بدون صورة مما أوقفني في حرج عندما أردت دخول الجامعة عام ١٣٨٢هـ ولم تكن الحفيظة ضرورية يومذاك إلا لمن أراد أن يدخل وظيفة حكومية أو يدخل الامتحانات العامة في المدارس أو من يريد العمل بإحدى

الشركات وما عدا ذلك فليس لها ضرورة ثم جرى الزام الناس بذلك أما المعلومات التي توضع فيها عن الأسماء والألقاب والقبائل فحدث ولا حرج ضع فيها ما تريد ويصدق عليها، بل إن عمال شركة أرامكو في الظهران والذين قدموا من منطقة حائل فانهم يحملون اسم قبيلة شمر سواء أكان شمرياً أو عتريا أو حربيا أو تميمياً أو غير ذلك، كل من كان من منطقة حائل فهو شمري وأذكر في جوازات حائل أنهم جعلوا لقبيلة شمر يوم في الأسبوع ولقبيلة عترة يوم، ولقبيلة حرب يوم، ولقبيلة بني رشيد يوم ولسائر الناس يوم فكانت أيام الأسبوع الخمسة موزعة على هذا النحو ويأتون الناس يوميا بالمئات من هذه القبيلة أو تلك وكثير من الناس الآن ممن عملوا بالظهران وأخذوا الحفيظة من هناك يحملون اسم قبيلة "الشمري" وان لم يكن شمريا وبقوا على هذا إلى اليوم وهناك من غيرها إلى قبيلته التي يعود إليها، وأذكر أن عمي سعود بن عبد الرحمن السويداء الخالدي رحمه الله ، نزل إلى حائل مع جماعة له من بني تميم وظهرت حفيظته "التميمي" ثم غيرها بعد حين وغير ذلك كثير وقد سمعت أن الحكومة في مكة المكرمة وجدة كانوا يدخلون الناس في احواش كبيرة ولا يظهر أحد منهم إلا وقد أعطوه حفيظة نفوسه إلزاماً، ثم بدأ ضم المواليد للشخص في الحفيظة لغرض دخول المدارس حيث تطلب المدارس صورة من حفيظة النفوس الزامية ثم مع الوقت بدأ يأخذها من يريدون الاستفادة من الضمان الاجتماعي وشيئاً فشيئاً، ثم بدأ ضم المواليد للشخص في الحفيظة لغرض دخول المدارس حيث تطلب

المدارس صورة من حفيظة نفوس الوالد ثم دخلت شهادة الميلاد للطالب أو الطالبة وهكذا انتظم هذا الموضوع شيئاً فشيئاً ثم الغيث الحفيظة واستعيض عنها ببطاقة الأحوال ثم كرت العائلة ثم جاء دور الأجهزة (الألكترونية) وضبط المواليد والوفيات وغيرها التي يتزاحم الناس عليها ففي خلال خمس وستين سنة الماضية حصل هذا التطور.

* * *

١٩١٣- كانت ليلى من بني الحريش وهي ليلى بنت مهدي بن سعيد بن مهدي بن ربيعة بن الحريش وكانت من أجمل النساء وأظرفهن وأحسنهن جسما وعقلاً وافضلهن أدباً وأملحهن شكلا وكان المجنون كلفاً بمحادثة النساء صباهن، فبلغه خبرها ونعتت له، فصبا إليها وعزم على زيارتها فتأهب لذلك ولبس أفضل ثيابه ورَجَّلَ جُمَّتَهُ (مشط شعر رأسه) ومس طيبا كان عنده وارتحل ناقة له كريمة برحل حسن (الرحل الشداد) وتقلد سيفه أتاها فسلم فردت عليه السلام وتَحَفَّتْ في المسألة (بالغت في ملاطفته والسؤال عنه) وجلس إليها فحادثته وحادثها فأكثرا وكل واحد مقبل على صاحبه معجب به، فلم يزالا كذلك حتى أمسيا فانصرف إلى أهله فبات بأطول تَوَلُّهْ شوقا إليها حتى إذا أصبح عادإليها فلم يزل عندها حتى أمسى ثم انصرف إلى أهله فبات بأطوال من ليلته الأولى واجتهد أن يغمض فلم يقدر على ذلك فقال:

نهاري نهار النـــاس حـــتى إذا بـــدا   لي الليـــل هـــزتني إليـــك المضـــاجع

أقضي نهاري بالحديث وبالمنى ويجمعني والهم بالليل جامع
لقد ثبتت في القلب منك مودة كما ثبتت في الراحتين الأصابع

وأدام زيارتها وترك من كان يأتيه فيتحدث إليه غيرها وكان يأتيها في كل يوم فلا يزال عندها نهاره أجمع حتى إذا أمسى انصرف فخرج ذات يوم يريد زيارتها فلما قرب من منزلها لقيته جارية عسراء فتطير منها وقال:

وكيف يرجى وصل ليلى وقد جرى بجد القوى والوصل أعسر حاسر
صديع العصا صعب المرام إذا انتحى لوصل إمرئ جدت عليه الأوامر

ثم سار إليها في غد فحدثها لقصته وطيرته ممن لقيه وأنه يخاف تغير عهدها وانتكاثه وبكى، فقالت: لا ترع حاشا لله من تغير عهدي لايكون والله ذلك أبداً إن شاء الله، فلم يزل عندها يحدثها بقية يومه ووقع له في قلبها مثل ما وقع لها في قلبه فجاءها يوماً كما كان يجيء وأقبل يحدثها فأعرضت عنه وأقبلت على غيره بحديثها، تريد بذلك محنته وأن تعلم ما في قلبه، فلما رأى ذلك منها جزع جزعاً شديداً حتى بأن في وجهه وعرف فيه، فلما خافت عليه أقبلت عليه كالمسرة إليه فقالت:

كلانا مظهر للناس بغضا وكل عند صاحبه مكين

فسري عنه وعلم ما في قلبها، فقالت له: إنما أردت أن أمتحنك والذي لك عندي أكثر من الذي لي عندك وأعطي الله عهداً إن جالست بعد يومي هذا رجلاً سواك حتى أذوق الموت إلا أن أكره على ذلك فانصرفت عنه وهو أشد الناس سروراً وأقرهم عينا فقال:

أظــن هواهــا تــاركي بمضــلة من الأرض لا مــال لــدي ولا أهــل
ولا أحــد أفضــي إليــه وصــيق ولا صــاحب إلا المطيــة والرحــل
محاحبها حــب الأولى كــن قلبــها وحلت مكانا لم يكن حــل مــن قبــل

* * *

١٩١٤- حج عبد الملك بن مروان وحج معه خالد بن يزيد بن معاوية وكان من رجالات قريش المعدودين وعلمائهم عظيم القدر جليل المترلة مهيب المجلس موقراً معظماً عند عبد الملك فبينما هو يطوف بالبيت إذ بصر برملة بنت الزبير بن العوام فعشقها عشقا شديداً وأخذت بجميع قلبه وتغير عليه الحال، ولم يملك من أمره شيئاً فلما أراد عبد الملك القفول هم خالد بالتخلف عنه، فبعث إليه فسأله عن أمره فقال يا أمير المؤمنين رملة بنت الزبير رأيتها تطوف بالبيت فأذهلت عقلي! فو الله ما ابث لك ما بي إلا حين عيل صبري، ولقد عرضت النوم على عيني فلم تقبله والسلو على قلبي فامتنع منه فاطال عبد الملك التعجب من ذلك! وقال: ما كنت أقول أن الهوى يستاسر مثلك قال خالد: وإني أشد تعجبا من تعجبك مني، فلقد كنت أقول إن الهوى لا يتمكن من صنفين من الناس الأعراب والشعراء أما الشعراء فإنهم ألزموا قلوبهم الفكر في النساء والغزل فمال طبعهم إلى النساء، فضعفت قلوبهم عن دفع الهوى فاستسلموا له منقادين وأما الأعراب فإن أحدهم يخلو بامرأة فلا يكون الغالب له إلا حبه لها، وجملة أمري أني ما رأيت نظرة حسنت عندي

ركوب الاثم مثل نظرتي هذه، فتبسم عبد الملك وقال: أوكل هذا بلغ بك؟ فقال: والله ما عرفت هذه الليلة قبل وقتي هذا فوجه عبد الملك إلى آل الزبير يخطب رملة على خالد فذكروا لها ذلك فقالت لا والله أو يطلق نساءه فطلق إمرأتين كانتا عنده وتزوجها وظعن بها إلى الشام وفيها يقول:

أليس يزيد السير في كل ليله وفي كل يوم من أحبتنا قربا

أحن إلى بيت الزبير وقد عدت بنا العيس خرقا من تهامة أو نقبا

إذا نزلت أرضا تحبب أهلها إلينا وإن كانت منازلنا حربا

وإن نزلت ماء وإن كان قبلها مُلَيْحاً وجدنا ماءه بارداً عذباً

تجول خلاخيل النساء ولا أرى لرملة خلخا لا يجول ولا قلبا

أقلوا علي اللوم فيها فإنني تخيرتها منهم زبيرية قلبا

أحب بني العوام طراً لحبها ومن حبها أحببت أخوالها كلبا

فلما وقف عبد الملك على هذه الأبيات نظم بيتا ودسه ليكيد به خالداً لأنه كان يروم الخلافة كأبيه يزيد وجده معاوية فقال عبد الملك يا خالد أنت القائل:

فإن تسلمى اسلم وأن تتنصري تحط رجال بين أعينهم صلبا

فقال خالد: لعن الله قائله! فخجل عبد الملك ولام نفسه.

* * *

١٩١٥- من سلبيات الزواج قديما حينما كان عقد القران لا يتم إلا في آخر لحظة قبل زفاف العروس إلى عريسها بقليل عندما طلب والد العروس تغيير الناقة التي أرسلها العريس (سَنِيْنَهْ) لعروسه وكان يشترط من ضمن المهر أن يدفع العريس لعروسه ناقة سمينة تسمى "سنينة" فقد امتنع والد العروس أن يعقد القران إلا أن يغير الناقة وطلب ناقة بعينها وهي الناقة التي اشتراها من فريح المعاشي وكانت الناقة المرسلة طيبة وسمينة ومن خيار النياق، لكن الرجل أصر على استبدالها بالناقة المعنية واين هي تلك الناقة؟ إنها ترعى في البر مع ذود الابل وكيف يمكن احضارها في تلك الساعة الحرجة والرجال متواجدون داخل حجرة العرس وقد اكلوا وليمة العرس عصراً غير أن إصرار والد العروس على حضور تلك الناقة كدر الموقف حين آلى على نفسه ألا يتم العقد حتى تحضر تلك الناقة ورغم محاولات رجال "السَّفَارَة" التأثير عليه بالتعهد من قبل أكثر من واحد منهم أن يحضرها بعد يوم أو يومين أو يحضر ما هو أطيب منها لكن الرجل أصر ألا يُمْلِكَ للعريس على ابنته حتى يحضرها ولو تأجل هذا العقد ليومين أو ثلاثة وازاء هذا الموقف المتصلب تصلبا في غير محله ما كان من العريس إلا أن عزفت نفسه عن الزواج من تلك الفتاة وافشال ذلك العرس وخرج من الحجرة ونادى أصحابه بالخروج والعودة إلى أهلهم بعد أن فشل الزواج وهناك نظر إلى ناقته المعقولة في الشارع أمام بيت أهل العريس وقال:

..... عيــــا يقبلــــك بالهديــــة   شـــرو يـــي ناقـــة فـــريح المعاشـــي

وذهب إلى غير عودة.

* * *

١٩١٦- قال أبو عبيدة: بينما سعيد بن العاص يعشي الناس بالمدينة والناس يخرجون أولاً أولاً، إذ نظر على بساطه إلى رجل قبيح المنظر رث الهيئة جالس مع أصحاب سمره فذهب الشرط يقيمونه فأبى أن يقوم وحانت من سعيد التفاتة فقال: دعوا الرجل فتركوه، وخاضوا في أحاديث العرب وأشعارهامليا، فقال لهم الحطيئة: والله ما أصبتم جيد الشعر ولا شاعر العرب، فقال له سعيد: أتعرف من ذلك شيئاً؟ قال: نعم قال: فمن اشعر العرب؟ قال: الذي يقول:

لا أعـــد الاقتـــار عـــدما ولكـــن   فقـــد مـــن قدرزئتـــه الاعـــلام

وانشدها حتى أتى عليها، فقال له: من يقولها؟ قال: أبو دؤاد الايادي، قال ثم من؟ قال الذي يقول:

أفلـــح بمـــا شـــئت فقـــد يـــدرك   بالجهـــل وقـــد يخـــدع الأريـــب

ثم انشدها حتى فرع منها، قال: ومن يقولها؟ قال: عبيد بن الأبرص، قال: ثم من؟ قال والله لحسبك إِلَيَّ عند رغبة أو رهبة، إذا رفعت إحدى رجلي على الأخرى ثم عويت في أثر القوا في عواء الفصيل الصادي قال: ومن أنت؟ قال: الحطيئة فرحب به سعيد ثم قال: أسأت بكتمانك

نفسك منذ الليلة، ووصله وكساه: ومضى بوجهه إلى عتيبة بن النهاش فسأله فقال: ما أنا على عمل فأعطيك من عدده، ولا في مالي فضل عن قومي، قال له: فلا عليك فانصرف فقال له بعض قومه: لقد عرضتنا ونفسك للشر! قال: كيف؟ قالوا: هذا الحطيئة هوها جيناأخبث هجاء، فقال: ردوه فردوه إليه فقال: لم كتمتنا نفسك كأنك تطلب العلل علينا! إجلس فلك عندنا ما يسرك فجلس فقال له: من أشعر الناس؟ قال الذي يقول:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتقى الشتم يشتم

فقال له عتبة: إن هذا من مقدمات أفاعيلك، ثم قال لوكيله:إذهب معه إلى السوق فلا يطلب شيئاً إلا اشتريته له، فجعل يعرض عليه الخز ورقيق الثياب فلا يريدها، ويومي إلى الكرابيس (ثياب قطن خشنة) والأكسية الغلاظ فيشتريها له حتى قضى أربه ثم مضى، فلما جلس عتيبة في نادي قومه أقبل الحطيئة فلما رآه عتيبة قال: هذا مقام العائذ بك يا أبا مليكة من خيرك وشرك قال: قد كنت بيتين فاستمعهما ثم أنشد بقول:

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلاً فسيان لاذم عليك ولا حمد

وأنت امرؤ لا لجود منك سجية فتعطي ولا يعدي على النائل الوجد

ثم ركض فرسه فذهب.

* * *

١٩١٧- قال اسماعيل المختار حدثني نصيب بن رياح أبو محجن قال: خرجت أنا وكثير عزة والأحوص غب يوم أمطرت فيه السماء فقلت: هل لكم في أن نركب جميعا فنسير حتى نأتي العقيق فتمتع فيه أبصارنا؟ قالوا: نعم، فركبوا أفضل ما يركبون عليه من الدواب ولبسوا أحسن ما يقدرون عليه من الثياب وتنكروا ثم ساروا حتى أتو العقيق فجعلوا يتصفحون ويرون بعض ما يشتهون حتى رفع لهم سواد عظيم فأموه حتى أتوه، فإذا وصائف ورجال من الموالي ونساء بارزات شخصيات فسألهم أن يترلوا فاستحبوا أن يجيبوهن من أول وهلة فقالوا: لا نستطيع أو نمضي في حاجة لنا، فحلفنهم أن يرجعوا إليهن ففعلوا وأتوهن فسألنهم الترول فترلوا ودخلت امرأة من النساء. فاستأذنت لهم، فلم تلبث أن جاءت المرأة فقالت: ادخلوا فدخلنا على امرأة جميلة برزة (تفوق أقرالها) على فرش لها، فرحبت وحيت، وإذا كراسي موضوعة فجلسنا جميعا في صف واحد، كل إنسان على كرسي فقالت: إن أحببتم أن تدعوا بصبي لنا فنصيحة ونعرك أذنه فعلنا وإن شئتم بدأنا بالغداء فعلنا بل تدعين بالصبي ولن يفوتنا الغداء، فأومات بيدها إلى بعض الخدم فلم يكن إلا كلا ولا حتى جاءت جارية جميلة قد سترت بمطرف فأمسكوه عليها حتى ذهب بمرها (هدأ روعها) ثم كشف عنها وإذا هي جارية ذات جمال قريبة من جمال مولاتما فرحبت بهم وحيتهم فقالت لها مولاتما: خذي ويحك! من قول نصيب عافى الله أبا محجن:

ألا هل من البين المفرق من بد وهل مثل أيام بمنقطع السعد
تمنيت أيامي أولئك والمنى على عهد عاد ما تعيد ولا تبدي

فغنته، فجاءت به كأحسن ما سمعته قط بأحلى لفظ وأشجى صوت، ثم قالت لها: خذي أيضا من قول أبي محجن عاق الله أبا محجن:

أرق المحب وعاده سهره لطوارق الهم التي ترده
وذكرت من رقت له كبدي وأبي فليس ترق لي كبده
لاقومه قومي ولا بلدي فتكون حينا جيرة بلده
ووجدت وجداً لم يكن أحد قبلي من أجل صبابة يجده
إلا ابن عجلان الذي تبلت هند ففات بنفسه كمده

قال فجاءت به أحسن من الأول، فكدت أطير سروراً ثم قالت لها: ويحك! خذي من قول أبي محجن عافي الله أبا محجن:

فيا لك من ليل تمتعت طوله وهل طائف من نائم متمتع
نعم إن ذا شجو متى يلق شجره ولو نائما مستعتب أو مودع
له حاجة قد طالما قد أسرها من الناس في صدر بها يتصدع
تحملها طول الزمان لعلها يكون لها يوماً من الدهر منزع
وقد قرعت في أم عمرو لي العصا قديما كما كانت لذى الحلم تقرع

قال: فجاءت والله بشئ حيرني وإذ هلني طربا لحسن الغناء وسرور باختيارها الغناء من شعري وما سمعت فيه من حسن الصنعة وجودها

وإحكامهما، ثم قالت لهما: خذي أيضا من قول أبي محجن عافى الله أبا محجن:

يا أيها الركب إني غير تابعكم   حتى تلموا وأنتم لي تلمونا
فلم أرمثلكم ركبا لشكلكم   يدعوهم ذو هوى إلا يعوجونا
أم اخبروني عن دائي بعلمكم   وأعلم الناس بالداء الأطبونا

قال نصيب: فو الله لقد زهوت بما سمعت زهو خُيِّلَ إِليَّ أني من قريش وأن الخلافة لي، ثم قالت: حسبك يا بنية، هات الطعام ياغلام فوثب الأحوص وكثير وقالا: والله لا نطعم لك طعاماً، ولا نجلس لك في مجلس فقد أسأت عشرتنا، واستخففت بنا، وقدمت شعر هذا على أشعارنا واستمعت الغناء فيه، وإن في أشعارنا لما يفضل شعره، وفيها من الغناء ما هو أحسن من هذا فقالت على معرفة كل ما كان مني فأي شعركما أفضل من شعره؟ أقولك يا أحوص.

يقر بعيني ما يقر بعينها   وأحسن شيء ما به النفس قرت

أم قولك يا كثير في عزة:

وما حسبت ضمرية جدوية   سوى التيس ذي القرنين كان لها بعلا

أم قولك فيها:

إذا ضمرية عطست ....   فإن عطاسها طرف السفاد

قال فخرجا مغضبين واحتبستني فتغديت عندها وأمرت لي بثلاثمائة دينار وحلتين وطيب ثم دفعت إلى مئة دينار وقالت: إدفعها إلى صاحبيك، فإن قبلاها وإلا فهي لك فأتيتهما في منازلهما فأخبرهما القصة، فأما الأحوص فقبلها، وأماكثير فلم يقبلها وقال: لعن الله صاحبتك وجائزها ولعنك معها، واخذها فانصرفت فسألت نصيب: ممن المرأة، فقال: من بني أمية ولا أذكر اسمها ما حييت لأحد.

* * *

١٩١٨- قد يتساءل البعض عن مدى أهمية النباتات لحياة الانسان والحيوان، فالانسان والحيوان يحتاج إلى الأكسجين لكي يتنفس ويعيش، ومادة (الكوروفيل) الموجودة في النبات هو القادر على فك الارتباط بين الأكسجين والهدروجين في ذرات الماء وبالتالي إطلاق الأكسجين في الجو بطوله وعرضه حيث يتنفس الانسان، فبدون النبات لن يكون هناك أكسجين في جو الأرض، علاوة على ذلك فالنبات مصدر غذاء للانسان والحيوان آكلة النبات التي تتغذى على النبات، وهكذا نرى الدائرة تدور على النبات، ومعظم النباتات ذات لون أخضر في سيقانها وأوراقها وهي مادة (الكلورفيل) وأسرع النباتات نمواً نبات (البامبو) العملاق الموجود في (ميانمار) (بورما سابقا) حيث ينمو بمعدل ٤٦سم في اليوم وهناك ما هو أكثر نمواً إذ أنك نظرت إليه عن قرب فسوف تلاحظ نموه.

١٩١٩- قال أبو رحانة حاجب عبد الملك بن مروان: كان عبد الملك يجلس في كل أسبوع يومين جلوساً عاماً للناس، فبينما هو جالس في مستشرف له (مجلس مرتفع) وقد ادخلت عليه القصص، إذ وقعت في يده قصة فيها: "إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر جاريته فلانة أن تغنيني ثلاثة أصوات ثم ينفذ فِيَّ ما يشاء من حكمه فعل "فاستشاط من ذلك غضبا وقال: يا رباح على بصاحب هذه القصة! فخرج الناس جميعا وأدخل عليه غلام من أجمل الفتيان وأحسنهم فقال له عبد الملك: يا غلام أهذه قصتك! قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: وما الذي غرك مني؟ والله لأمثلن بك!ولأردعن بك نظراءك من اهل الجسارة! ثم قال: عليَّ بالجارية فجيئ بها كأنها فلقة قمر! وبيدها عودها، فطرح لها كرسي فجلست فقال عبد الملك: مرها يا غلام فقال لها: غنيني يا جارية بشعرقيس بن ذريح:

لقد كنت حسب النفس لو كان ودنا ... ولكنما الدنيا متاع غرور

وكنا جميعا قبل أن يظهر الهوى ... بأنعم حال غبطة وسرور

فما برح الواشون حتى بدت لنا ... بطون الهوى مقلوبة لظهور

فغنت فخرج الغلام بجميع ما عليه من الثياب تخريقا ثم قال له عبد الملك مرها تغنيك الصوت الثاني فقال غنيني بشعر جميل:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بوادي القرى؟ إني إذا السعيد

وإن قلت ما بي يابثينة قاتلي ... من الحب! قالت ثابت ويزيد

وإن قلت ردي بعض عقلي أعش بــه مع الناس! قالــت ذاك منــك بعيــد
فلا أنا مــردود بمــا جئــت طالبــا ولا حبــــها فيمـــا يبيـــد يبيـــد
يموت الهوى مــني أذا مــا لقيتــها ويحيــــا إذا فارقتــــها فيعــــود

فغنت الجارية فسقط مغشيا عليه ساعة، ثم أفاق، فقال عبد الملك مرها فالتغني الصوت الثالث، فقال يا جارية غنيني شعر قيس بن الملوح:

وفي الجيرة الغادين من بطن وجرة غزال غضيض المقلتين ربيب
فلا تحسبي أن الغريب الذي نأى ولكن من تنأين عنه غريب!

فغنته الجارية، فطرح الغلام نفسه من المستشرف فلم يصل إلى الأرض حتى تقطع فقال عبد الملك: ويحه! لقد عجل على نفسه وكان تقديمه فيه غير الذي فعل! أمر فأخرجت الجارية من قصره ثم سألوا عن الغلام فقالوا: غريب لا يعرف إلا أنه منذ ثلاث سنوات ينادي في الأسواق ويده على رأسه وهو يردد.

غدا يكثر البــاكون منــا ومــنكم وتــزداد داري عــن ديــاركم بعــدا

* * *

١٩٢٠- الشيخ والمقصود به من بلغ سن الشيخوخة لا شيخ الدين ولا القبيلة ولا المال بل هو الرابع الشيخ ناصر بن محمد العساف من أهل حائل ولدها وعاش فيها طول حياته إلا عندما قارب أجله انتقل إلى مدينة السيليمي جنوب حائل ١٧٥ كيلاً حيث لاقى وجه ربه رحمه الله هناك، عاش طول حياته فقيراً يعيش على صدقات المحسنين واشتهر بتفسير الأحلام تجده في الشارع في ظلال جدار أوفيئة صيفا وفي مشراق

الشمس شتاء وهكذا أمضي عمره وحيداً على صدقات المحسنين وصارت لقمة الطعام عنده عزيزة يتتبعها في أي مكان يجدها عندما يكون هناك وليمة أو مناسبة في أعلى المدينة أو اسفلها حتى استخفه بعض الفضوليين وخفت قدماه للبحث عن الولائم اضطراراً ولكنه طول وقته واجما يفكر في هذه الحياة وفي الليل يلجأ إلى كتبه يقرأ منها ما يريد وكتبه في مجال تفسير الاحلام مررت به ذات ضحى في حائل في مشراق الشمس بقصد مديد العون إليه ببعض المساعدة المالية وإذا عنده رجل قد جلس القرفصاء وسمعت هذا الرجل يقول: رأيت ما يرى النائم أن معي "طاقة" لفافة قماش أبيض مغسولة بالماء وأنا أنشرها فوق رأس جدا قصير وأضع فوقها الحجارة وعندما انتهيت منها وقفت انتظرها تجف وناصر منصت له، فقال ما تفسير ذلك؟ قال ناصر: ولا تزعل مني قال: لا قال: أنت فلاح ومزارع؟ قال: نعم، قال ناصر: زرعك ستأتيه سحابة بردية وتتلفه، فقفز الرجل واقفا وهو يقول: فأل الله ولا فألك، فأل الله ولا فالك! وانصرف من عنده غاضبا قلقا فناولته ما كتب الله وانصرفت وبعد مضى نحو ثلاثة أشهر سمعت أن سحابة من البرد ضربت بعض المزارع في شمالي حائل وأضرت بعضها وأتلفت بعضها الآخر وربما كانت مزرعة الرجل ممن أصابت أو أتلفت وقد تعذر على معرفة اسمه في الظرف الضيق الذي رأيته فيه عند ناصر وناصر هذا انتقل في نهاية حياته مريضا حيث أدركه الأجل نحو عام ١٤٢٨هـ وكان قد فسر لوالدي رحمه الله قبل ذلك حلمين من احلامه وهما الموجودين في

الجزء الأول من هذا الكتاب فقرة ١٨٢٠ص ١٦٣، ١٦٤، والفقرة ٢٤٢ صفحة ٢١٢- ٢١٣.

* * *

١٩٢١- قال الزبيري: خرج العرجي وهو عبد الله بن عمر بن عمر بن عثمان بن عفان إلى جنبات الطائف متنزها، فمر ببطن النقيع فنظر إلى أم الأوقص وهو محمد بن عبد الرحمن المخزومي القاضي وكان يتعرض لها، فإذا رآها رمت بنفسها وتسترت منه وهي إمرأة من بني تميم، فبصر بها مع النسوة جالسة وهن يتحدثن فعرفها وأحب أن يتأملها عن قرب فعدل عنها ولقي أعرابيا من بني نصر على بكر له، ومعه وطبالبن (الوطب صميل اللبن) فدفع إليه دابته وثيابه، وأخذ قعوده ولبنه ولبس ثيابه، ثم أقبل على النسوة فصحن به يا اعرابي أمعك لبن؟ قال: نعم ومال إليهن، وجعل يتأمل أم الأوقص وتواثب من معها على الوطبين وجعل العرجي يلحظها وينظر أحيانا إلى الأرض كأنه يطلب شيئاً وهن يشربن من اللبن فقالت له إمرأة منهن أي شيء تطلب يا اعرابي في الأرض؟ أضاع منك شيء؟ قال: نعم، قلبي فلما سمعت التميمية كلامه نظرت إليه وكان أزرق فعرفته فقالت العرجي بن عمرو رب الكعبة! ووثبت وسترها نساؤها وقلن انصرف عنا لا حاجة لنا إلى لبنك فمضى منصرفا وقال في ذلك:

اقــول لصــاحبي ومثــل مــا بي شــكاه المــرء ذو الوجــد الألــيم

إلى الأخــــوين مثلـــهما إذا مـــا تأوبـــــه مؤرقــــة الهمـــــوم
لحـــيني والـــبلاء لقيـــت ظهـــراً بـــأعلى النقـــع أخـــت بـــني تميم
فلمــــا أن رأت عينــــاي منـــها أســـيل الخـــد في خلـــق عمـــيم
وعـــيني جـــوذر خـــرق وثغـــراً كلـــون الأقحـــوان وجيـــد ريم
حـــنى اترابهـــا دوني إليهـــا حنـــو العائـــدات علـــى الســـقيم

وتعلق العرجي بهذه المرأة التي أصبح ولدها قاضيا ينطبق عليه قول المتنبي:

تعشـــقتها شمطـــاء شـــاب وليـــدها وللنـــاس فيمـــا يعشـــقون مـــذاهب

وكان تعلقه بها ما سبب له السجن والهلاك كما سنرى لا حقا.

* * *

١٩٢٢– كان تميم بن جميل الدوسي قد اقام بشاطئ الفرات واجتمع إليه كثير من الأعراب، فعظم أمره، وبعد ذكره، فكتب المعتصم إلى مالك بن طوق في النهوض إليه فتبدد جمعه، وظفربه فحمله موثقا إلى المعتصم قال أحمد بن أبي دواد: ما رأيت رجلا عاين الموت، فما هاله ولا شغله عما كان يجب عليه أن يفعله إلا تميم بن جميل، فإنه لما مثل بين يدي المعتصم وأحضر السيف والنطع ووقف بينهما تأمله المعتصم وكان جميلاً وسيما، فاحب أن يعلم أين لسانه من منظره فقال: تكلم يا تميم، فقال: أما إذا أذنت لي يا أمير المؤمنين فأنا أقول الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين

"يا أمير المؤمنين جبر الله بك صدع الدين، ولَمّ بك شعث المسلمين، وأوضح بك سبل الحق، وأخمد بك شهاب الباطل إن الذنوب تخرس الألسن الفصيحة، وتعمى الأفئدة الصحيحة، وقد عظمت الجريرة، وانقطعت الحجة، وساء الظن فلم يبق إلا عفوك، وانتقامك، وارجو أن يكون أقربها مني وأسرعهما إليّ أشبهها بك وأولاهما بكرمك ثم قال:

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا ... يلاحظني من حيثما أتلفت
وأكبر ظني أنك اليوم قاتلي ... وأي أمرئ مما قضى الله يفلت
وما جزعي من أن أموت وإنني ... لأعلم أن الموت شيء مؤقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم ... وأكبادهم من حسرة تتفتت
فإن عشت عاشوا سالمين بغبطة ... أذود الردى عنهم وإن مت موتوا
وكم قائل لا يبعد الله داره ... وآخر جذلان يسر ويشمت

فبتسم المعتصم وقال: يا جميل قد وهبتك للصبية، وغفرت لك الصبوة، ثم أمر بفك قيوده وخلع عليه، وعقد له وولاه على شاطئ الفرات.

١٩٢٣- حيوانان أحدهما من أصبر الحيوانات ما وسعه الصبر والثاني من أو في الحيوانات ما أتيح له الوفاء، ومع ذلك فالانسان حسب علمي في الجزيرة العربية وغيرها لا يستخدم اسميهما إلا لِلنَّبْزِ والاستنقاص والقذف والعيارة وهما: الحمار والكلب، فعند المشادة الكلاميه والشتم والملاعنه تجد الشخص يصف خصمه بأحد هذين الحيوانين إما بالحمار أو بالكلب أو بكليهما، وهذا ظلم فادح واعتبار مجحف لهذين الحيوانين

الصبور القوي، الذلول المطيع أو الوفي المخلص، فلو استعملوا بدلهما الخنزير النتن النجس أو الدُّبْ الغدار المفترس لكان أولى، ولكن هاتين الكلمتين باسم هذين الحيوانين قد خفتا على ألسنة الناس وصاروا يستعملونهما في الاتهام والشتمية والقذف دون وجه حق وقد أوردت في كتاب فتافيت ثلاث قصص عن وفاء الكلب لانقاذ بعض الرجال منها موقف أنقذ صاحبه من موت محقق بين براثن النمر والثاني أنقذ الفريق الذي كان عندهم من هجوم لصوص أو "حنشل" والثالث انقاذ حياة صاحبه من موت أكيد وانقاذ غنمه وغير ذلك كثير مما يعرفه غيري من الناس، أما الحمار فطالما خدم الانسان خدمة جلى فقبل السيارات كان هو بمنزلة يدي الانسان ورجليه، يتنقل عليه في المدينة والقرية والبادية يسافر عليه من قرية إلى أخرى ومن مدينة إلى ثانية يذهب عليه للبراري والقفار لمختلف الأغراض يصاحب رعيه الغنم ويستخدمه الحضر في خدمات عديدة من نقل الطين والأخشاب لبناء البيوت وأعمال الفلاحة ونقل الحبوب والتمور وغيرها والتجار ينقلون عليه تجارهم وبضائعهم فهو بمنزلة السيارة الصغيرة الآن التي ينتقل عليها الانسان لأغراضه وأهدافه، ويذهب عليها لعمله ويعود منه وغير ذلك كثير، وقد حاولت استنطاق الحمار بقصيدة طويلة فأجابني بقوله:

في شـــهقه مجـــرورة   كادت تقضقض أضلعه

في زفـــرة موتـــورة   تضـــطرني أن أسمعـــه

وقال:

أين الوفا يا صاحبي؟ اين المروءة والسعة
أنسيت فضلى هكذا؟ وأضعتني في المضيعة
تحتل ظهرى سابحاً!! تختال فوق البردعه!!
أجري فأهزأ بالنسيم بزفة متذعذعه
وأخب استبق السراب على خطاي المسرعة
فلكم طويت بحافري تلك السهول الموسعة

إلى أن قال:

في سفرة أو نجعة في نزهة ما أمتعه
قد كنت "جيب" المقترين لنقلهم والمنفعة
وكنت "بتر" الموسرين على النعومة والدعة
واليوم قلت قيمتي وهلكت وسط المعمعة

ثم يصب جام غضبه على السيارة التي الغت دوره في الحياة بقوله:

وأرى عدوي مسرعاً أُفٍّ له ما أسرعه
فيكاد يفقأ ناظري تَبّاً له ما أشنعه
مستهزءاً بعواطفي يمد نحوي إصبعه

ثم يتوعد الانسان إن عاد إليه مرة ثانية طالبا عونه عندما تتعطل سيارته.

ولئن أتيت مناديا في لحظة متوقعة

لا نفط جوف مطـــيقي ونياطهـــا متقطعـــة
سأصم سمعي عن نداك فلن أصـــيخ واسمعــه

والقصيدة كاملة ٥٥ بيتا في ديواني "هواجس".

* * *

١٩٢٤- خرج رجل من بني كلاب ثم من بني الصحمة يبتغي إبلاً له حتى أوحش وأرمل (أي جاع ونفد زاده) ثم أمسى بأرض فنظر إلى بيت بواد فأقبل حتى نزل حيث يترل الضيف فأبصر إمرأة وصبيانا يدورون بالخباء فلم يكلمه أحد، فلما كان بعد هدأة الليل سمع جرجرة إبل رائحة وسمع فيها صوت رجل حتى جاء بها فأناخها على البيت (بقربه) ثم تقدم فسمع الرجل يناجي المرأة ويقول: ما هذا السواد حذاءك؟ قالت: راكب أناخ حين غابت الشمس و لم أكلمه، فقال لها: كذبت، ما هو إلا بعض خلانك، ونهض يضربها وهي تناشده، قال الرجل فسمعته يقول: والله لا أترك ضربك حتى يأتي ضيفك ويغيثك، فلما عيل صبرها قالت: ياصاحب البعير يارجل! وأخذ الصحمي هراوته ثم أقبل يحضر صحمى (يجري) حتى أتاها وهو يضربها فضرب الزوج ثلاث ضربات أو أربع ثم أدركته المرأة فقالت: ياعبد الله مالك ولنا نحِّ عنا نفسك فانصرف الضيف فجلس على راحلته وأدلج ليلته كلها وقد ظن أنه قتل الرجل (زوج المرأة) وهو لا يدري عن الحي بعد حتى أصبح في أخبية من الناس ورأى غنما فيها أمة مولدة فسألها عن أشياء حتى بلغ الذكر،

فقال أخبريني عن أناس وجدهم بشعب كذا فضحكت وقالت: إنك لتسألني عن شيء وأنت به عالم، قال: وماذاك لله بلادك؟ فوالله ما أنا به عالم قالت: ذاك خباء ليلى الأخيلية وهي أحسن الناس وجها وزوجها رجل غيور فهو يغرب بها عن الناس فلا يحل بها معهم والله ما يقربها أحد ولا يضيفها فكيف نزلت أنت بها؟ قال: إنما مررت فنظرت إلى الخباء ولم أقربه وكتمها الأمر وتحدث الناس عن رجل نزل بها فضربها زوجها فضربه الرجل ولم يدر من هو، فلما أخبر باسم المرأة وأقر على نفسه تغنى بشعر دل فيه على نفسه وقال:

ألا ياليل أخت بني عقيل ... أنا الصحمي إن لم تعرفيني

دعتني دعوة فحجرت عنها ... بصكات رفعت بها يميني

فان تك غيرة ابرئك منها ... وإن تك قد جننت فذاجنوني

* * *

١٩٢٥- كان أبو دلف الطائي شاعراً مجيداً، وجواداًكريماً، جامعاً لآلات الأدب والظرف وله شعر جيد في كل فن وهو القائل:

أحبك ياجنان فأنت مني ... محل الروح من جسد الجبان

ولو أني أقول مكان روحي ... لخفت عليك بادرة الزمان

لا قدامي إذا ما الخيل جالت ... وهاب كماتها حر الطعان

وكان يتعشق جارية ببغداد فإذا شخص إلى الحضرة (الخلافة) زارها فركب في بعض قدماته إليها، فلما صار بالجسر مشى على طرف طيلسان بعض المارين فخرقه، فأخذ هذا بعنان جواده وقال: ياأبا دلف ليست هذه كرخك (الكرخ أحد أحياء بغداد الرئيسة) هذه مدنية السلام الذئب والشاة به في مربع واحد! فثنى عنانه متوجهاًإلى الكرخ وكتب إلى الجارية:

قطعتني عن لقائك الأشغال وهموم أتت عليَّ ثقال

في بلاد يهان فيها عزيز القو م حتى تناله الأنذال

حيث لا مدفع بسيف عن الضـ يم ولا للكماة فيها مجال

ومقام العزيز في بلد الهو ن إذا أمكن الرحيل محال

فعليك السلام ياظبية الكر خ أقمتم وحال منا ارتحال

ودخل أبو دلف على المأمون بعد الرضا عنه فسأله عن عبد الله بن طاهر فقال: خلفته ياأمير المومنين أمين غيب، نصيح جيب، أسداً عاتيا، قائماً على براثنه، سعد به وَلُيُّكَ، ويشقي به عدوك، رحب الفناء لأهل طاعتك، ذا بأس شديد لمن زاغ عن قصد محجتك، قد فقهه الحزم، وأيقظه العزم، فقام في نحر الأمور على ساق التشمير، يبرمها بأيده وكبده، ويفلها بحدة وجده، وما أشبهه في الحرب إلا بقول العباس بن مرداس:

أكر على الكتيبة لا أبالي أحتفي كان فيها أم سواها

فقال قائل: ما أفصحه على جبليته! فقال المأمون: وإن بالجبل قوماً أمجادا، كراماً أنجاداً، وإنهم ليوفون بالسيف حظه يوم النزال، والكلام حقه يوم المقال وأن أبادلف منهم، (وقوله: جبليته أي أنه طائي من جبال طيء).

*   *   *

١٩٢٦- قال إسماعيل بن جامع السهمي: ضمني الدهر ضماً شديداً بمكة (أي ضيق على) فانتقلت منها بعيالي إلى المدينة، فأصبحت يوماً وما أملك إلا ثلاثة دراهم، فهي في كُمِّي وإذا بجارية حميراء على رقبتها جرة تريد الركي (البئر) تسعى بين يدي وتترنم بصوت شجي فتقول:

شكونا إلى أحبابنا طول ليلنا ... فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا

وذاك لأن النوم يغشى عيونهم ... سراعا وما يغشى لنا النوم أعينا

إذا ما دنا الليل المضر لذي الهوى ... جزعنا وهم يستبشرون إذا دنا

فلو أنهم كانوا يلاقون مثل ما ... نلاقى لكانوا في المضاجع مثلنا

قال فأخذ الغناء بقلبي، فلم يدر لي منه حرف، فقلت: ياجارية ما أدري أو جهك أحسن أم غناؤك! فلو شئت أعدت، قالت: حبا وكرامة، ثم أسندت ظهرها على جدار قرب منها ورفعت إحدى رجليها على الأخرى، ووضعت الجرة على ساقيها، ثم انبعثت تغنيه، فوالله ما دار لي منه حرف، فقلت: أحسنت، فلو شئت أعدتيه مرة أخرى، ففطنت

وقالت: ما أعجب أمركم! أحدكم لا يزال يجيئ الجارية عليها الضريبة فيشغلها! فضربت بيدي إلى ثلاثة الدراهم فدفعتها إليها، فقلت: أقيمي بها وجهك اليوم إلى أن نلتقي فأخذهما كالكارهة وقالت: أنت الآن تريد أن تأمني صوتاً أحبك ستأخذ به ألف دينار، وألف دينار، وألف دينار، قال وانبعثت تغني فأعملت فكري في غنائها حتى دار لي الصوت وفهمته، وانصرفت مسروراً إلى مترلي أردده حتى خف على لساني ثم إني خرجت أريد بغداد فدخلتها، فترل بي المكاري على باب محول (محلة في بغداد) فبقيت لا أدري أين أتوجه، ولا من أقصد، فذهبت أمشى مع الناس، حتى أتيت الجسر فعبرت معهم حتى انتهيت إلى شارع المدينة، فرأيت مسجداً بالقرب من دار الفضل بن الربيع مرتفعاً، فقلت مسجد قوم سراة، فدخلته وحضرت صلاة المغرب وأقمت بمكاني حتى صليت العشاء الآخرة على جوع وتعب، وانصرف أهل المسجد وبقي رجل يصلي، خلفه جماعة خدم وخول ينتظرون فراغه فصلى ملياً ثم انصرف فرآني فقال: أحسبك غريباً؟ قلت: أجل، قال: فمتى كنت في هذه المدينة؟ قلت: دخلتها آنفاً، وليس لي بها مترلاً ولا معرفة، وليست صناعتي من الصنائع التي يمت بها أهل الخير، قال: وما صناعتك؟ قلت: أتغنى، فوثب مبادراًووكل بي بعض من معه، فسألت الموكل بي عنه فقال: هذا سلام الأبرش، وإذا رسول جاء في طلبي فانتهى بي إلى قصر من قصور الخلافة، وجاوزني مقصورة إلى مقصورة، ثم أدخلت مقصورة في آخر الدهليز، ودعا بطعام فأتيت بمائدة عليها من طعام الملوك،

فأكلت حتى امتلأت، فإني لكذلك إذا سمعت ركضاً في الدهليز وقائلاً يقول: أين الرجل؟ قيل هو هذا، قال: ادعوا له بغسول وخلعة وطيب ففعل ذلك بي فحملت على دابة إلى دار الخلافة فعرفتها بالحرس والتكبير والنيران، فجاوزت مقاصير عدة، حتى صرت إلى دار قوراء (واسعة) فيها أسرة في وسطها قد أضيف بعضها إلى بعض فأمرني الرجل بالصعود فصعدت، وإذا رجل جالس عن يمينه ثلاث جوار في حجرهن العيدان وفي حجر الرجل عود، فرحب بي الرجل وإذا مجالس حياله كان فيها قوم قد قاموا عنها، فلم البث أن خرج خادم من وراء الستر فقال للرجل: تغن فانبعث يغني بصوت لي وهو:

لم تمش ميلا ولم تركب على قتب ... ولم تر الشمس إلا دونها الكلل

تمشي الهوين كأن الريح ترجعها ... مشي اليعافير في جبآتها الوهل

فغنى بغير إصابة وأوتار مختلفة ودساتين مختلة (الدساتين الرباطات) ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تلي الرجل فقال لها تغني فغنت أيضاً بصوت لي كانت فيه أحسن حالاً من الرجل وهو قوله:

يا دار أضحت خلاء لا أنيس بها ... إلا الظباء وإلا الناشط الفرد

أين الذين إذا مازرتهم جذلوا ... وطار عن قلبي التشواق والكمد

وتوقعت مجيئ الخادم إليّ وقلت للرجل: بأبي أنت! خذ العود فشد وتركذا، وأرفع الطبقة، وحط دستان كذا، ففعل ما أمرته به، فخرج الخادم وقال: تغن عافك الله، فتغنيت بصوت الرجل الأول على ما غناه،

فقال مجموعة الخدم: ويحك ! لمن هذا الغناء؟ قلت لي فانصرفوا وخرج الخادم وقال: كذبت، هذا الغناء لابن جامع، فقلت: أنا إسماعيل بن جامع!! ثم خرج أمير المؤمنين وجعفر بن يحي، فلما صعد أمير المؤمنين على السرير وثبت قائماً فسلمت عليه.

* * *

١٩٢٧- في سنوات الحاجة والعوز حمانا الله منها كانت المرأة تريد من الزوج أنه يقدم لها لقمة الطعام الضرورية لحياتها، فإذا وجدت المرأة رجلاً يؤمن لها رغيف العيش ويرفعها عن أسرتها ليخفف عن رب الأسرة عبء المعيشة بنقص عددها واحدة من أفرادهان وإذا كان الإنسان لديه شيئاً من الثراء فكثير من النساء تتمنى لو يخطبها كما عبرت عن ذلك إحداهن بقولها:

لـــواهني مـــن خـــذت عـــودة لـــــواهني مـــــن هـــوت بيتـــه

في هذا الوضع يروى أنه تقدم رجل لخطبة إمرأة يبدو أنها كبيرة السن أو هي نَصَف كما يقال، وأن يمهرها ريالاً فضياً واحداً ولا غيره أي شيء فوافقت فنقدها الريال، وتزوجها ومكثت معه وقتاً قصيراً ثم قال لها ذات ليلة لعلك تقرضيني الريال الذي مهرتك به فإن على دين أريد وفاءه، ثم أرده إليك، وعلى حسن نية منها أعطته الريال وفي صباح اليوم الثاني طلقها، وبعد مضي بضعة أشهر بحث عن امرأة ثانية وعرض

عليها المهر ريال واحد لا غير، فوافقت وتزوجها وأمضى معها فترة من الزمن بعد أن احتفظ بالريال الذي طلبه منها ليحفظه من السرقة، فآمنت بقوله ودفعت إليه الريال إلى الحول وبعد ذلك طلقها، وكان الريال بحوزته ثم سافر إلى قرية ثانية وبحث عن زوجة ثالثة فامهرها الريال بعينه وتزوجها ومكثت بذمته بضعة أشهر ثم احتال عليها بأنه اشتري مطية ونقص من ثمنها ريال واحد يريد به استكمال ثمن المطية التي سوف يسافران عليها إلى أهلها فأعطته إياه وبعد مدة وجيزة طلقها وعاد إلى بلده واشتهر أمره بالزواج بهذا الريال ثم استرداده من زوجته وطلاقها لكن الوضع الذي يعيشه الناس والحاجة الماسة كان لها مفعولها فبحث الرجل عن زوجة يمهرها بذلك الريال وبعد لأي وجدها في بلدته فوافقت على الزواج منه بالريال وبعد أن دفعه إليها وتم الزواج قالت له لا تحسب أن زواجي منك هو طمع في هذا الريال ولا بحاجة من يعيشني ولكني أريد رد اعتبار تلك النساء اللاتي أريد أن أعطيك ثلاثة ريالات لترد لكل واحدة منهن الريال الذي اقترضته منها فإذا تأكدت من ذلك عد إلي فاعطته الريالات ولما تأكدت أنه أعاد لكل واحدة منهن ما اقترض منها قالت له:وهذه ثلاثة ريالات لك فإن أردت أن نبقى مع بعض وإن أردت أن تطلقني ففأ لك السلامة ففضل البقاء معها.

* * *

١٩٢٨– يحكى أن أحد المطربين غنى في جماعة عند بعض الأمراء:

إذا أنت أعطيت السعادة لم تُبَلْ ولو نظرت شزراً إليك القبائل

وإن فَوَّقَ الأعداء نحوك أسهما لتتها على أعقابهن المناصل

فطرب الأمير إلى الغاية ولما زاد طربه قال لبعض مماليكه: هات خلعة لهذا المغني و لم يفهم المغني ما يقول الأمير فقام تعلة إلى بيت الخلاء وفي غيبته جاء المملوك بالخلعة، فوجد المغني غائبا وقد حصل في المجلس عربدة وأمر الأمير بإخراج الجميع فقيل للمغني بعدما خرج إن الأمير كان قد أمر لك بخلعة فلما كان بعد أيام حضر المغني عند ذلك الأمير وغني فقال:

إذا أنت أعطيت السعادة لم تَبُلْ ولو نظرت شزراً إليك القبائل

بفتح التاء وضم الياء فأنكروا عليه ذلك، فقال: نعم لأني لما بلت في ذلك اليوم فاتتني السعادة من الأمير. فأوضحوا للأمير القصة وأعجبه ذلك وأمر له بخلفة.

* * *

١٩٢٩– قال رجل من كلب (قبيلة) جنيت جناية فغرمت فيها فنهضت إلى أخوالي بني مرة فاستعنتهم فأعانوني، فأتيت سيار بن نجيح أحد بني سلمى بن ظالم فأعانني ثم قال: إنهض بنا إلى الرماح بن أبرد، يعني أبن ميادة حتى يعينك، فدفعنا إلى بيتين له، فسألنا عنه فقيل لنا ذهب أمس،

فقال سيار: ذهب إلى أمة لبني سهيل فخرجنا في طلبه فوقعنا عليه في قرارة بيضاء (المطمئن من الأرض تركد فيها المياه أو هي القاع) بين حرتين وفي القرارة غنم من الضأن سود وبيض، وإذا به معها، وجلسنا فإذا شابة حلوة صفراء في دراعه مورسة (مصبوعة بالورس الأصفر) فسلمنا وجلسنا فقال ابن ميادة أنشديهم مما قلت فيك شيئاً فأنشدتنا:

يمنـــونني منـــك اللقـــاء وإنـــني لأعلـــم لا ألقـــاك مـــن دون قابـــل

إلى ذاك ما حارت أمـــورك وانجلـــت غيابـــة حبيـــك انجـــلاء المخايـــل

إذا حل أهلـــي بالجنـــاب وأهلـــها بحيث التقى الغلان مـــن ذ ى أرائـــل

أقل خلـــة بانـــت وأدبـــر وصـــلها تقطـــع منـــها باقيـــات الحبائـــل

وحالت شهور الصيف بيني وبينـــها ورفع الأعـــادي كـــل حـــق وباطـــل

أقـــول لعـــذالّيَّ لمـــا تقـــابلا علـــيَّ بلـــوم مثـــل طعـــن المعابـــل

فلا تكثـــرن عنـــها الســـؤال فإنهـــا مصلصلة من بعض تلـــك الصلاصـــل

من الصفر لا ورهـــاء سمـــج دلالهـــا وليست من السود القصـــار الحوائـــل

ولكنـــها ريحانـــة طـــاب نشـــرها وردت عليهـــا بالضـــحى والأصـــائل

ثم قال لها: قومي فاطرحي عنك دراعتك، فقالت: لا، حتى يقول لي سيار بن نجيح ذلك، فأبي سيار، فقال له ابن ميادة لئن لم تفعل لا قضيت حاجتكما، فقال لها: فقامت فطرحتها فما رأيت أحلى منها، فقال له سيار: فما لك يا أبا الشرحبيل لا تشتريها؟ فقال: إذا يفسد حبها.

١٩٣٠- من سلبيات حفلات الزواج في الوقت الراهن عملية تصوير العرسان وأقاربهم ونشرها على صفحات الصحف، صورة العريس يحف به عدد من أقاربه وهذه الظاهرة، ظاهرها المباهات الكاذبة ومما يزيد في تعقيد عملية الزواج وتكاليفها وما يدفع بالطبقة الوسطى والفقيرة إلى التقليد مما يضاعف الصعوبة، وقد بدأت هذه الظاهرة منذ حوالي عشرين سنة مضت وصار الذين لم تظهر صورهم في الصحف كأنهم لم يتزوجوا، خاصة من الشبان الذين ينخدعون بالمظاهر البراقة، وأكثر من يقومون بهذا العمل الذين يحسون بنقص في ذاتهم لا يغطيه سوى الظهور بصورهم على صفحات الجرائد، كما أن هناك نسبة كبيرة ممن يقلدون هذه الظاهرة وهم من الطبقة الفقيرة وبزعمهم أن العريس وأقاربه إذا ظهروا ببشوتهم وعباءاتهم تحت الأنوار الساطعة والتقطت لهم الصور على تلك الحال يظنون أنهم بلغوا مستوى وجهاء المجتمع، وبدلاً من أن تعمل الصحف على إظهار من يحاولون تسهيل عملية الزواج وتبسيط مظاهر الاحتفالات إلى الاحتفالات العائلية للرجال الذين يثقون بأنفسهم ويجعلون من زواج بنيهم وبناتهم على ما تيسر من الأمور بدلاً من الإشادة بطريقة هؤلاء وما أكثرهم في المجتمع نرى الصحف تجري وراء مصلحتها التجارية وتأخذ على تصوير ونشر حفلات العرس لقطات من الحفل بمبالغ معينة لا أعرف مقدارها، وحتى لو لم يأخذوا شيئاً فإنهم قد أخطأوا في حق الشباب العزاب والفتيات العوانس القابعات في بيوت أهلهن، وإنني أعتقد جازماًأن للمرأة دور في هذا

التصوير والنشر بحيث ضرت نفسها وبناها وبنات جنسها من حيث لا تدري أو تدري وتقول في نفسها إذا زفغت بنتي على هذه الحالة فالنساء الباقيات لا يهمني أمرهن، وهذا خطأ كبير في حق المرأة وحق مئات الآلاف بل الملايين من الفتيات العوانس اللاتي يتمنين الزواج على أية طريقة ووفق أي ترتيب.

* * *

١٩٣١- قال ابن ميادة: قلت وأنا عند الوليد بن يزيد (الخليفة الأموي) بأباين وهو موضع كان يترله الوليد في الربيع:

لعمرك إني نازل بأباين لصوء ر مشتاقا وإن كنت مكرما

أبيت كأني أرمد العين ساهر إذا بات أصحابي من الليل نوما

فقال لي الوليد: ياأبن ميادة فأنت غرضت (ضجرت) من قربنا، فقلت: ما مثلك يا أمير المؤمنين يغرض من قربه ولكن:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بحرة ليلى حيث ربتني أهلي

وهل أسمعن الدهر أصوات هجمة تطالع من هجل خصيب إلى هجل

بلاد بها نيطت عَلَيَّ تمائمي وقطعن عني حين أدركني عقلي

فإن كنت عن تلك المواطن حابسي فأيسر عليَّ الرزق واجمع إذاً شملي

الهجل: المطمئن من الأرض، فقال: كم الهجمة؟ قلت: مئة (من الإبل) فقال: قد صدرت بها كلها عشراء (التي أتى على حملها عشرة أشهر)

قال ابن ميادة: فذكرت ولدانا لي بنجد إذا استطعموا الله عز وجل أطعمهم وأنا، وإذا استسقاهم سقاهم الله وأنا، وإذا استكسوه كساهم الله وانا، فقال: ياأبن ميادة وكم ولدانك؟ فقلت سعبة عشر منهم عشرة نفر وسبع نسوة، فذكرت ذلك منهم، فأخذ بقلبي فقال: ياأبن ميادة: قد أطعمهم الله ثم أمير المؤمنين، وسقاهم الله ثم أمير المؤمنين، وكساهم الله ثم أمير المؤمنين، أما النساء فأربع حلل مختلفات الألوان وأما الرجال فثلاث حلل مختلفات الألوان، وأما السقي فلا أرى مئة لقحة إلا سترويهم فإن لم تروهم زدهم عينين من الحجاز، قلت: ياأمير المؤمنين: لسنا بأصحاب عيون يأكلنا بها البعوض وتأخذنا بها الحيات، قال قد خلفها الله عليك، كل عام لك فيه مثل ما أعطيتك مئة لقحة وفحلها وجارية بكر وفرس عتيق.

* * *

١٩٣٢- تماري (جادل بعضهم بعضاً) ثلاثة في أجواد الإسلام فقال رجل: اسخى الناس في عصرنا هذا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وقال آخر: أسخى الناس عُرَابَةُ الأوسي، وقال ثالث: بل هو قيس بن سعد بن عبادة، واكثروا الجدال في ذلك وكثر ضجيجهم وهم بفناء الكعبة، فقال لهم رجل: قد أكثرتم الجدال في ذلك فما عليكم أن يمضي كل واحد منكم إلى صاحبه يسأله حتى ننظر ما يعطيه ونحكم على العيان، فقام صاحب عبد الله إليه فصادفه وقد وضع رجله في غرز ناقته (الغرز

حلقة في شداد الطية) يريد ضيعة له، فقال: ياأبن عم رسول الله، قال: قل ما تشاء قال: ابن سبيل ومنطقع به، قال فأخرج رجله من غرز الناقة وقال له: ضع رجلك واستوِ على الراحلة وخذ ما في الحقيبة واحتفظ بسيفك فإنه من سيوف على بن أبي طالب رضي الله عنه، قال فجاءنا بالناقة والحقيبة فيها مطارف خز (حرير) وأربعة آلاف دينار وأجلها السيف، ومضى صاحب قيس بن عبادة فصادفه نائما، فقالت الجارية: هو نائم فما حاجتك إليه؟ فقال: ابن سبيل ومنقطع به، قالت: حاجتك أهون من إيقاظه، هذا كيس فيه سبعمائة دينار والله يعلم أنه ما في دار قيس غيره، خذه وامض إلى معاطن (مبارك الإبل) إلى أموال لنا بعلاماتها فخذ راحلة من رواحله وما يصلحها وعبداًوامض بشانك، فقيل إن قيسا لما انتبه من رقدته أخبرته بما صنعت فأعتقها، ومضى صاحب عُرَابة الأوسي إليه فألفاه قد خرج من مترله يريد الصلاة، وهو يمشي على عبدين وقد كف بصره، فقال : ياعرابة ابن سبيل ومنقطع به، قال: فخلى العبدين وصفق بيمينه على اليسرى وقال: أواه، أواه! ما تركت الحقوق لعرابة مالاً ولكن خذهما يعني العبدين، قال: ما كنت الذي أَقُصُّ جناحيك؟ قال: إن لم تأخذهما فهما حُرَّان، فإن شئت تأخذ وإن شئت تعتق، وأقبل يتلمس الحائط بيده راجعاً إلى مترله، قال: فأخذهما وجاء هما، فثبت أهم أجود عصرهم إلا أهم حكموا لعرابة لأنه أعطى جهده.

١٩٣٣- الشبكة العنكوبية (الانترنت) التي امتلأت منها البيوت وأشغلت الناس وقربت البعيد وسهلت الكثير من الاتصالات والإطلاع على أصقاع المعمورة، بحيث أصبحت الكرة الأرضية مثل قرية صغيرة أو بالأحرى مثل حي نرى أطرافه، هذه الشبكة التي جلبت المعلومات الهائلة عن كل شأن من شئون الحياة، يجد فيها الإنسان من أي عمر كان، الكبير يجد فيها ما يناسبه، ومتوسط العمر يجد فيها ما يلهيه ويشد انتباهه ويفيده، والصغير يجد فيها ما يلعب به ويسليه، فهل تعلم متى بدأت هذه الشبكة عندنا؟ إن عمرها لم يتجاوز ال ١٥ سنة ومع هذا فعلت فعلها، ففي ١٤١٩/٦/٢٤هـ ١٩٩٨م تم تشغيل أول خط اتصال (انترنت) لربط تشغيل الشبكة بمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بشبكة (الانترنت) العالمية. وأول ما بدأت في الرياض انتشرت "مقاهي الإنترنت" في كثير من الشوارع وتحولت الكثير من المحلات التجارية إلى مقاهي صارت مقر الشباب والناشئة من الذكور، واستمر هذا الحال نحو ثمان سنوات، ومنها محلات تجارية لي استأجرها شخص وحولها إلى مقهى "نت "حتى إذا توفرت الخطوط ودخلت كل بيت واستغنى الناس عن المقاهي وصار في الكثير من البيوت إن لم يكن كلها "الانترنت" وانشغل فيها الناس الكبار والصغار، الذكور والإناث، وعكف عليها المهتمون حتى ألهت الطلاب والطالبات عن دروسهم، وصارت شغلهم الشاغل لما وجدوه فيها من الأمور المختلفة الإيجابية والسلبية مما قد لا يخطر على بال أحد، حتى أَدْمَنَ الكثير من الشباب والشابات على العكوف عليها في الليل

والنهار وقد قرأت في صحيفة "اليوم" قبل أسبوع موضوعاًعن الإدمان على "النت" حتى مات بسبب هذا الإدمان أناس كثير إما بسبب الجوع لطول عكوفهم عليها أو من شدة الإرهاق الذهني لطول متابعتها وتركز هذا الإدمان في أكبر دولة سكانياًفي العالم وهي الصين حيث ينقطع الكثير من الناس إلى مقاهي "النت" يمضون فيها الساعات الطوال وقد اشتكت الصين من هذه الآفة التي دخلت إلى المجتمع الصيني وصرفت الشبيبة عن أعمالهم ومصالحهم ومصلحة الدولة بعد ذلك أما عندنا فالناس مشغولون بها من كل الفئات والأعمار من الذكور والإناث وبعد تقلص المقاهي فقد عكف الناس عليها في بيوتهم.

* * *

١٩٣٤- قال الزبير بن بكار عن عمه مصعب: راق عمر بن أبي ربيعة المخزومي الناس، وفاق نظراءه وبرعهم بسهولة الشعر وشدة الأسر، وحسن الوصف، ودقة المعنى، وصواب المصدر، والقصد للحاجة، واستنطاق الربع، وإنطاق القلب وحسن العزاء ومخاطبة النساء ، وعفة المقال، وقلة الانتقال، واثبات الحجة، وترجيح الشك في موضع اليقين، وطلاوة الاعتذار، وفتح الغزل، ونهج العلل، وعطف المساءة على العذال، وأحسن التفجع، وبخل المنازل، واختصر الخبر، وصدق الصفاء، إن قدح أروى، وإن اعتذر أبرأ، وان تشكى أشجى، وأقدم عن خبرة، ولم يعتذر بغرة، وأسر النوم، وغم الطير، وأغذ السير، وحير ماء

الشباب، وسهَّل وقوَّل، وقاس الهوى فأربي، وعصى وأخلى، وحالف بسمعه وطرفه ، وأبرم نعت الرسل وحذر، وأعلن الحب واسرَّ، وبطن به وأظهر، وألح وأسف، وأنكح النوم، وجنى الحديث وضرب ظهره لبطنه، وأذل صعبة، وقنع بالرجاء من الوفاء، وأعلى قاتله، واستبكى عاذله، ونفض النوم، وأغلق رهن منى، وأهدر قتلاه، وكان بعد هذا كله فصيحاً. فمن سهولة شعره وشدة أسره قوله:

فلمـــا تواقفنـــا وســـلمت أشـــرقت وجـــوه زهاهـــا الحســـن أن تتقنعـــا

تبـــا لهـــن بالعرفـــان لمـــا رأيـــنني وقلـــن امـــرؤ بـــاغ أكـــل وأوضـــعا

ومن معانيه الدقيقة قوله:

عوجـــا نحيـــي الطلـــل المحـــولا والربـــع مـــن أسمـــاء والمـــنزلا

بســـــابغ البوبـــــاة لم يعـــــده تقـــادم العهـــد بـــأن يـــؤهلا

ومن استنطاقه الربع قوله:

ســـائلا الربـــع بـــالبلى وقـــولا هجـــت شـــوقا لي الغـــداة طـــويلا

أين حـــي حلـــوك إذ أنـــت محفـــو ف بهـــم آهـــل أراك جمـــيلاً

قـــال ســـاروا فـــأمعنوا واســـتقلوا وبرغمـــي ولـــو وجـــدت ســـبيلا

*   *   *

١٩٣٥- روى محمد بن الفضل عن أبيه قال: كنت أتردد إلى زينب بنت سليمان بن على بن عبد الله بن عباس وأخدمها، فتوجهت إلى خدمتها يوماً فقالت: أقعد حتى أحدثك حديثاً كان بالأمس يكتب على الآفاق، كنت بالأمس عند الخيزران (زوج المهدي وأم موسى الهادي وهارون الرشيد) ومن عادتي أن أجلس بإزائها وفي صدر المجلس المهدي يجلس فيه، وهو يقصدنا في كل وقت فيجلس قليلاً ثم ينهض، وفيما نحن كذلك، إذ دخلت علينا جارية من جواريها فقالت: أعز الله السيدة! بالباب إمرأة ذات جمال وخلقة حسنة، وليس وراء ما هي عليه من سوء الحال غاية، تستأذن عليك، وقد سألتها عن إسمها فامتنعت أن تخبرني، فالتفتت إِلَيَّ الخيزران وقالت: ما ترين؟ فقلت: أدخليها، فإنه لابد من فائدة أو ثواب، فدخلت إمرأة من أجمل النساء لا تتوارى بشيء (أي شبه عارية) فوقفت بجنب عضادة الباب ، ثم سلمت متضائلة، ثم قالت: أنا مزنة بنت مروان بن محمد الأموي، فقالت الخيزران: لا حياك الله ولاقربك! فالحمد لله الذي أزال نعمتك وهتك سترك وأَذَلَّكِ! أتذكرين ياعدوة الله حين أتاك عجائز أهل بيتي يسألنك أن تكلمي صاحبك في الأذن في دفن إبراهيم بن محمد فوثبت عليهن وأسمعتيهن ما لا سمعن قبل وأمرت فأخرجن على الحالة التي أخرجن عليها؟ فضحكت مزنة، فما أنسى حسن ثغرها وعلو صوتها بالقهقهة ثم قالت: ياأبنة العم، أي شيء أعجبك في صنع الله بي على العقوق حتى أردت أن تتأسي بي فيه! فوالله إني فعلت بنسائك ما فعلت، فأسلمني الله لك ذليلة جائعة عريانة، وكان

ذلك مقدار شكرك لله تعالى على ما أولادك فيَّ! ثم قالت: السلام عليكم ثم ولت مسرعة، فصاحت الخيزران، فرجعت قالت زينب: فنهضت إليها الخيزران لتعانقها، فقالت: ليس فيَّ لذلك موضع مع الحال التي أناعليها، فقالت الخيزران: الحمام إذاً، وأمرت جماعة من جواريها بالدخول معها في الحمام فدخلت وطلبن ماشطة ترمي ما على وجهها من الشعر، فلما خرجت من الحمام وافتها بالخلع والطيب، فأخذت من الثياب ما أرادت ثم تطيبت ثم خرجت إلينا، فعانقتها الخيزران وأجلستها في الموضع الذي يجلس فيه أمير المؤمنين المهدي، ثم قالت الخيزران: هل لك في الطعام؟ قالت: والله ما فيكن أحوج مني إليه، فعجلوه، فأتي بالمائدة فجعلت تأكل غير محتشمة إلي أن اكتفت ثم غسلنا أيدينا، فقالت لها الخيزران: من رواءك ممن تعنين به؟ فقالت ما خارج هذه الدار من بيني وبينه سبب، فقالت: إذا كان الأمر هكذا فقومي حتى تختاري لنفسك مقصورة من مقاصيرنا، وتحولي ما تحتاجين إليه، ثم لا نفترق إلى الموت، فقامت ودارت في المقاصير فاختارت أوسعها وأنزهها، و لم تبرح حتى تحولت إليها جميع ما تحتاج إليه من الفرش والكسوة قالت زينب ثم تركناها وخرجنا عنها، فقالت الخيزران: هذه المرأة قد كانت فيما كانت فيه، وقد مسها الضر، وليس يغسل ما في قلبها إلا المال، فاحملوا إليها خمس مئة ألف درهم، فحملت إليها، وفي غضون ذلك وافي المهدي (جاء) فسألنا عن الخبر، فحدثته الخيزران حديثها وما لقيتها به، فوثب مغضباً، وقال للخيزران: هذا مقدار شكر الله على أنعمه، وقد

مكنك من هذه المرأة مع الحالة التي هي عليها! فوالله لولا محلك في قلبي لحفلت ألا أكلمك أبداً! فقالت الخيزران: ياأمير المؤمنين قد اعتذرت إليها ورضيت وفعلت كذا وكذا، فلما علم المهدي ذلك قال لخادم كان معه: إحمل إليها مئة بدرة (البدرة كيس من النقود) وادْخُلْ إليها وبلغها مني السلام، وقل لها: والله ما سررت في عمري كسروري اليوم وقد أوجب على أمير المؤمنين إكرامك، ولولا أنه يكره احتشامك (خجلك) لحضر إليك مسلماً عليك وقاضياً لحقك، فمضى الخادم بالمال والرسالة فأقبلت على الفور فسلمت على المهدي بالخلافة وشكرت صنيعه وبالغت بالثناء على الخيزران عنده، وقالت: ما على أمير المؤمنين حشمة أنا في عدد حرمه، ثم قامت إلى مترلها فخلفتها عند الخيزران وهي تتصرف في المنازل والجواري تصرف الخيزران.

* * *

١٩٣٦- يحكي أن رجلاً ثرياًفي الزمن السابق وكانت ثروته من الإبل والغنم، وعندما قرب أجله وحضرته الوفاة لم يكن له إلا ولد واحد شاب على أعتاب الزواج، قال له أبوه: ربما يعاجلني الأجل قبل أن أزوجك، ولكن إذا استرد الله أمانته مني ومت فعليك أن تتزوج، وعليك أن تعرس كل أسبوع، ولا تنام إلا على أنعم وألين فراش، ولا تأكل إلا من ألذّ الطعام، وإن احتجت مشورة أحد من الرجال فعليك برفيقي فلان شاوره، ولا تخرج عن رأيه توفى الأب وتزوج الولد الزوجة الأولى،

وبعد أسبوع طلقها وتزوج الثانية وبعد أسبوع طلقها ثم تزوج الثالثة والرابعة والعاشرة وصار كل أسبوع يتزوج ولا ينام إلا على فراش جديد وثير وناعم من أحسن وألين الفرش، ولا يأكل إلا من أجود الأطعمة والذها واستمر على هذا الحال بضع سنوات كل هذا من المال الذي ورثه من أبيه، وعندما نظر إلى نفسه وجد الأموال التي ورثها قد نفدت ولم يبق عنده منها شيئ التفت إلى الوصية الرابعة وهي العودة إلى رفيق أبيه ليستشيره في الأمر، فقدم عليه وأطلعه على وضعه وقال له: لقد أوصاني والدى رحمه الله بكذا وكذا وعندما التفت إلى نفسي وجدت أن ثروة أبي الكبيرة كلها أنفذها في تنفيذ وصاياه الثلاث، قال له: إنك لم تنفذ من وصايا أبيك إلا أن تزوجت الزوجة الأولى، أما قوله أن تعرس كل أسبوع، فيعني أنك تجامع زوجتك في الأسبوع مرة واحدة وبذلك تشعر وكأنك عريس، وقوله تنام على الين الفرش فيعني أنك تجد وتتعب و لا تأوي إلى فراش إلا وأنت متعب ومرهق وبذلك تجد فراشك ألين فراش وأنعمه، وأما قوله: تأكل من ألذّ الطعام فيعني ألا تأكل الطعام إلا وأنت جائع فتجد طعامك لذيذاًهنيئاً هذا ما عناه أبوك ولو استشرتني في البداية لأعطيتك رأيي وتفسير وصايا أبيك، وما الآن فقد فات الأوان وعليك تحمل نتيجة تصرفك.

* * *

١٩٣٧- شؤم طويس، وطويس من سكان المدينة وكان يسمى طاوساً، ثم سمي طويساً، ويكنى بأبي عبد المنعم وهو أول من غنى في الإسلام، ونقر بالدف المربع وكان يضحك كل حزين وثكلى، كان يقول لأهل المدينة: ما دمت بين ظهرانيكم فتوقعوا خروج الدجال، فإن مت فأنت آمنون، وأعلموا أن أمي كانت تمشي بين نساء الأنصار بالنمائم وولدتني في الليلة التي مات فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطمتني أمي يوم مات أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)، وبلغت الحلم في اليوم الذي قتل فيه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ولد لي في اليوم الذي قتل فيه علي بن أبي طالب (رضي الله عنه وكرم الله وجهه) وكان يضرب فيه المثل بالشؤم قال فيه أبو الفتح البستي:

ألم تر ما ارتآه أبو علي ... وكنت أراه ذا لُبٍّ وكيس
عصى الشيطان فابتدرت إليه ... جيوش يقلعون أبا قبيس
وصير طوس معقله فأضحت ... عليه طوس أشأم من طويس

* * *

١٩٣٨- من غريب المنقول أن فتى من ذوي النعم قعد به زمانه، وكانت له جارية حسناء، محسنة في الغناء، فضاق بهما الخناق، وأشتد بهما الحال السيئة، قال: ووالله لموتي وأنت معي أحسن وأهون عليَّ مما أذكره لك، فإن رأيت أن أبيعك لمن يحسن إليك، ويغسل عنك ما أنت فيه، وأتفرج

أنا بما لعله يصير إليّ من الثمن، ولعلك تحصلين عند من تتوصلين إليه في نفعى! فقالت: والله لموتي على تلك الحالة معك أثر عندي من انتقالي إلى غيرك ولو كان خليفة، ولكن إصنع ما بدالك! فخرج وعرضها للبيع، فأشار إليه أحد أصدقائه ممن له رأي أن يحملها إلى ابن معمر أمير العراق، فحملها إليه فلما عرضت عليه استحسنها، فقال لمولاها: كم شراؤها عليك؟ قال: مئة ألف درهم، وقد انفقت عليها مالاً كثيراً حتى صارت في رتبة الأستاذين، قال: أماما انفقت عليها ففقير محتسب لك لأنك انفقته في لذاتك وأما ثمنها فقد أمرنا لك بمئة الف درهم وعشرة أسفاط من الثياب وعشرة رؤوس من الخيل وعشرة رؤوس من الرقيق أرضيت؟ قال: نعم أرضي الله الأمير فأمر يالمال فاحضر وأمر قهرمانة بادخال الجارية إلى الحرم فأمسكت بجانب الستر وبكت وقالت:

هنيئا لك المال الـذي قـد أفدتـه ... ولم يبـق في كفـي غـير التفكـر
أقول لنفسـي وهـي في ذكرياتهـا ... أقلي فقـد بـان الحبيـب وأكثـري
إذا لم يكن للأمـر عنـدك موضـع ... ولم تجدي بداً مـن الصـبر فاصـبري

فبكى مولاها وأجاب قائلاً:

ولولا قعودي الدهر بي عنك لم يكـن ... يفرقنا شيء سـوى المـوت فاعـذري
أروح بهـم مـن فراقـك موجـع ... أنـاجي بـه قلبـا قليـل التصـبر
عليـك سـلامي لازيـارة بيننـا ... ولا قـرب إلا أن يشـاء بـن معمـر

قال له ابن معمر: قد شئت فخذها بارك الله لك فيها وفيما وصل إليك منا فأخذها وأخذ المال والرقيق والخيل والثياب وعاد وحسنت أحواله.

* * *

١٩٣٩- زارني في مكتبي صحفي أمريكي، وعندما رأي لوحة كتبي الموجودة في إطار معلق على الحائط سألني كم هو عدد مؤلفاتك؟ فأجبته حتى الآن ٤٥ مؤلفاً عدا أجزائها البالغة عشرين جزءاً غير الموسوعتين اللتين اشتركت بهما وهما موسوعة "الثقافة التقليدية" وموسوعة "الثقافة الاسلامية" فجحظت عيناه وهو يقول إذاً مردود كتبك طيب !! فقلت له: على العكس من ذلك، فقد أنفقت على طباعة هذه الكتب أكثر من مليون ونصف المليون من الريالات و لم يرجع لي منها حتى ١% وكل ما عاد إليَّ من المال طبعت به كتاب جديد فزاد عجبه وقال: لدينا في الغرب إذا ألف الكاتب كتابا واحداً تلقفتة دور النشر وطبعت منه ملايين النسخ ويبعث وربما طبعته طبعة ثانية وثالثة وعا شرة وأكثر، يشتريه القراء للاستفادة منه أو لغرض التسلية أو لمجرد معرفة مستواه وغير ذلك من الأهداف ويصبح ريع هذا الكتاب نبعاً ثراً يعود على مؤلف الكتاب بالملايين ويبق له مدى حياته لا يحتاج معه إلى مصدر للرزق بعده، فكيف بمن ألف هذا العدد من الكتب؟ توقفنا عند هذا الحد من الكلام حول الكتب إلى مواضيع أخرى وبعد أن خرج من عندي بتاريخ٢٨/١/١٤٣٤هـ الموافق ١٢/١٢/٢٠١٢م قلت هذه القصيدة:

لو كنت في الغرب نلت المال من كتبي وذقت من ريعها طعم الملايين

وعشت في ظلـــها بـــالعِزِّ متعصـــب في دوحة المجد تســـمو للـــرؤى عـــيني
تجـــاوزت أربعـــين حـــين تحســـبهما من غـــير أجزائهـــا في بحـــر عشـــرين
لكـــنني بـــين أجيـــال بهـــم ولـــع ولا يبـــالون في طـــي المضـــامين
لا يقرؤون كتابـــا وقـــت فرغتـــهم ولا يهمهـــم مـــا في الـــدواوين
قـــوم أراهـــم إلى الأميـــة اتجهـــوا وخلفـــوا العلـــم في شـــتى الميـــادين
بـــزعمهم أنهـــم نـــالوا مـــآربهم بالتقنيـــات وتعـــديل المـــوازين
فيحصلون علـــى مـــا في تصـــورهم مـــن العلـــوم وآداب القـــديمين
مـــدلهون بمـــا تحويـــه أجهـــزة مـــن القشـــور وأفكـــار الملـــهين
ليصرفوا الناس عن تحصـــيل فائـــدة للبحث في العلم مـــن فهـــم وتـــدوين
وقت الفراغ وإن أصبحت في ســـفر عـــبر الـــبراري وفي ظـــل البســـاتين

* * *

١٩٤٠– ابراهيم بن المهدي بن أبي جعفر بن المنصور أخو هارون الرشيد بن المهدي ابن المنصور من أبيه كان من آدب الناس وأشعرهم وأبلغهم وغلب عليه الغناء فبرز فيه وأعجز وسحر وبهر، حتى ضرب به المثل، وكان عجيب الشأن بديع الوصف والحال، وكان أسود شديد السواد، براق اللون،وأبوه المهدي أبيض وامه أميل إلى السواد وقيل شَكْلَة بيضاءوتنقلت به الأوضاع والأدوار وتقلد الخلافة سنتين وهو مستتر وكان ذلك في فترة الصراع بين محمد الأمين بن هارون الرشيد واخيه المأمون بن هارون الرشيد، ثم ظهر وعفا عنه المأمون ورد عليه أمواله

وأكرمه ونادمه ورتبه في مشائخ بني هاشم، وكان غناء ابراهيم لأخيه الرشيد ثم للثلاثة من بني أخيه الخلفاء وهم الأمين والمأمون والمعتصم وقد طرب المعتصم يوماً لغنائه فقال:أحسنت يا أمير المؤمنين، فقال ابراهيم: عربدت يا أمير المؤمنين وكان إذا ضرب وغني لأحدهم في الصحاري والمصائد والمنتزهات وقعت له الطير وعكفت عليه الوحوش حتى تكاد تؤخذ بالأيدي وكان أبو عيسى بن الرشيد يقول له: السكر على صوتك شهادة يا عم. وكان أحمد بن يوسف يقول فيه: القلوب من غنائه على خطر! وقرأت لأبي اسحاق الصابي فصلا لأبي عثمان الخالدي استحسنته جداً في محاسن الأفراد وهو قوله: لو كان لك خصم يجمع شعر البحتري وغنا ابراهيم بن المهدي ومذاكرة الأصمعي وكتابة جعفر بن يحي وحسن وجه المعتز وطيب عشرة حمدون بن اسماعيل النديم لما كنت إلا منحرفا عنه معينا عليه مقبحا محاسنه من أجلك.

* * *

١٩٤١- قال القاضي ابي القاسم علي بن المحسن التنوخي إن الأسكندر بن فيليب المقدوني (٣٣٢ قبل الميلاد) لما انتهى إلى الصين ونزل عل ملكها أتاه حاجبه وقد مضى من الليل شطره فقال: رسول ملك الصين يستأذن عليك، فقال: إئذن له فلما دخل عليه وقف بين يديه وسلم، وقال: إن رأى الملك أن يخلي مجلسه فليفعل فأمر الاسكندر من بخدمته بالانصراف و لم يبق غير حاجبه فقال له الرسول: الذي جئت به لا يحتمل أن يسمعه

غيرك، فأمربتفتيشه ففتش فلم يجد معه شيئاً من السلاح، فوضع الاسكندر بين يديه سيفا مجرداً وقال له: قل ما شئت، ثم أخرج جميع من عنده، فلما خلا المكان قال له الرسول أنا ملك الصين لا رسوله، وقد حضرت أسألك عما تريده، فإن كان مما يمكن الانقياد إليه ولو على أصعب الوجود أجبت إليه وغنيت أنا وإياك عن الحرب فقال الاسكندر وما الذي أمنك مني؟ قال: علمي بأنك رجل عاقل، وليس بيننا عداوة متقدمة، ولا مطالبة بذهل (ثأر) ومتى قتلتني أقاموا غيري و لم يسلموا اليك البلد، ثم تنسب أنت إلى غير الجميل وضد الحزم فأطرق الاسكندر متفكراً في مقاله وعلم أنه رجل عاقل فقال: ارتفاع ملك (أي ما يُغِلُّهُ ملك) لثلاث سنين عاجلاً ونصف ارتفاعه في كل سنة، قال أجبتك قال: كيف تكون حالك؟ قال: أصلح مما تقدم ذكره، قال: فان قنعت منك بسنة واحدة؟ قال: يكون مضراً بي ومذهبا لجميع لذاتي، قال: فإن قنعت منك على السدس؟ قال: يكون السدس موفراً والباقي لجيشي ولأسباب الملك، قال الاسكندر قد اقتصرت عني هذا أي سدس ما تغله الصين) فشكره وانصرف فلما أصبح وطلعت الشمس أقبل جيش الصين حتى طبق الأرض (ملأها) واختلط بجيش الأسكندر فأرعبه وتواثب أصحابه فركبوا واستعدوالليحرب، فبينما هم كذلك إذ ظهر ملك الصين عليهم وعليه التاج، فلما رأى الاسكندر ترجل (أي نزل عن جواده وسار على قدميه) فقال له الاسكندر: أغدرت؟ قال: لا والله قال: فما هذا الجيش؟ قال: أردت أن أعلمك أني لم أطعك من

ضعف ولا من قلة، وما غاب عنك من الجيش أكثر ولكني رأيت العالم مقبلاً عليك، ممكنالك، فعلمت أنه من حارب العالم الأكبر غلب فأردت بطاعتك والذلة لأمره بالذلة لأمرك فقال الأسكندر ليس مثلك يؤخذ منه شيء فما رأيت بيني وبينك أحد يستحق التفضيل والوصف بالفضل غيرك، وقد أعفيتك بجميع ما أردته منك وأنا منصرف عنك، فقال ملك الصين: أما إذا فعلت ذلك فلست تخسر، فلما انصرف الاسكندر أتبعه ملك الصين الهدايا والتحف ما كان قرره معه.

* * *

١٩٤٢- أتي الحجاج بسفط قد أصيب في بعض خزائن كسرى مقفل فأمر بالقفل فكسر ، وإذا فيه سفط آخر مقفل فقال الحجاج: من يشتري مني هذا السفط بما فيه فتزايد به أصحابه حتى بلغ خمسة آلاف دينار فأخذه الحجاج ونظر فيه وقال: ما عسى أن يكون فيه إلا حماقة من حماقات العجم! ثم أنفذ البيع وعزم على المشتري أن يفتحه ويريه ما فيه ففتحه بين يديه فإذا فيه رقعة مكتوب فيها: من أراد أن تطول لحيته فاليمشطها من أسفل!!وخطب رجل خطبة نكاح وأعرابي حاضر فقال: الحمد لله أحمده وأستعينه وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وان محمداً عبده ورسوله، حي على الصلاة حي على الفلاح فقال الأعرابي: لا تقم الصلاة فاني على غير وضوء.

١٩٤٣- ثمرة القلب كل ما يحبه الانسان فهو ثمرة قلبه على طريق الاستعارة ويقال للولد: ثمرة القلب وفي الخبر "ثمرة القلب الولد" ولما غضب معاوية بن ابي سفيان على ابنه يزيد فهجره، قال له الأحنف بن قيس يا أمير المؤمنين أولادنا ثمرة قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم سماء ظليلة وأرض ذليلة إن غضبوا فأرضهم وإن سألوا فأعطهم ولا تكن عليهم قفلا فيملوا حياتك، ويتمنوا موتك، ودخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة، فقال: من هذه يا أمير المؤمنين؟قال: هذه تفاحة القلب، قال: انبذها عنك، فإنهن يلدن الأعداء ويقربن البعداء ويورثن الضغائن قال: لا تقل هذا يا عمروفو الله ما مَرَّضَ المرضى، ولا ندب الموتى ولا أعان على الأحزان إلا هن وإنك لواجد خالاً قد نفعه بنو أخته قال عمرو: ما أراك يا أمير المؤمنين إلا وقد حببتهن إليّ بعد بغضي لهن.

* * *

١٩٤٤- قال أبو الحسن المدائني: خرج الحسن والحسين ابني على بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم حجاجاً ففاتتهم أثقالهم، وعطشوا فمروا بعجوز في خباءها فقال أحدهم هل من شراب؟ قالت: نعم فأناخوا إليها، وليس لها إلا شويهة فقالت: احلبوها فاشربوا لبنها ففعلوا فقالوا: هل من طعام؟ قالت: لا إلا هذه الشاة فاليذبحها أحدكم حتى أهيئ لكم ما تأكلون فقام إليها أحدهم فذبحها وكشطها (سلخها) ثم هيأت لهم طعاماً فأكلوا وأقاموا حتى أبردوا (دخلوا في آخر النهار)

فلما ارتحلوا قالوا: نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه (أي مكة) فإذا رجعنا سالمين فألمي بنا، فانا صانعون لك خيراً، فارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة فغضب وقال ويحك تذبحين شاتي لقوم لا أعرفهم، ثم يقولون لنفر من قريش!وبعد مدة الجأهما الحاجة إلى دخول المدينة وجعلا يلتقطان البعر (دمن الابل لاستخدامه وقوداً) ويعيشا بثمنه فمرت العجوز ببعض سكك المدينة فإذا الحسن بن علي على باب داره فعرف العجوز وهي منكرة فبعث إليها غلامه فدعى بها، فقال لها: يا أمة الله أتعرفيني؟ قالت: لا قال: أنا ضيفك بالأمس يوم كذا وكذا، قالت بأبي أنت وأمي! ثم اشترى لها من شاء الصدقة ألف شاة، وأمرلها بألف دينار، وبعث معهما مع غلامه إلى الحسين فأمرلها بمثل ذلك وبعث بها مع غلامه إلى عبدالله بن جعفر فقال لها: بكم وصلك الحسن والحسين؟ قالت: بألفي شاة، وألفي دينار، فقال لها: لو بدأت بي لأتعبتهما في العطاء أعطوها عطيتهما فرجعت العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف دينار وأربعة آلاف شاة.

* * *

١٩٤٥- قال حماد الراوية: أتيت مكة فجلست في حلقة منها فيها عمر بن أبي ربيعة القرشي وإذا هم يتذاكرون العذريين وعشقهم وصبابتهم فقال عمر: أحدثكم عن بعض ذلك، كان لي خليل من قبيلة عذرة يكنى أبا مسهر وكان مستهتراً بأحاديث النساء يصبوا بهن وينشد فيهن على أنه

لا كان عاهر الخلوة ولا حديث السلوة كان يوافي الموسم في كل سنة فإذا أبطأ ترجمت له الأخبار واستوقفت له السفار وأنه راث (تأخر) عني سنة من ذلك خبرة حتى قدم وفد عذرة فأتيت القوم أنشد صاحبي فإذا رجل يتنفس الصعداء قال أعن أبي مسهر تسأل؟ قلت: نعم، قال: هيهات هيهات أصبح والله أبو مسهر لا حيا فيرجى ولا ميتا فينسى ولكنه كما قال الشاعر:

لعمرك مـا حـي لأسمـاء تـاركي صـحيحا ولا أقضـي بـه فـأموت

فقلت: وما الذي به؟ قال: كمثل الذي بك من أهما ككما في الضلال وجركما اذيال الخسارة، كأنكما لم تسمعا بجنة ولا نار، قلت فما أنت منه يا بن أخي؟ قال: أخوه، قلت: والله إنك وأخاك كالوشي والبجاد لا يرقعك ولا ترقعه ثم انطلقت وأنا أقول:

أرائحـة حجـاج عـذرة روحـة ولما يرح في القوم قـيس بـن مهجـع

خليلي يشكو ما يلاقي مـن الهـوى ومهما يقل أسمـع وان قلـت يسـمع

ألا ليت شـعري اي شـيء أصـابه امن زفرات هجن مـن بـين أضـلع

فـلا يبعـد نـك الله خـلاً فـإنني سألقي كما لاقيت في الحب مصـرعي

قال: فلما حججت ووقفت بعرفات إذا به قد أقبل،وقد تغير لونه وساءت هيئته، وما عرفته إلا بناقته فأقبل فادني ناقته من ناقتي حتى خالف بين أعناقهما ثم اعتنقني وجعل يبكي فقلت له: ما الذي دهاك؟ قال: بَرَحَ الخَفَاءَ وكشف الغطاء ثم انشد يقول:

لئن كانت عذيلة ذات مطل   لقد علمت بأن الحب داء

وانك لو تكلفت الذي بي   لزال الظلم وانكشف الغطاء

فإن معاشري ورجال قومي   حتوفهم الصبابة واللقاء

إذا العذري مات بحتف أنف   فذاك العبد يبكيه الرشاء

فقلت يا أبا مسهر إنها ساعة عظيمة تضرب فيها أكباد الابل من شرق الأرض وغربها فلو دعوت الله كنت قَمِناً أن تظفر بحاجتك وتنتصر على عدوك فجعل يدعو حتى مالت الشمس للغروب وهم الناس أن يفيضوا سمعته يهينم بشيء فاصغيت إليه مستمعاً فجعل يقول:

يارب كل غدوة وروحه   من محرم يشكو الصبا ونوحه

أنت حسبي الخلق يوم الدوحة

* * *

١٩٤٦– من سلبيات الزواج في الماضي حيث لا يعقد القران الاملاك إلا في آخر لحظة فقد حدث فعلا في أحد الأعراس عندما اجتمع أهل العريس والرجال المصاحبين له "السَّفَارَة" في حجرة العرس وهي غرفة في بيت أهل العروس بعد أن أكلوا وليمة العرس بعد صلاة العصر كما هو متبع يومذاك في هذا الاجتماع الذي لا يعقبه سوى زف العروس إلى عريسها بعد خروج الناس من حجرة العرس طلب والد العروس أن يحضر العريس لعروسه "رَشْرَش" وهو حلية من الذهب يعلق في العنق وهو

مصاغ ثمين، ومن أين للعريس "الرَّشْرَش" في هذا الوقت وهو لا يوجد إلا عند الصاغة في معارضهم وأصر والد العروس على إحضار هذه السلعة الآن قبل عقد القرآن وتدخل وجوه الخير من السفارة بأن يتعهد العريس بإحضاره بعد الزواج فرفض الوالد، وبعد مداولات ومفاوضات قبل لعل ثمنه عشرة آلآف ريال فكاد أن يلين لولا أن رُمَي عليه بحصاة صغيرة يبدو أنها من أم العروس لاسيما والغرفة لها باب خلفي،قام بعدها ودخل إلى البيت ورجع بأشد إصراراًمما كان عليه، ومع كثرة الأصوات عليه تعهد الأخ الأكبر للعريس بأن يدفع لوالد العروس عشرة آلاف ريال في اليوم التالي وبذلك تم العقد وانتهى الموضوع وزُفت العروس إلى عريسها بعد أن خرج الرجال من غرفة العروس.

* * *

١٩٤٧- من قصائد يزيد بن عبد الحكم بن عثمان بن أبي العاص التي أعجبتني في إيقاعها وموسيقاها ومعناها هذه القصيدة:

تكاشرني كرهاً كأنك ناصح	**وعينك تبدي أن صدرك لي حوي**
تصافح من لاقيت لي ذا عداوة	**صفاحاً وعني بين عينيك منزوي**
أراك إذا لم أهو أمراً هويته	**ولست لما أهوى من الأمر بالهوى**
أراك اجتويت الخير مني واجتوي	**أذاك فكل يجتوي قرب مجتوي**
فليت كفافاً كان خيرك كله	**وشرك عني ما ارتوى الماء مرتوي**

عــدوك يخشــى صــولتي إن لقيتــه وأنت عــدوي لــيس ذاك بمســتوي

وكم موطن لولاي طحت كما هوى بأجرامــه مــن قلــة النيــق منــهوي

إذا ما ابتني المجد ابن عمــك لم تعــن وقلــت ألا ياليــت بنيانــه خــوي

كأنك إن نال ابــن عمــك مغنمــا شجٍ أو عميدٍ أو أخــو غلــة لــوي

وما برحت نفس حســود حشــيتها تذيبك حتى قيل هــل أنــت مكتــوي

جمعــت وفحشــاً غيبــة ونميمــة ثلاث خصال لست عنــهن ترعــوي

ويدحو بك الداحي إلى كــل ســوءة فياشرَّ من يــدحو إلي شــرٍّ مــدحوي

بدا منك غــش طالمــا قــد كتمتــه كما كتمت داء ابنــها ابــن مــدوي

* * *

١٩٤٨- كان بين غسان بن عبادة وبين علي بن عيسى القمِّي عداوة عظيمة، وكان على بن عيسى ضامناً أعمال الخراج والضياع ببلده، فبقيت عليه بقية مبلغها أربعون ألف دينار، فألح المأمون عليه بطلبها إلى أن قال لعلي بن صالح الحاجب أمهله ثلاثة أيام فإن أحضر المال وإلا فاضربه السياط حتى يؤدي المال أو يتلف فانصرف على بن عيسى من دار المأمون آيسا من نفسه، وهو لا يدري وجها يتجه إليه فقال له كاتبه: لو عرجت على غسان بن عبادة وعرفته خبرك لرجوت أن يعينك على أمرك فقال له: على ما بيني وبينه من العداوة!؟ فقال: نعم فإن الرجل أريحي كريم، فدخل على غسان فقام إليه وتلقاه بالجميل وأوفاه حقه بالخدمة وقال له: الحال الذي بيني وبينك على حاله، ولكن دخولك داري له حرمة

توجب بلوغ ما رجوته مني فاذكر إن كان لك حاجة فقص عليه القصة فقال: أرجو أن يكفيك الله تعالي، ولم يزده على ذلك شيئاً فنهض على بن عيسى وخرج آيساً نادماً على قصده غسان وقال لكاتبه ما أفدتني بالدخول على غسان غير تعجيل الشماتة والهوان فلم يصل على بن عيسى إلى داره حتى حضر إليه كاتب غسان ومعه البغال عليها المال وبلغه سلامه وقال: حضر المال فتقدم وسَلِّمْهُ و بَكِّرَ إلى دار أمير المؤمنين، فوجد غسان قد سبقه إليها، ودخل على المأمون وقال: يا أمير المؤمنين إن لعلي بن عيسى بحضرتك حرمة وخدمة وسالف أصل وقد لحقة من الخسران في ضمانه ما قد تعارفه الناس وقد توعدته بضرب السياط بما أطار عقله وأذهب لبه فإن رأى أميرالمؤمنين أن يجيزني على حسن كرمه ببعض ما عليه فهي صنيعة يجددها علي، تحرس ما تقدمها من إحسانه ولم يزل يتطلف إلى أن حط عنه النصف واقتصر على عشرين ألف دينار، فقال غسان على أن يجدد عليه أمير المؤمنين الضمان ويشرفه بخلعة تقوى نفسه وترهف عزمه ويعرف بها مكان الرضا عنه فأجابه المأمون على ذلك قال: أفيأذن أمير المؤمنين أن أحمل الدواة إلى حضرته ليوقع بما رآه من هذا الانعام؟ قال: أفعل فحمل الدواة إلى أمير المؤمنين فوقع بذلك وخرج على بن عيسى بالخلعة والتوقيع بيده فلما حضر إلى داره حمل من المال عشرين ألف دينار وأرسلها إلى غسان وشكره على جميع فعله معه، فقال غسان لكاتبه: والله ما شفعت عند

أمير المؤمنين إلا لتوفر عليه، وينتفع بها، فأمض بها فلما ردها كاتبه إلى علي بن عيسى علم قدر ما فعله معه فلم يزل يخدمه إلى آخر العمر.

* * *

١٩٤٩- الذهب وما أدراك ما الذهب، الذي طارت قيمته في وقتنا الراهن بتصرف أمريكا لكي تحاول التعويض عن خسائرها في حروب العرب والمسلمين وتنعش دولارها واقتصادها المنهار حتى أصبحت قيمة الذهب لا تطاق فارتفع تبعا لذلك سعر المصوغات الذهبية إلى الحد الذي يتعذر معه شراء هدايا ذهبية للعروس من زوجها أو من ذويها وقد سبق أن اشتريت ذهبا عدة مرات عندما تزوج أبنائي وبناتي وكان الذهب من مختلف المصاغات النسائية من قلائد وحزام الوسط وأساور وخواتم وغيرها مما هو مطلوب في ذلك الوقت فبلغ ما اشتريته في كل مرة على ٤٥٠٠٠ إلى ٥٠٠٠٠ ألف ريال مما يحمل العروس من الذهب هذا المبلغ الآن لا تحصل به على قطعة واحدة من ذلك الذهب فلذلك انصرف كثير من الناس عن شراء الذهب إلى معادن أخرى أرخص وأجمل والعروس لا تقاس قيمتها بالذهب الذي تلبسه وإنما يزينها دينها واخلاقها وثقافتها وجمالها الذي وهبها الله ولو عدنا إلى الوراء قليلاً لوجدنا أنه في يوم ١٣٧١/٦/١٠هـ ١٩٥١م تم اكتشاف عروق الذهب في منطقة ظَلْمْ وقامت الحكومة بانشاء منجم الذهب هناك افتتحه وزير المالية عبد الله بن سليمان الحمدان ومعه وكيل أمير المدينة

المنورة عبد الله السديري وأمير الغاط ناصر السديري رحمهم الله بالاضافة إلى مهد الذهب الذي كان قائماً آنذاك وفي يوم ١٣٤٦/١١/٢٦هـ ١٩٢٧م تم سك الجنيه الذهبي لأول مرة في العهد السعودي والذي كان مماثلاً في تصميمه للريال السعودي الفضي من حيث الزخارف مكتوب عليه "جنيه عربي سعودي" وقد بلغ وزنه ٨ غرامات وقطره ٢٢ مليمتر. ولكن الذي يستخرج من هذه المناجم يتخذ غطاء للعملة الورقية المتداولة الآن وقد أحضر لي أحد الأخوة قطعة من الصخر الذي يوجد بها شذرات من الذهب وكانت العملة المتداولة في عهد الملك سعود من الذهب والفضة قبل أن تصدر الحكومة إيصالات الحجاج الورقية في آخر عهد الملك عبد العزيز ولما جاء عهد الملك سعود أصدرت الحكومة العملة الورقية واختفت الفضة والذهب وإنني أذكر أن أول راتب استلمته في مطلع عام ١٣٧٧هـ ١٩٥٧م كان من الجينهات الذهبية.

* * *

١٩٥٠- كان أبو الأسود الدؤلي قد أسن وكبر وكان مع ذلك يركب بغلة إلى المسجد والسوق ويزور أصدقاءه، فقال له رجل: يا أبا الأسود أراك تكثر الركوب وقد ضعفت عن الحركة وكبرت، فلو لزمت مترلك كان أودع لك، فقال له أبو الأسود: صدقت ولكن الركوب يشد أعضائي وأسمع من أخبار الناس ما لا أسمعه ببيتي واستنشي الريح، وألقي أخواني

ولو جلست في بيتي لاغتم بي أهلي وأنس بي الصبي واجترأ على الخادم، وكلمني من أهلي من يهاب كلامي لإلفهم إياي وجلوسهم عندي حتى لعل العتر أن تبول علي فلا يقول لها أحدهس وكان طريق أبي الأسود الدؤلي إلى المسجد والسوق في بني تيم الله بن ثعلبة وكان منهم رجل متفحش يكثر الاستهزاء بمن يمر به فمر به أبو الأسود يوماً فقال لقومه: كأن وجه أبي الأسود وجه عجوز راحت إلى أهلها بطلاق فضحك القوم وأعرض عنهم أبو الأسود ثم مرَّ به مرة أخرى فقال لهم: كأن غضون قفا أبي الأسود غضون الفقاح (جمع فقحة وهي حلقة الدبر) فأقبل عليه أبو الأسود وقال له: هل تعرف فقحة أمك فيهن؟ فأ فحمه وضحك القوم منه وقاموا إلى أبي الأسود فاعتذروا إليه مما كان ولم يعاوده الرجل بعد ذلك وقال فيه أبو الأسود حين رجع إلى أهله:

وأهوج ملجاج تصاممت قبله	أن أسمعه وما بسمعي من باس
فإن لساني ليس أهون وقعه	وأصغر آثار من النحت بالفاس
وذي إحنة لم يبدها غير أنه	كذي الخبل تأبى نفسه غير وسواس
صفحت له صفحا جميلاً كصفحه	وعيني وما يدري عليه وأحراسي
وعندي له إن فار فوار صدره	فحاجبلي لا يعاوده الحاسي
وحب لحوم الناس أكثر زاده	كثير الخنا صعب المحالة همّاس
تركت له لحمي وأبقيت لحمه	لمن نابه من حاضر الجن والناس
فكرَّ قليلاً ثم صدَّ كأنه	يعض بصمٍّ من صفا جبل راسي

١٩٥١- قيل لمعاوية بن أبي سفيان: إن بالحيرة رجل من بني جرهم، قد عمر ورأى الأعاجيب فقال معاوية: عَلَيَّ به، فلما حضر قال: ممن الرجل؟ قال عبيد بن شريه،قال: ثم ممن؟ قال: من قوم لم يبق منهم بقية، قال: فكم مضى من عمرك؟ قال عشرون ومئتاسنة قال: أخبرني بأعجب ما رأيت في عمرك قال: نعم يا أمير المؤمنين، كنت في حي من أحياء العرب فمات عندهم ميت يقال له عُشَرُ بن لبيد العذري (وقيل جبلة بن الحويرث وقيل حويرث بن جبلة) فمشيت في جنازته وتأسيت بجماعته، فلما دفن في قبره وأعول النساء في أثره، أدركتني عليه عبرة و لم استطع ردها وتمثلت بأبيات كنت سمعتها قديماً وعلق الآن على خاطري منها هذه الأبيات:

يا قلب إنك من أسماء مغرور ... فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير

قد بحت بالحب ما تخفيه من أحد ... حتى جرت لك إطلاقا محاضير

فلست تدري ولا ندري أعاجلها ... أدنى لرشد أم ما فيه تأخير

فاستقدر الله خيراً وارضين به ... فبينما العسر إذ درات مباسير

وبينما المرء في الأحياء مغتبط ... إذا هو الرمس تعفوه الأعاصير

يبكي الغريب عليه ليس يعرفه ... وذو قرابته في الحَيِّ مسرور

وذاك آخر عهد من أخيك إذا ... ما المرء ضمنه اللحد الخناسير

فينما أنا أردد هذه الأبيات وعيناي تنسكبان إذقال لي رجل إلى جبني من عذرة: يا عبد الله هل تعرف قائل هذا الشعر؟ قلت لا والله، قال:

قائله هذا الميت الذي دفناه وأنت الغريب الذي تبكي عليه ولا تعرفه، ولا تعلم أنه قائل هذه الأبيات وذو قرابته الذي ذكرته مسرور هو ذاك، وأشار إلى رجل في الجماعة، فرأيته لا يستطيع كتمان ما هو عليه من المسرة. فقال معاوية: يا أخاجرهم، سل ما شئت قال: ما مضى من عمري ترده، والأجل إذا حضر تدفعه، قال: ليس ذلك لي سل غيره، قال: يا أمير المؤمنين: ليس إليك الدنيا فترد شبابي ولا الآخرة فتكرم مآبي، أما المال فقد أخذت منه في عنفواني ما كفاني قال: لابد أن تسألني قال: أماذا شئت فأمر لي برغيفين أتغدى أحدهما وأتعشى بالآخر، واتق الله، وأعلم أنك مفارق ما انت فيه وقادم على ما قدمت فأمر له معاوية بأشياء وحنطه وغيرها فردها وقال: إن أعطيت المسلمين كلهم مثلها أعطيتني وإلا فلا حاجة لي في ذلك ثم ودعه وانصرف.

* * *

١٩٥٢- الرِّقُّ له حديث طويل، فقد كان موجوداً قبل البعثة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وكانت أسواق النخاسة أي بيع وشراء البشر موجودة يومذاك، ومن يباعون فيها من يغلبون في الحروب من رجال ونساء ثم انتشر الاسلام في عهد الخلفاء الراشدين والدولة الأموية والدولة العباسية وتوسعت الفتوحات الاسلامية في الأقطار المفتوحة، وكثرت الجواري المجلوبة من البلدان وكذلك الغلمان من نفس البلدان فتغذت أسواق وتوسعت ونشطت في كل الحواضر الاسلامعه في المدينة

المنورة ومكة المكرمة ودمشق وبغداد والبصرة والكوفة وغيرها و لم يكن موضوع الرق مقصوراً على البلاد العربية والاسلامية، وإنما كان مفهوماً سائداً في الأقطار الأخرى في آسيا وأوربا وأفريقيا كان الانسان يذهب لسوق النخاسة ويشتري ما يشاء من الجواري والغلمان حسب حاجته لمن يعملون في مزارعه ومصانعه أو من يخدمن في بيته ومن يتخذ منهن للمتعة الشخصية وسارت هذه التجارة البغيضة في كل الأقطار إلى عهد قريب و لم يكن من يباع ويشتري من ذوي البشرة السوداء فقط وإنما كانوا من الألوان الأخرى البيضاء والسمراء والصفراء فقد كانوا يجلبون من غرب آسيا أوربا وشمال أفريقيا من العرب والبربر وغيرهم وفي آخر القرن التاسع عشر الميلادي الرابع عشر الهجري بدأ العالم على صحوة من هذا الأمر حيث بدأ التفكير في الغاء الرق، فقد الغت الدانمارك الرق عام ١٢١٧هـ ١٨٠٢م وكذلك بريطانيا الغت الرق ١٢١٧هـ ١٨٠٢م أما فرنسا فقد الغت الرق بعد ذلك في عام ١٢٦٤هـ ١٨٤٨م ثم اتخذت هيئة الأمم المتحدة قراراً بإلغاء الرق وتداعت الدول إلى تنفيذ هذا القرار.وفي المملكة تم في عهد الملك سعود بن عبد العزيز رحمه الله في ١٣٨٢/٦/٨هـ ١٩٦٢م صدر مرسوم ملكي بالغاء الرق وعلى غراره منع الرق نهائيا من طريق شراء الرقيق وتم تحريرهم وتعويض من لديهم رقيق بمبالغ معينة من الدولة على أن يعطي الرقيق نصف هذا التعويض وتمنح له حريته وأتم العملية الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله غير أن من يملكون لرقيق لم يعطوهم من التعو يض

شيئاً حدثني بذلك واحد منهم إسمه فرج كان قد التحق في مؤسسة بترومين لعمل القهوة والشاي عام ١٣٨٤هـ عندما كنت أعمل فيها كما حدثني ثاني في نجران بتاريخ ١٣٨٧/١١/١٠هـ قال:كان آبائي وأجدادي مما ليك هذا الفلاح ولانعرف أحداً غيره ولما جاء العتق أخذ كل ما أعطته الدولة وقال لي ولزوجتي إن أردت أن تعمل كما كنت فلك أجرة شهرية ستين ريالاً ولزوجك أربعين ريالاً وطعامكم منها وتعملون عندنا، أو تذهبون إلى أي مكان تريدونه ونحن نعمل عنده بطعامنا وعند ذلك قلت على لسان هذا الشخص الذي حدثني قصيدة طويلة عنوانها (أعطني حريتي) ديوان رؤى مسافر منها:

أنا حلس الأرض من وقت بعيد

خلق السوط لجلدي من جديد

حينما استعبدت من جيل عنيد

وحسبت الكون من عبد وسيد

إن يبعني من شرائي بالمزيد

فسرت سلطته في ولدي

باع أبنائي ببخس الثمن

وتركني راسفا بالرهن

ليس لي حقل وما من سكن

لو تكلمت فطمري كفني

طال صمتي في خضم المحسن

إن قيـد الـذل أدمـى عضـدي

قد رويـت الحقـل أزكـى عرقـي

سـاهراً أحرسـه مـن أرقـي

ورفعـت البيـت أعلـى الشـقق

نحـت أظفـاري بشـق الطـرق

لا دمـوعي لا الـدما لا العـرق

مكنـت حقـي ولا نحـت يـدي

ونهايتـها

طالمـا عبثـت في حـريق

صـدأ الأغـلال غَطَّـى ركـبتي

معصـمي دَقَّ وسـاقي كَلَّـتِ

عـاتقي أدمـى وروحـي مَلَّـتِ

فكفـى تيهـا!؟ أصِـخْ لي بـالق

أعطـني حـريقي مـلء يـدي

وقد إطلعت على كتابين عن شراء الرقيق وبيعه لابن بطلان ومحمد الغزالي.

* * *

١٩٥٣- كتب عبد الملك بن مروان إنه ليس شيء من لذة الدنيا إلا وقد أصبت منه، ولم يكن عندي شيء الَذُّ إلا مناقلة الأخوان للحديث، وقبلك عامر الشعبي فابعث به إلي يحدثني فدعا الحجاج الشعبي فجهزه

وبعث به إليه وقرظه وأطراه في كتابه (قرظة أثنى عليه) فخرج الشعبي حتى إذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب: استأذن قال: من أنت؟ قال: أنا عامر الشعبي، قال: حياك الله! ثم نهض فأجلسني على كرسيه فلم يلبث أن خرج عليَّ فقال أدخل يرحمك الله، فدخلت فإذا عبد الملك جالس على كرسي وبين يديه رجل أبيض الرأس واللحية (يريد شعر الرأس)على كرسي فسلمت فرد علي السلام ثم أومأ إلي بقضيبه فقعدت عن يساره ثم أقبل على الذي بين يديه فقال: ويحك! من أشعر الناس؟ قال: أنا ياأمير المؤمنين، قال الشعبي فأظلم عليَّ ما بيني وبين عبد الملك فلم أصبر أن قلت: ومن هذا ياأمير المؤمنين الذي يزعم أنه أشعر الناس؟! فعجب عبد الملك من عجلتي قبل أن يسألني عن حالي قال: هذا الأخطل، فقلت: ياأخطل: أشعر والله منك الذي يقول:

هذا غلام حسن وجهه ... مستقبل الخير سريع التمام

للحارث الأكبر والحارث الأ ... صغر والأعرج خير الأنام

ثم لهند ولهند فقد ... أسرع في الخيرات منه إمام

خمسة آباء وهم ما هم ... هم خير من يشرب صوب الغمام

فرددها حتى حفظها عبد الملك، فقال الأخطل من هذا ياأمير المؤمنين؟ قال: هذا الشعبي، فقال: صدق والله ياأمير المؤمنين، النابغة والله أشعر مني، قال الشعبي: ثم أقبل علي فقال: كيف أنت ياشعبي؟ فقلت: بخير ياأمير المؤمنين فلا زلت له، ثم ذهبت لأضع معاذيري، لما كان من

خلافي على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فقال: مَهْ، إنا لا نحتاج إلى هذا المنطق، ولا تراه منافي قول أو فعل حتى تفارقنا، ثم أقبل على فقال: ما تقول في النابغة؟ قلت: يا أمير المؤمنين، قد فضله عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في غير موطن على الشعراء أجمعين، وببابه وفد غطفان، فقال: يامعشر غطفان أي شعرائكم الذي يقول:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ... وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة ... لبلغك الواشي أغش وأكذب
ولست بمستبق أخا لا تلمه ... على شعث أي الرجال المهذب

قالوا: النابغة ياأمير المؤمنين، قال فأيكم الذي يقول:

فإنك كالليل الذي هو مدركي ... وإن خلت أن المنتأي عنك واسع
خطاطيف حجن في حبال متينة ... تشدها أيدٍ إليك نوازع

قالوا: النابغة، قال: فأيكم الذي يقول:

إلى ابن محرق أعملت نفسي ... وراحلتي وقد هدت العيون
أتيتك عاريا خلقا ثيابي ... على خوف تظن بي الظنون
فألفيت الأمانة لم تخنها ... كذلك كان نوح لا يخون

قالوا: النابغة ياأمير المؤمنين، قال: هذا أشعر شعرائكم، ثم أقبل على الأخطل فقال: أتحسب أن لك قياضاً بشعرك إلا أني وددت أن كنت قلت أبيات

قالها رجل منا، كان والله ما علمت مُغْدفَ القَناع، قليل السماع، قصير الذراع، قال: وما قال؟ فأنشد قصيدته:

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل   وإن بليت وإن طالت بك الطيل
ليس الجديد به تبقى بشاشته   إلا قليلاً ولا ذو خلة يصل
والعيش لاعيش إلا ما تقربه   عين ولا حال إلا سوف تنتقل
والناس من يلق خيراً قائلون له   ما يشتهي ولأم المخطئ الهبل
قد يدركِ المتأني بعض حاجته   وقد يكون مع المستعجل الزلل

حتى اتي على آخرها.

* * *

١٩٥٤- كان محمد بن حميد الطوسي (وال من قواد جيش المأمون استعمله على الموصل، وكان شجاعاًممدحاً جواداً قتل عام ٢١٢هـ). كان على غدائه يوماً مع جلسائه، وإذا بصيحة عظيمة على باب داره، فرفع رأسه إلى بعض غلمان وقال: ما هذه الضجة؟ من كان على الباب فاليدخل! فخرج الغلام ثم عاد إليه وقال: إن فلانا أخذ وقد أوثق بالحديد، والغلمان ينتظرون أمرك فيه، فرفع يده عن الطعام، فقال رجل من جلسائه: الحمد لله الذي أمكنك من عدوك، فسبيله أن تسقي الأرض من دمه، واشار كل جلسائه عليه بقتله على صفة اختارها وهو ساكت! ثم قال: ياغلام، فك عنه وثاقه، ويدخل إلينا مكرماً، فادخل عليه رجل

لا دم فيه، فلما رآه هش إليه ورفع مجلسه، وأمر بتجديد الطعام، وبسطه بالكلام ولقمه حتى انتهى الطعام، ثم أمر له بكسوة حسنة وصلة وأمر برده إلى أهله مكرما و لم يعاتبه على جرم أو جناية ثم التفت إلى جلسائه وقال لهم: إن أفضل الأصحاب من حض الصاحب على المكارم، ونهاه عن ارتكاب المآثم، وحسن لصاحبه أن يجازي الإحسان بضعفه والإساءة بصفحه، إنَّا إذا جازينا من أساء إلينا بمثل ما أساء فإين موقع الشكر على النعمة فيما أتيح من الظفر؟! إنه ينبغي لمن حضر مجالس الملوك أن يمسك إلا عن قول سديد وأمر رشيد، فإن ذلك أدوم للنعمة وأجمع للألفة، إن الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ الأحزاب: ٧٠ – ٧١.

* * *

١٩٥٥- كوارث الطائرات كثيرة ومروعة، ومع أنها قليلة ولله الحمد بالنسبة لأعداد الطائرات الهائلة وفي بلدنا بصفة خاصة ولكني أذكر واحد من أروع تلك الحوادث وأشدها وقعاً في النفوس تلك الكارثة التي وقعت في عصر يوم ١٤٠٠/١٠/٩هـ ــ ١٩٨٠م بمطار الرياض حين احترقت الطائرة من نوع "ترايستار" وعلى متنها ٣٠٣ من الركاب غير الملاحين. بعد صدور الأوامر لقائد الطائرة محمد بن علي بن إبراهيم الخويطر ــ

رحمه الله ــ بضرورة عودة الطائرة إلى مدرج المطار بعد إقلاعها بعشر دقائق وعند رجعتها وتوقفها اندلعت النيران في جوفها بصورة سريعة وتأخرت فرق الإطفاء في عملها فاحترق جميع ركابها وملاحيها وقائدها ولم تطفأ النار إلا بعد أن احترقت الطائرة وتفحمت جثث الركاب ــ رحمهم الله رحمة واسعة وأدخلهم فسيح جناته فخيَّمَ الحزن والأسى على الناس وعصر قلوبهم وأحضرت الجثث في اليوم التالي إلى ثلاجة مستشفى الشميسي حتى يمكن التعرف على بعضها وبقيت الجثث المحترقة بمنظر يُفَطِّرُ القلوب لمدة عدة أيام ثم دفنت وأثرت الصدمة في الناس وأبنهم الشعراء والكُتَّاب بقصائد ومقالات من ذلك قول الشاعر عبد الله بن محمد بن خميس ــ رحمه الله ــ حين قال:

يــاراحلين وهــل أتــى مــن مخـبر	يــنبي جليــة شــأنكم أو يســعف
ماذا وقد أخــذ اللــهيب بعرضــها	في عرض دأمــاء الفضــاء المســوف
ما كان قائــدها الشــجاع مبلــداً	يهتــز ذعــراً بالنــذير المرجــف
بل قادها عبــل الــذراع مهيضــة	أخذ الطبيب بعــرض زنــد المــدنف
ليقــر فــوق المســتراد قرارهــا	بســمو مقــدرة وحســن تصــرف
وشكوا إلى فرق الــدفاع تحــوطهم	شكوى الجريح إلى النســور العكــف
هل هم إذا حُــمَّ القضــاء نضــارة	أم يقــدمون علــى المهــول المتلــف
لــو قلــدوا ممــا يقــال تعتبــا	نــاء وا بأوسمــة لعتــب مســرف

إلى آخر القصيدة الطويلة وبقيت أصداء هذه الحادثة مدة طويلة تترای في الأفق لا أعادها الله وستر الله وحفظ الناس من مثل تلك الكوارث.

* * *

١٩٥٦- كان المنصور (أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي الثاني) قد طلب معن بن زائدة الشيباني طلبا شديداً وجعل فيه مالاً (جائزة لمن ياتيه به) فحدث معن بن زائدة باليمن أنه اضطر لشدة الطلب إلى أن أقام في الشمس حتى لوحت وجهه، وخفف عارضيه ولحيته، ولبس جبة، صوف غليظة، وركب جملاً من الجمال النقالة ليمضي إلى البادية فيقيم بها، وكان قد أبلى في حرب يزيد بن عمر بن هبيرة بلاءاً حسناً غاظ المنصور وجد في طلبه، قال معن: فلما خرجت من باب حرب في اليمن تبعني أسود متقلد سيفاً، حتى إذا غبت عن الحرس قبض على خطام جملي فأناخه وقبض عليَّ، فقلت له: مالك؟ قال: أنت طِلبَةُ أمير المؤمنين، قلت: ومن أناحتي يطلبني أمير المؤمنين! قال: دع هذا عنك، فأنا والله أعرف به منك، فقلت له: فإن كانت القصة كما تقول: فهذا جوهر حملته معي يفي باضعاف ما بذله المنصور لمن جاءه بي، فخذه ولا تسفك دمي، قال: هات، فأخرجته إليه، فنظر إليه ساعة، وقال: صدقت في قيمته، ولست قابله حتى اسألك عن شيء فإن صدقتني أطلقتك. قلت: قل، قال: إن الناس قد وصفوك بالجود، فأخبرني هل وهبت قط مالك كله؟ قلت: لا، قال: فنصفه؟ قلت: لا، قال: فثلثه؟ قلت: لا حتى

بلغ العُشر فاستحييت فقلت: أظن أني فعلت هذا فقال: ما أراك فعلته! أنا والله ورزقي من أبي جعفر (مرتبي) عشرون درهماً، وهذا الجوهر قيمته آلاف الدنانير، وقد وهبته لك، ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور عند الناس، ولتعلم أن في الدنيا من هو أجود منك، فلا تعجبك نفسك، ولتحقرن بعد هذا كل شيء تفعله، ولا تتوقف عن مكرمة. ثم رمى بالعقد في حجري وخلى خطام البعير وانصرف، فقلت: ياهذا قد والله فضحتني، ولسفك دمي أهون علي مما فعلت فخذ ما دفعته إليك فإني غني عنه، فضحك وقال: أردت أن تكذبني في مقامي هذا، والله لا آخذه، ولا آخذ بمعروف ثمناً أبداً، ومضى فوالله لو طلبته بعد أن أمنت وبذلت لمن جاءني به ما شاء فما عرفت له خبراً وكأن الأرض ابتلعته.

* * *

١٩٥٧- "نجمين خِلاَبة وصدود" من قول جرير بن عطية الخطفي، وذلك أن الحجاج أراد قتله، فمشت إليه مضر، فقالوا: أصلح الله الأمير لسان مضر وشاعرها هبه لنا. فوهبه لهم، وكانت هند بنت أسماء بن خارجة زوجة الحجاج ممن طلب فيه، فقالت للحجاج: إئذن لي فاسمع من قوله، قال: نعم، فأمر بمجلس له وجلس فيه هو وهند ثم بعث إلى جرير فدخل وهو لا يعلم بمكان الحجاج، فقالت: أنشدني قولك في التشبيب قال: والله ما شببت بامرأة قط، وما خلق الله شيئاً أبغض إليّ من النساء،

ولكني أقول في المديح ما بلغك فإن شئت أسمعتك، فقالت: ياعدو نفسه فأين قولك؟

يجري السواك على أغر كأنه ... برد تحدر من متون غمام

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ... وقت الزيارة فارجعي بسلام

لو كنت صادقة الذي حدثتنا ... لو صلت ذاك فكان غير رمام

فقال جرير: لا والله ما قلت هذا ولكني أقول:

لقد جرد الحجاج بالحق سيفه ... ألا فاستيقموا لا يميلن مائل

ولا يستوي داعي الضلالة والهدى ... ولا حجة الخصمين حق وباطل

فقالت هند: دع ذا عنك فأين قولك؟

خليلي لا تستشعر النوم إنني ... أعيذكما بالله أن تجدا وجدي

ظمئت إلي برد الشراب وغرني ... جدا مزنة يرجى جداها ولا تجدي

قال جرير: أنا الذي أقول:

من يأمن الحجاج أما عقابه ... فمرٌّ وأما عقده فوثيق

لخفتك حتى أنزلتني مخافتي ... وقد كان من دوني عماية نيق

يُسِرَّ لك البغضاء كل منافق ... كما كل ذي دين عليك شفيق

قالت: دع ذاعنك، ولكن هات قولك:

ياعاذليَّ دعا الملامة واقصرا ... طال الهوى واطلتما التفنيدا

إني وجدتك لو أردت زيارة ... في الحب مني ما وجدت مزيدا

أخليتنـــا وصـــددت أم محمـــد أفـــتجمعين خلابـــة وصـــدودا
لا يستطيع أخو الصـــبابة أن يـــرى حجـــراً أصـــم وأن يكـــون حديـــدا

* * *

١٩٥٨- من عادات وتقاليد الشعوب ما هو غريب وعجيب، ففي التبت المجاورة للصين إذا أراد شاب الزواج من فتاة، فإن أهلها يضعونها فوق شجرة عالية، ويقفون حول الشجرة حاملين العصي ثم يقولون للعريس: إذا أردت الفتاة زوجة لك، فنحن نمنعك من الاقتراب منها، وإذا كنت جديراً بها فما عليك إلا أن تصل إلى أعلى الشجرة وتخلصها، وعندها تكون رجلا قوياً قادراً على حمايتها وتبدأ بعد ذلك المعركة بينه وبينهم فإذا نجح في الوصول إليها بعد ضرب شديد مؤلم كانت له زوجة عن جدارة واستحقاق، أما إذا لم ينجح فما عليه إلا أن يجر أذيال الخيبة ليبحث عن زوجة أخرى ومغامرة أخرى، ويالها من زيجة تعيسة كل يوم آكل له ضربة.

* * *

١٩٥٩- عاتبت إمراة معن بن زائدة الشيباني معناً في يزيد بن مزيد، وقالت: إنك لتقدمه وتؤخر بنيك، وتشيد بذكره، وتخمِّلُ وذكرهم، ولو نبهتهم لانتبهوا، ولو رفعتهم لارتفعوا، فقال معن: إن يزيد قريب لم تبعد رحمه، وله عليَّ حكم الولد، وبعد فإنهم ألوط (الصق) بقلبي وأدنى من نفسي

على ما توجبه واجبة الولادة للأبوة، من تقديمهم، ولكني لا أجد عندهم ما أجده عنده، لو كان ما يضطلع به يزيد من بعيد لصار قريباً، وفي عدوٌ لصار حبيباً، وسأريك في ليلتي هذه ما ينفسخ به عني ويتبين به عذري، ياغلام: اذهب فادع جساساً، وزائدة، وعبد الله، وفلاناً وفلاناً، حتى أتي على أسماء ولده، فلم يلبث أن جاءوا بالغلائل الطيبة، والنعال السندية، وذلك بعد هدأة من الليل، فسلموا وجلسوا، ثم قال: ياغلام: ادع لي يزيد، وقد اسبل ستراً بينه وبين المرأة، وإذا به قد دخل عجلاً وعليه السلاح كله، فوضع رمحه بباب المجلس، ثم أتى يحضر (يسرع)، فلما رآه معن قال: ماهذه الهيئة يا أبا الزبير؟ وكان يزيد يكنى أبا الزبير وأبا خالد، فقال: جاءني رسول: الأمير فسبق إلى نفسي أنه يريدني لوجه فقلت إن مضيت و لم أُعَرِّجْ، وإن يكن الأمر على خلاف ذاك فترع هذه الآلة أيسر الخطب، فقال لهم: انصرفوا في حفظ الله، فقالت المرأة قد تبين عذرك فأنشد معن قول الشاعر:

نفس عصام سودت عصاماً   وعودته الكرَّ والاقداما

وصيرته ملكا هماما

* * *

١٩٦٠- شَيْهَمُ بن ذي النابين العبدي، كان فيه فشل وضعف رأي أتى أرض النبيط في العراق في نفر من قومه فهوى جارية نبطية حسناء فتزوجها فنهاه قومه وقال في ذلك أخوه محارب:

ألم تـــرني ألام علـــى نكـــاحي فتـــاة حبـــها دهـــراً عنـــاني
رمـــتني رميـــة كلمـــت فـــوادي فـــأوهى القلـــب رميـــة مـــن رمـــاني
فلو وجد ابـــن ذي النـــابين يومـــاً بأخرى مثـــل وجـــدي مـــا هجـــاني
ولكن صـــد عنـــه الســـهم صـــداً وعـــن عـــرض علـــى عمـــدأ تـــاني

فلما سمع القوم ذلك كفوا عنه، ثم إن أباها قدم زائر لها من أرضه وحمل معه هدايا منها رطب وتمر فلما ذاق شيهم الرطب أعجبته حلاوته فخرج إلى نادي قومه وقال:

ما مـــراء القـــوم في جمـــع النـــدى ولقـــد جـــاء أبوهـــا يرطـــب

* * *

١٩٦١- الشاعر ليس إنسانا عاديا تمر عليه الأحوال الحسنة والسيئة ولا يستطيع التعبير عنها، وإنما يصور الحال التي هو عليها من خير أو شر أو مسرة أو معاناة وغير ذلك من الأحوال يقرأها أو يسمعها من تمر عليه ويرى الحالة التي كان عليها الشاعر مثل هذا الشاعر الذي عبر عن معاناته بقوله:

٦٣- يَا شَوقْ تَرْنِـــيْ وَايَّـــاكْ أخْـــوَانْ عَلَـــى شِـــقَىَ الـــنفِسْ عَـــاوِنِّي
٦٤- خَلَّـــكْ مِثِـــلْ عَـــادِلْ المِيْـــزَانْ عَطْنِـــيْ مِثِـــلْ مَـــا تَبِـــيْ مِـــنِيٍّ
٦٥- الْولْـــفْ مَاعَـــذْرَبْ بْلَيْهَـــانْ لاَ ضَـــاقَ خِلْـــقَ الجِمَـــل حَنـــيٍّ

وقد الفت كتاباً يبين "ميزات الشاعر" فظهر أن الشاعر فنان رائع، ورسام بارع، ومصور حاذق، ونحات ماهر وفي هذا الكتاب ٥٢٢ صفحة وأكثر من ٩٠٠ صور من الشعر الفصيح وأكثر من ٣٠٠ صورة من الشعر الشعبي صدر هذا الكتاب بطبعته الأولى عام ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م.

* * *

١٩٦٢- تزوج الحسن بن علي بن أبي طالب خولة بنت منظور زوجه إياها عبد الله بن الزبير وكانت أختها تحته فبلغ ذلك منظور بن زبان فقال: أمثلي يفتات عليه في ابنته! فقدم المدينة فركز راية سوداء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يبق قيسي إلا دخل تحتها فقيل لمنظور بن زيان: أين يذهب بك! تزوجها الحسن بن علي وليس مثله أحد فلم يقبل وبلغ الحسن ما فعل فقال له: شأنك بها فأخذها وخرج بها، فلما كانت بقباء جعلت خولة تندمه وتقول الحسن بن علي سيد شباب أهل الجنة فقال تلبثي هاهنا، فإن كانت للرجل فيك حاجة فسيلحقنا ها هنا، قال فلحقه الحسن والحسين وابن جعفر وابن عباس فتزوجها الحسن ورجع بها وبذلك يقول جفير العبسي:

إن الندى من بني ذبيان قد علموا — والجود في آل منظور بن سيار

الماطرين بأيديهم ندى ديما — وكل غيث من الوسمي مدرار

تزور جاراتهم وهنافوا ضلهم — وما فتاهم لها شراً بزوار

ترضى قريش بهم صهراً لأنفسهم وهم رضا لبني أخت وأصهار

* * *

١٩٦٣- أول من قال "رب أكلة منعت أكلات" عامر بن الظرب العدواني وكان من حديثه أنه كان يدفع بالناس في الحج فرآه ملك من ملوك غسان فقال لا أترك هذا العدواني أو أذله فلما رجع الملك إلى مترله أرسل إليه: أحب أن تزورني فأحبوك (أجيزك) وأكرمك واتخذك خلاً فأتاه قومه فقالوا: تفد ويفد معك قومك إليه، فيصيبون في جنبك ويتجهون بجاهك فخرج وأخرج معه نفر من قومه فلما قدم بلاد الملك أكرمه وأكرم قومه ثم انكشف له رأي الملك فجمع أصحابه وقال: الرأي نائم والهوى يقظان ومن أجل ذلك يغلب الهوى الرأي عجلت حين عجلتم ولن أعود بعدها إنا قد توردنا بلاد هذا الملك فلا تستبقوني بريث أقيم عليه ولا بعجلة رأي أخف معه فإن رأيي لكم فقال قومه له: قد أكرمنا كما ترى وبعد هذا ما هو خير منه، فقال: لا تعجلوا فإن لكل عام طعاماً ورب أكلة تمنع أكلات فمكثوا أياماً ثم أرسل إليه الملك فتحدث عنده ثم قال له الملك قد رأيت أن أجعلك الناظر في أموري فقال له: إن لي كتر علم لست أعلم إلا به تركته في الحي مدفونا وأن قومي أضناء بي فاكتب لي سجلاً بجباية الطريق فيرى قومي طمعا تطيب به أنفسهم فاستخرج كتري وارجع إليك وافراً فكتب له بما سأل وجاء إلى أصحابه فقال ارتحلوا حتى إذا أدبروا قالوا لم ير كاليوم وافدقوم أقل

ولا أبعد من نوال منك فقال: مهلاً فليس على الرزق فوت ومن لا يرى باطنا يعش واهنا فلما قدم على قومه أقام و لم يعد.

* * *

١٩٦٤- توارد الخواطر تحدث بين الشعراء دون أن يعلم أحدهما بالآخر فهذا شاعر قديم قد عبر عن سيره بقدمه كما يهوى قلبه وتسوقه رغبته قال من قصيدة:

وما زرتكم عمداً ولكـــن ذا الهـــوى   إلى حيث يهوى القلب هوي به الرجل

ويأتي بعده بنحو ألف سنة الشاعر شهاب بن مرزوق الجنيدي الشمري فيعبر بنفس التعبير دون أن يعلم بما قاله ذاك الشاعر حين قال من أبيات:

الرِّجِلْ تَتْبَعْ يَالأَزْيِمْعْ هَــوَى الْقَلْــبْ   نَمِشْــيْ وَرَاهَــا عَــارْفِيْنٍ قَــدِرْهَا

* * *

١٩٦٥- خرج أعرابي مكفوف البصر ومعه ابنة عم له، لرعي غنم لهما فقال الشيخ أجد ريح النسيم قد دنا فارفعي رأسك وانظري فقالت: أراها ربرب معزي هزلي قال: أرعي واحذري ثم قال بعد ساعة: إني أجد ريح النسيم قد دنا (يعني رائحة ندى المطر) فارفعي رأسك فانظري قالت: اراها كأنها بغال دهم تجرجلالها قال: إرعي وأحذري ثم مكث ساعة

فقال: إني أجد ريح النسيم قد دنا فانظري قالت كأني أراها بطن حمار اصحر قال: أرعي واحذري ثم مكث ساعة فقال: إني لأجد ريح النسيم فما ترين؟ قالت أراها كما قال الشاعر:

دان مسف فويق الأرض هيدبه … يكاد يرفعه من قام بالراح
كأنما بين أعلاه وأسفله … ريط منشرة أو ضوء مصباح
فمن بمحفله كمن بنجوته … والمستكن كمن يمشي بقرواح

فقال: انجي لا أبالك! فما انقضى كلامه حتى هطلت السماء عليهما.

* * *

١٩٦٦- أظن ماءكم ماء عِنَاقْ، وكان من حديثه أن رجلاً كان يستقي من البئر وبيته تلقاء وجهه فنظر فإذا هو برجل معانق لامراته يقبلها فأخذ العصا وأقبل مسرعاً لا يشك فيما رأى فلما رأته إمرأته جعلت الرجل في خالفة البيت بين الخالفة والمتاع فنظر يمينا وشمالاً فلم ير شيئاً وخرج ونظر في الأرض فلم ير شيئاً من اثر فكذب بصره فقالت المرأة كأنها تريه أنها استنكرت من أمره شيئاً:ما دهاك يا أبا فلان؟ أأرعبك شيء؟ فكتمها الذي رأى ومضى لحاجته فلما كان في الغد الثاني قالت يا أبا فلان هل لك أن اكفيك السقى وتودع اليوم فإني قد اشفقت عليك؟ قال: نعم إن شئت فأقام في المترل فانطلقت تسقي وتحينت منه غفلة فأخذت العصا ثم أقبلت حتى تفلق بها رأسه فشجته فقال: ويلك مالك

ومادهاك؟ قالت: وما دها بي يا فاسق أين المرأة التي رأيتها معك تعانقها قال والله ما عندي إمرأة وما عانقت اليوم إمرأة قالت: بلى أنا نظرت إليها بعيني وأنا على الماء، فتحالفا فلما أكثرت قال إن تكوني صادقة فإن ماءكم هذا ماء عناق. وأنشد أبو عمرو:

سرى لك بالعناقة من سعاد خيال فاجتني ثمر الفؤاد

* * *

١٩٦٧- وعودة إلى "خروف العيد" مرة أخرى وهذه المرة في المشرق العربي حيث نجد الأمر مختلف باختلاف المشاكسات حيث قامت أرملة عراقية بادخار ثمن خروف العيد (الأضحية) بصعوبة نظراً لضيق ذات اليد وأخذت تعتني به بشكل مبالغ فيه ولأن الدلال الزائد يفسد المزاج تناول الخروف المدلل كمية من النفط "البترين" معتقداً أنه ماء مما أسهم في احتضاره وهو ما جعل المرأة تعلن النفير العام فجلست العائلة حتى صلاة العيد وهي تعتني بالخروف وتقوم بقياس درجة حرارته خوفا من نفوقه قبل موعد الذبح الأمر الذى حرك روح الدعابة داخل ابنها البكر فقال: لقد اعتنيتي بالخروف بشكل يفوق عنايتك بي عندما كنت مريضا.

* * *

١٩٦٨- لما توفي السفاح عبد الله بن محمد الخليفة العباسي دخل أبو دلامة على المنصور والناس يعزونه وقال قصيدة منها:

مات الندى إذ مت يا ابن محمد   فجعلته لك في الثراء عديلا
إني سألت الناس بعدك كلهم   تدع العزيز من الرجال ذليلا
فلأحلفن يمين حق برة   بالله ما أعطيت بعدك سولا

فأبكي الناس قوله، فغضب المنصور غضبا شديداً وقال لي: إن سمعتك تنشد هذه القصيدة لأقطعن لسانك، قال أبو دلامة: يا أمير المؤمنين إن أبا العباس أمير المؤمنين كان لي مكرماً وهو الذي جاء بي من البدو كما جاء الله با خوة يوسف إليه،فقل كما قال يوسف لاخوته "لا تثريب عليكم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين"فسري عن المنصور وقال: أقلناك يا أبا دلامة فسل حاجتك فقال: يا أمير المؤمنين قد كان أبو العباس أمر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوبا وهو مريض ولم أقبضها، فقال المنصور: ومن يعرف هذا؟ فقال: هؤلاء واشار إلى جماعة ممن حضر فوثب سليمان بن مجالد، وابو الجهم فقالا: صدق أبو دلامة نحن نعلم ذلك، فقال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مغيظ: يا سليمان إدفعها إليه وسيره إلى هذا الطاغية (يعني عبد الله بن على) وقد كان خرج علي المنصور بناحيه الشام فوثب أبو دلامة فقال: يا أمير المؤمنين إني أعيذك بالله أن أخرج معهم فو الله إني لمشئوم فقال المنصور: إمض فإن يمني يغلب على شؤمك فاخرج فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أحب لك أن تجرب ذلك منى على مثل هذا العسكر فإني لا أدري أيهما يغلب أيمنك أم شؤمي، إلا أني بنفسي أوثق وأعرف وأطول تجربة، قال: دعني من هذا فما لك من الخروج بد، فقال: إني أصدقك الآن شهدت والله

تسعة عشر عسكراً كلها هزمت وكنت سببها فإن شئت الآن على بصيرة أن يكون عسكرك العشرين فافعل فاستغرق أبو جعفر ضحكا وأمره أن يتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفه.

* * *

١٩٦٩- الهلباجة هو النؤوم الكسلان العطل الجافي، قال الأصمعي عن خلف الأحمر قال: الهلباجة الضعيف العاجز الأخرق الأحمق الجلف الكسلان الساقط لامعنى فيه ولا غناء عنده ولا كفاية معه ولا عمل لديه، وبلي يستعمل وضرسه أشد من عمله فلا تحاضرن به مجلسا، وبلي فليحضرولا يتمكن، وأما وصف الحضري له: هو الذي لايرعوي لعذل عاذل ولا يصغى إلى وعظ واعظ ينظر بعين حسود ويعرض إعراض حقود، أن سأل الحف وإن سئل سوف وإن حدث حلف، وإن وعد أخلف، وإن استغنى بطر، وإن افتقر قنط، وإن فرح أشر وإن حزن يئس وإن ضحك زأر وإن بكي جأر وإن حكم جار، وإن قدمته تأخر، وإن أخرته تقدم، وإن أعطاك مَنَّ عليك وإن أعطيته لم يشكرك وإن أسررت إليه خانك، وإن أسر إليك إتهمك، وإن صارفوقك قهرك وإن صار دونك حسدك وإن وثقت به خانك وإن انبسطت إليه شانك وإن أكرمته أهانك وإن غاب عنه الصديق سلاه وإن حضر قلاه وأن فاتحه لم يجبه، وإن أمسك عنه لم يبدأه وأن بدأ بالود هجر وأن بدأ بالود جفا، وإن تكلم فضحه العي، وإن عمل قصر به الجهل وإن أؤتمن غدر وإن أجار أخفر وإن

عاهد نكث وإن خلف حنث لا يصدر عنه الآمل إلا بخيبة ولا يضطر إليه حر إلا بمحنة وقال أعرابي: الهباجة الأحمق الضخم القدم الأكول وهو الذي جمع كل شر (كل المساوئ فيه).

* * *

١٩٧٠- ومن أخبار خروف العيد (الأضحية) في الأردن أن الخروف هرب من بيت أهله وعاث بمزرعة جاره فساداً وتدميراً مما دفع كلب الحراسة إلى مهاجمته وقتله فتبرع الجار الطيب بخروف آخر بدلاً عنه عملاً بمفهوم حسن الجوار: أما في السودان فقد قام الابن المراهق لأهل الخروف بوضع نغمة تشبه ثغاء الخروف (رنة في هاتف موبايلي) مما أثار حفيظة الخروفباغت الفتى بنطحة تسببت في كسر يد الفتى الذي وضع النغمة وفي بلجيكا تقدم رجل غير مسلم يشكوى ضد عائلة مسلمة قامت بذبح الخروف في باحة منزلهم متهما إياهم "با لارهاب ضد الحيوان"!!

* * *

١٩٧١- خرج دريد بن الصمة الجشمي في فوارس من قومه في غزاة له فلقيه مسهر بن يزيد الحارثي الذي فقأ عين عامر بن الطفيل يقود بامرأته أسماء بنت حزن الحارثية فلما رآه القوم قالوا: الغنيمة هذا فارس واحد يقود ظعينته وخليق أن يكون الرجل قرشيا فقال دريد: هل منكم رجل يمضي فيقتله ويأتينا به وبالظعينة؟ فتقدم إليه رجل من القوم فحمل عليه فلقيه

مسهر فاختلفا طعنتين بينهما فقتله مسهر بن الحارث ثم حمل عليه آخر فكان سبيله سبيل صاحبه ثم قتل منهم أربعة نفر وبقى دريد وحده فأقبل إليه فلما رآه ألقى الخطام من يده في يد المرأة وقال: خذي خطامك فقد أقبل إليّ فارس ليس كالفرسان الذين تقدموه ثم قصد إليه وهو يقول:

أما تـرى الفـارس بعـد الفـارس ... أردا هـم عاقـل رمـح يـابس

فقال دريد: من أنت لله أبوك؟ قال: رجل من بني الحارث بن كعب قال: أنت الحصين؟ قال: لا قال: فالمحجل هوذة؟ قال: لا قال: فممن أنت؟ قال: أنا مسهر بن يزيد فانصرف دريد وهو يقول:

امن ذكر سلمى ماء عينيـك يهمـل ... كما أهل خرز من شـعيب مشلشـل

وماذا ترجـي بالسـلامة بعـد مـا ... نأت حقب وأبـيض منـك المرجـل

وحالت عوادي الحرب بيني وبينـهما ... وحربا تعـل المـوت صـرفا وتنـهل

إلى أخر القصيدة.

* * *

١٩٧٢- كل فتاة بأبيها معجبة أول من قال ذلك العجفاء بنت علقمة السعدي وذلك أنها وثلاث نسوة من قومها خرجن فاتعدن بروضة يتحدثن فيها، فوافين بها ليلاً في قمر زاهر، وليلة طلقة ساكنة وروضة معشبة خصبة فلما جلسن قلن: ما رأينا كالليلة ليلة ولا كهذه الروضة روضة أطيب

ريحا ولا أنضر ثم أفضن في الحديث فقلن أي النساء أفضل؟ قالت إحداهن الخرود الودود، الولود، قالت الأخرى: خيرهن ذات الغناء وطيبة الثناء وشدة الحياء قالت الثالثة: خيرهن السموع الجموع، النفوع، غير المنوع، قالت الرابعة خيرهن الجامعة لأهلها الوادعة، الرافعة لا الواصفة، قلن فأي الرجال أفضل؟ قالت إحداهن خيرهم الحظي، الرضي غير الخطال، ولا التبال، قالت الثانية: خيرهم السيد الكريم ذو الحب العميم والمجد القديم قالت الثالثة: خيرهم السخي الوفي، الرضي، الذي لا يغير الحرة ولا يتخذ الضرة قالت الرابعة وأبيكن إن في أبي لنعتكن كرم الأخلاق والصدق عند التلاق والفلج عند السباق، ويحمده أهل الرفاق وقالت إحداهن إن أبي يكرم الجار ويعظم النار وينحر العشار بعد الحوار ويحل الأمور الكبار قالت الثانية إن أبي عظيم الحظر منيع الوزر عظيم النفر يحمد منه الورد والصدر، فقالت الثالثة إن أبي صدوق اللسان كثير الأعوان يروي السنان عند الطعان قالت الرابعة: إن أبي كريم النزال منيف المقال كثير النوال، قليل السؤال، كريم الفعال قالت العجفاء "كل فتاة بأبيها معجبة" ثم تنافرن إلى كاهنة معهن في الحي فقلن لها: اسمعي ما قلنا وأحكمي بيننا واعدلي ثم أعدن عليها قولهن فقالت كل واحدة منكن ما ردة على الاحسان جاحدة لصواحباتها حاسدة ولكن اسمعن قولي: خير النساء المبقية على بعلها، الصابرة على الضراء مخافة أن ترجع إلى أهلها مطلقة فهي تؤثر حظ زوجها على حظ نفسها فتلك الكريمة الكاملة، وخير الرجال الجواد البطل القليل الفشل

إذا سأله الرجل الفاه قليل العلل كثير النقل ثم قالت: كل واحدة منكن بأبيها معجبة.

*　　*　　*

١٩٧٣- أَصَرَّ عَلَيَّ الشاعر حمدان بن عبيد الأشجعي العتري على نشر هذه القصيدة وتلبية لرغبته فقد قال:

٦٦- يَاهْلَ الفِكِرْ وَاهْل المَعَالِي والآدَابْ　　يَاهْلَ العُقُــولْ النَّيِّــرَةْ وَأَلْفِهِمْيَــهْ

٦٧- الله يَجْزَي كِلْ عَالِمْ لَــه كَتَّــابْ　　تَعْكِفْ عَلَيْهْ أَهْلَ العُقُولْ السِّــلِيْمهْ

٦٨- أَنْتُمْ سِبِيْلَ الخَيْرْ وَانْتَمْ لُهْ أَقْــرَابْ　　بَعْدَ الوِلِيْ مِنْكَمْ كِسَــبْنَا الغَنْيِمَــهْ

٦٩- وَاخِصْ اَنَا لأَدِيْبْ كَسَّابْ لأَطْيَابْ　　عَبَد الرَّحمن بْنَ الرِّجَــالْ الحَشِــيْمَةْ

٧٠- اِبْنَ السُّوَيْدَا لَلأَدَبْ صَارْ مِرْقَــابْ　　تَأرِيْخَهْ أَبْيَضْ مِــن سْــنِيْنٍ قِدِيْمَــةْ

٧١- بُهْ نِفْتِخِرْ عِنْدَ القَرَايِبْ وَالأَجْنَــابْ　　طَبْعَ الْقِمَرْ يِضْوِيْ اللّيَــالْ العَتِيْمَــةْ

٧٢- أَنَا أشْهَدْ إِنُّهْ لَلْجِــزْيْلاَتْ جَــلاَّبْ　　حُرٌّ وَلَدْ حُــرٍّ عَسَــى الله يْدِيْمَــهْ

٧٣- الشَّعْرْ فِي مَدْحُهْ تَعزْوَىَ وَلاَ شَابْ　　وَالشِّعْر يَفْخَرْ بالرِّجَــالْ الكَرِيْمَــةْ

*　　*　　*

١٩٧٤- ورد أبو النجم العجلي على هشام بن عبد الملك في الشعراء فقال لهم هشام صفوا لي إبلاً، فقطروها وأوردوها واصدروها حتى كأني انظر إليها فأنشدوه وأنشد أبو النجم قصيدته التي مطلعها:

الحمد لله الوهوب المجزل

حتى بلغ إلى ذكر الشمس فقال: وهي على الآفق كعين وأراد أن يقول:" الأحول" ثم ذكر حولة هشام فلم يتم البيت وارتج فقال هشام: أجز البيت فقال: "كعين الأحول" وأتم القصيدة فأمر هشام فوجئ عنقه وأخرج من الرصافة وقال لصاحب شرطته ياربيع إياك وأن أرى هذا! فكلم وجوه الناس صاحب الشرطة أن يقره ففعل، فكان يصيب من فضول أطعمة الناس ويأوى إلى المسجد، قال أبو النجم: لم يكن أحد بالرصافة يضيفني إلا سليمان بن كيسان الكلبي وعمرو بن بسطام التغلبي، فكنت آتي سليمان فأتغدى عنده، وآتي عمراًفأتعشى عنده وآتي المسجد فأبيت فيه قال: فاهتم هشام ليلة، وأمسى لَقِسَ النفس،(متكدر) وأراد محدثاً يحدثه فقال لخادم له: أبغني محدثاً أعرابياً أهوج يروي الشعر فخرج الخادم إلى المسجد فإذا هو بأبي النجم فضرب برجله وقال له: قم أجب أمير المؤمنين، قال: إني رجل أعرابي غريب، قال: إياك أبغي، فهل تروي الشعر؟ قال: نعم وأقوله: فأقبل به حتى أدخله القصر وأغلق الباب فأيقن بالشَّر، ثم مضى به فأدخله على هشام في بيت صخر، بينه وبين نسائه ستر رقيق والشمع بين يديه تزهر، فلما دخل قال له هشام: أبو النجم؟ قال: نعم ياأمير المؤمنين طريدك، قال: إجلس فسأله وقال: أين كنت تأوي ومن كان يترلك؟ فأخبره الخبر، قال: وكيف اجتمعا بك؟ قال: كنت أتغدى عند هذا وأتعشى عند هذا قال: وأين كنت تبيت؟ قال: في المسجد حيث وجدني رسولك، قال: ومالك من الولد والمال؟ قال: أما المال فلا مال لي، وأما الولد فلي ثلاث بنات وبني يقال له

شيبان، فقال: هل زوجت من بناتك أحداً؟ قال نعم زوجت اثنتين وبقيت واحدة تجمز في أبياتنا كأنها النعامة، قال: وما وصيت به الأولى وكانت تسمى "برة" فقال:

أوصيت من برة قلبا حرا بالكلب خيراً وبالحماة شرا
لا تسأمي ضربا لها وجرا حتى ترى حلو الحياة مرا
وإن كستك ذهباً ودرا والحيُّ عميهم بشر طرا

فضحك هشام وقال: فما قلت للأخرى؟ قال: قلت:

سبي الحماة وابهتي عليها وان دنت فازدلفي إليها
وأوجعي بالفهر ركبتيها ومرفقيها واضربي جنبيها
وظاهري النذر لها عليها لا تخبري الدهر بها ابنتيها

فضحك هشام حتى بدت نواجذه وسقط على قفاه فقال: ويحك! ما هذه وصية يعقوب ولده! قال: وما أنا كيعقوب ياأمير المؤمنين، قال:فما قلت للثالثة؟ قال: قلت:

أوصيك يابنتي فاني ذاهب أوصيك أن تحمدك القرائب
والجار والضيف الكريم الساغب لا يرجع المسكين وهو خائب
ولاتني اخفارك السلاهب[1] منهن في وجه الحماة كاتب
والزوج إن الزوج بئس الصاحب

---

[1] السلاهب : الطويلة.

قال: كيف قلت لها هذا ولم تتزوج؟ وأي شيء قلت لها في تأخير تزويجها؟ قال: قلت فيها:

كأن "طلامة" أخت شيبان يتيمة ووالدها حيان

الرأس قمل كله وصئبان وليس في الساقين إلا خيطان

تلك التي يفزع منها الشيطان

فضحك هشام حتى ضحك النساء لضحكه وقال للخصي: كم بقي من نفقتك؟ قال ثلاثمائة دينار، قال: أعطيه إياها ليجعلها في رجلي طلامة مكان الخيطين.

* * *

١٩٧٥- كلاهما وتمراً، أول من قال ذلك عمرو بن حمران الجعدي، وكان حمران رجلاً لسناً مارداً وأنه خطب "صدوف" وهي إمرأة كانت تؤيد الكلام وتشجع في المنطق، وكانت ذات مال كثير وقد أتاها قوم يخطبونها فردتهم، وكانت تعنّتُ خطابها في المسألة وتقول: لا أتزوج إلا من يعلم ما أسأله ويجيبني، وكان لا يأتيها خاطب إلا جلس قبل إذنها فقالت: ما يمنعك من الجلوس؟ قال:حتى يؤذن لي، قالت: وهل عليك أمير؟ قال: رب المترل أحق بفنائه، ورب الماء أحق بسقائه ولك له ما في وعائه، فقالت: اجلس فجلس، قالت له: ما أردت؟ قال حاجة، ولم آتك لحاجة، قالت: تسرها أم تعلنها؟ قال: تسر وتعلن ، قالت: فما حاجتك؟ قال: قضاؤها هين وأمرها بين وأنت بها أخبر وبنهجها أبصر،

قالت: فأخبرني بها، قال: قد عَرَّضت وإن شئت بينت قالت: من أنت؟ قال: أنا بشر ولدت صغيراً ونشأت كبيراًورأيت كثيراً، قالت: فما اسمك؟ قال: من شاء أحدث اسما، وقال ظلما، و لم يكن الاسم عليه حتماً، قالت: فمن أبوك؟ قال: والدي الذي ولدني ووالده جدي فلم يعش بعدي، قالت: فما لك؟ قال: بعضه ورثته وأكثره اكتسبته، قالت: فمن أنت؟ قال من بشر كثير عدوه، معروف ولده، قليل صعده، يفنيه أبده، قالت: ما مورثك أبوك عن أوليه؟ قال: حسن الهمم، قالت:فأين تترل؟ قال: أعلى بساط وساع في بلد شاسع، قريبه بعيده وبعيده قريبه، قالت: فمن قومك؟ قال: الذين انتمي إليهم، وأجني عليهم، وولدت لديهم، قالت، فهل لك إمرأة؟ قال: لوكانت لي لم أطلب غيرها و لم أضيع خيرها، قالت: كأنك ليست لك حاجة؟ قال: لو لم يكن لي حاجة لم أنخ ببابك، و لم أتعرض لجوابك، وأتعلق بأسبابك، قالت: إنك لحمران بن الأفرع الجعدي، قال: إن ذلك ليقال: فأنحكته نفسها وفوضت أمرها ثم إنها ولدت له غلاماً فسماه غمراً فنشأ مارداً مفوهاً، فلما أدرك جعله أبوه راعياً يرعى له الإبل، فبينما هو يوماًإذ رفع إليه رجل قد أضربه العش والسغوب، وعمرو قاعد وبين يديه زبد وتمر وتامك (سنام) فدنا منه الرجل وقال: أطعمني من هذا الزبد والتأمك، فقال عمرو: كلاهما وتمراً فأطعم الرجل حتى انتهى وسقاه لبنا حتى روى وأقام عنده أياماً.

١٩٧٦- قرأت كتاب بعنوان "التحليق داخل القفص" لكاتبه إضحوى الصعيب الشمري الذي أمضي في السجون الإيرانية مدة عشرين سنة وتحدث فيه عن ذكريات سجين عراقي في الحرب العراقية الإيرانية "حرب الخليج الأولى من عام ١٤٠٠-١٤١٠هـ/١٩٨٠-١٩٩٠م وتتضمن هذه الذكريات الكثير من الأمور المؤلمة داخل المعتقلات والسجون الإيرانية ومعاملة الإيرانيين للسجناء أثناء الاعتقال وهو مليء بالمواقف المحزنة والطرائف المضحكة المبكية التي يصعب إيرادها كاملة، ومالا يدرك كله لا يترك جله، منها ثلاثة مواقف بعد انتهاء الحرب وأثناء تبادل الأسرى بين الطرفين أحدهما حين طلب المعتقل "معروف" نقل اسمه من قائمة الحافلة التي هو مسجل عليها إلى قائمة الحافلة التي بعدها حيث يوجد فيها صديقه هذا الكلام وهم على نقطة الحدود العراقية الإيرانية على بعد أمتار من أرض العراق فتم له ما أراد، وانتقل إلى الحافلة الثانية وبعد ذلك بقليل جاء أمر من الإيرانيين بإعادة الحافلة التي انتقل إليها ومن فيها إلى المعتقل وبقي "معروف" في المعتقل بعد ذلك ثمانية أعوام بينما استمرت الحافلة التي انتقل منها ودخلت العراق بعد وقت قصير، وفي حافلة ثانية عام ١٩٩٠م على نقطة تبادل الأسر حيث صعد إلى الحافلة أحد الجنود الإيرانيين طالباً نزول ثمانية أسرى بالاسم فلم يتزحزح أحد من مكانه وأصر الأسرى الثمانية على البقاء وهم على مسافة أمتار من أرض وطنهم وطال الجدل بين الايرانيين وهؤلاء الأسرى وهدد الأيرانيون باستخدام القوة لانزالهم فتطوع أحد

الثمانية ونزل وتم انزال السبعة من الحافلة بالقوة ومن ثم أمر الثمانية بعبور الحدود إلى العراق وأمر من بقي بالحافلة بالعودة إلى السجن وفي موقف ثالث حيث طبيب وعدد من الضباط كانوا من الأسرى منهم (العقيلي) طلب منهم النزول من الحافلة وهم على نقطة العبور فنزلوا إلا (العقيلي) فإنه رفض رفضا قاطعا أن ينزل رغم تدخل المسئولين الايرانيين وأحضارهم مترجم يطلب منه النزول إلا أنه رفض بكل شدة، فأعيد من في الحافلة إلى السجن بمن فيهم (العقيلي) وبقي في السجن ١٢ سنة وعبر البقية الحدود إلى أرض وطنهم واستقبلتهم طائرة خاصة نقلتهم إلى بغداد قال تعالى﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾[1] صدق الله العظيم.

* * *

١٩٧٧- سأل معاوية بن أبي سفيان ليلى الأخيلية عن توبة بن الحمير فقال: ويحك يا ليلي! أكما يقول الناس كان توبة؟ قالت: يا أمير المؤمنين ليس كما يقول الناس حقا والناس شجرة بغي يحسدون أهل النعم حيث كانوا وعلى من كانت ولقد كان يا أمير المؤمنين سبط البنان حديد اللسان شجا للأقران كريم قال: وما قلت له؟ قالت: ولم أتعد الحق وعلمي فيه.

[1] سورة البقرة الآية ٢١٦.

بعيد الثرى لا يبلغ القوم قعره ألدُّ ملدّ يغلب الحق باطله
إذا حل ركب في ثراه وظله ليمنعهم مما تخاف نواز له
حماه بنصل السيف من كل فادح يخافونه حتى تموت خصائله

فقال معاوية ويحك يزعم الناس أنه كان عاهراً خاربا فقالت:

معاذ إلهي كان والله سيداً جواداً على العلات جمانوا فله
أغرَّ خفاجيا يرى البخل سُبَّةً تحلب كفاه الندى وأنامله
عفيفا بعيد الهم صلبا قناته جميلا محياه قليلا غوائله
وقد علم الجوع الذي بات ساريا على الضيف والجيران أنك قاتلة
وانك رحب الباع ياتوب بالقرى إذا ما لئيم القوم ضاقت منازله
يبيت قرير العين من بات جاره ويضحي بخير ضيفه ومنازله

فقال معاوية: ويحك يا ليلى ! لقد جزت بتوبة قدره فقالت والله يا أمير المؤمنين لو رأيته وخبرته لعرفت أني مقصرة في نعته وأني لا أبلغ كنه ما هو أهله، فقال معاوية: من أي الرجال كان؟ قالت:

أتته المنايا حين تم تمامه وأقصر عنه كل قرن يطاوله
وكان كليث الغاب يحمي عرينه وترضى به أشباله وحلائله
غضوب حليم حين يطلب حلمه وسم زعاف لا تصاب مقاتله

فأمر لها بجائزة عظيمة.

* * *

١٩٧٨- لا ماءك أبقيت ولا حرك أنقيت أول من قال هذا رجل اسمه الضب بن أروى الكلاعي وذلك أنه خرج تاجراً من اليمن إلى الشام فسار أياماً ثم حاد عن أصحابه فبقي مفرداً في تيه من الأرض حتى سقط على قوم لا يدري منهم فسأل عنهم فأخبر أنهم همدان فترل بهم وكان طريراً (ذرب اللسان) ظريفان وإن امرأة منهم يقال لها عمرة بنت سبيع هويته وهويها فخطبها الضب إلى أهل أبيها وكانوا لا يزوجون إلا شاعراً أو عائفاً أو عالماً بعيون الماء فسألوه عن ذلك فلم يعرف منها شيئاً فأبوا تزويجه فلم يزل بهم حتى أجابوه فتزوجها ثم إن حيا من أحياء العرب أرادوا الغارة عليهم فتطيروا بالضب فأخرجوه وامرأته وهي طامث فانطلقا ومع الضب سقاء من ماء فسار يوماً وليلة وأمامهما عين يظنان أنهما يصبحانها فقالت له: أدفع إليّ هذا السقاء حتى اغتسل فقال قاربنا العين، فدفع إليها السقاء فاغتسلت بما فيه ولم يكفها ثم صبحا العين فوجد اهانا ضبة وأدركهما العطش فقال لها الضب " لا ماءك أبقيت ولا حرك نقيت" ثم استظلا بشجرة حيال العين فأنشأ يقول:

تا الله ما طلة أصاب بهما ... بعلا سواي قوارع العطب
وأي مهر يكون أثقل مما ... طلبوه إذا من الضب
أن يعرف الماء تحت صم الصفا ... ويخبر الناس منطق الخطب
أخرجني قومها بأن الرحى ... دارت بشؤم لهم على القطب

فلما سمعت امرأته ذلك فرحت وقالت: إرجع إلى القوم فإنك شاعر فانطلقا راجعين فلما وصلا خرج القوم إليهما وقصدوا ضربهما وردهما فقال لهم الضب: إسمعوا شعري ثم اقتلوني فأنشدهم شعره فنجا وصار فيهم آثر من بعضهم قال الفرزدق:

وكنت كذات الحيض لم تبق ماءها ولا هي من ماء العذابة طاهر

*   *   *

١٩٧٩- سبق أن كتبت فقرة في الجزء الثالث من هذا الكتاب عن وجود رجل عتيي ببلدة المستجدة في منطقة حائل هجر ديار قومه في أرض عتيبة ومكث بالمستجدة زمنا في ذلك الحين الذي تعتبر المستجدة بلداً بعيداً نائباً عن ديار قومه ثم أرسل بأبيات لأهله موجودة في موضعها في تلك الفقرة وفي مجلس من المجالس الشعبية جاء أحد المتحدثين بقصة نزوح ذلك الشاب إلى تلك الديار حين سمع من أبيه هذين البيتين الذين سأوردهما، حينما كان الشاب تجليه الكلمة ويبعده البيت من القصيدة كان هذا الشاب كغيره من الشباب في هذه السن إذا نام غطس في نوم عميق والأب يريده أن ينام مثل نومه فقال رامز له في هذين البيتين فما كان من الابن إلا أن نزح متجها شمالاً إلى أن استقر به المقام بالمستجدة في مسافة مئات الأكيال عندما سمع أباه يقول:

يَا نَايِمِيْنْ وْمِهْتِنِيْنٍ بَالرِّقُوْدِ نَومِكَمْ مَا فَاذْ بَالَمْسْعَى كِلَابَهْ

لاَ صَارْ الوَلَدْ مَا هُوْ مِثِلْ سَبْعَ الفِهُوْدِ هَذَاكْ لَوْ هُـوْ وَيْلِـدِيْ وِيْـشْ أَبَابَـهْ

* * *

١٩٨٠- كان الحزين الكناني قد ضرب على كل رجل من قريش درهمين في كل شهر منهم ابن أبي عتيق، فجاءه لأخذ درهميه على حمار له أعجف (هزيل) وكُثَيِّرْ عَزّة مع ابن أبي عتيق، فدعا ابن أبي عتيق بدرهمين، فقال الحزين لابن أبي عتيق: من هذا معك؟ قال: أبو صخر كثير أبي جمعة وكان قصيراً دميماً، فقال له الحزين أتأذن لي أن أهجوه ببيت من شعر؟ قال: لا! لعمري لا آذن لك أن تهجو جليسي، ولكني أشتري عرضه منك بدرهمين آخرين ودعاله بهما، فأخذهما ثم قال: لابد من هجائه ببيت قال: أو أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين ودعاله بهما، فأخذهما ثم قال: ما أنا بتاركه حتى أهجوه أو تشتري ذلك بدرهمين فقال له كثير: إيذن له ما عسى أن يقول في بيت! فأذن له ابن أبي عتيق فقال:

قصير قميص فاحش عند بيته يعض القراد باسته وهو قائم

قال: فوثب كثير إليه فلكزه فسقط هو والحمار، وخلص ابن أبي عتيق بينهما، وقال لكثير: قبحك الله! أتأذن له وتسفه عليه! فقال كثير: أو أنا ظننته أن يبلغ بي هذا في بيت!؟

* * *

١٩٨١- هذا رجل من العرب كان تماراً بالبحرين (يبيع ويشتري التمر) اسمه قضيب وكان يأتي إليه رجل آخر فيشتري منه التمر ولم يكن يعامل غيره وإن ذلك التاجر (البحريني) اجتمع عنده حشف كثير (الحشف الردئ اليابس من التمر) الذي كان يبيعه فدخل يوماً ومعه كيس فيه دنانير كثيرة،فطرحه واخفاه ودفنه في ذلك الحشف وأنسي رفعه من هناك، وأتاه التاجر الأعرابي كما كان يأتيه يشتري منه التمر، فقال في نفسه هذا أعرابي ليس يدري ما أعطيه، فلأصيرن هذا الحشف فيما يبتاعه، فلما ابتاع منه التمر عدَّ عليه قوصرة الحشف فيما يبتاعه، فلما ابتاع منه التمر عدَّ عليه قوصرة الحشف التي مدفونة فيها الدنانير، ومضى قضيب بما اشترى من التمر فباع جميع ما معه من التمر غير الحشف فإنه لم يقدر على بيعه ولم يأخذه منه أحد، وتذكر التمار كيسه وعلم أنه باع القوصرة غلطاً فأخذ سكينا وتبع الأعرابي فلحقه وقال: أنك صديق لي وقد أعطيتك تمراً غير جيد فرده علي لأعوضك الجيد، فأخذ الجلة إليه فنثرها وأخرج منها دنانيره وقال للأعرابي: أتدري لَمِ حملت هذا السكين معي؟ قال: لا قال: لأشق بطني إن لم أجد الدنانير، فتنفس الأعرابي وقال: أرني السكين ناولنيه فناوله إياه فشق به بطن نفسه تلهفا، فضربت به العرب المثل فقالوا "ألهف من قضيب" وفي هذا الرجل يقول عروة بن حزام:

ألا لا تلوما ليس في اللوم راحة فقد لمت نفسي مثل لوم قضيب

١٩٨٣- إن أول علاقة لكثير بن عبد الرحمن بعزة أنه خرج من مترله يسوق خلف غنم إلى الجار فلما كان بالخبت وقف على نسوة من بني ضمرة فسألهن عن الماء فقلن لعزة وهي جارية حين كعب ثدياها (ظهر ثدياها لتوهما) أرشديه إلى الماء فأرشدته وأعجبته فبينما هو يسقي غنمه إذ جاءته عزة بدارهم فقالت: يقلن لك النسوة بعنا بهذه الدراهم كبشا من ضأنك فأمر الغلام فدفع لهاكبشا وقال: ردي الدراهم وقولي لهن:إذا رحت بكن أقتضيت حقى فلما راح مرَّ بهن فقلن له: هذا حقك فخذه، قال: عزة غريمي ولست أقتضي حقي إلا منها فمزحن معه وقلن: ويحك! عزة جارية صغيرة وليس فيها وفاء لحقك فأحله على أحدانا فإنها أملأ به منها وأسرع له أداء، فقال: ما أنا بمحيل حقي عنها ومضى لوجهه ثم رجع إليهن حين فرغ من بيع جلبه فانشدهن فيها:

نظرت إليهـا نظـرة وهـي عـاتق على حين أن شبت وبانت نهودهـا
وقد درعوهـا وهـي ذات مؤصـد مجوب ولما يلـبس الـدرع ريـدها
وكنت إذا ما جئت سعدى بأرضـها أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها
من الخفـرات البـيض ودجليسـها إذا ما انقضت أحدوثة أن تعيـدها

والمؤصدة: صدار تلبسه الجارية (الفتاة الصغيرة) والمجوب الذي له جيب وريدها: تربها.

* * *

١٩٨٤- مقتل الرجل بين فكيه، أول من قال هذا أكثم بن صيفي في وصية لبنيه وكان جمعهم فقال: تباروا فإن البر يبقى عليه العدد وكفوا ألسنتكم فإن مقتل الرجل بين فكيه، وإن قول الحق لم يدع لي صديقاً الصدق منجاة، لا ينفع التوقي مما هو واقع في طلب المعالي يكون العناء الاقتصاد في السعي أبقي للجمام، من لم يأس على ما فاته واع بدنه، ومن قنع بما هو فيه قرت عينه، التقدم قبل التندم أصبح عند رأس الأمر أحب إليَّ من أن أصبح عند ذنبه لم يهلك من مالك ما وعظك ويل العالم أمر من جاهله يتشابه الأمر إذا أقبل وإذا أدبر عرفه الكيس والأحمق البطر عند الرخاء حمق والعجز عند البلاء أمن لا تغضبوا من اليسير فإنه يجني الكثير لا تجيبوا فيما لا تسألوا عنه ولا تضحكو مما لا يضحك منه، تناءوا في الديار ولا تباغضوا فإنه من يجتمع يقعقع عنده، ألزموا النساء المهانة نعم لهو الغرة المغزل حيلة من لا حيلة له الصبر إن تعش ترى مالم تره، المكثار كحاطب الليل، من أكثر أسقط لاتجعلوا سراً إلى أمة وقد أحسن من قال رحم الله امرءاً أطلق ما بين كفيه وأمسك ما بين فكيه ولله در أبي الفتح البستي حين قال:

تكلم وسدد ما استطعت فإنما ... كلامك حي والسكوت جماد

فإن لم تجد قولاً سديد تقوله ... فصمتك من غير السداد سداد

وقال منصور الهروي:

إذا كنت ذا علم وما راك جاهل ... فأعرض ففي ترك الجواب جواب

وإن لم تصيب في القول فاسكت فإنما سكوتك من غير الصواب صواب

وقال أبو سهل النيلي:

أوصيك في نظم الكلام بخمسة إن كنت للموصي الشقيق مطيعا

لا تغفلن سبب الكلام و وقته والكيف ولكم المكان جميعا

* * *

١٩٨٥- اعتاد لص أن يسرق من أهل بستان من نخلهم وهو في طور التلوين قبل أن يكتسب الحلاوة أو يرطب فكان الذي يفرط من البسر ويخرب أكثر مما يأخذو يأكل ويحمله معه وقد عبث بالنخل يقطع من الشماريخ والعذوق ويرمي بها في الأرض فآذاهم بصنيعه هذا العبث قد أجزعهم ورغم أن البستان محاط بسور مرتفع إلا أنه يدخل من منفذ يعرفه ولا يأتي كل ليلة فرصدوا له عدة ليال ولماصعد أول نخلة مسكوا عليه ثلاث جهات من البستان وتركوا جهة رابعة في هذه الجهة ثلمة كبيرة وخلفها من الخارج بئر "خسيف" ليس بالطويل ولكن الانسان لا يستطيع الخروج منه إلا بمساعدة وهو مليئ بأغصان الأشجار اليابسة والأشواك وغيرها من يقفز من هذه الثلمة فمصيره قعر هذا "الخسيف" وعندما سمعوا صوت اللص في النخلة صاروا في الجوانب الثلاثة التي ليس الجانب الذي فيه الثلمة منها وتنادوا كل من جانبه يقولون عسى لا يأتي من الثلمة التي في الجهة الفلانية فانخرط اللص من النخلة متحاشياً الجهات

التي تصدر منها الأصوات في ظلمة الليل واتجه إلى الجهة التي ذكروا فيها الثلمة وقفز في الظلام مع الثلمة فسقط في قعر "الخسيف" المليء بالأشواك والأغصان اليابسة ولا يستطيع الخروج منه وقالوا له: مادمت قد بقيت هنا فسوف نأتيك في الصباح.

* * *

١٩٨٦- من أجمل ما قال كثير عزة بعزة التي يتوجد فيها عليها بعد أن تزوجت وهي قصيدة طويلة منها:

خليليَّ هذا رسم عزة فاعقلا ... قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

وما كنت ادري قبل عزة مالبكا ... ولا موجعات القلب حتى تولت

فليت قلوصي عند عزة قيدت ... بحبل ضعيف بأن منها فضلت

وأصبح في القوم المقيمين رحلها ... وكان لها باغ سواي فبلت

فقلت لها ياعز كل مصيبة ... إذا وطنت يوما لها النفس ذلت

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة ... لدينا ولا مقلية إن تقلت

هنيئاًمرئياً غير داء مخامر ... لعزة من أعراضنا ما استحلت

تمنيتها حتى إذا ما رأيتها ... رأيت المنايا شرعاً قد أظلت

كأني أنادي صخرة حين اعرضت ... من الصم لو تمشي بها العصم زلت

صفوحاً فما تلقاك إلابخيلة ... فمن ملَّ منها ذلك الوصل ملت

فإن تكن العتبى فاهلاً ومرحباً ... وحقت لها العتبى لدينا وقلت

أصاب الردى من كان يهوي لك الردى وجـن اللـواتي قلـن عـزة جنـت
وإني وهيـامي بعـزة بعـدما تخليـت ممـا بيننـا وتخلـت
لكا لمرتجـى ظـل الغمامـة كلمـا تبـوأ منـها للمقيـل اضـمحلت
كـأني وإياهـا سـحابة ممحـل رجاهـا فلمـا جاوزتـه اسـتهلت
فـوالله ثم الله لا حـل بعـدها ولا قبلها مـن خلـة حيـث حلـت

إلى آخر القصيدة (٤٣) بيتاً.

* * *

١٩٨٧- استراح من لا عقل له، قال عمرو بن العاص لولده في كلام يقول فيه: وال عادل خير من وطر وابل، وأسد حطوم خير من وال ظلوم، ووال ظلوم خير من فتنة تدوم، عثرة الرجل عظم يجبر، وعثرة اللسان لا تبقى ولا تذر، استراح من لا عقل له، معناه أن العاقل كثير الهموم والتفكر في الأمور، ولا يكاد يهنأ بشيء، والأحمق لا يفكر في شيء فيهتم، وإلى هذا المعنى ذهب القائل:

الصـعو يصـفر آمنـا ولأجلـه حـبس الهـزار لأنـه يتـرنم
لوكنت أجهل مـا علمـت لسـرني جهلي كما قـد سـاءني مـا أعلـم

وقال المتنبي:

ذو العقل يشـقي في النعـيم بعقلـه وأخـو الجهالـة في الشـقاوة يـنعم

وقال أبو هلال العسكري:

أو اصل الهـم في ضـيق وفي سـعة　　كـأن بـيني وبـين الهـم أرحامـا
إن الذي عظمـت في النـاس همتـه　　رأى السرور جوى والـوفر اعـداماً

وقيل للحسن البصري ــ رحمه الله ــ ما لنا نراك واجماً! قال: غمى مكتسب من عقلي، ولو كنت جاهلاً لكنت في دعة من عيشي، ورأى صبيانا يلعبون فقال: مذ فارقناكم (أي أعماركم) لم نر يوماً طيباً وقال الشاعر:

ألـف الهمـوم وسـادة وتجنبـت　　كسـلان يصـبح في المنـام ثقـيلاً

وقال امرؤ القيس:

وهـل يعملـن إلا سـعيد مخلـد　　قليـل الهمـوم مـا يبيـت بأوجـال

وقال الشاعر الشعبي:

٧٥- المِسْتِرِيْحْ اللّيْ مْنَ العَقِلْ مَسْـلُوْبْ　　لاَ شِفْتْ اَنَا العَاقِلْ تَرْ الَهْم دَاْبَـةْ
٧٦- إِنْ دَكْ بُهْ دَاكُوْكْ مَا يَسْمَعْ الطّوْبْ　　وِلْيَا انْتِبَهْ مَا جَابَنْ الـوِرْقْ جَابَـةْ
٧٧- اَللّي بْصَوْبْ وْعَيْلِتُهْ عَنْهْ فِي صَوْبْ　　لاَ تَبْحَثْ المَنْيُوْبْ يَاتِيْكْ مَـا بَـهْ

وقال آخر:

٧٨- وْشِرْبَكْ زْلاَلْ المَامَعْ النَّاسْ عِيْشَـةْ　　لاَصِرْتْ مِكْفِيْ الهُمُوْم الشّـدَايِدْ

* * *

١٩٨٨- أصاب الناس سنة جدب شديد هلكت فيه أغلب المواشي وخاصة في البادية فلم يبق لديهم أي شيء يرحلون عليه فحملوا الأشياء الضرورية جداً والخفيفة من أمتعتهم على كواهلهم ونزلوا إلى القرى والمدن في مثل هذه المجاميع المنهكة أقبل فرحان وزوجته التي مضى لها معه بضع سنين ولم ينجبا وفي طريقهما إلى المدينة الذي قطعاه على مراحل سيراً على الأقدام اعترضت لهما عجوز مسنة يهتز رأسها من الكبر ومعها بنت لها قد بلغت سن الزواج فتعلقت العجوز بفرحان على أن تصحبهما هي وابنتها إلى المدينة حيث أعدت الحكومة مضيفا للناس الهلكي تقدم لكل فرد أو مجموعة وجبتين في اليوم غداء وعشاء يحضر الانسان إناءه ويملأ له من الطعام فيأخذه لمكان إقامته وهكذا كل يوم والتزم فرحان بالتزام العجوز وبنتها يسير مسيرها ولما كانت الفتاة في أول شبابها أعجبته فقال لأمها: ما رأيك لو زوجتيني فلانة بدلاً من أن أتعورها في كل لحظة تكون زوجة لي ثانية ويرتفع الحرج عني وعنها فوافقت الأم والبنت وعرجوا في طريقهم على قرية وقصدوا خطيب المسجد وعقد القران لفرحان على البنت ثم استمروا في طريقهم نحو المدينة ثم نزلوا برحة قرب مكان الضيافة لعدة أيام فرأت البنت الزوجة الثانية عصر ذلك اليوم ظهر جزور على صينية كبيرة والسنام قائم لم يمس لعدم نضجه فقالت لزوجها فرحان عندما حل المساء يافرحان إذهب إلى ذلك السنام واقطعه من أساسه وأحضره الينا، فقال: وماذا تريدين به؟ فقالت: أحضره وأترك أمره إلي فذهب وأحضر السنام وما تحته من فقرة الظهر

فأخذوا من أسفل لحمه الذي لم ينضج واشتووا وتلحموا ثم ذهبت إلى أحد البيوت في المدينة واستعارت منهم قدرين وقطعت في أحدهما الشحم قطعاً صغيرة ثم أوقدت النار وبدأت (تخلعه) تذيب الشحم إلى ودك ملأت منه القدر الثاني وأواني كانت معهم أخرجت (حميمه أو خليعه) أوعية الشحم وأكلوا منها وأخذوا شيئاً وفي الصباح طلبت من فرحان أن يحمل الودك وحملت معه الخليع إلى السوق فباعه بستة ريالات فضية للودك وثلاثة ريالات فضة للخليع فصار مع فرحان تسعة ريالات، فقالت له زوجته أذهب إلى السوق واشترلك حماراً فذهب واشترى فقالت له: هذا الحطب متوفر غير بعيد عنا فاذهب وحمل الحمار من الحطب وبعه بالمدينة فأحضر حمل الحمار من الحطب وصار يبيعه ما بين ريالين وثلاثة ريالات وأقل من ذلك وأكثر حسب العرض والطلب ولم يمض أسبوع إلا وقد توفر لديهم شيئاً من النقود اشتروابه بيتا صغيراً من الشعر ونصبوه بعيداً نوعا ما عن زحمة الناس واستتروا فيه ولم يمض شهر إلا وقد توفر لديهم قيمة جمل فاشترى جملاً يحتطب عليه واتفق مع رفيق له أن يحتطب على الحمار بالمناصفة وهو يحتطب على الجمل ولم يمض شهران إلا وتحسنت أحوالهم فاشترت لهما ولضرتها مغزلان وكمية من الصوف وصارت كل واحدة منهن تغزل الصوف وتبيعه خيوطا أو تنسجان منه منسوجات يبعنها وتشريان بالثمن صوفا ويغزلان وهكذا دواليك وأصبح لهذا البيت دخلا من حصلية الحطب وحصيلة الغزل والنسيج وأصل هذه الثروة التي كونتها إرادة تلك المرأة

أساسها من سنام الشحم حين أحسنت المرأة فيه التصرف وأثرت الأسرة ثراء ملحوظا حتى انتهت الأزمة وعاد نزول الغيث وأخصبت الناس فعادوا إلى وضعهم الأول بأحسن حال.

* * *

١٩٨٩- مات عكرمة مولى ابن عباس وكثير عزة في يوم واحد من عام ١٠٥هـ ٧٢٣م فأخرجت جنازتيهما رحمهما الله فما علمت إمرأة بالمدينة ولا رجل عن جنازتيهما وقيل: مات اليوم أعلم الناس وأشعر الناس وغلب النساء على جنازة كثير يبكينه ويذكرن عزة في ندبتهن له،فقال أبو جعفر: أفرجو لي عن جنازة كثير لأرفعها فجعلنا ندفع عنها النساء وجعل يضربهن بكمه ويقول: تنحين يا صويحبات يوسف، فانتدبت له إمرأة منهن فقالت: يا ابن بنت رسول الله لقد صدقت، إنا لصويحبات يوسف وقد كنا له خير منكم قال أبو جعفر لبعض مواليه: احتفظ بها (يعني المرأة)حتى تجيء بها إذا انصرفنا فلما انصرف أتي بتلك المرأة كأنها شرارة نار فقال لها محمد بن علي: أنت القائلة إنكن ليوسف خير منا؟ قالت: نعم تؤمنني غضبك يا ابن بنت رسول الله؟ قال: أنت آمنة من غضبي فأبيني قالت: نحن دعوناه إلى اللذات من المطعم والمشرب والتمتع والتنعم وأنتم معاشر الرجال القيتموه في الجب وبعتوه بأبخس الأثمان وحبستموه في السجن فأينا كان عليه أحنى وبه أرأف؟! قال: الله درك ! ولن تغالب إمرأة إلا غلبت ثم قال لها: ألك بعل؟! قالت: لي من

الرجال من أنا بعله، قال أبو جعفر صدقت مثلك من تملك بعلها ولا يملكها فلما انصرفت قال رجل من القوم هذه زينب بنت معيقب.

* * *

١٩٩٠- قال عكرمة الضبي أن رجلاً من بني تميم يقال له ضمرة كان يغير على مسالح النعمان بن المنذر (المسالح الثغور) حتى عيل صبر النعمان فكتب إليه: أن ادخل طاعتي ولك مئة من الابل فقبلها وأتاه فلما نظر إليه النعمان إزداره وكان ضمرة دميما فقال النعمان "تسمع بالمعيدي لا أن تراه" أو "خير من أن تراه" فقال ضمرة مهلاً أيها الملك إن الرجال لا يكالون بالصيعان وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه أن قاتل قاتل بجنان وإن نطق نطق ببيان، قال صدقت لله دَرَّكَ هل لك علم بالأمور والولوج فيها؟ قال: والله إني لأبرم منها المسحول وانقض منها المفتول وأجيلها حتى تجول، ثم أنظر إلى ما تؤول وليس للأمور صاحب من لم ينظر في العواقب قال: صدقت لله دَرَّكَ قال فأخبرني عن العجز الظاهر والفقر الحاضر والداء العياء والسوءة السوآء؟ قال ضمرة: أما العجز الظاهر فهو الشاب القليل الحيلة اللزوم للحيلة (الزوجة) الذي يحوم حولها ويسمع قولها،إن غضبت ترضاها وإن رضيت تفداها وأما الفقر الحاضر فالمرء لا تشبع نفسه وإن كان من ذهب خله وأما الداء العياء فجار السوء إن كان فوقك قهرك وإن كان دونك همزك وإن أعطيته كفرك وإن منعته شتمك وإن كان ذاك جارك، فأدخل له دارك وعجل منه فرارك وإلا

فأقم بذل وصغار وكن ككلب هرار وأما السوءة السوآءفالحليلة (الزوجة) الصخابة الخفيفة الوثابة السليطة السباية التي تعجب من غير عجب وتغضب من غير غضب الظاهر عيبها المخوف غيبها فزوجها لا تصلح له حال ولا ينعم له بال إن كان غنيا لم ينفعه غناه وإن كان فقيراً أبدت له قلاه فأراح الله منها بعلها ولا متع بها أهلها فأعجب النعمان حسن كلامه وحضور جوابه فأحسن جائزته.

* * *

١٩٩١- كان الأعشى ميمون بن قيس يوافي سوق عكاظ كل سنةوكان المحلق الكلابي مئناثا مملقا (والمئناث من ذريته من الاناث) فقالت له امرأته: يا أبا كلاب ما يمنعك من التعرض لهذا الشاعر ! فما رأيت أحداً أقتطعه إلى نفسه إلا وأكسبه خيراً قال ويحك ما عندي إلا ناقتي وعليها الحمل! قالت: الله يخلفها عليك قال فهل له بد من الشراب والمسوح؟ قالت: إن عندي دخيرة لي ولعلي أجمعها فتلقاه قبل أن يسبق إليه أحد وابنه يقوده فأخذ الخطام فقال الأعشى من هذا الذي غلبنا على خطامنا؟ قال المحلق شريف كريم ثم سلمه إليه فأناخه فنحر له ناقته وكشط له عن سنامها وكبدها ثم سقاه وأحاطت بناته به يغمزنه ويمسحنه فقال: ما هذه الجواري حولي؟ قال بنات أخيك هن ثمان شريدتهن قليلة وخرج من عنده ولم يقل شيئاً فلما وافي سوق عكاظ واذا هو بسرحة قد اجتمع الناس عليها (السرحة شجرة كبيرة ظليلة) وإذا الأعشى ينشدهم:

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار بالبقاع تحرق
تشب لمقررين يصطليا لها وبات على النار الندى والمحلق
رضيعي لبان ثدي أم تحالفا بأسحم داج عوض لا نتفرق

فسلم عليه المحلق فقال له: مرحبا يا سيدي بسيد قومه ونادى الأعشى يا معشر العرب هل فيكم مذكار (الذي يلد الذكور) يزوج ابنه إلى الشريف الكريم! قال: فما قام من مقعده وفيهن مخطوبة إلا زوجها هكذا كانوا يحتالون على تزويج بناتهم لا أن يعقدون الأمور أمام تزويجهن أو يشترطون شروطاً معجزة.

* * *

١٩٩٢- قرأت مقالة قصيرة للكاتب السوداني جعفر عباس في جريدة اليوم بتاريخ ١٤٣٣/١٢/٣هـ بعنوان (الأطرش والمطنش)وموضوعها عن حكاية الضفادع التي اعتزمت الصعود إلى سقف بناية شاهقة بينما وقف جمهور حاشد من المتفرجين يضحك استخفافا بالضفادع وجهدها ويصيح فيهم الوصول إلى الطابق الأول وكيف أن آلالاف منها فشلت في تلك المهمة بينما ظل ضفدع صغير يقفز متجاهلاً عبارات الاستخفاف والشماتة حتى وصل إلى قمة النهاية واتضح أن الضفدع البطل الذي حقق ما لم يحققه ضفدع من قبل كان فاقد القدرة على السمع (أطرش) وهكذا كانت عاهته نعمة له لأنه لم يسمع الكلام المحبط والمثبط الذي كان يصدر من المشاهدين وركز على جهده في

تحقيق غايته وهي الوصول إلى أعلى نقطة في البناية العالية والشاهد في هذه الحكاية على أنه على من يريد النجاح في أمر ما فما عليه إلا أن يسد أذنيه كي لا يسمع كلام الشامتين أو من يشككون في قدراته بعبارة أخرى (طنش) الكلام المحبط والمثبط طالما أنك مصمم على تحقيق غاية تعتبرها مهمة مهما بدت صعبه المنال وحتى في المدرسة قد تجد مدرساً يشكك في قدراتك الذهنية ويحرص على تذكيرك بأنك حمار وحتى تثبت أنك لست غبيا "إعمل حالك أطرش" واجتهد في دروسك ولو أعار "البرت آينشتاين" ملاحظات مدرسته حوله أنتباها لما صار العالم الذي غير وجه الرياضيات والفيزياء فقد كانت تكتب في تقاريره أنه تلميذ خامل الذكاء ولا رجاء فيه، وأعرف أن العديد من الشبان والشابات ذوى القدرات الواعدة في مجال الكتابة والأدب يتعرضون للتجاهل والاستخفاف من قبل " الكبار" الذين يلجأون إليهم طالبين النصح والتوجيه والمساعدة في "النشر" ففي السودان موسيقي ومطرب اسمه محمد وردي وكان في صدر الشباب يحب أغنيات مطرب صاعد اسمه ابراهيم عوض ويردد تلك الأغنيات التي يغنيها في جلسات خاصة وخلال وجوده في مدينة صغيرة سعد وردي كثيراً عندما سمع أن ابراهيم عوض جاء لاحياء حفل غنائي وتسلل خلال الحفل إلى الكواليس ليلتقي بمطربه المفضل ويحكي له عن حلمه بدخول عالم الغناء على أمل أن يطلب من ابراهيم عوض أن يرد أمامه جملة الحنية أو أكثر ولكن ابراهيم عوض قال للصغير وردي يا بني (وكانا في نفس المرحلة العمرية) طريق

الموسيقى والغناء وعرو صعب فابحث لنفسك عن طريق آخر!! في تلك اللحظة قرَّر وردي عدم ترديد أي أغنية لذلك المطرب وقام بتلحين أغنيتين وتقدم بهما الى الإذاعة السودانية فأجازته كمطرب ذي طابع خاص المهم أن وردي وخلال سنوات قليلة صار ولا يزال(حتى بعد موته) المطرب الأول في السودان وأثيوبيا والكاميرون والصومال وتشاد وأريتريا وعموم افريقيا جنوب الصحراء بل صار رمزاً للأغنية الوطنية تخطب الحكومات السودانية المتعاقبة وده أو تطارده وتسجنه، وهكذا ينجح صاحب الموهبة الحقيقية في إثبات أنه كاتب أو شاعر أو ... أو .. لو استمع إلى موهبته ووثق من نفسه وسدَّ أذنيه كي لا يتسلل إليهما الكلام المحبط، والشيء بالشيء يذكر فما جرى للمطرب محمد وردي حصل لكاتب هذه السطور، فقد خطر بذهني الكتابة عن تاريخ نجد الغامض وأنا في (تايبيه ــ تايوان) وعندما عدت إلى الرياض أتيت الشيخ حمد بن محمد الجاسر ــ رحمه الله ــ وعرضت عليه فكرة أنني سأبحث في تاريخ نجد وأكتب عنه فقال ما معناه: أنصحك يابني ألا تحاول أن تبحث في هذا الموضوع "ما حولك ديرة" لو في هذا مجال لما تركناه، لم نجد شيئاً في هذا المجال فلا تتعب نفسك وتضيع وقتك، فتركته واتجهت للشيخ سعد بن عبد الله بن جنيدي ــ رحمه الله ــ فعرضت عليه الموضوع فقال "حنا قبلك ما لقيناشين" ثم تركته واتجهت للشيخ عبد الله بن محمد بن خميس ــ رحمه الله ــ وعرضت عليه الفكرة فقال: ما عندك شيء لم نجد شيئاً من هذا فتركت الجميع

وعزمت وصممت وتوكلت على الله وبدأت البحث وبعد سنة من هذا الكلام أصدرت الجزء الأول من كتاب "الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد" عام ١٤٠٨وأهديت للشيخ حمد نسخة منه فبهره ما وجد من معلومات وقال لي: من أين أتيت بهذه المعلومات؟ فقلت له من كتب اطلعت أنت على بعضها عندما كنت تبحث عن بلدانيات المملكة وبعد ست سنوات من البحث والتقصي اصدرت الجزء الثاني من الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد عام ١٤١٤هـ ثم استمريت في البحث وبعد ست سنوات أخرى أصدرت الجزء الثالث من هذا الكتاب عام ١٤٢١هـ وفي سنة ١٤٣٢هـ أعدت طباعة الأجزاء الثلاثة طباعة منقحة ومزيدة بمعلومات جديدة وامتدت فترة البحث حتى شملت دولتي كندة الأولى وكندة الثانية والكتاب بمجملة يشعل شمعة مضيئة لمن يريد البحث والتقصي والتدقيق عن تاريخ هذه المنطقة وقد لا يفي بكل تاريخها إنما يعطي الضوء للباحثين الذين يأتون من بعدي وذلك بتوفيق من الله ونتيجة لترك عبارات الإحباط والتثبيط التي سمعتها.

* * *

١٩٩٣- قال عتبة بن أبي سفيان قال لعبد الله بن عباس: ما منع علياً ــ رضي الله عنه ــ أن يبعثك مكان أبي موسى الأشعري؟ فقال عبد الله: منعه والله حاجز القدر، وقصرِ المدة، ومحنة الابتلاء، أما والله لوبعثني لاعترضت في مدارج نفس معاوية، ناقضاً لما أبرم، ومبرماً لما نقض،

أَسِفٌ إذا طار، وأطير إذا أَسَفَّ، ولكن مضى قدر وبقي أسف، والاخرة خير لأمير المؤمنين، فقال خزيم بن فاتك الأسدي:

لو كان للقوم رأي يرشدون به ... أهل العراق رموكم بابن عباس

لله در أبيه أيما رجل ... ما مثله لفصال القول في الناس

لكن رموكم بشيخ من ذوي يمن ... لم يدر ما ضرب أخماس بأسداس

أي لم يعرف المكر، ولم يكن له دهاء، فمكر بهن ومن لم يعرف الشيء كان جديراًبالوقوع فيه وأنشد ثعلب:

إذا أراد امرؤ مكراً جنى عللاً ... وظل يضرب أخماس باسداس

ويقال للذي لا يعرف المكر والحيلة إنه لا يعرف ضرب أخماس بأسداس.

* * *

١٩٩٤- عبيد الله بن عبد الله بن عتبة له قصيدة معبرة عن خلجات النفس وصورة للاخلاص في الحب لزوجته عَثْمَةْ التي طلقها بعد أن عتب عليها في بعض الأمر ثم ندم فقال قصيدة مطلعها:

كتمت الهوى حتى أضر بك الكتم ... ولامك أقوام ولومهم ظلم

ثم أردف هذه القصيدة بأخرى وهي التي عليها الكلام حين قال:

تغلغل حب عثمة في فؤادي ... فباديه مع الخافي يسير

تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولاحزن ولم يبلغ سرور
صدعت القلب ثم وضعت فيه هواك فلِيم والتأم الفطور
غني النفس أن أزداد حبا ولكني إلى صلة فقير
وانفذ حار حاك سواد قلبي فأنت عَلَيَّ ما عشنا أمير
أكاد إذا ذكرت العهد منها أطير لو أن إنساناً يطير

* * *

١٩٩٥- الشيخ حسن بن يوسف الفريح من أهل المستجدة بها ولد وقضى طفولته وصدر شبابه ثم انتقل إلى الرياض وصار من رجال الأمير محمد بن عبد العزيز آل سعود ــ رحمه الله ــ ينتقل معه في أي مكان يذهب إليه وكان سائقاً عنده، وقد أمضى معظم عمره في معية الأمير حتى تقاعد وكان في شبابه وحتى آخر عمره وسيماً مديد القامة أبيض اللون تعلو بياضه حمرة، قد تعرفت عليه وعرفته شخصياً بعد أن تقاعد عن عمله مع الأمير وقد زرته في منزله أكثر من مرة وكان لطيف المعشر حلو الحديث، يحدثك من قلب، يتحدث عن المستجدة وكأنه حديث العهد بها، وسمعت عنه أنه عندما زار المستجدة سأل عن عجوز كانت جارة لهم، ويبدو أنها كانت تحسن إليه عندما كان طفلاً فلم يجدها وأحسن إلى ورثتها مراعاة لرد الجميل وحق الجيرة، ورغم أنه أمي وكتابته بدائية إلا أنه يحفظ من علوم الرجال وقصصهم الشيء الكثير، وكان كريم المحيا لمن يستقبله كريم الكف لمن يستعين به، وكان صاحب

نخوة وفزعة بالمال والجاة فقد سمعت منه وعنه مواقف عديدة منها أنه تحمل دية إبن سعيد الشمري وقدرها ١٢٠٠٠٠ مائة وعشرين الف ريال وأسهم في دية أخرى عن عبد الله البشري من أهل المستجدة وقدرها ١٢٠٠٠٠ ما ئة وعشرين ألف ريال وسدد دين عن شفق بن حسن الجهيلي قدره ٦٠٠٠٠ فقط ستين ألف ريال وسدد عن حمود بن خزعل الفريسي وقدره ٤٠٠٠٠ أربعين ألف ريال وحدثني بالهاتف الشاعر سعد بن محشم الجهيلي أنه دفع له في يوم واحد ٥٠٠٠٠خمسين ألف ريال ولوالده محشم بن حشم الجهيلي ١٠٠,٠٠٠ مائة ألف ريال في مجلس واحد دفع للأب والابن ١٥٠٠٠٠ مائة وخمسين ألف ريال وأن ما وصل والده محشم بن حشم أكثر من ٨٠٠,٠٠٠ ثمانمائة ألف ريال وقد حدثني ابنه يوسف أنه عندما زار رجلاً يعز عليه فوجده متضايقاً لأنه نصب بيت شعر في ارض مقابلة لمترله فقال له صاحب الأرض إما أن تدفع قيمتها ١٢٠٠٠٠ مائة وعشرين ألف ريال أو تزيل بيتك الشعري فزاره حسن صدفة فوجده مهموماًعلى غير عادته متكدر النفس وسأله عن السبب فقيل له السبب، فما كان من أريحية حسن وجوده أن أعطى رفيقه شيكاً بقيمة الأرض ودفعه لصاحب الأرض وأفرغها باسم رفيقه، لكن للأسف هذا الرجل أدعى أن الذي سلمه المبلغ أحد الأمراء وليس الشيخ حسن واشترى لعدد من الأشخاص سيارات (جمس) و(جيب) تويوتا جديدة تتراوح أقيامها يومذاك ما بين ١٢٠٠٠٠ ، ١٤٠٠٠٠ مائة وعشرين ومئة

واربعين ألف ريال وعددهم ثلاثة هذا الشيء البين للناس أما من أعطاه خمسين ألف أو ثلاثين ألف أو عشرين ألف أو عشرة آلاف فعددهم كثير جعل الله ذلك في ميزان حسناته عند ربه فضلاً عن الوجاهة والشفاعة في بعض الأمور لدى الجهات الحكومية والأهلية والشخصيات المهمة وإدخال المرضى من أهل حائل أو المستجدة للمستشفيات الحكومية والخاصة وعلى سبيل المثال أذكر من أهل المستجدة على بن عوض الأشقر ـــ رحمه الله ـــ أدخله المستشفى التخصصي حتى شفاه الله من مرضه ، وقد لاقى الشيخ حسن وجه ربه بالرياض في يوم ١٤١٧/٨/٣٠هـــ ـــ رحمه الله رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته.

* * *

١٩٩٦- ما العصفور وما مرقته، قال دعبل الخزاعي:" خرجنا نريد طاهر بن الحسين أنا والعتابي وكان أَسَنَّ مني فأذن له وقال: أنشد على أني أعلم أنك لا تفرغ من انشادك حتى يأتي ما يشغلني عنك فبينما هو ينشد سمع تكبير فقال: ما هذا؟ قيل ابن جيلوبة أخذ، فسجد لغير القبلة فلما رفع رأسه قال: إن سجدة الشكر تكون حيث توجه العبد فلما أدخل عليه ابن جيلوبة أقبل يشتمه ثم رجع إلى نفسه وقال: يجب أن يكون الشكر عند الظفر أحسن من هذا ثم أمر بضرب عنقه (قتله) فقال ابن جيلوية: أصلحك الله أتأذن أن أصلي ركعتين فتأبي قال: أفتأمرلي بأحد أصحابك أوصي إليه فإني أخلف مالاً وصبية صغاراً، فقال: بل يميت الله الآخر

بحسرته قال: فأنشدك شعراً؟ قال: هات فإنه من كان آخر كلامه الشعر فمصيره النار فأنشد:

زعموا بأن الصقر علق مرة ... عصفوره برشاقة التغرير

فتكتم العصفور فيما خبروا ... والصقر منكب عليه يطير

ما كنت خامير لمثلك مرة ... ولئن شويت فإنني لحقير

فتبسم الصقر المدل بنفسه ... عجبا وأفلت ذلك العصفور

فطأطأ طاهر بن الحسين ثم قال: أطلقوه.

* * *

١٩٩٧- مر قيس بن ذريح لبعض حاجته بخيام بني كعب بن خزاعةو فوقف على خيمة منها والحي خلوف (اي الرجال غائبون) والخيمة خيمة لبنى بنت الحباب الكعبية فاستسقى ماء فسقته وخرجت إليه به وكانت إمرأة مديدة القامة شهلاء حلوة المنظر والكلام فلما رآها وقعت في نفسه وشرب الماء فقالت له: أتترل فتتبرد عندنا؟ قال: نعم فترل بهم وجاء أبوها فنحر له وأكرمه فانصرف قيس وفي قلبه من لبنى حر لا يطفأ فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع وروي ثم أتاها يوماً آخر وقد اشتدو جده بها، فسلم فظهرت له وردت سلامه.وتحفت به فشكى إليها ما يجد بها وما يلقى من حبها وشكت إليه مثل ذلك فأطالت وعرف كل واحد منهما ما له عند صاحبه فانصرف إلى أبيه واعلمه حاله وسأله أن يزوجه

إياها فأبى عليه وقال: يا بني عليك باحدى بنات عمك فهن أحق بك وكان ذريح كثير المال موسراً فأحب ألا يخرج ابنه إلى غريبة فانصرف قيس وقد ساءه ما خاطبه أبوه به فأتى أمه فشكا ذلك إليها واستعان بها على أبيه فلم يجد عندها ما يحب فأتى الحسين بن علي بن أبي طالب وابن أبي عتيق فشكى إليهما ما به وما ردعليه أبوه فقال له الحسين: أنا أكفيك فمشى معه إلى أبي لبني فلما بصر به أعظمه ووثب إليه وقال له: يا بن بنت رسول الله ما جاء بك؟ ألا بعثت إلى فآتيك! قال: إن الذي جئت فيه يوجب قصدك وقد جئتك قاصداً ابنتك لبني لقيس بن ذريح فقال: يا بن بنت رسول الله ما كنا لنعصي لك أمراً وما بنا عن الفتى رغبة، ولكن أحب الأمر ايضا أن يخطها ذريح أبوه وأن يكون ذلك عن أمره فإنا نخاف أن لم يسع أبوه في هذا أن يكون عاراً وسبة علينا فأتى الحسين ذريحا وقومه وهم مجتمعون فقاموا إعظاماً له وقالوا له مثل قول الخزاعيين فقال لذريح: أقسمت عليك إلا خطبت لبني لابنك قيس قال: السمع والطاعة لأمرك فخرج معه في وجوه من قومه حتى أتوا والد لبني فخطبها ذريح فزوجه إياها وزفت إليه فأقامت معه مدة لا ينكر أحد من صاحبه شيئاً وكان قيس أبر الناس بأمه فألهته لبني وعكوفه عليها عن بعض ذلك فوجدت أمه في نفسها وقالت: شغلت هذه المرأة إبني عن بري ولم تر للكلام في ذلك موضعاً مرض مرضاً شديداً فلما برأ من علته قالت أمه لأبيه: لقد خشيت أن يموت قيس وما يترك خلفاً وقد حرم الولد من هذه المرأة وأنت ذو مال فيصير مالك إلى الكلالة فزوجه

بغيرها لعل الله أن يرزقه ولداً وألحت عليه في ذلك فأهمل قيساً حتى إذا اجتمع قومه دعاه، فقال: يا قيس إنك اعتللت هذه العلة فخفت عليك الموت ولا ولدلك ولا لي سواك وهذه المرأة ليست بالولود فتزوج إحدى بنات عمك لعل الله أن يهب لك ولداً تقربه عينك واعيننا فقال قيس لست متزوجا غيرها أبداً فقال له أبوه: فإن في مالي سعة فتسرَّ بالاماء فقال: ولا أسوءها بشئ ابداً فقال أبوه: فإني أقسم عليك إلا طلقتها فأبى وقال الموت والله أسهل علي من ذلك ولكني أخبرك خصلة من ثلاث خصال قال وما هي؟ قال: أن تتزوج أنت فلعل الله أن يرزقك ولداً غيري قال: فما فِيَّ فضلة لك قال فدعني أرتحل عنك بأهلي وأصنع ما كنت صانعا لومت في غلتيَ هذه قال: ولا هذه قال: فادع لبنى عندك وارتحل عنك فلعلي أسلوها، فإني ما أحب بعد أن تكون نفسي طيبة أنها خيالي قال: لا أرضي أو تطلقها وحلف لا يكنه سقف بيت أبداً حتى يطلق لبنى فكان يخرج فيقف في حرِّ الشمس ويجيئ قيس إلى جانبه فيظله بردائه ويصلى وهو بحر الشمس حتى يفئ الفيئ فينصرف عنه ويدخل إلى لبنى فيعانقها وتعانقه ويبكي وتبكي معه وتقول له: لا تطع أباك فتهلك وتهلكني فيقول: ما كنت لأطيع أحداً فيك أبداً فيقال أنه مكث على ذلك سنة ثم طلقها.

* * *

١٩٩٨- من سلبيات الزواج في الماضي عندما كان عقد النكاح لا يتم إلا في آخر لحظة ذلك الأب الذي أبي وحرم إلا أن يحضر العريس له بندقية أم خمس "جديدة" أو مستعملة استعمالاً خفيفا، ومن أين للعريس في ذلك الوقت الحرج أن يلبي طلب والد العروس وتَدَخَّلَ رجال "السَّفَارةْ" الذين احضرهم من وجهاء بلدته وأميرها في الموضوع فأصر على طلبه وهو يقول: تحضرون لي ما طلبت أو ترجعون مع طريقكم ترافقكم السلامة وهذا الأمر غير منطقي أو معقول أن يفشل الزواج بسبب بندقية فتدخل أمير بلدة العريس وتعهد باحضار البندقية في غضون ثلاثة أيام وبعد الأخذ والرد وتقبيل رأس الرجل وافق على كره منه وهو يقول أريد من يضمنه ويكفله من أهل بلدتنا وحضر أكثر من واحد ممن هم في المجلس ومن ثم تم عقد القران وانتهت المشكلة وهناك من طلب سيارة "ونيت فورد جديد" وغير ذلك من الطلبات في آخر لحظة كما أن هناك كلام قيل في مثل هذه المواقف غير قابل للنشر.

* * *

١٩٩٩- لما أراد معاوية بن أبي سفيان أن يعقد البيعة لابنه يزيد قال لأهل الشام إن أمير المؤمنين قد كبر ودنا أجله، فما ترون وقد أردتم أن أولي رجلاً بعدي؟ فقالوا عليك عبد الرحمن بن خالد (بن الوليد) فأضمرها واشتكى عبد الرحمن فأمرابن اثال طبيبا كان له من عظماء الروم فسقى عبد الرحمن شربة سامة فمات فبلغ معاوية فقال: ما لجد إلا ما أقعص

(قتله في مكانه) عنك ما تكره وبلغ حديثه ابن أخيه خالد بن المهاجر وهو بالمدينة فورد دمشق مع مولي له يقال له: نافع فقعد لابن أثال فلما طلع منصرفا من عند معاوية شد عليه خالد وضربه فقتله فطلبهما (أي خالد ورفيقه) فوجدهما فقال معاوية قتلته لعنك الله! قال خالد: نعم قتل المأمور وبقي الآمر ولو كنا على سواء ما تكلمت هذا الكلام وقضى في ابن أثال بالدية اثني عشر ألف درهم وأدخل منها بيت المال ستة آلاف درهم وكانت دية المعاهد اثني عشر الف درهم حتى قام عمر بن عبد العزيز فأبطل الذي كان للسلطان يأخذ منها وقال خالد بن المهاجر حين رجع إلى المدينة:

قضى لابن سيف الله بالحق سيفه — وعري من حمل الذحول رواحله

فإن كان حقا فهو حق أصابه — وإن كان ظنا فهو بالظن فاعله

سل أبن أثال هل ثأرت بن خالد — وهذا ابن جرموز فهل أنت قاتله

وقال كعب بن جعيل:

ألا تبكي وما ظلمت قريش — بأعوال البكاء على فتاها

فلو سئلت دمشق وارض حمص — وبصري من أباح لكم ثراها

فسيف الله ادخلها المنايا — وهدم حصنها وحمى حماها

وأسكنها معاوية بن حرب — وكانت أرضه أرضا سواها

* * *

٢٠٠٠- قال ابن جريج أنه سمع قيس بن ذريح يقول لزيد بن سليمان: هجرني أبواي في لبنى عشر سنين أستأذن عليهما فيرداني حتى طلقتها وأخبرت أن عبد الله بن صفوان الطويل لقي ذريحا أبا قيس فقال له: ما حملك على أن فرقت بينهما؟ أما علمت أن عمر بن الخطاب يقول: ما أبالي أن فرقت بين الرجل وإمرأته أو مشيت إليهما بالسيف قالوا فلما بانت لبنى بطلاقه إياها وفرغ من الكلام لم يلبث حتى استطير عقله وذهب به ولحقه مثل الجنون وتذكر لبنى وحالها معه فأسف وجعل يبكي وينشج أحر نشيج وبلغها الخبر فأرسلت إلى أبيها ليحتملها وقيل بل أقامت حتى انتهت عدتها وقيس يدخل عليها فأقبل أبوها بهودج على ناقة وبابل تحمل أثاثها فلما رأى ذلك قيس أقبل على جاريتها فقال: ويحك! ما دهاني فيكم؟ فقالت:لا تسألني وأسأل لبنى فذهب لِيُلِمَّ بخبائها فيسألها فمنعه قومها فأقبلت عليه إمرأة من قومه فقالت له: مالك ويلك أتسأل كأنك جاهل أو تتجاهل! هذه لبنى ترتحل الليلة أو غداً فسقط مغشيا عليه لا يعقل ثم أفاق وهو يقول:

وإني لمغن دمع عيني عن البكا ... حذار الذي قد كان أو هو كائن

وقالوا غداً أو بعد ذلك ليلة ... فراق حبيب لم يبن وهو بائن

وما كنت أخشى أن تكون منيتي ... بكفيك إلا أن ما حان حائن

* * *

٢٠٠١- قرأت في جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ٢٠١٢/٧/١٧م عن أضيق زقاق في بغداد في حي الكَسْرَةْ بجانب الرصافة من بغداد حيث تبدو بيوت المنطقة الشعبية التي تتمركز في هذا الحي وغالبيتها بيوت عشوائية في الحي الذي يتوسط أرقى الأحياء السكنية في العاصمة العراقية منذ عشرينات القرن الماضي وهي الوزيرية التي سميت لسكن الوزراء فيها والأعظمية وحي المغرب وحي الكسرة التي سميت كذلك نسبة إلى الكسرة التي حدثت في سدته من جهة النهر بسبب فيضان ١٩٢٥م وأغرق المدينة والكسرة لا تبعد كثيراً عن نهر دجلة الذي يقوم على ضفته أجمل القصور البغدادية وهو قصر (شعشوع) الذي كان مضرب الأمثال بفخامته وقد اتخذه الملك فيصل الأول مسكنا له لفترة من الزمن عندما تعرض مسكنه للفيضان وكان أحد القصور العباسية وتحول فيما بعد إلى قصر الثقافة والفنون وكان هذا الحي يضم بناية البلاط الملكي الذي تحول فيما بعد إلى معهد للفنون الجميلة ولأهمية هذا الحي القديم الشرقي فقد أقامت به كبرى العائلات البغدادية الراقية التي بنت فيه منذ الأربعينيات أجمل "الفلات" الفاخرة خاصة في شارع الزهاوي في حي الكسرة وفي منطقة الأبنية العشوائية يقع أضيق زقاق في العراق ويدور حوله الكثير من القصص التي حصلت فيه ولا يتجاوز عرض هذا الزقاق القديم ٤٠ سم أربعين سنتيماً ويمتد نحو ٣٥ متراً في ممرات متعرجة وضيقة وغير معبدة او هو يقع في زقاق ٤١ السكني وبالتحديد في سوق الكسرة محلة ٣٠٢ وُيُعَدُّ الأكثر ضيقا بين الأزقة القديمة

ويسميه العامة "الدريونة الضيقة" كونه لا يسمح بالمرور فيه لأكثر من شخص واحد ويقطنه أكثر من عشر عائلات على جانبيه في بيوت شعبية ذات كثافة سكانية عالية أنشأت في ثلاثينيات من القرن المنصرم ولا تزال شاخصة حتى الان ويتعذر إقامة الأفراح فيه فالعروس مثلا لا يمكنها أن تزف في بيت أهلها بسبب ضيق المكان وتضطر لاختيار أحد بيوت أقاربها في مناطق مجاورة، وكذا الحال في مراسم الوفاة إذ أن أهل المتوفى يعانون الأمرين من أجل إخراج الجنازة من البيت للسبب ذاته، ويعاني سكان الزقاق الكثير في حياتهم اليومية حتى أن أثاثهم يدخل ويخرج من البيوت عبر سطوح الدور القريبة منها إلى الشارع المحاذي للزقاق، وغالبا ما تهمل الأجهزة الكهربائية المترلية إذا أصابها عطل لأن إخراجها يعني تكبد مشاق كثيرة، وهناك شارع أضيق منه بألمانيا وهو شارع "سيروهوف" في رويتليجن عرضه ٣١سم وقد انشئ الزقاق قبل ٣٠٠سنة ويعتبر أضيق شارع في العالم.

* * *

٢٠٠٢- قال المبرد : في القول " حان من نجم الثريا طلوع" كناية وإنما يريد بالثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر، وكانت موصوفة بالجمال، وتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري فنقلها إلى مصر وفي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة وضرب لهما المثل بالنجمين:

أيهـــا المــنَلح الثريـــا ســـهيلاً عمــــرك الله كيـــف يلتقيـــان

هـــي شـــامية إذا مـــا اســـتقلت وســـهيل إذا اســـتقل يمـــاني

فمات سهيل عنها أو طلقها فخرجت إلى الوليد بن عبد الملك وهو خليفة في دمشق تطلب في دين عليها، فبنما هي عند أم البنين ابنة عبد العزيز بن مروان، إذ دخل الوليد فقال من هذه عندك؟ قالت: الثريا جاءتك تطلب في دين ارتكبها، فأقبل الوليد عليها وقال: أتروين من شعر عمر بن أبي ربيعة شيئاً، قالت: نعم أما إنه رحمه الله كان عفيفاً، عفيف الشعر أروي له قوله:

ما على الرســم بـــالبلين لـــو بـــين رجـــع الســـلام أولـــو أجابـــا

فـــإلي قصـــر ذي العشـــيرة بالصـــا ئـــف أمســـى مـــن الأنـــيس ببابـــا

وبمـــا قـــد أرى بـــه حـــي صـــدق ظـــاهري العـــيش نعمـــة وشـــبابا

وحســـانيا جواريـــا خفـــرات حافظـــات عنـــد الهـــوى الأحســـابا

لا يكثـــرن بالحـــديث ولا يتعـــــــــن قـــن بالبـــهام الظرابـــا

فلما خلى الوليد بأم البنين قال: لِلَّه دَرَّ الثريا، أتدرين ما أرادت بإنشادها ما أنشدت عن عمر؟ قالت: لا، قال: فإني لما عرضت لها بعمر، عرضت بأن أمي أعرابية، وأم الوليد ولاده ابنة العباس بن جزء بن الحارث بن زهير العيسى، وهي أم سليمان، ولا تعلم إمرأة ولدت خليفتين في الإسلام غيرها، وغير الخيزران وهي سبية (بربرية) من خرشنة (من المغرب) ولدت موسى الهادي وهارون الرشيد ابني محمد

المهدي، وشاهسفرم بنت فيروز بن يزاد جرد بن شهريان بن كسرى أبرويز، فإنها ولدت للوليد بن عبد الملك يزيد بن ابن الوليد الناقص وإبراهيم بن الوليد المخلوع، جلس للخلافة بعد أخيه بمدة يسيرة، ثم جاء مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية فخلعه وولي بعده. وكان عمر على غزله، وما يذكره في شعره عفيفاً، حَدَّثَ المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه قال: دخلت مع أبي مكة، فجاءه عمر فسلم عليه وأنا غلام شاب وعليَّ جُمَّة، فجعل يأخذ بخصلة من شعري فتمتد في يده، ثم يرسلها فترجع فيقول: واشباباه! فقال لي ياأبن أخي، قد سمعت قولي "قلت لها وقالت لي"، وكلُّ مملوك لي حر إن كنت كشفت عن فرج حرام! قال: فقمت وفي نفسي من يمينه شيء، فسألت عن رقيقه فقيل لي: أما في هذا الحول فسبعون. وشبيه بقول الثريا من باب التعريض، أنه دخلت عَزَّةُ على عبد الملك بن مروان فقال لها: أنتِ عَزَّةُ كُثَيِّرْ؟ قالت: أنا أم بكر الصخرية قال لها: ياعزة هل تروين من شعر كثير شيئاً؟ قالت : ما أعرفه ولكن سمعت الرواة ينشدونه:

قضى كل ذي دين فوفى غريمه ... وعزة ممطول معنى غريمها

قال: فتروين قوله:

وقد زعمت أني تغيرت بعدها ... ومن ذا الذي ياعز لا يتغير

تغير حالي والخليقة كالذي ... عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

فقالت: ما سمعت هذا ولكن سمعتهم ينشدون:

كأني أنادى صخرة حـين أعرضـت   من الصم لو تمشى بها العصـم زلـت
غضـوباً فمـا تلقـاك إلا بخيلـة   فمن مَلَّ منها ذلـك الوصـل ملـت

* * *

٢٠٠٣- فلما طال على قيس بن ذريح ما به أشار قومه على أبيه أن يزوجه امرأة جميلة فلعله أن يسلو عن لبنى فدعاه أبوه إلى ذلك فأباه وقال:

لقد خفت ألا تقنع الـنفس بعـدها   بشيء من الـدنيا وان كـان مقنعـاً
وازجر عنها النفس إذ حيـل دونهـا   وتـأبى إليهـا الـنفس إلا تطلعـاً

فأعلمهم أبوه بما رد عليه، قالوا فمره بالمسير إلى أحياء العرب والنزول عليهم فلعل عينه أن تقع على امرأة تعجبه، فأقسم عليه أبوه أن يفعل، فسار حتى نزل بحي فزارة فرأى جارية حسناء قد حسرت برقع خز عن وجهها وهي كالبدر ليلة تَمِّة فقال لها: ما اسمك ياجارية؟ قالت لبنى، فسقط على وجهه مغشياً عليه، فنضحت على وجهه ماء واتاعت لما عراه ثم قالت: إن لم يكن هذا قيس بن ذريح إنه لمجنون! فأفاق فنسبته فانتسب فقالت: علمت أنك قيس، ولكن نشدتك الله وبخلق ليلى إلا أصبت من طعامنا، وقدمت له طعاما فأصاب منه بأصبعه، وركب فأتى على أثره أخ لها كان غائباً فرأى مناخ ناقته فسألهم عنه فأخبروه، فركب حتى رده إلى منزله، وحلف عليه ليقيمن عنده شهراً، فقال له: لقد شفقت علي ولكني سأتبع هواك والفزاري يزداد إعجاباً بحديثه

وعقله وروايته، فعرض عليه الصهر، فقال له: ياهذا إن فيك لرغبة، ولكني في شغل لا ينتفع في معه، فمازال يعاوده والحي يلومونه ويقولون له: خشينا أن يصير علينا فعلك سبة، فقال دعوني، ففي مثل هذا الفتى يرغب الكرام فلم يزل به حتى أجابه وعقد الصهر بينه وبين أخته المسماة لبنى، وقال: أنا أسوق عنك صداقها، فقال: أنا والله ياأخي أكثر قومي مالاً فما حاجتك إلى تكلف هذا؟ أنا سائر إلى قومي وسائق إليها المهر. ففعل وأعلم بأن الذي كان منه، فسره وساق المهر عنه ورجع إلى الفزاريين ثم أدخلت عليه زوجته، فلم تره هش إليها ولادنا منها، ولا خاطبها بحرف ولا نظر إليها وأقام على ذلك أياماً كثيرة، ثم أعلمهم أنه يريد الخروج إلى قومه أياماً فأذنوا له في ذلك فمضى لوجهه إلى المدينة، وكان له صديق من الأنصار فأتاه فأعلمه الأنصاري أن خبر تزويجه قد بلغ لبني فغمها وقالت: إنه لغدَّار! ولقد كنت أمتنع من إجابة قومي إلى التزويج فأنا الآن أجيبهم، وقد كان أبوها قد شكا قيسا إلى معاوية أعلمه تعرضه لها بعد الطلاق فكتب إلى مروان بن الحكم (والي المدينة) بهدر دمه إن تعرض لها وأمر أباها أن يزوجها رجلاً يعرف بخالد بن حلزة من بني عبد الله بن غطفان، ويقال بل أمره أن يزوجها رجلاً من آل كثير بن الصلت الكندي حليف قريش فزوجها أبوها منه فجعل نساء الحي يقلن ليلة زفافها:

لبنى زوجها لاحرٌّ بواعيه

له فضل على الناس بما باقت تناجيه

وقيس ميت حتى صريع في بواكيه

فلا يبعده الله وبعداً لنواعيه

فجزع قيس جزعاً شديداً وجعل ينشج أحر نشيج ويبكي أحر بكاء ثم ركب من فوره حتى أتى محلة قومها فناداه النساء: ما تصنع الآن هاهنا! قد نقلت لبنى إلى زوجها! وجعل الفتيات يعارضونه بهذه المقالة وما اشبهها وهو لايجيبهم حتى أتى موضع خبائها فترل على راحلته وجعل يتمعك (يتمرغ) في موضعها ويمرغ خده على ترابها ويبكي أحر بكاء ثم قال:

إلى الله أشكو فقد لبنى كماشكا	**إلى الله فقد الوالدين يتيم**
يتيم جفاه الأقربون فجسمه	**نحيل وعهد الوالدين قديم**
بكت دارهم من نأيهم فتهللت	**دموعي فأي الجازعين ألوم**
أمستعبراً يبكي من الشوق والهوى	**أم آخر يبكى شجوه وهيم**

* * *

٢٠٠٤-من غرائب الأشجار أنه يوجد في فترويلا شجرة تعطي لبناً إن عصارة هذه الشجرة ذات طعم حلو ودسم مثل اللبن، وقد اعتاد السكان المحليون أن " يحلبوا" هذه الشجرة التي يسموها "الشجرة البقرة" وذلك في إحداث قطع في لحائها حيث يخرج السائل الأبيض من ذلك القطع فيجمعون السائل في كؤوس ويشربونه، ويقول العلماء الذين حللوا ذلك

السائل أنه يحتوي على المواد الغذائية الموجودة في لبن البقرة ومن غرائب النبات الزهرة التي تتنبأ بالأحوال الجوية وهي زهرة نبات يسمى" كزبرة الثعلب" القرمزية اللون وبإمكانها أن تتنبأ بالأحوال الجوية، فعندما تنطبق هذه الزهرة فذلك يعني أن جواً مطيراً أو ملبداً بالغيوم على وشك الحدوث، وعندما تتفتح فهذا معناه أن الجو سيكون صحواً ومشمساً ولقب هذه الزهرة في أوربا هو "مرآة جو الرجل الفقير" ومن غرائب الأشجار التين الخانق وهي شجرة تقتل غيرها لتفسح المجال لنفسها لكي تعيش وتوجد في غابات شرق آسيا، وعندما تتغذى الطيور على ثمارها وتلقى بالبذور على أغصان الأشجار الأخرى، وعندما تنبت هذه البذور يخرج منها جذر طويل يتلوى حول الشجرة التي نبت عليها حتى يصل إلى الأرض فيصبح أقوى وأضخم ويضغط على لحاء الأم حتى يمنع عنها الغذاء ويستمر هو في النمو بينما تموت الشجرة الأم مثل فعل بعض البشر.

* * *

٢٠٠٥- قال أبو نصر راوية الأصعمي: رحم الله الأصمعي! إنه لمعدن حكم، وبحر علم، غير أنه لم نر قط مثل أعرابي وقف بنا فسلم فقال: أيكم الأصمعي؟ فقال: أنا ذاك، قال: أتأذنون بالجلوس؟ فأذنا له، وعجبنا من حُسن أدبه، مع جفاء أدب الأعرابي، قال: يا أصمعي، أنت الذي يزعم هؤلاء النفر أنك أثقبهم معرفة بالشعر والعربية، وحكايات الأعراب؟

قال الأصمعي: فيهم من هو أعلم مني ومن هو دوني، قال: تنشدني من بعض شعر أهل الحضر حتى أقيسه على شعر أصحابنا (يعني الأعراب)؟ فأنشده شعراً لرجل امتدح مسلمة بن عبد الملك بقوله:

أمسلم أنت البحر إن جاء وارداً وليث إذا ما الحرب طار عقابها

وأنت كسيف الهند وإني إن غدت حوادث من حرب يعب عبابها

وما خلقت أكرومة في امرئ له ولا غاية إلا إليك مآبها

كأنك ديان عليها موكل بها وعلى كفيك يجري حسابها

إليك رحلنا العيس إذ لم يخدها أخاثقة يرجى لديه ثوابها

فتبسم الأعرابي وهز راسه، فظننا أن ذلك لا ستحسانه الشعر ثم قال: ياأصمعي: هذا شعر مهلهل خلق النسج، خطؤه أكثر من صوابه، يغطي عيوبه حسن الروي ورواية المنشد، يشبهون الملك إذا امتدح بالأسد، والأسد أبخر شتيم (كريه) المنظر وربما طرده شرذمة من إمائنا، وتلاعب به صبياننا، ويشبهونه بالبحر، والبحر صعب على من ركبه، مُرٌّ على من شربه، وبالسيف، وربما خان في الحقيقة، ونبا عن الضربة! ألا أنشدتني كما قال صبي من حينا! قال الأصمعي ماذا قال صاحبكم فأنشد:

إذا سألت الورى عن كل مكرمة لم يعز إكرامها إلا إلى الهول

فتى جواد أذاب المال نائلة فالنِّيلُ يشكر منه كثرة النَّيْلِ

الموت يكره أن يلقى منيته في الكره عند اتفاق الخيل بالخيل

وزاحم الشمس أبقى الشمس كاسفة أو زاحم الصم الجاها إلى الميل

أمضى من النجم إن نابتة نائبة ... وعند أعدائه أمضى من السيل
لا يستريح إلى الدنيا وزينتها ... ولا تراه إليها ساحب الذيل
يقصر المخبر عنه في مكارمه ... كما يقصر عن أفعاله قَوْلِي

قال أبو نصر: فاهتنا والله ما سمعنا من قوله قال فتأبى الأعرابي ثم قال للأصمعي: ألا تنشدني شعراً ترتاح إليه النفس ويسكن إليه القلب؟ فأنشده لابن الرقاع العاملي قوله:

وناعمة تجلو بعود أراكة ... مؤشرة يسبي المعانق طيبها
كأن بها خمراً بماء غمامة ... إذا ارشفت بعد الرقاد غروبها
أراك إلى نجد تحن وإنما ... منى كل نفس حيث كان حبيبها

فتبسم الأعرابي وقال: ياأصمعي: هذا بدون الأولى ولا فوقه، الا انشدتني كما قلت؟ قال الأصمعي: وما قلت؟ جعلت فداك! فأنشده:

تعلقتها بكراً وعلقت حبها ... فقلبي من كل الورى فارغ بكر
إذا احتجبت لم يكفك البدر ضوءها ... ويكفيك ضوء البدر إن حجب البدر
وما الصبر عنها إن صبرت وجدته ... جميلاً وهل في مثلها يحسن الصبر
وحسبك من خمر يفوتك ريقها ... ووالله ما من ريقها حسبك الخمر
ولو أن جلد الذر لأمس جلدها ... لكان لمس الذر في جلدها أثر
ولو لم يكن للبدر ضداً جمالها ... وتفضله في حسنها لصفا البدر

قال أبونصر: قال لنا الأصمعي: اكتبو ما سمعتم ولو بأطراف المدى في رقاق الأكباد، وأقام عندنا شهراً فجمع له الأصمعي خمسمائة دينار وكان يتعاهدنا بين الحين والآخر فيزورنا حتى مات الأصمعي.

* * *

٢٠٠٦- قال إسحاق بن سليمان بن علي العباسي: لقيت أعرابياً بالسُّمَيْنَةْ (جبل بجانبه مورد على طريق الكوفة اليمامة) فصيحاً فاستخففته وتأملته مَصْفَرٌ شاحب ناحل الجسم، فاستنشدته فأنشدني الشيء بعد الشيء على استكراه مني له، فقلت له: ما بالك؟ فوالله إنك لفصيح! فقال: أما ترى الجبلين؟ قلت: بلى، قال: في ظلالهما والله مايمنعني من إنشادك، ويشغلني ويذهلني عن الناس، قلت وما ذاك؟ قال: ابنة عم لي قد تيمتني وذهبت بعقلي، والله إنه لتأتي عليَّ ساعات ما أدري أفي السماء أنا أم في الأرض، ولا أزال ثابت العقل ما لم يخامر ذكرها قلبي، فإذا خامره بطلت حواسي وغرب عني لُبِّي، قلت: فما يمنعك منها؟ أقلة ما في يدك؟ قال والله ما يمنعني منها غير ذلك، قلت وكم مهرها؟ قال: مئة ناقة قلت: فأنا أدفعها إليك إذا لتدفعها إليهم، قال: والله لئن فعلت ذلك إنك لأعظم الناس على مِنَّة، فوعدته بذلك واستنشدته ما قال فيها فأنشدني أشياء كثيرة منها قوله:

سقى العلم الفرد الـذي في ظلالـه   غـزالان مكحـولان مؤتلفـان

أرعتـهما خـتلا فلـم أسـتطعهما   ورميـا ففـا تـاني وقـدر ميـان

قلت له: ياأعرابي والله لقد قتلتني بقولك: "ففاتاني وقد قتلاني" وانا بريئ من العباس إن لم أقم بأمرك، ثم دعوت بمركوب فركبته وحملت معي الأعرابي فصرنا إلى أبي الجارية واشتريت له مئة ناقة فسقتها عنه وأقمت عندهم ثلاثاً، ونحرت لهم ثلاثين جزوراً ووهبت للأعرابي عشرة آلاف درهم والجارية مثلها، وقلت: استعينا بهذا على اتصالكما وانصرفت، فكان الأعرابي يطرقنا في كل سنة وامرأته معه فأهب له وأصله وينصرف. (جزاه الله ألف خير وعوضه عما وهب.)

* * *

٢٠٠٧- في سنوات الظفرة التي حدثت من عام ١٣٩٦-١٤٠٥هـ/١٩٧٦-١٩٨٥م تدفقت بأيدي الناس سيولة نقدية كبيرة كل على قدره فمنهم من استوعبها وسيطر عليها فظهر من حضيض الفقر إلى قمة الغنى، ومنهم من ضيقت عليه فطار من فوق الأرض وصار يهوم في كل أنحاء العالم وزار أصقاع المعمورة، ومنهم من أنفقها في الداخل في شراء السيارات الفارهة وبناء القصور المنيفة الفخمة ومنهم من بذرها بدون حساب في الزواجات، يتزوج هذه ثم يطلقها ويتزوج ثانية وثالثة واربعة وينفق في هذه الزيجات إنفاق من لا يخشى الفقر، في هذا الجو تزوج رجل ابنة رجل آخر ومهرها ثلاثمائة ألف ريال غير قيمة الذهب ووليمة العرس ولما قبض والد العروس المبلغ أخذته نشوة الفرحة ودفعته حمى

الطمع فالتفت إلى العريس ومن معه من رفاقه وقال بكل صفاقة ترى عندي بنت ثانية!!.

* * *

٢٠٠٨- سُئل بعض الحكماء عن الهوى فقال: جليس ممتع، وأليف مؤنس، أحكامه جائرة ملك الأبدان وأرواحها، والقلوب وخواطرها، والعيون ونواظرها، والنفوس وآراؤها، وأعطي زمام طاعتها، وقيادة مملكتها تواري عن الأبصار مداخله، وغمض عن القلوب مسلكه، سئلت أعرابية عن الهوى فقالت: لا متع الهوى بملكه، ولا مُلّي بسلطانه، وقبض الله يده، وأوهن عضده، فإنه جائر لا ينصف في حكم، أعمى ما ينطق بعدل، ولا يقصر في ظلم، ولا يرعوي للوم، ولا ينقاد للحق، ولا يبقي على عقل، ولا فهم، لو ملك الهوى فأطيع لرد الأمور على أدبارها، والدنيا على أعقابها، ووصف أعرابي الهوى فقال: هو داء تدوي به النفوس الصحاح، وتسيل منه الأرواح، وهو سقم مكتتم، وجمر مضطرم فالقلوب له منضجة، والعيون ساكبة، قال عبد الله المزرباني: أخبرني المظفر بن يحيي فقال: أحب رجل إمراة دونه في القدر، فعذله عمه فقال: ياعَم، لا تلم مجبراً على سقمه، فإن المقر على نفسه مستغن عن منازعة خصمه،إنما يلام من اقترف ما يقدر على تركه، وليس أمر الهوى إلى الرأي فيملكه، ولا إلى العقل فيدبره، بل قدرته أغلب، وجانبه أعز من أن تنفذ فيه حيلة حازم، أو لطف محتال، وقال بعضهم: رأيت

امرأتين من أهل المدينة تعاتب إحداهما الأخرى على هوى لها، فقالت: إنه يقال في الحكمة الغابرة، والأمثال السائرة، لا تلومن من أساء بك الظن إذا جعلت نفسك هدفاً للتهمة، ومن لم يكن عوناً على نفسه مع خصمه لم يكن معه شيء من عقدة الرأي، ومن أقدم على هوى وهو يعلم ما فيه من سوء المغبة سلط على نفسه لسان العذل، وصنيع الحزم، فقالت المعذولة: ليس أمر الهوى إلى الراي فيملكه، ولا إلى العقل فيدبره، وهو أغلب قدرة، وأمنع جانباًمن أن تنفذ فيه حيلة الحازم أو ما سمعت قول الشاعر:

ليس خطب الهوى بخطب يسير ... لا ينبيك عنه مثل خبير

ليس أمر الهوى يدبر بالرأ ... ي ولا بالقياس والتفكير

إنما الأمر في الهوى خطرات ... محدثات الأمور بعد الأمور

* * *

٢٠٠٩- روى حماد بن إسحاق عن أبيه عن جده إبراهيم: أن الأحوص وابن سريج قدما المدينة، فنزلا في بعض الحانات ليصلحا من شأنهما، وقد قدم عدي بن الرقاع العاملي، وكانت هذه حاله فنزل عليهما، فكان في بعض الليل أفاضوا في الأحاديث قال عدي بن الرقاع لابن سريج، والله لخروجنا كان إلى أمير المؤمنين أجدي علينا من المقام معك يامولي بن نوفل، قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنك توشك أن تلهينا فتشغلنا عما

قصدنا له، فقال له ابن سريج: أو قلة شكر أيضاً! فغضب عدي وقال: إنك لتمن علينا أن نزلنا عليك، وإني أعاهد الله ألا يظلني وإياك سقف، إلا أن يكون بحضرة أمير المؤمنين، وخرج من عندهما، وقدم الوليد من باديته (بالقرب من المدينة)، فأذن لهما فدخلا، وبلغه خبر ابن الرقاع وما جرى بينه وبين ابن سريح فأمر بابن سريج فأخفي في بيت ودعا بعدي فأدخله، فأنشده قصيدة امتدحه بها، فلما فرغ أومأ إلى بعض الخدم فأمر بن سريج فغنى من شعر عدي بن الرقاع يمدح الوليد:

عـرف الـديار توهمـا فاعتادهـا — مـن بعـد أن شمـل البلـى بلادهـا

إلا رواكـد كلـهن قـد اصـطلى — حمـراء أشـغل أهلـها إيقادهـا

فطرب عدي وقال: لا والله ما سمعت ياأمير المؤمنين بمثل هذا قط ولا ظننت أن يكون مثله طيباً وحسنا، ولولا أنه في مجلس أمير المؤمنين لقلت طائف من الجن، أيأذن لي أمير المؤمنين أن أقول؟ قال: قل، قال: مثل هذا عند أمير المؤمنين وهو يبعث إلى أبن سريج يتخطى به قبائل العرب فيقال: ابن سريج المغنى مولى بني نوفل بعث أمير المؤمنين إليه! فضحك الوليد ثم قال للخادم: أخرجه، فخرج، فلما رآه عدي أطرق خجلاً ثم قال المعذرة إلى الله ثم إليك ياأخي فما ظننت أنك بهذه المترلة، وإنك لحقيق أن تحتمل على كل هفوة وخطيئة فأمر لهم الوليد بمال سوى بينهم فيه ونادمهم يومئذ إلى الليل.

٢٠١٠- كان مجموعة من الجندة من عبدة من شمر على حدود الكويت وعددهم خمسة تعرضوا لهجوم مباغت في نحو عام ١٣٢٠هـ وهم سعد بن جوفان الجنيدي، وهطيل بن عبد الله الحسيكان الجنيدي، وهليل بن حمود الجنيدي وإثنان لم يذكر الراوي أسمائهما فاستطاعوا الدفاع عن أنفسهم وحماية ما بحوزتهم وركابهم وما عليها وولى المهاجمون الأدبار ونتيجة المعركة أصيب هليل بصواب خطير فحمله رفاقه من حدود الكويت الحالية إلى أهلهم القاطنين على الشعيبة إلى الشمال الشرقي عن حائل فقال سعد الجوفان:

٨٠- يَاهْطَيْـــلْ دَارُوْا عَلَـــى هْلَيِّـــلْ   صُـــوِيْبْ بَـــالقَيْظْ مَـــا يْـــدَانِيْ

٨١- إِمْشَ العِشَـــا وَالضَّـــحَى قَيِّـــلْ   يَاشَـــــوْقْ مَيِّـــــاحْ الأُرْدَانِ

٨٢- إِرْفُهْ عَـــنَ الشَّـــمْسْ بِظْلَيِّـــلْ   لاَبِـــدْ مِـــنْ حَكَـــيْ ديـــوان

* * *

٢٠١١- قال عبد الرحمن بن أخي الأصمعي: سمعت عمي يحدث فقال: أرقت ليلة من الليالي بالبادية، وكنت نازلاً عند رجل من بني الصَيداء، وكان واسع الرحل (كريم) كريم المحل فأصبحت وقد عزمت على الرجوع من الغربة، واشتقت إلى أهلي ولم أفد في قدمتي هذه كبير علم، وإنما كنت أغتفر وحشة الغربة وجفاء البادية للفائدة، فأظهر الجفاوة حتى أبرز غداء له فتغديت، وأمر بناقة مهرية (منسوبة إلى مهرة سلالة جيدة من الإبل)

كأنها سبيكة لجين (ذهب) فارتحلها (وضع عليها الشداد) واكتفلها (أكمل متطلباتها) ثم ركب وأردفني، وأقبلها مطلع الشمس، فما سرنا كبير مسيرة حتى لقينا شيخاً على حمار، له جمة (شعر طويل إلى حد الكتف) قد صبغها بالورس (نبت أصفر مثل الزعفران) كأنها قنبيطة وهو يترنم، فسلم عليه صاحبي ، وسأله عن نسبه، فاعتزى أسديا من بني ثعلبة، قال: أتروي أم تقول؟ قال: كلا، قال: أين تؤم؟ فأشار إلى موضع قريب من الموضع الذي نحن فيه، فأناخ الشيخ وقال لي: خذ بيد عمك فأنزله عن حماره ففعلت، والقي له كساء قد اكتفل به ثم قال: أنشدنا يرحمك الله، وتصدق على هذا الغريب بأبيات يشهن عنك ويذكرك بهن فأنشدني قوله:

لقد طال ياسوداء منك المواعد	ودون الجدا المأمول منك الفراقد
تمنيننا بالوصل وعداً وغيمكم	ضباب فلا صحو ولا الغيم جائد
إذا أنت أعطيت الغنى ثم لم تجد	بفضل الغنى الفيت مالك حاسد
وقل غناء عنك مال جمعته	إذا صار ميراثا وواراك لا حد
إذا أنت لم تعرك بجنبيك بعض ما	يريب من الأدنى رماك الأباعد
إذا الحلم لم يغلب لك الجهل لم تزل	عليك بروق جمة ورواعد
إذا العزم لم يفرك لك الشك لم تزل	جنيبا كما استتلى الجنيبة قائد
إذا أنت لم تترك طعاماً تحبه	ولا مقعداً تدعو إليه الولائد
تجللت عاراً لا يزال يشبه	عليك الرجال نثرهم والقصائد

٢٠١٢- سعت أمة لبثينة إلى أبيها وأخيها وقالت لهما: إن جميلا عندها الليلة، فأتياها مشتملين على سيفين فرأياها وجميل جالساً حجرة عنها (على مسافة) يحدثها ويشكو إليها بثه، قال لها: يابثينة أرأيت ودي إياك وشغفي بك ألا تجزينيه؟ قالت: بماذا؟ قال: بما يكون بين المتحابين. فقالت له: ياجميل أهذا تبغي! والله لقد كنت عندي بعيداً منه، ولئن عاودت تعريضاً بريبة لا رأيت وجهي أبداً، فضحك وقال: والله ما قلت لك هذا إلا لأعلم ما عندك فيه، ولو علمت أنك تجيبيني إليه لعلمت أنك تجيبين غيري، ولو رأيت منك مساعدة لضربتك بسيفي هذا ما استمسك في يدي، ولو علمت أطاعتني نفسي لهجرتك هجرة الأبد أو ما سمعت قولي:

وإني لأرضى من بثينة بالذي ... لو أبصره الواشي لقرت بلابله
بلا وبأن لا أستطيع وبالمنى ... وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلي وبالحول تنقضى ... أو آخره لا نلتقي وأوائله

فقال أبوها لأخيها: قم بنا فما ينبغي لنا بعد اليوم أن نمنع هذا الرجل من لقائها فانصرفا وتركاها.

* * *

٢٠١٣- من منا لا يعرف الزيتون؟ وقد جاء ذكره في القرآن الكريم سبع مرات كما مرَّ بنا في فقرة سابقة، وقد انتشرت زراعة الزيتون في السنوات

الأخيرة في شمال المملكة في منطقة تبوك وحائل والجوف بمزارع واسعة استوعبت الملايين من أشجار الزيتون وقد شاهدت بنفسي حقول الزيتون في حائل وتبوك، أما على مستوى العالم فإنه يزرع في العديد من الأقطار العربية في فلسطين والشام واليونان وتركيا وفرنسا وأسبانيا وفي شمال افريقيا في المغرب وتونس والجزائر وغيرها وشجرة الزيتون شجرة مباركة دائمة الخضرة كثيفة الأغصان يتراوح ارتفاعها ما بين ٣-١٢متراً وخشبها صلب جيد وهي مشهورة منذ أكثر من ٣٠٠٠ سنة وما نحصل عليه منها هو زيت الزيتون الشهير الذي يشكل من ٢٠-٣٠% من وزن الثمرة، وثمرة الزيتون مليئة بفيتامين (E) وزيت الزيتون يشتهر بقيمته الغذائية العالية، ويخلو من الكولسترول والدهون الضارة قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴾ سورة المؤمنون: الآية(٢٠).

* * *

٢٠١٤- حكى الشعبي قال: أنفذني عبد الملك بن مروان إلى ملك الروم، فلما وصلت إليه جعل لا يسألني عن شيء إلا أجبته، وكانت الرسل لا تطيل الإقامة عنده، فحبسني (أبقاني) عنده أياماً كثيرة، فلما أردت الانصراف قال: أمن أهل بيت المملكة أنت؟ فقلت: لا ولكني رجل من العرب، فدفع إليّ رقعة وقال: إذا أديت الرسائل إلى صاحبك فأوصل إليه هذه الرقعة، قال: فأديت الرسائل عند وصولي إلى عبد الملك،

وانسيت الرقعة، فلما صرت إلى الباب أريد الخروج، تذكرت الرقعة، فرجعت فأوصلتها إليه فلما قرأها قال: هل قال لك شيئاً قبل أن يدفعها إليك؟ قلت: نعم قال: هل أنت من بيت المملكة؟ قلت: لا ولكني رجل من العرب في الجملة ثم خرجت من عند عبد الملك، فلما بلغت الباب طلبني، فرددت إليه، فلما مثلت بين يديه قال: أتدري ما في الرقعة؟ قلت: لا، قال: اقرأها فقرأها فإذا فيها "عجبت من قوم فيهم مثل هذا كيف ملكوا غيره" قلت: والله ياأمير المؤمنين، لو علمت ما فيها ما حملتها، وإنما قال هذا لأنه لم يرك، قال: أفتدري لِمَ كتبها؟ قلت: لا قال: حسدني عليك فأراد أن يغريني بقتلك.

* * *

٢٠١٥- يروى عن جرير أنه قال: ما ندمت على هجائي بني نمير قط إلا مرة واحدة، فإني خرجت إلى الشام فنزلت بقوم نزول في قصر لهم في ضيعة من ضياعهم، وقد نظرت إليه من بين القصور مشيداً حسناً، وسألت عن صاحبه فقيل لي رجل من بني نمير، فقلت: هذا شآم وأنا بدوي لا يعرفني، فجئت فاستضفت، فلما أذن لي ودخلت عليه عرفني فقراني أحسن القرى ليلتين، فلما أصبحت جلست، ودعا بنية له فضمها إليه وترشفها (قبلها) فإذا هي أحسن الناس وجها ولها نشر لم أشم طيب مثله، فنظرت إلى عينيها فقلت: تاالله ما رأيت أحسن من عيني هذه الصبية ولا من حورها وعوذها، فقال لي: ياأبا حزرة اسوداء المحاجر

هي؟ فذهبت طيب رائحتها، فقال: أَصِنٌّ وَبْرِهي؟ فقلت: يرحمك الله، إن الشاعر ليقول، ووالله لقد ساني ما قلته، ولكن صاحبكم بدأني فانتصرت وذهبت اعتذر، فقال: دع ذاعنك أبا حزرة فوالله مالك عندي إلا ما تحب، واحسن والله إليَّ وزودني وكساني فانصرفت وأنا أندم الناس على ما سلف مني إلى قومه.

*　*　*

٢٠١٦- عائشة ابنة طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ تزوجها سحيم بن حفص فأولدت منه ثم صارمته لأن في خُلُقِهَا زعارة فقيل له طلقها فقال:

يقولــون طلقهــا وأصــبح ثاويــا　　مقــيم عليــك ألهــم أحــلام نــائم

وإن فراقــي أهــل بيــت أو دهــم　　لهم زلفة عنــدي لاحــدى العظــائم

ثم طلقها بعد ذلك، وخطبها مصعب بن الزبير بن العوام فقالت: إن تزوجته فهو عليَّ كظهر أمي، ثم سألت أهل المدينة فقالوا: اعتقي رقبة وتزوجيه، فتزوجها مصعب وأصدقها ٥٠٠,٠٠٠، وأهدى لها ٥٠٠,٠٠٠ ثانية أي مليون (قد تكون درهم) عند ذلك قال أنس بن زنيم:

بُضْعُ الفتــاة بــألف ألــف كامــل　　وتبيــت ســادات الجنــود جياعــاً

لــولا أبي حفــص أقــول مقــالتي　　وأبثــه مــا قــد رأى لارتاعــا

٢٠١٧-كان سديد الملك أبي الحسن بن منقذ صاحب قلعة شيزر (قرب حماة) مقصوداً من البلاد ممدحاً مدحه جماعة من الشعراء كابن الخياط والخفاجي وغيرهما وله شعر جيد أيضاً، ومنه قوله وقد غضب على مملوكه فيضربه:

أسطو عليه وقلبي لـو تمكـن مـن كفّـيَّ غلـهما غيظـاً إلى عنقـي
واسـتعير إذا عاقبتـه حنقـا وأين ذل الهوى مـن عشـرة الحنـق

وكان موصوفاًبقوة الفطنة، يحكى عنه في ذلك أنه كان يتردد على حلب قبل تملكه قلعة سيزر وصاحب حلب يومئذ تاج الملك محمود بن نصر بن صالح بن مرداس (٤٥٧-٤٦٧هـ/١٠٦٥-١٠٧٥م) فجرى أمر خاف سديد الملك منه على نفسه، فخرج من حلب إلى طرابلس الشام وصاحبها يومذاك جلال الملك بن عمار، فأقام عنده، فتقدم محمود صاحب حلب إلى كاتبه أبي النصر محمد بن الحسين بن علي النحاس الحلبي أن يكتب إلى سديد الملك كتاباً يتشوقه فيه ويستعطفه، ويستدعيه إلى حلب، ففهم الكاتب أنه يقصد له شراً إذا جاء به إليه، وكان الكاتب صديقاً لسديد الملك، فكتب الكاتب كما أمره مخدومه إلى أن بلغ إلى آخره وهو " إنَّ شاء الله " فشدد النون وفتحها، فلما وصل الكتاب إلى سديد الملك عرضه على ابن عمار صاحب طرابلس ومن بمجلسه من خواصه فاستحسنوا عبارة الكاتب واستعظموا ما فيه من رغبة محمود فيه، وإيثاره لقربه، فقال سديد الملك: إني أرى مَا لا ترون

في الكتاب، ثم أجاب عن الكتاب بما اقتضاه الحال وكتب في جملة فصول الكتاب (إِنَّا الخادم المقر بالانعام) وكسر الهمزة من إنا وشدد النون فلما وصل الكتاب إلى محمود ووقف عليه سُرَّ بما جاء فيه وقال لأصدقائه قد علمت أن الذي كتبه لا يخفى على مثله، وقد أجاب بما طيَّب قلبي عليه، وكان الكاتب الأول قد قصد قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ [سورة القصص: الآية ٢٠] فأجابه سديد الملك بقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ﴾ [سورة المائدة: الآية ٢٤] وكانت هذه النادرة معدودة من شدة تيقظه وفهمه.

* * *

٢٠١٨-قال أبو مالك النهدي: جلس إلينا كُثَيِّر عزة ذات يوم فتذاكرنا جميلاً فقال: لقيني مرة فقال لي: من أين أقبلت؟ قلت: من عند أبي الحبيبة (أعنى بثينة) قال: وإلى أين تمضي؟ قلت إلى الحبيبة (أعني عزة) فقال: لابد أن ترجع عودك على بدئك، فتستحولي موعداً مع بثينة، قلت: عهدي بها الساعة وأنا استحي أن أرجع فقال: لابد من ذلك، فقلت له: متى عهدك ببثينة؟ قال: أول العيد وقد وقعت سحابة بأسفل وادي الدوم (واد معترض شمال خيبر) فخرجت ومعها جارية لها تغسل ثيابها، فلما أبصرتني أنكرتني، فضربت بيديها إلى ثوب بالماء فالتحفت، وعرفتني الجارية، فأعادت الثوب في الماء، وتحدثنا حتى غابت الشمس وسألتها الموعد فقالت أهلي سائرون، وما وجدت أحداً آمنه فأرسله

إليها، فقال لها كثير: فهل لك أن آتي الحي فأنزع (أتمثل) بأبيات من شعر أذكر فيها هذه العلامة إن لم أقدر على الخلوة بها؟ قال: ذلك الصواب، فأرسله إليها، فقال له: انتظرني ثم خرج كثير حتى أناخ بهم فقال له أبوها: ماردك؟ قال: ثلاثة أبيات عرضت لي فأحببت أن أعرضها عليك، قال: هاتها فأنشدته وبثينة تسمع:

فقلت لها ياعز أرسل صاحبي إليك رسولاً والموكل مرسل

بأن تجعلي بيني وبينك موعداً وأن تأمريني بالذي فيه أفعل

وآخر عهدي منك يوم لقيتني بأسفل وادي الدوم والثوب يغسل

فضربت بثينة جانب خدرها وقالت: إخسأ، إخسأ! فقال أبوها ميهم(أي ما أمرك) يابثينة، قالت: كلب يأتينا إذا نوم الناس من وراء الرابية، ثم قالت للجارية: أبغينا من الدومات حطباً لنذبح لكثير شاة ونشويها له، فقال كثير: أنا أعجل من ذلك وراح إلى جميل فأخبره، فقال جميل: الموعد الدومات، وقالت: لأم الحسين وليلى ونجيًا بنات خالتها وكانت قد أنست إليهن واطمأنت بهن: إني قد رأيت في نحو نشيد أن جميلاً معه، وخرج كثير وجميل حتى أتيا الدومات وجاءت بثينة ومن معها، فما برحوا حتى برق الصبح فكان كثير يقول: ما رأيت مجلساً قط أحسن من ذلك ولا مثل علم أحدهما بضمير الآخر! ما أدري أيهما كان أفهم!

٢٠١٩- النبات الذي نراه فوق سطح الأرض يتكون من جذور وسيقان وأغصان وأوراق وزهور وبذور ولكل من هذه الأجزاء وظيفة تقوم بها وتؤديها، ومنها الأساسي والفرعي، فالأساسي هي الجذور والسيقان والفرعي هي الأوراق والزهور والأغصان، ولو نظرنا إلى الجذور مثلاً في الأشجار الكبيرة التي ترتفع عن الأرض لوجدنا لها وظيفتين رئيستين أحداهما تثبيت النبات في الأرض حتى لا تقتلعه الرياح بسهولة وثانيهما امتصاص الماء والمواد الغذائية المختلفة التي يحتاجها النبات، والجذور القديمة والغليظة للشجرة هي التي تقوم بمهمة التثبيت، والجذور الصغيرة والشعيرات الجذرية هي التي تقوم بالامتصاص وهي مجوفة يسري فيها الماء وما به من المواد الغذائية حتى يصل إلى ساق الشجرة في لحاء الشجرة حيث يأخذ عبر أنابيب دقيقة أخرى تنقله الأغصان والفروع والأوراق والزهور، وإنني أذكر في منزلي بحائل في خزان الماء فتحة صغيرة بقدر البوصة قرب السقف تركناها لأدخال أنبوب يدخل معه الماء إلى الخزان وبقي بين الأنبوب وجسم الخزان فتحة صغيرة لا تكاد تدخل معها طرف خنصر الأصبع أو بمعنى آخر لا تزيد عن ٦مم مدفونة تحت التراب، وفي إحدى المرات رفعت غطاء الخزان وإذا فيه جسم غريب وبحجم حوالي مترين مكعبين، وعند التحقق منه وجدته أحد جذور النخلة المجاورة للخزان قد تسلل من خلال الفتحة المذكورة وعندما وصل إلى الماء تشعب مئات الشعب والشعيرات وغلظ من عند مدخله وعندما قطعته من أعلاه من عند المدخل وإذا هو يصب كأنه

أنبوب من الماء الذي تشربه النخلة من الخزان وبالكاد أخرجناه مع فتحة الخزان وكأنه شبكة صيد السمك، وهناك من النبات ما يكون له جذر واحد غليظ ثابت بالأرض وعروق وشعيرات صغيرة تمتص له الغذاء مثل الجزر ، الفجل، وليس له سيقان مرتفعة، وتتفاوت أطوال الجذور في الطول والقصر والغلظ والدقة ففي منطقتنا من أطول وأغلظ الجذور، جذور الأثل وأذكر أنه في بيئة الفلاحين إذا نوى الفلاح أن يغرس نخلاً في قطعة أرض فإنه يغرس بها الأثل بين النخل ويرويه لمدة سنتين حتى إذا أيقن أن جذور الأثل قد غلظت وغاصت في الأرض قطع الأثل من حد جذوره بحيث تبقى الجذور داخل الأرض وتتآكل فتدخل معها جذور النخيل وتغوص في الأعماق فيكون ذلك من صالح النخل وثباته وامتصاصه للماء.

* * *

٢٠٢٠- ورد أبو نصر الفارابي رحمه الله إلى دمشق على سيف الدولة ابن حمدان وهو إذ ذاك سلطانها، قيل أنه لما دخل عليه وهو بزي الأتراك، وكان ذلك زيه دائماً، وقف، فقال له سيف الدولة: إجلس، فقال: حيث أنا وحيث أنت؟ فقال: حيث أنت، فتخطى رقاب الناس حتى انتهى إلى مسند سيف الدولة، وزاحمه فيه حتى أخرجه عنه، وكان على رأس سيف الدولة مماليك، وله معهم لسان خاص يسارهم به، فقال لهم بذلك اللسان: إن هذا الشيخ قد أساء الأدب، وإني مسائله عن أشياء إن

لم يعرفها فأخرجوا به فقال له أبو نصر بذلك اللسان: أيها الأمير إصبر فإن الأمور بعواقبها، فعجب سيف الدولة منه، وعظم عنده، ثم أخذ يتكلم مع العلماء الحاضرين في كل فن، فلم يزل كلامه يعلو، وكلامهم يسفل حتى صمت الكل، وبقي يتكلم وحده ثم أخذوا يكتبون ما يقوله، فصرفهم سيف الدولة وخلا به، فقال له: هل لك في أن تأكل؟ قال: لا قال: فهل لك أن تشرب؟ قال: لا ، فقال: هل لك أن تسمع؟ قال: نعم فأمر سيف الدولة بإحضار القيان، فحضر كل ماهر في الصنعة بأنواع الملاهي، فخطأ الجميع، فقال له سيف الدولة: هل تحسن هذه الصنعة؟ قال: نعم، ثم أخرج من وسطه خريطة (كيس) ففتحها فأخرج منها عيدانا وركبها ثم لعب (عزف) بها فضحك كل من في المجلس، ثم فكها وركبها تركيباً آخر، ولعب بها فبكى كل من في المجلس، ثم فكها وغير تركيبها وحركها فنام كل من في المجلس حتى البواب فتركهم نياماً وخرج، وقد أشرت إلى الفارابي في الفقرة رقم ١٢١٧ من هذا الكتاب غير أن هذه المعلومات أوفى، وهو الذي وضع القانون في العزف، وكان منفرداًبنفسه لا يجالس الناس، وكان مدة إقامته بدمشق لا يكون غالباًإلا عند مجتمع المياه، أو مشتبك الرياض، وهناك يؤلف كتبه، وكان أزهد الناس في الدنيا، لا يحتفل بأمر مسكن ولا مكسب، وسأله سيف الدولة في مرتب من بيت المال فقال: يكفيني أربعة دراهم ولم يزل على ذلك إلى أن توفى رحمه الله عام ٣٣٤ وقيل ٣٣٩هـ بدمشق وصلى عليه

سيف الدولة وأربعة من خواصه وقد ناهزثمانين سنة ودفن في ظاهر دمشق خارج الباب الصغير ــ رحمه الله ــ .

* * *

٢٠٢١- وبُلِيَ يزيد من الطثرية بحب جارية من جرم يقال لها وحشية وكانت من أحسن النساء، ونافرتهم جرم فلم يجد إليها سبيلا، فصار من العشق إلى أن أشرف على الموت واشتد به الجهد، فجاء إلى ابن عم له يقال له خليفة بن بوزل بعد اختلاف الأطباء إليه ويأسهم منه فقال له: ياأبن عم، وقد تعلم أن ليس لي إلى هذه المرأة سبيل وأن التعزي أجمل فما أربك في أن تقتل نفسك وتأثم بربك! قال: وما همي ياأبن عم بنفسي ومالي فيها أمر ولا نهي، ولا همي إلا نفس الجرمية، وإن كنت تريد حياتي فأرنيها، قال: وكيف الحيلة؟ قال : تحملني إليها، فحمله إليها وهو لا يطمع في الجرمية، إلا أنهم كانوا إذا قالوا له: نذهب بك إلى وحشية أَبَلَّ قليلاً وراجع وطمع، وإذا أيس منها، اشتد به الوجع، فخرج به خليفة بن بوزل فحمله فتخلل به إلى اليمن حتى إذا دخل في قبيلته انتسب إلى أخرى ويخبر أنه طالب حاجة، وأَبَلَّ (تحسن وضعه) حتى صلح بعض الصلاح وطمع فيه ابن عمه وصارا بعد زمان إلى حي وحشية فلقيا الرعيان وكمنا في جبل من الجبال، فجعل خليفة يترل فيتعرض الرعيان الشاء فيسألهم عن راعي وحشية، حتى لقي غلامها وغنمها، فواعدهم موعداًوسألهم: ما حال وحشية؟ فقال غلامها: هي

والله بشر! لا حفظ الله بني قشير ولا يوماً رايناهم فيه! فمازالت عليلة منذ رايناهم وكان بها طرف مما بابن الطثرية! فقال: ويحك! فإن هاهنا إنسان يداويها فلا تقل لأحد غيرها، قال: نعم إن شاء الله تعالى، فأعلمها الراعي ما قاله الرجل حين صار إليها، فقالت له: ويحك! فجئني به، ثم إنه خرج فلقيه في الغد فأعلمه، وظل عنده يرعى غنمه وتأخر عن الشاء حتى تقدمته الشاء وجنح الليل بين يدي غنمه حتى أراحها، ومشى فيها حتى قربت من البيت على أربع وتجلل شملة سوداء بلون الشاءة من الغنم فصار إلى وحشية فَسُرَّتْ به سروراً شديداً، وادخلته ستراً لها وجمعت عليه من الغد من تثق به من صويحباتها وأترابها، وقد كان عهد إلى ابن عمه أن يقيم في الجبل ثلاث ليال فإن لم يره فالينصرف فأقام يزيد عندها ثلاث ليال ورجع إلى أن أصح ما كان عليه ثم انصرف فصار إلى صاحبه فقال: ما وراءك يايزيد؟ ورأى من طيب نفسه ما سره فقال:

لو أنك شاهدت الصبا ياابن بـــودل بفرع الغضـــا إذ راجعـــتني غياطلـــه
لشاهدت لهواً بعد شحط من النـــوى على سخط الأعـــداء حلـــواً شمائلـــه

* * *

٢٠٢٢-في رواية اختيار بلقيس ملكة لسبأ باليمن ما رواه محمد بن حبيب البغدادي المتوفي عام ٢٤٥هـ/٨٥٩م عن مقتل زهير بن عبد شمس من

صيفي من سبأ الأصغر، وكان سبب قلته أنه كان ملكاً، فعلا، في مملكته وتكبر وجعل يعتذر النساء قبل أزواجهن (أي يفض عذرها وبكارها) كما يفعل عمليق، حتى أدركت بلقيس بنت اليشرح بن جدن بن يشرح بن الحارث بن قيس بن صيفي فقالت لأبيها: إن هذا الرجل قد فضح نساءكم فأته فقل له: إن لي بنتاً قد أعصرت (أدركت سن الزواج) وليس في قومها شبيه لها حسناً وجمالاً ، فإن قال لك: فابعث بها إليّ فقل له: إن مثلي في شرفي ونسبي لا تعتذر ابنته إلا في بيته! فأتاه فذكر له ذلك فقال له إبعث بها إلي، قال له: ما علمته ابنته، فقال له: كيف بنزلي ونزل من معي من أصحابي فقال: ما أحملني لنزل الملك وأشد سروري به لأنها مكرمة لي، ويد وضعها الملك عندي، فأجابه إلى إتيانه ولم يجب إلى ذلك غيره، فأتى داره فزخرفها وزخرف أبياتاً ثلاثة بأحسن ما يكون من زينة ذلك الزمان وحشد لنزله، ثم أتاه فأعلمه بالفراغ، فركب فأتاه وقد أدخلت بلقيس نفراًمن أقاربها بأسلحتهم ولما دخل البيت الأول أعجبه ما رأى من هيئته، ثم دخل البيت الثاني فكان أحسن ثم دخل الثالث وفيه بلقيس وحليها وحللها مع جمالها، فلما استلقى على الفراش وأخرج حرسه وأجناده، وأمر بالباب فأغلق دونه وكان معه المَقَاوِلْ، قالت للنفر: أخرجوا فخرجوا فقتلوه، ثم أرسلت إلى رجل آخر من مَقَاوِلَتِه وخواصه تدعوهم فيقتلونهم ولا يظن من يرسل إليه إلا أنه الملك يدعوه حتى أتت على آخرهم، ثم أرسلت إلى أبيها وقومها فخرجت إليهم وقالت هذا الخبيث قد فضح نساءكم وجعلكم

شهرة في الناس قد أراحكم الله منه فدونكم مَلِّكوا من شئتم، فقالوا بأجمعهم: ما أحد أولى بهذا منك! فملكوها عليهم فملكتهم حتى كان أمر الهدهد وسليمان عليه السلام قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ۝٢٣﴾ سورة النمل: الآية ٢٣، وتزوجها سليمان عليه السلام في القصة المعروفة والجدير بالذكر أن زمن سليمان عليه السلام في القرن العاشر قبل الميلاد من عام ٩٧١-٩٣١ ق.م.

* * *

٢٠٢٣- يحكى أن الرشيد (هارون الرشيد) حج ماشياً، وأن سبب ذلك أن أخاه موسى الهادي كانت له جارية تسمى (غادر) وكانت أحظى الناس عند الهادي، وكانت من أحسن الناس وجها وغناء، فغنت يوماًوهو مع جلسائه، إذا عرض له سهو وفكر، وتغير لونه، فقال الجلساء: ما شأنك ياأمير المؤمنين؟ قال: وقع في قلبي أن جاريتي غارد يتزوجها أخي هارون بعدي، فقالوا: يطل الله البقاء أمير المؤمنين، وكلنا فداؤه، فقال: ما يزيل هذا في نفسي، وأمر بإحضار هارون وعرفه ما خطرب بباله، فاستعطفه (هارون) وتكلم بما ينبغي أن يتكلم به في تطييب نفسه، فلم يقنع بذلك وقال: لابد أن تحلف لي، قال: أفعل وحلف له بكل يمين يحلف بها الناس من طلاق وعتاق وحج وصدقة وأشياء مؤكدة فسكن ثم قام فدخل على الجارية فأحلفها بمثل ذلك، ولم يلبث إلا شهراً ثم مات، فلما

أفضت الخلافة إلى هارون أرسل إلى الجارية يخطبها فقالت: ياسيدي كيف بأيمانك وأيماني! فقال: أحلف بكل شيء حلفت به من الصدقة والعتق وغيرهما إلا تزوجتك فتزوجها وحج ماشياً ليمينه (ينظر حجة الرشيد ما شياً على قدميه في إحدى فقرات هذا الكتاب) ثم شغف بها أكثر من أخيه حتى كانت تنام فيضع راسها في حجره فلا يتحرك حتى تنتبه، فبينما هي ذات ليلة نائمة إذا انتبهت فزعة، فقال لها: مالك، قالت: رأيت أخاك في المنام الساعة وهو يقول:

أخلفـــت وعـــدك بعـــدما جـــاورت ســـكان المقـــابر

ونســـيتني وحنثـــت في أيمانـــك الكـــذب الفـــواجر

فظللـــت في أهـــل البلـــى وغـــدوت في الحـــور الغرائـــر

ونكحـــت غـــادرة أخـــي صـــدق الـــذي سمـــاك غـــادر

لا يهنـــك الألـــف الجديـــد ولا تـــدر عنـــك الـــدوائر

ولحقـــت مـــن قبـــل الصـــباح وصـــرت حيـــث غـــدوت صـــائر

والله ياأمير المؤمنين فكأنها مكتوبة في قلبي ما نسيت منها كلمة، فقال الرشيد: هذه أضغاث أحلام، فقالت: كلاً والله ما أملك نفسي ومازالت ترتعد حتى ماتت بعد ساعة.

* * *

٢٠٢٤- كان يزيد بن الطثرية صاحب غزل ومحادثة للنساء، وكان ظريفاً جميلاً من أحسن الناس كلهم شَعْراً وكان أخوه ثور بن الطثرية سيداً كثير المال والنخل والرقيق، وكان متنسكاً كثير الحج والصدقة، كثير الملازمة لابله ونخله، فلا يكاد يُلِمُّ بالحي إلا الفلتة والوقعة، وكانت إبله ترد مع الرعاء على أخيه يزيد فتسقى على عينه، فبينما يزيد ماراً بالإبل وقد صدرت عن الماء إذا مرَّ بخباء فيه نسوة من الحاضر. فلما رأينه قلن: يايزيد أطعمنا لحماً، فقال: أعطيني سكيناً، فأعطينه، ونحر لهن ناقة من إبل أخيه، وبلغ الخبر أخاه، فلما جاءه أخذ بشعره وشتمه فأنشأ يزيد يقول:

ياثور لا تشتمن عرضي فداك أبي ... فإنما الشتم للقوم العواوير
ما عقر ناب لأمثال الدمى خرد ... عِينٌ كرام وأبكار معاصير
عطفن حولِيَ يسألن القرى أصلاً ... وليس يرضين مني بالمعاذير
هبهن ضيف اعراكم بعد هجعتكم ... في قطقط من سقيط الليل منشور
وليس قربكم شاء ولا لبن ... أيرحل الضيف عنكم غير مجبور
ما خير واردة للماء صادرة ... لا تنجلي عن عقير الرجل منحور

والقطقط: المطر الخفيف، وله أبيات أخرى حين حلق أخوه له شعر رأسه حين قال:

ترفق بها ياثور ليس ثوابها ... بهذا ولكن غير هذا ثوابها
ألا ربما ياثور قد عل وسطها ... أنامل رخصات حديث خضابها

وتسلك مدري العاج في مدلهمة إذا لم تفرج مات غماً صؤابها

فراح بها ثور ترف كأنها سلاسل درع خيرها وانسكابها

منعمة كالشربة الفرد جادها نجاء الثريا هطلها وذهابها

فأصبح رأسي كالصخيرة أشرفت عليها عقاب ثم طار عقابها

* * *

٢٠٢٥- قبل العهد السعودي كان المسيطر على الوطن العربي في معظم أقطاره الدولة العثمانية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ومن ضمن ذلك الحجاز بما فيه الحرمين الشريفين، وقد أولى العثمانيون عناية خاصة بالحرم المكي حيث بعث الخليفة العثماني السطان عبد الحميد خان طوقان من الذهب للحجر الأسود وأزيل الطوق الفضي وجعل مكانه الطوق الذهبي وتقدر قيمة الطوق الذهبي في ذلك الزمن بألف دينار ذهب وتم ذلك بتاريخ ١٢٦٨/١١/١٤هـ ١٨٥١م وبعد نحو خمسة عقود من الزمن وبالضبط ٤٦ سنة قام الخليفة العثماني عبد الحميد بن عبد المجيد بعمارة المسجد الحرام وتبليط سطحه بالمرمر (الرخام) وصيانة لكعبة وتغيير الفرش إضافة إلى بعض النقوش الجمالية على الجدران والأبواب وسد الثقوب المسببة لتعشيش الطيور، وهذه العناية من العثمانيين باعتبار الحجاز تحت حكمهم غير المباشر حيث يوجد الأشراف الحسنيون والحسينيون في مكة والمدينة تحت ولاية العثمانيين وباعتبار هؤلاء الدولة المسلمة التي يخضع لها الحجاز وأمام الحجاج الذين يأتون من مختلف أنحاء

العالم يومذاك فإنه من الضروري القيام بمثل هذه الإصلاحات والصيانة حتى يبرزوا للحجاج المسلمين أنهم قد عملوا شيئاً للأماكن المقدسة، علماً بأن الحجاز قد دخل تحت الولاية العثمانية بعد معركة مرجع دابق وسقوط دولة المماليك عام ١٢٠٣هـ/١٥١٧م حين أرسل الشريف المعين من المماليك مفاتيح الكعبة إلى السلطان سليم بمصر ودخلت الحجاز كلها تحت ولاية العثمانيين منذ ذلك التاريخ وإن كان يوجد بها الأشراف داخلياًإلا أن الكلمة الأولى والأخيرة للعثمانيين فهم الذين يعينون الأشراف ويفصلونهم بموجب (فرامين) عثمانية والفرمان مرسوم عثماني أو أمر بالتعيين أو الفصل، والشريف وظيفة رسمية حين يعين شريفاً وقبل ذلك يقال له السيد ويجمع على السادة وإذا فصل الشريف من منصبه عاد يقال له السيد كما كان فالشرافة وظيفة الحاكم لمكة أو المدينة استمر على هذا حتى جاء العهد السعودي عام ١٣٤٤،١٣٤٣هـ.

* * *

٢٠٢٦-قال الجاحظ: عبرت يوماً على معلم كتاب فوجدته في هيئة حسنة، وقماش مليح، فقام إليّ وأجلسني معه، ففاتحته في القرآن فإذا هو ماهراً، ففاتحته في شيء من النحو فوجدته ماهراً ، ثم أشعار العرب واللغة فإذا به كامل في جميع مايراد منه، فقلت قد وجب عليَّ تقطيع دفتر المعلمين فكنت كل قليل اتفقده وأزوره، فأتيت بعض الأيام لزيارته فوجدت

الكتاب مغلقا، فسألت جيرانه فقالوا: مات عنده ميت، فقلت أروح أعزيه، فجئت إلى بابه، فطرقته، فخرجت إليّ جارية، وقالت: ما تريد؟ قلت: مولاك، فقالت: مولاي جالس وحده في العزاء، ما يعطي لأحد الطريق، قلت: قولي له: صديقك فلان يطلب أن يعزيك، فدخلت وخرجت وقالت: بسم الله، فعبرت إليه فإذا هو جالس وحده، فقلت: عظم الله أجرك، لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة، وهذا سبيل لابد منه فعليك بالصبر، فقلت: أهذا الذي توفى ولدك؟ قال: لا ، قلت: فوالدك؟ قال: لا، قلت: فأخوك؟ قال:لا ، قلت: فمن؟ قال: حبيبتي، فقلت في نفسي هذا أول المناحس، قلت له: سبحان الله، تجد غيرها، وتقع عينك على أحسن منها، قال: وكأني بك وقد ظننت أني رأيتها؟ فقلت في نفسي: هذه منحسة ثانية، فقلت: وكيف عشقت من لا رأيته؟ فقال: إعلم أني كنت جالساً وإذا رجل عابر يغني ويقول:

يــا أم عمــرٍ جــزاك الله مكرمــة ردي علــي فــؤادي أينمــا كانــا

فقلت في نفسي لولا أن هذه أم عمرو، مافي الدنيا مثلها ما كان الشعراء يتغزلون فيها، فلما كان بعد يومين عبر ذلك الرجل وهو يغني:

إذا ذهــب الحمــار بــأم عمــرو فــلا رجعــت ولا رجــع الحمــار

فقلت إنها ماتت فحزنت عليها، وقعدت في العزاء منذ ثلاثة ايام قال الجاحظ: فعادت عزيمتي وقويت على كتابة الدفتر لحكاية أم عمرو.

٢٠٢٧- قال أبو عباد: أتيت جميلة بني سُلَيم يوماً، وكان لي موعد ظننت أني سبقت الناس إليها، فإذا مجلسها غاص، فسألتها أن تعلمني شيئاً، فقالت لي: إن غيرك سبقك، ولا يحمل تقديمك على من سواك، فقلت: جعلت فداك! إلى متى تفرغين ممن سبقني ؟! قالت هو ذاك، الحق يسعك ويسعهم، فبنما نحن كذلك إذ أقبل عبد الله بن جعفر (ابن أبي طالب) وإنه لأول يوم رأيته وآخره، وكنت صغيراً كيساً، وكانت جميلة شديدة الفرح، فقامت وقام الناس فتلقته وقبلت رجليه ويديه، وجلس في صدر المجلس على كوم لها، وتحوق (تحلق) أصحابه حوله وأشارت إلى من عندها بالانصراف، وتفرق الناس وغمزتني أن لا أبرح فأقمت فقالت: ياسيدي وسيد آبائي وموالي، كيف نشطت إليَّ أن تنقل قدميك إلى أمتك؟ قال: ياجميلة قدعلمت ما آليت على نفسك ألا تغني أحداً إلا في مترلك:، وأحببت الاستماع، وكان ذلك طريقا ماداً فسيحاً، قالت: جعلت فداك! فأنا أصير إليك أكفر (يعني عن اليِّمين) قال: لا أكلفك ذلك، وبلغني أنك تغنين بيتين لامرئ القيس تجيدين الغناء فيهما، وكان الله أنقذ بهما جماعة من المسلمين من الموت. قالت : ياسيدي نعم فاندفعت تغني بعودها فما سمعت منها قبل ذلك ولا بعد إلى أن ماتت مثل الغناء، فسبح عبد الله بن جعفر والقوم معه والبيتان هما:

ولما رأت أن الشريعة همها ... وأن البياض من فرائضها دامي

تيممت العين التي عند ضارج ... يفيض عليه الظل عرمضها طامي

٢٠٢٨- كما تقدم فإن هيكل الشجرة يتكون من الجذور والساق والأغصان والأوراق، ونحن نرى ساق الشجرة المرتفع ولا نعلم مِمَّ يتكون؟ فالساق هو ذاك الجزء الذي يبدأ من فوق الجذور ويرتفع بمسافات مختلفة منه القصير ومنه الطويل مثل ساق النخلة، أو الأشجار الطويلة وتتشعب منه الأغصان التي تتشعب عنها الأوراق والأزهار والثمار، ومن هذا النخيل والأشجار ما يرتفع حتى يبلغ طولاً على تسعين متراً في حالة أشجار "السيكويا" الضخمة ويشتمل الساق على أنابيب لنقل الماء والغذاء من الجذور إلى جميع أجزاء النبات، ويغطي الطبقة الخارجية من الساق اللحاء أو القشر، ويوجد داخل الساق مجموعة من الأنابيب تسمى "النسيج الخشبي" يتراوح قطر كل انبوب ما بين (٠,٠٥) و (٠,١) من المليمتر وهي تقوم بنقل الماء والمعادن من الجذور إلى الأوراق دون انقطاع أما لحاء الشجرة ففيه أنواع أخر من الأنابيب تسمى "النسيج اللحائي" وهي تنقل الغذاء الذي جهزته الأوراق في اتجاه معاكس إلى أسفل ليغذي باقي أجراء الشجرة كما يوجد باللحاء مسامات دقيقة تسمح بدخول الأكسجين وثاني أكسيد الكربون إلى الشجرة، ولذلك إذا قطع لحاء الشجرة يبدأ فيها الضعف ثم تموت، وسيقان الأشجار مرنة وقوية حيث تتحمل ما عليها من أغصان وثمار، وتتحمل قوة هبوب العواصف القوية دون أن تنكسر، ويرجع السبب في مرونتها وقوتها إلى أن خلايا الخشب مكونة من أشكال سداسية الشكل متصلة ببعضها مثل تلك الموجـــودة في قـــرص عسل النحل وهذه الأشكال تعطي الخشب خاصية المرونة والقوة، ولذلك فالعلماء يصنعون مواد تعتمد على هذه الأشكال وتتصف بخفـــة الوزن والقـــوة وتستخـــدم في صناعة

أجنحة الطائرات، ومن لحاء بعض الأشجار يخرج منها سائل صمغي وبعضها عطري مُرّ، ومن ذلك شجر الطلح الذي يخرج منه الصمغ وشجر البان الذي يخرج من لحائه اللبان طيب الرائحة وطعمه المر وغير ذلك من الأشجار التي يخرج من لحائها الذي يخرج من لحائه اللبان طيب الرائحة وطعمه المر وغير ذلك من الأشجار التي يخرج من لحائها مادة ما يستفاد منها لغرض من الأغراض، مثل "الشجرة البقرة" (المذكورة من ضمن فقرات هذا الجزء).

* * *

٢٠٢٩- يحكي أن رجلاً قال: ورثت مالاً جزيلاً فأسرعت إلى إتلافه وأتلفته حتى أفضيت إلى بيع أبواب داري وسقوفها، و لم يبق لي حيلة، وبقيت مدة لا قوت لي إلا من بيع والدتي لما تغزل له وتطعمني وتأكل منه، فتمنيت الموت، فرأيت ليلة في منامي قائلاً يقول: غناك بمصر فأخرج إليها، فبكرت إلى دار أبي عمر القاضي وتوسلت إليه بالجوار وبالخدمة، وكان أبي قد خدمه أياماً، وسألته أن يزودني كتاباً إلى مصر لأتصرف فيها، ففعل، وخرجت فلما وصلت مصر أوصلت الكتب وسألت عن التصرف، فسد الله عليَّ باب الرزق حتى لم أظفر بتصرف، ولا لاح لي شغل، ونفذت نفقتي، فبقيت متفكراً في أن اسأل الناس، فلم أستبح المسألة، و لم يحملني الجوع عليها، وأنا ممتنع إلى أن مضى من الليل صدر صالح، فلقيني الطائف (العسس) فقبض علي، ووجدني غريباً فأنكر حالي، فسألني فقلت رجل ضعيف فلم يصدقني فبطحني وضربني مقارع،

فصحت وقلت أنا أصدقك، فقال: هات، فقصصت عليه قصتي من أولها إلى آخرها وحديث المنام، فقال ما رأيت أحمق منك، والله لقد رأيت كذا وكذا سنة كأن رجلاً يقول لي: ببغداد في الشارع الفلاني في المحلة الفلانية قال: فذكر شارعي ومحلتي، وأصغيت فتم الشرطي الحديث فقال: دار يقال لها: دار فلان فذكر داري واسمي وفيها بستان وفيها سدرة تحتها ثلاثون ألف دينار فامض وخذها، فما فكرت في هذا الحديث ولا التفت إليه، وأنت يا أحمق فارقت وطنك وجئت إلى مصر لسبب منام! قال: فقوي قلبي، واطلقني الطائف بت في مسجد وخرجت من الغد من مصر وقدمت بغداد فقلعت السدرة وأثرت مكانها، فوجدت جراباً فيه ثلاثين ألف دينار فأخذتها، وأمسكت يدي وتدبرت أمري وأنا أعيش من تلك الدنانير ومن فضل ما اتبعته فيها من صنيعٍ وعقار إلى الآن (وهذه القصة شبيهة بقصة الرواف من أهل بريدة ورزقك بالشام).

* * *

٢٠٣٠- دخل الوليد بن يزيد بن عبد الملك مجلس عمه هشام بن عبد الملك بن مروان وفيه سعيد بن هشام بن عبد الملك، وأبو الزبير مولى مروان، وليس هشام حاضراً فجلس الوليد مجلس هشام، ثم أقبل على سعيد بن هشام فقال له: من أنت؟ وهو عارف؟ قال سعيد بن أمير المؤمنين، قال: مرحباً بك، ثم نظر إلى أبي الزبير فقال: من أنت؟ قال: أبو الزبير مولاك

أيها الأمير، قال: أنسطاس أنت؟ مر حبابك، ثم قال لابراهيم بن هشام من أنت؟ قال إبراهيم بن هشام، قال: ومن إبراهيم بن هشام؟ وهو يعرفه قال: إبراهيم بن هشام بن إسماعيل، قال: ومن إسماعيل؟ وهو يعرفه قال: إسماعيل بن هشام بن الوليد بن مغيرة، قال أو من المغيرة؟ قال: الذي لم يكن جدك يرى أنه في شيء حتى زوجه أبي وهو بعض ولد ابنته، قال: يأبن اللخناء! أتقول هذا! وائتخذا (أي تصارعا) (قال الوليد هذه الحركات من باب التمثيل للخليفة) وأقبل هشام فقيل لهما: قد جاء أمير المؤمنين فجلسا وكفا ودخل هشام فما كان الوليد يتنحى له عن صدر مجلسه إلا أنه زحل (تنحى) له قليلاً فجلس هشام وقال له: كيف أنت ياوليد؟ قال: صالح، قال: ما فعلت برابطك (يعني العود)؟ قال: معملة ومستعملة، قال: فما فعل ندماؤك؟ قال: صالحون، ولعنهم الله إن كانوا شراً ممن حضرك، وقام فقال هشام: ياأبن اللخناء! جئوا عنقه (الوجأ) الوخز، فلم يفعلوا ودفعوه رويداً رويداً فقال الوليد:

أنا ابن أبي العاصي وعثمان والدي ... ومروان جدي ذو الفعال وعامر
أنا ابن عظيم القريتين وعزها ... ثقيف وفهر والعصاة الأكابر
نبي الهدى خالي ومن يك خاله ... نبي الهدى يقهر به ويفاخر

القريتان : مكة والطائف وعظيمي القريتين الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود بالطائف.

* * *

٢٠٣١- عوداً إلى كتاب "تكوين الثروة" وقد تحدث في الكتاب عن جوانب كثيرة من التعريفات والجمل من ذلك قوله: " إن مقدار ما تجنيه من المال ليس هو الاعتبار الأول في الحياة وإنما مقدار ما تحتفظ به منه"، وهذا ما أشار الشاعر المتلمس واسمه جرير بن عبد المسيح الضبعي الذي عاش في القرن الخامس الميلادي أي قبل خمسة عشر قرناً من زمننا حين قال:

وأعلم علم حق غير ظن وتقوى الله من خير العباد
لحفظ المال خير من بقاه وضرب في البلاد بغير زاد
وإصلاح القليل يزيد فيه ولا يبقى الكثير مع الفساد

ويقول صاحب الكتاب: " إن الذين يعملون لأجل المال وهم الموظفون أن يبقوا على أعمالهم معولين على رواتبهم في شراء الأصول" وقال: " تقدر ثروة المال بمقدار المال الذي تولده الأصول التي تملكها" وقد طلب من "رأي كروك" صاحب مؤسسة "ماكدونالد" عام ١٩٧٤م وهو المشهور بمطاعم "الهامبرجر" عن عمله في إدارة مطاعم الهامبرجر" فقال: " إن عملي بالعقار" ويعني قوله أنه يختار العقار الذي يكون في موقع استراتيجي على شوارع رئيسة وفي ملتقى الطرق أو على الزوايا التي تقع عليها أعين المارة فيشتري الموقع بأي ثمن ويحوله إلى مطعم "للهامبرجر" فيضطر الناس إلى رؤيته أمامهم، والمثل المأثور لدينا يتركز في المثل القائل:" الرزق عند تزاحم الأقدام"، وجاء في الكتاب أن الأثرياء

يسعون للتمتع بالرفاهية من المال مؤخراً بعد تكوين الأصول، بينما تعتمد الطبقة الوسطى والصغرى بادئ بدء، حيث يعمدون لحيازة سلع الرفاهية كالمنازل الرحبة والمجوهرات والفراء والماسات لرغبتهم في آن يبدون أثرياء، ولكنهم في الحقيقة يغرقون في المزيد من الديون، أما الأثرياء فإنهم يعملون على تكوين خانة الأصول بادئ ذي بدء، حتى إذا أتى المال من ثمرة الأصول بدأت عندهم الرفاهية الحقة مكافأة للاستثمار في العقارات الحقيقية التي نَمَّوهَا، والأصول تتمثل في العقارات والمصانع والأسهم وغيرها مما يبقى ثابتاً ويدر على صاحبه المال وهو في مكانه، حيث يبتكر الأثرياء وسائل الحصول على المال لتكوين الأصول فيخدمهم المال بينما الطبقة الوسطى والفقيرة يعملون لقاء المال موظفين فيحصلون على ما يقيتهم ويفي بالتزاماتهم وتسديد فواتيرهم، وقد قسم المؤلف المال إلى أصول وخصوم، فالأصول الثابتة التي تُدَرُّ على صاحبها مزيداً من المال وربما زادت أثمانها السوقية وهي في مكانها، أما الخصوم فهو ما يصرفه على حاجاته والتزاماته، وكلما زادت قيمة الأصول زاد ما تدره من الأموال، فلذلك يجب عل المرء أن يعمل على زيادة الأصول والتقليل من الخصوم حتى يصبح المال يخدمه ولا يخدم المال، فإذا كانت الأصول مثلاً ٤٠,٠٠٠ دولار يجب أن تكون الخصوم ٢٠,٠٠٠دولار وكلما نقص من الخصوم وإضافة للإصول أصبح لديه أمل في أن يخدمه المال وألا يقع في "سباق الفأر والعجلة" وسباق الفأر والعجلة أشبه بذلك الجرذان الذي وضع داخل عجلة معدنية وكلما تسارعت أرجلها

الصغيرة المكسوة بالفرو وتسارع دورات العجلة المعدنية، ولكن إن تركها لليوم الثاني وجدها بقيت بمكانها على حالها، وهكذا حال الموظف كلما زاد راتبه ومخصصاته زادت مصاريفه، ولدينا مثل يقول: "كلما كبرت اللقمة اتسع الفم لها" وجاء في الكتاب: "أن الساخرين لا ينجحون أبداً"، فالشك والمخاوف هي ما يولد السخرية، فترى الساخرين يعمدون لانتقاد الأمور، فيما يعمد الرابحون إلى تحليلها، ويقول: إن السخرية عين عمياء بينما التحليل عين مبصرة وعندنا بيت شعبي يقول:

٨٣- يَضْحَكْ بَكْ اللّي عَاجْزٍ عِنْ دْرُوْبَكْ   لاَفَاعْـــلٍ فِعْلَـــكْ وْلاَ هُـــوْ مْجَنِّبْـــكْ

وتُعَدُّ العقارات أداة استثمار عتيدة لكل من يسعى لتحقيق النجاح المالي أو الحرية الملكية، ولقد أصبحت العقارات وعاء استثماري جيد، ويقول: لا أحد أفضل من قول:" اليانور روزفلت" عليك باتباع ما يملي عليك ضميرك بصوابه فسوف تكون عرضة للنقد بأية حال، وسوف تلاحقك لعنات الناس إن أقدمت على الفعل، كما ستلاحقك لعناهم إن أنت أحجمت عنه. ثم حي السخاء للسمسار الذي يبحث لك عن العقار، فإن ما تبذله من المال للسمسار ستجني أضعاف أضعافه مما يختاره لك من عقار، ثم يقول: أرى الناس يقبلون على البضائع المخفضة حتى لو كانت مناديل الورق، وإذا ارتفعت أسهم الشركة أقبلوا على

شرائها مع الفارق الكبير في نسبة تخفيض المناديل ونسبة ارتفاع الأسهم، والكتاب ملئ بالأفكار البناءة.

*　*　*

٢٠٣٢- في آخر أمارة الرشيد في حائل التي انتهت عام ١٣٤٠هـ/١٩٢١م وأيام ضعفها كثر اللصوص وقُطاع الطرق الذين يسمون (الحَنْشَلْ) والذين يسلبون الناس أموالهم وأمتعتهم من المسافرين في البر أو ما تطرفوا فيه من المدن والبلدات والقرى، في هذا الجو أقدم ثلاثة من (الحنشل) على أخذ رعية غنم أهل الروضة التي أصبحت الآن مدينة متوسطة فأخذوا رعية الغنم من مفلاها بعد العصر بعد أن ضربوا الراعي وأوجعوه وساقوا رعية الغنم، فأقبل الراعي يصيح ويولول ولم يستطع الوصول إلا بعد غروب الشمس وحلول الظلام فأخبر أهل الروضة أن غنمهم قد أخذت وتجمع الناس واتفقوا على أن يتبعوا أثر الغنم بالنهار حتى يعرفوا مسارها ومع الفجر انطلق مجموعة من الفتيان المسلحين وتبعوا أثر الغنم ووجدوها قد دخلت قرية السليمي التي أصبحت هي الأخرى مدينة متوسطة وتبعد السليمي عن الروضة نحو ستين كيلاً، أما الحنشل فقد جلبوا الغنم بسوق السليمي، فلما رأى الناس الغنم وإذا هي حلوبة رغائث مليئة ضروعها باللبن ومعظمها من المعزي التي كانت تلتقط (الفصم) وهو نوى التمر من الأرض فقالوا: هذه غنم حضر وليست غنم بدو وأسرع أحدهم إلى أمير السليمي وهو يومذاك صالح

بن عبد الله الطويهر ــ رحمه الله ــ وأخبره الخبر فأرسل مجموعة من الرجال وقبض على (الحنشل) الذين جلبوا الغنم وربطهم عنده بالخشبة وأمر بالغنم فأدخلت كلها في حوش وجاء فتيان أهل الروضة بعد صلاة الظهر واتجهوا إلى بيت أمير السليمي فوجدوا غنمهم وأكرمهم أمير السليمي تلك الليلة وفي الصباح استلموها منه وغادرو السليمي أما (الحنشل) فقط ربطهم الأمير ثلاثة أيام ونالوا من العقاب البدني في كل يوم وأخذ التعهد عليهم ألا يعودوا لمثلها. ثم عاد أهل الروضة إلى أهلهم وفي طريقهم مروا بإحدى القرى بعد صلاة العصر وحلوا ضيوفاً عند رجل من أهل تلك القرية وكانت السنة فيها شح بالأرازق فقدم لهم المضيف العشاء مكوناً من (المرقوق) وفيه (قتروعة جراد) والقتروعة هي الجراد المجفف يترع منه ريشه وأرجله ورؤوسه ثم يطبخ مع المرقوق وغيره بمترلة اللحم وهو لذيذ، قدم المضيف العشاء للضيوف وليته سكت إن كان الرجال تعشوا مما قدر عليه وسكتوا ولكنه تفوه بكلام ليته لم يقله، قال تفضلوا أنتم ياأهل الروضة تضعون على الصحن رأسين اي ذبيحتين لإكرام الضيف، فانبرى له أحدهم وهو يقول: ما قصرت ياأبا فلان فلقد قدمت لنا تسعة وتسعين رأساً ويعني (قتروعة الجراد) وعندها تمنى لو لم يتكلم فكان الرد مفحماً ومسكتاً.

* * *

٢٠٣٣- قال علي بن الجهم : دخلت يوماً على المتوكل وهو جالس في صحن قصره (الخلد) وفي يده غصن آس وهو يتمثل بهذا الشعر:

بالشط لي مسكن أفديه مـن سـكن ... أهدي مـن الآس غصـنين في غصـن

فقلـت إذ نظمـا الفـين والتبـا ... سعيا ورعيـا لفـأل فيكمـا حسـن

فـالآس لا شـك آس في تشـوقنا ... شاف و آس لنا يبقـى علـى الـزمن

ابشـر تمـاني بأسـباب سـتجمعنا ... إن شـاء ربي ومهمـا يقضـه يكـن

فلما فرغ من انشادها قال لي وكدت أنشق حسداً: لمن هذا الشعر يا علي؟ فقلت للحسين بن الضحاك الباهلي يا سيدي فقال: هو عندي اشعر أهل زماننا وأملحهم مذهبا وأظرفهم نمطاً فقلت وقدا زاد غيظي: في الغزل يا مولاي؟ قال: وفي غيره وإن رغم أنفك ومت حسداً وكنت قد مدحته بقصيدة وأردت إنشادها يومئذ فلم أفعل وعلمت أني لا أنتفع مع ما جرى بيننا بشيء لابه ولا بالقصيدة فأخرتها إلى وقت آخر.

* * *

٢٠٣٤- الهاتف الذي ملأ جيوب الناس الآن الكبير والصغير والذكر والأنثى فقد كنت مسافراً بالطائرة قبل أسبوع إلى حائل، وقد جلس بالمقعد المجاور لمقعدي رجل شاب في بحر الثلاثين من العمر وعندما جلس مد رف الطعام من المقعد وأخرج من جيوبه أربعة أجهزة للهاتف المنقول إثنان من الجوال العادي "نوكيا" من أشكال جيدة وواحد من نوع

"بلاك بيري" وواحد من نوع "آي فون" وضعها على منضدة الطعام فاعتقدت أن ذلك من باب المباهات والمفاخرة ولم يغلقها حسب تعليمات الملاحةبالطائرة ولكنه صار يرفع هذا ويفتحه ثم يغلقه ويأخذ الثاني، فالثالث والرابع ولم يأبه بنداء المضيف بضرورة إطفاء الأجهزة الالكترونية وعندما أشرت إليه لأنبهه إن كان غافلاً أو مأبيده لا مباليا، قلت في نفسي لو قدر هذا الرجل قدر النعمة التي فيها الناس اليوم من وفرة الاتصالات وسرعتها بفضل الله ثم بفضل هذه الأجهزة لغير موقفه واكتفى بواحد من أربعة وقد مر الهاتف حتى وصل الينا الآن بعدة مراحل قبل أن يتوفر بشكله الحالي ففي عام ١٣٥٣هـ ١٩٣٤م لم يتجاوز عدد الخطوط الهاتفية اليدوية ٧٥٤ خطا موزعة على كل من الرياض ومكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف فقط. وفي ١٣٥٧/٧/٢٢هـ ١٩٣٨م قامت الحكومة باستيراد أول مقسمين (سنترالين) من الطراز الحديث لاجراء المخابرات الحكومية وركبت في مكة وجدة.ثم بعد ذلك توالي استيراد المقسمات في الرياض وكانت تحتوي على خمس مقسمات (سنترالات)هي مقسم المربع، ومقسم البطحاء ومقسم الشميسي ومقسم الديرة ومقسم الملز. بخطوط محدودة لبيوت الشخصيات المهمة والشركات التجارية والمحلات التجارية المهمة وكان الانسان الساكن بالملز إذا أراد أن يكلم آخر بالمربع اتصل بمقسم الملز وطلب منه مقسم المربع فإذا أعطاه إياه طلب الرقم الذي يكلمه وكانت هذه المكالمات تتم عن طريق الهاتف "أبو هندل" وفي عام

١٣٨٠هـ ١٩٦٠م تم ادخال الهاتف إلى الدوائر الحكومية والمنازل والمحلات التجارية واستمر هذا الوضع حتى عام ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م ثم أدخل الهاتف الآلي وانتهى "أبو هندل" ادخل إلى الكثير من الدوائر الحكومية والشركات والمحلات التجارية والمنازل ثم قامت وزارة البرق والبريد والهاتف بتاريخ ١٤٠٤/٥/١٨هـ ١٩٨٤م بتقديم الهاتف السيار لرجال الأعمال والشخصيات القيادية والمهمة ويركب الهاتف بالسيارة ويصل مداه إلى نطاق ٥٠ كيلا وكانت رسومه وتكلفته عالية إذ تبلغ ٦٥٠٠٠ الف ريال ومكالماته عالية السعر كذلك ثم جاء "البيجر" الذي يظهر الرقم الذي يتصل بالانسان فقط وبعده جاء الهاتف المنتقل أو الجوال أو الخلوي وكانت رسوم ادخاله عشرة آلاف ١٠٠٠٠ ريال ثم نزلت إلى ٨٠٠٠ ريال ثم ٥٠٠٠ ريال وقد أخذت هذا الجهاز ودفعت رسومه ٣٥٠٠ ريال والآن يكاد أن يكون بالمجان.

* * *

٢٠٣٥- قدم عبد الله بن جعفر بن أبي طالب على معاوية بن أبي سفيان بالشام فأنزله دار عياله، وإظهر من اكرامه ما يستحقه فغاض ذلك زوج معاوية ثم سمعت ذات ليلة غناء عند عبد الله بن جعفر وجاءت إلى معاوية وقالت له : هلم فاسمع ما في مترل الذي جعلته من لحمك ودمك وانزلته بين حرمك فجاء معاوية فسمع شيئاً ثم انصرف فلما كان آخر الليل سمع معاوية قراءة عبد الله بن جعفر وهو قائم يصلي فنبه زوجته وقال لها

إسمعي مكان ما أسمعتني هؤلاء قومي ملوك بالنهار ورهبان بالليل! ثم إن معاوية أرق ذات ليلة، فقال لخادمة: إذهب فانظر من عند عبد الله بن جعفر وأخبره أني قادم عليه فذهب فأخبره فأقام عبد الله كل من كان عنده فلما جاء معاوية قال: من كان في هذا المجلس؟ فقال: فلان قال: مره فاليرجع إلى مجلسه حتى لم يبق إلا مجلس رجل واحد فقال: مجلس من هذا؟ قال: مجلس رجل يداوي الآذان يا أمير المؤمنين قال: إن أذني عليله فمره أن يرجع إلى مجلسه وكان مجلس يديح المغنى فأمره عبد الله فرجع إلى موضعه فقال له معاوية داو أذني من علتها فتناول العود وغنى:

ودع هريـــرة إن الركـــب مرتحـــل وهل تطيـــق وداعـــا أيهـــا الرجـــل

فحرك عبد الله بن جعفر رأسه فقال له معاوية: لم حركت رأسك يا ابن جعفر؟ قال: أريحيه أجدها يا أمير المؤمنين لو لقيت عندها لأبليت ولو سئلت لأعطيت وكان معاويةقد خضب فقال ابن جعفر لبديح، غن غير هذا وكان لمعاوية جارية أعز جواريه عليه وكانت تتولى خضابه فغنى بديح:

أليس عندك شـــكر للـــتي جعلـــت ما أبيض من قادمات الشعر كـــالحمم

وجددت منك ما قد كـــان أخلقـــه صرف الزمان وطول الـــدهر والقـــدم

فطرب معاوية طربا شديدا وجعل يحرك رجله فقال له: ابن جعفر : يا أمير المؤمنين إنك سألتني عن تحريك رأسي فأجبتك وأخبرتك وأنا أسألك عن تحريك رجلك!! فقال: كل كريم طروب ثم قام وقال: لا

يبرح أحد منكم حتى يأتي له أذني، ثم ذهب فبعث إلى ابن جعفر عشرة آلاف دينار ومنه ثوب من خاصة كسوته، وإلي كل رجل منهم بألف دينار وعشرة أثواب.

* * *

٢٠٣٦- خطب الصمة بن عبد الله القشيري بنت عمه وكان لها محباً، فاشتط عليه عمه في المهر، فسأل أباه أن يعاونه وكان كثير المال فلم يعنه بشيىء، فسأل عشيرته فأعطوه، فأتى بالإبل عمه فقال: لا أقبل هذه مهر ابنتي، فاسأل أباك أن يبدلها لك، فسأل ذلك أباه فأبى عليه، فلما رأى من فعلهما قطع عقلها وخلاها فعاد كل بعير إلى الآفه، وتحمل الصمة راحلاً، فقالت بنت عمه حين رأته يتحمل: تالله ما رأيت كاليوم رجلاً باعته عشيرته بأبعرة، ومضى من وجهه حتى لحق بالثغر فقال وقد طال مقامه واشتاقها وندم على فعله:

أتيك على ريا ونفسك باعدت ... مزارك عن ريا وشعباكما معا

فما حسن أن تأتي الأمر طائعاً ... وتجزع إن داعي الصبابة أسمعا

وفي رواية الهيثم بن عدي: أن الصمة خطب ابنة عمه هذه إلى أبيها فقال له: لا أزوجكها إلا على كذا وكذا من الإبل، فذهب إلى أبيه فأعلمه بذلك، وشكا إليه ما يجدها، فساق الإبل عنه إلى أخيه فلما جاء بها عدها عمه فوجدها تنقص بعيراً فقال: لا آخذها إلا كاملة، فغضب

أبوه، وحلف لا يزيده على ما جاء به شيئاً، ورجع إلى الصمة فقال له: ما وراءك؟ فأخبره، فقال: تاالله ما رأيت قط ألأم منكما جميعاً، وإني لألام منكما إن أقمت بينكما ثم ركب ناقته ورحل إلى الثغر فأقام به حتى مات وقال في ذلك:

أمن ذكر دار بالرقاشين أصبحت	بها عاصفات الصيف بدءاً ورجعا
حننت إلى ريا ونفسك باعدت	مزارك من ريا وشعبا كما معا
فما حسن أن تأتي الأمر طائعاً	وتجزع إن داعي الصبابة أسمعا
كأنك لم تشهد وداع مفارق	ولم تر شعبي صاحبين تقطعا
بكت عيني اليسرى فلما زجرتها	عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا
تحمل أهلي من قنين وغادروا	به أهل ريَّا حين جيدوا مرعا
ألا يا خليلي الذين توا صيا	بلومي إلا أن أطيع واسمعا
قفا إنه لابد من رجع نظرة	يمانية شتى بها القوم أو معا
لمغتصب قد عزه القوم أمره	حياء يكف الدمع أن يتطلعا
تبرض عينيه الصبابة كلما	دنا الليل أو أوفى من الأرض ميفعا
فليت عشيات الحمى برواجع	إليك ولكن خل عينيك تدمعا

* * *

٢٠٣٧- قرأت مقالاً للكاتب (جورج جرداق) في مجلة المجلة بتاريخ ٢٠٠٨/٨/١٤م بعنوان من طرائف المؤرخين، وقد جاء في المقال من

الطرائف التي تقلب المفاهيم رأساً على عقب وتقشعر من مضمونها الأبدان وتتقزز النفوس وسوف أعرض بعضها على دفعات حتى لا تشمئز منها نفوس القراء الكرام ولكن ليرى القارئ الكريم سيرة أولئك المتزلفين المنافقين البائعين لضمائرهم إن كان لديهم ضمائر إلى أولئك الولاة الحاكمين في ذلك الزمن في القرن الرابع عشر الميلادي الثامن الهجري وما قبله حيث أورد قول أولئك المؤرخين عليهم من الله ما يستحقون فقد ورد في المقال: معنى الطموح إلى المعالي قال مؤرخ عربي (للأسف) قديم في رجل من معاصريه يدعى ابن الأنباري... وكان ابن الأنباري شهما جزل المروءة يملك أربعمائة جارية وخمسة قصور وعدداً كبيراً من العبيد والخيول ولما كان من أقطاب الوجاهة وأهل الطموح إلى المعالي فقد استحلق بأملاكه الواسعة أملاك جيرانه بالحيلة وجمع إلى أمواله الطائلة أموال إخوانه وخلانه بالغيلة وسعى إلى المجد من كل باب " أرايت ما تعنيه في نظر المؤرخ!!! كلمات الشهامة والمروءة والطموح إلى المعالي والمجد!؟؟ ويقول المؤرخ نفسه في وال من معاصريه يدعى "معن"... وكان معن كريم العنصر عالي الهمة رفيع الشأن جمع الأسرى وعددهم أربعة آلاف وأمر بقتلهم فقتلوا في الحال!!! وفي أوائل القرن الرابع عشر الميلادي نحو عام ١٣٢٠م ٧٢٠هـ في فرنسا بعدما استشار الملك معاونيه الجهلة المحيطين به ارتأى أن يحرق جماعة من رجال الفكر درءاً لخطرهم على أصحابه وذئابه وهنا يقول أحد مؤرخي ذلك الزمان في صباح يوم معين لاحراق هؤلاء المارقين جاء رسول البلاد ببشرى

سعيدة هي أن ملك فرنسا الرحيم اتسع حلمه لأهل الجحود هؤلاء وبسط عليهم جناح رحمته فتلطف وتعطف وأمر بشيهم على النار شيا بطيئاً يكون لهم فيه الخير وحسن الثواب!!!يالها من رحمة!!! وإلى فقرة ثانية.

* * *

٢٠٣٨- قيل للفضل بن يحي البرمكي: ما أحسن كرمك لولا تِيْهٍ فيك! فقال: تعلمت الكرم والتيه من عمارة بن حمزة! فقيل له: كيف ذلك؟ فقال: كان أبي عاملا على بعض كور (مدن) بلاد فارس فانكسرت عليه جملة مستكثرة (أي نقص) فحمل إلى بغداد وطولب بالمال فدفع جميع ما يملكه وبقيت عليه ثلاثة آلاف ألف (أي ثلاثة ملايين درهم) لا يعرف لها وجها، والطلب عليه حثيث فبقي حائراً في أمره وكان بينه وبين عمار بن حمزة منافرة ومواحشة لكنه علم أنه لا يقدر على مساعدته إلا هو، فقال لي يوماً وأنا صبي إمض إلى عمارة وسلم عليه عني وعرفة الضرورة التي قد صرنا إليها واطلب منه هذا المبلغ على سبيل القرض إلى أن يسهل الله تعالى باليسر فقلت له: أنت تعلم ما بينكما فكيف أمضي إلى عدوك بهذه الرسالة وأنا أعلم أنه لو قدر على اتلافك لأتلفك؟ فقال: لابد أن تمضي إليه، لعل الله أن يسخره ويوقع في قلبه الرحمة! قال الفضل: فلم تمكني معاودته وخرجت وأنا أقدم رجلاً وأؤخر أخرى حتى أتيت داره، واستأذنت في الدخول عليه، فلما دخلت وجدته في صدر

إيوانه متكئاً على مفارش وثيرة، وقد غلف شعر لحيته بالمسك ووجهه إلى الحائط وكان من شدة تِيْهِهِ لا يقعد إلا كذلك فوقفت أسفل الايوان وسلمت عليه فلم يرد السلام فسلمت عليه عن أبي وقصصت عليه القصة فسكت ساعة ثم قال: حتى ننظر! فخرجت من عنده نادماً على نقل خطاي إليه، وموقنا بالحرمان عاتبا على أبي أن كلفني إذلال نفسي بمالا فائدة فيه، وعزمت على ألا أعود إليه غيظا منه فغبت عنه ساعة ثم جئته وقد سكن ما عندي فلما وصلت إلى الباب وجدت بغالاً محملة فقلت ما هذه؟ فقيل إن عمارة قد سير المال فدخلت على أبي و لم أخبره بشيء مما جرى لي معه كي لا أكدر إحسانه إليه فمكثنا قليلاً وعاد أبي إلى الولاية وحصلت له أموال كثيرة فدفع إلي ذلك المبلغ وقال: إحمله إليه فجئت به ودخلت عليه فوجدته على الهيئة الأولى فسلمت عليه فلم يرد فسلمت عليه عن أبي وشكرت إحسانه وعرفته بوصول المال فقال بحرد (غضب) ويحك! أقسطاراً (صرافا) كنت لأبيك؟. أخرج عني لابارك الله وهو (أي المال) لك فخرجت ورددت المال إلى أبي وعجبنا من حاله!!

* * *

٢٠٣٩- قالت ظبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب أرسلتني مولاتي فاطمة بحاجة فمررت برحبة القضاء فإذا بضبيعة العبسي خليفة جعفر بن سليمان يقضي بين الناس فأرسل إليَّ فدعاني وقد كنت رطلت شعري

(لينته بالدهن ومشتطه وأرسلته) وربطت في اطرافه من أنواع العهن (الصوف) فقال: ما هذا؟ قلت شئ أتملح به فقال: يا حرسي قنعها بالسوط قالت: فتناولت السوط بيدي وقلت قاتلك الله! ما أبين الفرق بينك وبين سعد بن ابراهيم سعد يجلد الناس في السماحة وأنت تجلدهم في الملاحة وقد قال الشاعر:

جلـــد العـــادل ســـعد بـــن ســـلم في الســـماجة
فقضـــى الله لســـعد مـــن أمـــير كـــل حاجـــة

قالت فضحك حتى ضرب بيديه رجليه وقال: خل عنها قالت: فكان يسوم بي مولاتي وكانت مولاتي تقول لا أبيعها إلا أن تهوى ذلك وأقول لا أهوى بأهلي بدلاً إلى أن مررت يوماً بالرحبة وهو في منظرة دار مروان ينظر، فارسل إلي فدعاني فوجدته من وراء كله وأنا لا أشعر به وحازم وجرير جالسان فقال لي حازم: الأمير يريدك فقلت لا أريد بأهلي بدلاً وكشفت الكلة عن جعفر بن سليمان فارتعدت لذلك فقلت آه.. فقال: مالك؟ قلت:

سمعت بذم النـــاس هنـــداً فلـــم أزل أخا ســـقم حـــتى نظـــرت إلى هنـــد

قال فابصرت ماذا ويحك! فقلت:

فابصرت هنداً حرة غير أنها تصدى لقتل المسلمين على عمد

قالت: فضحك حتى استلقى وأرسل إلى مولاتي ليبتاعني فقالت: لا أبيعها حتى تستبيعني فقلت والله لا أستبيعك أبداً.

* * *

٢٠٤٠- أعجبني الدكتور بكري شيخ أمين جزاه الله خيراً في بعض كتاباته الأدبية التاريخية التي ينشرها في المجلات هنا وهناك من ذلك ما كتبه في مجلة الحج والعمرة عدد محرم لعام ١٤٢٧هـ بعنوان "براءة الخيام من رباعياته براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام" وملخص المقال يثور في الذهن سؤال ضخم كبير كيف نسب إلى هذا الرجل هذه الرباعيات وقد وصفه مؤرخوا عصره بالإمام الحجة الحق وحكيم الدنيا وفيلسوفها فكيف نسب إليه هذا الكم الهائل من الرباعيات وهو لم يقل إلا بضع عشرة رباعية؟ كيف جعلت هذه الأشعار عمر بن الخيام زنديقا أو كالزنديق وهو رفيق أكابر العلماء ونظيرهم وكيف انتقلت هذه الأشعار إلى لغات العالم؟ ولماذا صورته بهذه التصاوير؟ ولماذا بذلت الرباعيات هذا البذل وغدت بمتناول كل يد؟ ونتساءل عن هذه الظاهرة التي انتشرت منذ ما يزيد على مئة عام من عصرنا، كان أول ما عرف عمر الخيام من الفرنجة هو (توماس هايد) أستاذ العربية والعبرية في جامعة (أكسفورد بلندن) وتبعه المستشرق النمساوي (كور أورسلي) رباعيتين وتتابع المترجمون حتى بلغ عدد مترجمي رباعياته في القرنين الماضيين أكثر من عشرين مترجماً ومعظمهم من اليهود والمؤلفين في الأدب العبري وفي

سنة ١٨٥٩م نشر الشاعر الانجليزي (فيتز جيرالد) الرباعيات شعراً وبهذا الشعر انتشرت الرباعيات في جميع أصقاع العالم وفي الحق أن من يقرأ أشعار (فيتزجيرالد) الرائعة المسبوكة بلغة كأنها السحر ينجذب على مضمونها ويسحر بأسلوبها وجمالها كل من يقرؤها.ومن الانجليزية ترجمت إلى معظم لغات العالم وما الرباعيات المغناة بالعربية والتركية والأوردية والفرنسية والروسية وسائر اللغات الأخرى الا ترجمة لرباعيات (فيتز جيرالد) وليس لعمر الخيام الحقيقي يد فيها ولا معرفة بها ولا هو قالها، بل لم تخطر على باله وهو بريئ منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب فكيف نسبت إليه؟ يكشف العلماء والباحثون السروير بطون بين حركة الاستعمار التي قويت واشتدت في القرن الثامن عشر وما رافقها من حملات تبشيرية وتنصيرية وزعم المبشرون أنهم وجدوا مخطوطة في جامعة (اكسفورد) منسوبة إلى رجل يدعي بـــ(الخيام) ربما قد دسها أحد الوضاعين الذين يريدون تشويه المسلمين كلها زندقة ودعوة إلى السكر والعربدة وسرعان ما ترجمعها إلى الأنجليزية اليهودي (توماس ماير) ثم تلقفها (فون هام) النمساوي ونقلها إلى الألمانية حتى إذا حلت سنة ١٨٥٩م وجدنا (فيترجيرالد) اختار من الرباعيات ما شاء له الهوى ونقلها بالمعنى إلى الانجليزية وولد في خلالها شاعر جديد اسمه عمر الخيام لا يمت بصلة إلى عمر الخيام الفارسي الأصل المسلم بصلة إلا بصلة الاسم لا أكثر وربح الاستعمار والمبشرون ربحاً لا نظير له فلقد أوهموا المشارقة بخاصة أي من علمائهم الكبار من ينظم مثل هذه

الأشعار ويشرب الخمور ويفعل هذه الأفاعيل ولا حرج عليهم أن يلقدوا عالمهم وانطلت الحيلة واللعبة على كثير من الناس فاذا جمهور غفير من المخدوعين يسلك سلوك (خيام فيتزجيرالد) وأعقبه أحمد السباعي المصري ثم العراقي محمد الهاشمي نقلها عن الفارسية ومثله أحمد الصافي النجفي وجميل صدقي الزهاوي وأحمد زكي أبو شادي وتوفيق مفرج لكن الطامة الكبرى هي التي ترجمها من الانجليزية الشاعر المصري أحمد رامي وكانت ترجمته من الجمال الفني والعبارات المغرية أشبه بترجمه (فيتزجيرالد) السحرية وزادها حلاوة أسلوب وقبول عند كثير من دعاة الألحان وغناء أم كلثوم لها رغم تعديلها عدداً من الكلمات الأصلية (ولدي في مكتبتي عدد من الرباعيات هي: لأحمد النجفي ٣٥١ رباعية، وأحمد رامي ١٤٢ رباعية وابراهيم العريض ١٦٨ رباعية.) والمفاجأة الكبرى التي تصل إلى حد الصدمة أن الرجل اسمه عمر و كنيته أبو الفتح ولقبه غياث الدين ووالده ابراهيم النيسابوري وشهرته الخيام أو الخيامي لاشتغاله بصنع الخيام وقد ولد في نيسابورمن أعمال خراسان في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري العاشر الميلادي وتوفي قبيل انتهاء الربع الأول من القرن السادس الهجري الحادي عشر الميلادي ويحدد الزركلي في كتابه الاعلام وفاته بسنة ٥١٥هـ ١١٢١م وفي عصره يضج علم الكلام واشتد النزاع العلمي بين الأشاعرة والمعتزلة والحنابلة والجبرية وغيرهم. وعاش عمر الخيام في وسط علمي وفي بيئة علمية فنية وكان لأولئك الذين تتلمذهم وتتلمذوا عليه مكانة علمية

عظيمة في عصره، ومعا صروه جميعا وصفوه بأحلى وأجمل وأرفع ما وصف به الرجال العلماء رفاق دربه وأصحابه وأترابه كانوا من خيرة الناس وأفضلهم منهم الإمام أبو حامد الغزالي والوزير نظام الملك وزير ملوك السلاجقة وباني المدارس النظامية في شتى أرجاء العالم الاسلامي وجار الله محمود الزمخشري صاحب التفسير المعروف "الكشاف" وغيرهم ومؤرخوا عصره وصفوه بالامام وحجة الحق وحكيم الدنيا وفيلسوفها و (الدستور) و (ابن سيناء الثاني) والعالم والفلكي والفقيه في بالقراءات القرآنية والزاهد والمتصوف ترى هل يمكن أن يوصف إنسان على هذا القدر من العلم والحق والزهد والتقوى والحكمة وحسن مجالسة الملوك والعلماء وأفاضل الناس بغير ما وصفه أبناء عصره لم يقل أحد من تلاميذه وشيوخه وأصحابه ورفاق دربه أنه كان زنديقا أو سكيرا أو منحرفا حتى الشعر الذي ذكر واله عدداً من الرباعيات لا تزيد عن بضع عشرة كلها في الزهد.

* * *

٢٠٤١- قال الأصمعي قصدت في بعض الأيام رجلاً كنت أغشاه لكرمه فوجدت عند بابه بواباً فمنعني من الدخول عليه ثم قال: يا أصمعي ما أوقفني على بابه إلا لأمنع مثلك لرقة حاله (أي فقره) فكتب رقعة فيها:

إذا كـــان الكـــريم لـــه حجـــاب   فما فضـــل الكـــريم علـــى اللئـــيم!

فقلت أوصل رقعتي إليه ففعل وعاد بالرقعة وقد وقع على ظهرها:

إذا كان الكريم قليل مالٍ تحجب بالحجاب على الغريم

ومع الرقعة صرة فيها خمسمائة دينار فقلت والله لأتحفن المأمون بهذا الخبر فلما رآني قال: من أين يا أصمعي؟ قلت من عند رجل من أكرم الأحياء وحاشا أمير المؤمنين قال: ومن هو؟ فقدمت اليه الورقة والصرة وأعدت إليه الخبر، فلما رأى الصرة قال: هذا من بيت مالي ولا بد لي من الرجل! فقلت: والله يا أمير المؤمنين إني أستحي أن تروعه برسلك فقال لبعض حاشيته إمض مع الأصمعي فإذا أدلك الرجل فقل له: أجب أمير المؤمنين من غير إزعاج! فلما حضر الرجل بين يدي المأمون قال له: أنت الذي وقعت لنا بالأمس وشكوت رقة الحال؟ وأن الزمان قد أناخ عليك بكلكه (صدره) فدفعنا إليك هذه الصرة لتصلح بها حالك فقصدك الأصمعي ببيت واحد فدفعتها إليه! فقال: نعم يا أمير المؤمنين والله ما كذبت عليك فيما شكوت لأمير المؤمنين من رقة الحال لكني استحييت من الله تعالى أن أعيد قاصدي إلا كما أعادني أمير المؤمنين فقال له المأمون: لله أنت ! فما ولدت العرب أكرم منك.

* * *

٢٠٤٢- زرع أحد المواطنين على أحد آبار فرتاج بمنطقة حائل زرع الشتاء وأخذ على هذا الزرع دين ولما حصد الزرع وصفاه استدعا دائنيه وكل

من يطلبون منه دينا فحضروا وأعطى كل واحد حقه ولم يبق من الزرع إلا "الحصامة" وهي بقية الحب المخلوط بالشوائب مثل كعوب القصب وبعض دمن الغنم والحصى وغيره من الشوائب ومقدار هذه الحصامة ملء الزبيل فقط لا غير تستطيع ان تحملة المرأة على رأسها نتيجة جهد خمسة أشهر من الكد والعرق منه ومن زوجته ويمكن لو تمت تصفيته لا يبلغ بضعة أصواع في هذه الحصيلة الضئيلة ذهل الزوجان وسلما أمرها إلى الله وقنعا بما بقي لهما من الزرع ثم شرعا بادخال تبن الزرع في الغرفة التي كانا يسكنان بها ويبيتون بها بعض الليالي ولما فرغا من ادخال التبن سد الرجل باب الغرفة بالبناء ثم رفع الزبيل فوق رأس المرأة وانطلق أمامها بمسافة نحو مئة متر متجهين إلى بلدة الوسيطاء التي تبعد عن فرتاج نحو عشرة أكيال وكان للزوجين طفل صغير معهما في المهد وفي نحو ثلث الطريق شعرت المرأة بأن ثدييها قددرا باللبن فنادت زوجها قائلة له: هات الولد لأرضعه فعاد إليها فزعاً وهو يقول: ليس معي ولد، أظنه معك فوق الزبيل قالت بلهجة المبهوتة ليس معي في الزبيل أحد وبسرعة خاطفة أنزل الزبيل عن رأسها وعادا يتسابقان إلى مكان مدرس الحب علهما يجدان الطفل في ظل الحجرة ولم يجداه فظنا أن سبعاً التقطه ولكنهما لم يريا أثراً للسبع و المرأة تولول وتتأوه إبني إبني عسى ألا يكون الذئب قد التقطه وأكله وأسرع الرجل إلى نقض البناء الذي سد به باب الغرفة حيث وجد الطفل نائما بمهده فوق التبن وكادا يطيران من الفرح وخطفته الأم وضمته على صدرها فانتبه وأرضعته ثم حملته

وعادا في طريقهم ثم أعطته زوجها ليحمله وحملت الزبيل ثم صار لهذا الأب شأن بعد ذلك وصار له فضل على المحتاجين لأنه جرب الفقر والحاجة وعندما أغناه الله صار يقرض الناس لمن جاءه محتاجاً وقد كتبت عنه في أحد فقرات هذا الكتاب ولولا الخشية من حساسية أحد من أحفاده لذكرت اسمه وعندما شعر بقرب حلول أجله أوصى بنيه بأنه قد سامح كل من عليه قرض وشطب على أسماء من عليهم قروض رحمه الله وأسكنه جناته.

* * *

٢٠٤٣- قال لنا جعفر بن سليمان وهو أمير المدينة أغدوا علي فضرب بالعقيق غداً وكنت أنا وحماد ودحمان وعطرد فغدوت للموعد فبدأت بمترل دحمان وهو في جهينة (حي من أحياء المدينة) فإذا هو وعطرد قد اجتمعا على قدر يطبخانها وإذا السماء تبغش (البغش المطر الصغير) فأذكرتهما الموعد، فقالا أما ترى يومنا هذا ما أطيبه! اجلس حتى نأكل من هذه القدر ونصيب شيئاً ونستمتع بهذا اليوم فقال ما كنت لأفعل مع ما تقدم به إلي فقالا لي كأن الأمير قد انحل عزمه وأخذك المطر إلى أن تبلغ ثم ترجع إلينا مبتلا وتقرع الباب وتعود إلى ما سألناك حينئذ قال فلم التفت إلى قولها ومضيت وإذا جعفر مشرف من قصره والمضارب تضرب (المضرب الفسطاط أو الخيمة الكبيرة) والقدر تنصب فلما كنت بحيث يسمع تغنيت:

وأستصحب الأصحاب حتى إذا ونوا   وملوا من الادلاج جئـتكم وحـدي

فقال وما ذاك؟ فأخبرته، فقال: يا غلام هات مئتي دينار واربعمائة دينار من اسحاق في حجر الربعي إذهب الآن فلا تحل لها عقدة حتى تريهما إياها فقلت وما في يدي من ذلك! يأتيك غداً فتلحقهما بي قال: ما كنت لأفعل قلت: فلا أمضي حتى تحلف لي أنك لا تفعل فحلف فمضيت إليهما فقرعت الباب، فصاحا وقالا ألم نقل لك إن هذه ستكون حالك، فقلت كلا! فأريتهما الدنانير فقالا ان الأمير لحي كريم ونأتيه غداً فنعتذر إليه فيدعوه كرمه أن يلحقنا بك، فقلت كذبتما أنفسكما والله إني قد أحكمت الأمر ووكدت عليه الايمان ألا يفعل فقالا لا وصلتك درهم.

*   *   *

٢٠٤٤- البرقيات الآن أصبحت ثانوية في خضم الاتصالات التي توفرت في الآونة الأخيرةولكنها لا تزال من الناحية الرسمية نافذة وقوية وبأساليب عصرية حديثة فهي من الناحية الرسميةبعذ الخطابات الورقية الرسمية مع أن الأجهزة الأخرى سبقتها مثل (الأميل) والهاتف (الجوال) و (الآيفون) و (الآيبود) وغيرها من وسائل الاتصال وإذا ألقينا نظرة إلى الوراء لوجدنا أنه بتاريخ ١٣٤٤/١٠/٢٩هـ ١٩٢٥م تم أرسال أول برقية لاسلكية من أبها وذلك بعد تركيب المكينة الخاصة بذلك وتم تناقل الخبر

كحدث مهم وانتقل بين الناس حتى قال شاعر شعبي يعني عجوزاً تنقل الأخبار والأحاديث والنميمة بهذه البرقية من قصيدة له:

٨٤- هَذِيْ عَجُوزٍ مَـاوَرَا جِيْلَهَـا جِيْـلْ   تَبِيْ تْحَـارِبْ وَاحْـدٍ مَـا حَرِبْهَـا
٨٥- بَرْقِيَّـةٍ دَلَّـت تْخَـابِرْ بَـلاَ تَيْـلْ   مَـا لَـهْ شِـبِيْهٍ إلاَّ بَرْقِيَّـةْ أَبْهَـا

وتوسع تركيب هذه البرقيات بعد ذلك في الأماكن التي يتطلب وجودها فيها وحصلت معارضة للملك عبد العزيز رحمه الله من قبل الأخوان ولكنه لم يأبه بذلك ففي ١٣٥٠/٦/١٦هـ ١٩٣١م تم تركيب أول مكينة لاسلكية في بريدة من القصيم وجرت المخابرة بين القصيم والرياض ومكة والاحساء ثم توسع تركيب المحطات اللاسلكية في عدد من المحطات ففي عام ١٣٥٣هـ ١٩٣٤م تم تأسيس ٢٢ محطة لاسلكية في المملكة للربط بين ٢٢ مدينة وقرية لتمتع بالخدمة البرقية ثم توالت المحطات اللاسلكية في أي مكان تدعو الحاجة إليه على الحدود وحول المنافذ الحدودية في الشمال والجنوب والشرق والغرب وصارت تمثل العمود الفقري لاتصالات الناس حتى نحو عام ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م حين تم انشاء شبكة الهاتف الآلي مما خفف على هذه الخدمة لكن بقى لها مكانتها في الأمور الرسمية والمعايدات والمخابرات المهمة التي يعتمد عليها بين الناس ثم قل شأنها بعد توفر وسائل الاتصال الأخرى.

* * *

٢٠٤٥- قال داود بن الرشيد قلت للهيثم بن عدي بأي شيء استحق سعيد بن عثمان أن ولاه المهدي القضاء وانزله تلك المترلة الرفيعة؟ قال إن خبره في اتصاله بالمهدي طريف فإن أحببت شرحته لك قلت والله قد أحببت ذلك فقال: إعلم أنه وافي الربيع الحاجب حين أفضت الخلافة إلى المهدي قال: أستأذن لي على أمير المؤمنين فقال له الربيع: من أنت؟ وما حاجتك؟ قال: أنا رجل قد رأيت لأمير المؤمنين رؤيا صالحة وقد أحببت أن تذكرني له، فقال الربيع يا هذا إن القوم لا يصدقون فيما يرونه لأنفسهم فكيف ما يراه لهم غيرهم! فاحتل بحيلة هي خير لك من هذه فقال له: إن لم تخبره بمكاني سألت من يوصلني إليه فأخبرته أني سألتك الأذن عليه فلم تفعل فدخل الربيع إلى المهدي فقال له: يا أمير المؤمنين إنكم قد أطمعتم الناس في أنفسكم فقد أحتالوا لكم بكل ضرب قال له: هكذا صنع الملوك فما ذاك؟ قال رجل بالباب يزعم أنه قد رأى لأمير المؤمنين رؤيا حسنة وقد أحب أن يقصها عليك فقال المهدي: ويحك يا ربيع إني والله أرى الرؤيا النفسي فلا تصح لي فكيف إذا ادعاها من لعله اقنعلها قال: والله قلت له مثل هذا فلم يقبل قال: هات الرجل فأدخله إليه سعيد وكان له رؤية وجمال ومروءة ظاهرة ولحية عظيمة ولسان فقال له المهدي: هات بارك الله عليك! ماذا رأيت ؟ قال: رأيت يا أمير المؤمنين آتيا أتاني في منامي فقال لي: أخبر أمير المؤمنين المهدي أنه يعيش ثلاثين سنة في الخلافة وآية ذلك أنه يرى في ليلته هذه في منامه كأنه يقلب يواقيت ثم يعدها فيجدها ثلاثين يا قوته كأنها قد وهبت له فقال

له المهدي ما أحسن ما رأيت ونحن نمتحن رؤياك في ليلتنا المقبلة على ما أخبرتنا به، فإن كان الأمر على ما ذكرت أعطيناك ما تريد وإن كان الأمر بخلاف ذلك لم نعاقبك لعلمنا نرى أن الرؤيا ربما صدقت وربما اختلفت قال له سعيد: ما أنا صانع الساعة إذا صرت إلى مترلي وعيالي فأخبرهم أني كنت عند أمير المؤمنين ثم رجعت صفراً قال له المهدي: فكيف نعمل؟ قال: يعمل أمير المؤمنين ما احب وأحلف له أني قد صدقت، فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمر أن يؤخذ منه كفيل ليحضر من غد ذلك اليوم فقبض المال وقيل له: من يكفل بك فمد عينه إلى خادم فرآه حسن الوجه والزي فقال: هذا الكفيل بي قال له المهدي أتكفل به؟ فاحمر وخجل وقال: نعم وكفل به وانصرف فلما كان من تلك الليلةرأى المهدي ما ذكره له سعيد حرفا بحرف وأصبح سعيد بالباب وستأذن فأذن له، فلما وقعت عين المهدي عليه قال: أين مصداق ما قلت لنا؟ قال سعيد: ما رأى أمير المؤمنين؟ قال المهدي: قد والله رأيت ذلك فقال له سعيد: الله أكبر! فأنجز يا أمير المؤمنين ما وعدتني به، قال له: حبا وكرامة ثم أمر له بثلاثة آلاف دينار وعشرة تخوت ثياب (التخت وعاء تصان فيه الثياب وتحفظ) وثلاثة مراكب من أنفس دوابه محلاة فأخذ ذلك وانصرف فلحق به الخادم الذي قد كفل به وقال له: سألتك بالله هل كان لهذه الرؤيا التي ذكرها من أصل؟ فقال سعيد: لا والله، قال الخادم: كيف وقد رأى أمير المؤمنين ما ذكرته؟ قال: هذا مما لا يأبه به أمثالكم وذلك أني لما ألقيت إليه هذا الكلام خطر بباله

وحدث به نفسه وشغل به فكره فساعة نام خيل إليه ما حل في قلبه وما كان يشغل به فكره في المنام فبهت الخادم وتعجب فقال سعيد: قد صدقتك وجعلت صدقي لك مكافأتك على كفالتك فاستر علي ففعل ثم طلبه المهدي لمنادمته فنادمه وحظي عنده وقلده القضاء على عسكره فلم يزل كذلك حتى مات المهدي.

* * *

٢٠٤٦- قال هشام بن محمد الكلبي عن أبيه: أن أعشى همدان (عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث) كان مع خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي والي (دستبي) (وهي كورة مقسومة بين الري وهمذان) وكان الأعشى شاعر أهل اليمن بالكوفة وفارسهم فلما قدم خالد في مغزاه خرج جواريه يتلقينه وفيهن أم ولد له كانت رفيعة القدر منه فجعل الناس يمرون عليها إلى أن جازها الأعشى وهو على فرسه يميل يمينا ويساراً من النعاس فقالت أم ولد خالد بن عتاب لجواريها إن إمرأة خالد لتفاخرني بأبيها وعمها وأخيها وهل يزيدون على أن يكونوا مثل هذا الشيخ المرتعش وسمعها الأعشى فقال من هذه؟ فقال له بعض الناس هذه جارية خالد، فضحك وقال لها إليك عني يالكعاء ثم أنشأ يقول:

ومـا يـدريك مـا فـرس جـرور ... ومـا يـدريك مـا حمـل السـلاح
ومـا يـدريك مـا شـيخ كـبير ... عـداه الـدهر عـن سـنن المـراح
فأقسم لـو ركبـت الـورد يومـاً ... وليلتـه إلى وضـح الصـباح

إذا لنظــــرت منـــــك إلى مكـــــان كســـحق الـــبرد أو أثـــر الجـــراح

فأصبحت الجارية ودخلت على خالد فشكت عليه الأعشى فقالت: والله ما تكرم وقد اجترئ عليك! فقال لها: وما ذاك؟ فأخبرته أنها مرت برجل في وجه الصباح ووصفته له وأنه سبها فقال: ذلك أعشى همدان فأي شيء قال لك؟ فأنشدته الأبيات فبعث إلى الأعشى فلما دخل عليه قال له: ما تقول؟ هذه زعمت أنك هجوتها فقال: أساءت سمعاً إنما قلته:

مــــررت بنســــوة متعطـــــرات كضوء الصـــبح أو بـــيض الأداحـــي

على شـــقر البغـــال فصـــدن قلـــبي بحســـــن الـــدل والحـــدق المـــلاح

فقلت مـــن الظبـــاء فقلـــن ســـرب بـــدالك مـــن ظبـــاء بـــني ريـــاح

فقالت: لا والله ما هكذا قال: وأعاد الأبيات فقال له خالد: أما أنها لولا أنها قد ولدت مني لو هبتها لك ولكني أفتدي جنايتها بمثل ثمنها فدفعه إليه وقال له: أقسمت عليك يا أبا المصبح ألا تعيد في هذا المعنى شيئاً بعد ما فرط منك.

* * *

٢٠٤٧- وعودة إلى طرائف المؤرخين في فقرة ثانية حيث ذكر الكاتب: ولنمر على القليل القيل من الكثير الكثير مما ورد في كتب المؤرخين اللبنانيين في العصور المتوسطة لنرى ما معنى العقل، والعدل، والحكمة، والكرم، والحلم، والشهامة، والنخوة، وعلو الهمة، وجمال السيرة وشرف المسعى،

وحسن الأخلاق وارتفاع الشأن لدى أولئك المؤرخين وما هي الأعمال التي تؤدي إلى الفوز والنصر والعز والمجد ففي كتاب لأحد هؤلاء وصف موظف عثماني اسمه (على المساعيل باشا) كان واليا على بعض الديار الشرقية ورد في هذا الكتاب نصاً وفصاً: "كان علي باشا هُمَاماً عاقلا كريما حكيما فتاكا سفاكا للدماء وورد في مذكرات مؤرخ آخر قوله في الأمير "حيدر" كان الأمير حيدر بن الأمير موسى محمود الشمائل شريف المساعي راغبا في المعالي دس السم في الطعام للأمير بشير الأول فأهلكه ثم قرر أن يقتل بني عمه الأمير أحمد والأمير سيد أحمد فقتل الأول وفر الثاني وفي وصف هذا الأمير قتل ابن عمه الأمير أحمد غدراً وفي أيامه انقطعت السلالة اليمنية وبطل ذكرهم وارتفع شأن حزبه وأنصاره ومما أورد المؤرخ نفسه في التعساء والمستضعفين هذا الكلام "دخل عليهم الأمير ملحم وأغار بالفرسان فاستولى عليهم وقتل منهم الف وستمائة قتيل ثم حرق ديارهم كلها بعد أن نهبها وسباها ورجع إلى بلاده منصوراً ودخلها بعز سامي وسعد نامي وكان الأمير ملحم محمود الطريقة موفور الشهامة سفاكا للدماء أهلك في أيامه خلقا كثيراً من أهل دياره وغيرهم.وقال مؤرخ آخر في الأمير اللبناني محمد بالحرف الواحد "كان الأمير محمد سريا أغر ونبيها نزيها راجح العقل حكيم التدبير نازع أخاه الأمير منصور والي"راشيا" على هذه الولاية ففر أخوه منصور إلى دمشق ملتجئاً إلى الوالي العثماني فدفع الأمير محمد للباشا العثماني خمسة وعشروين ألف قرش وطلب منه إهلاك أخيه منصور

فقتل الباشا أخاه وحصل على المال ثم غدر الأمير محمد بابني أخيه الأمير موسى والأمير أسعد وقتلهما وقال أحدهم: في الأمير اسماعيل: ثم إن الأمير اسماعيل غدر بأخيه وقتله وكبر اسمه وارتفعت شهامته وعلت همته واقتني عدداً من الخدم والخيل وصار في ثروة عظيمة.

* * *

٢٠٤٨- قال أبو السمراء: خرجنا مع الأمير عبد الله بن طاهر متوجهين إلى مصر حتى إذا كنا بين الرملة ودمشق وإذا نحن بأعرابي قد اعترض فإذا شيخ فيه بقية على بعير له أورق (في لونه بياض) فسلم علينا فرددنا عليه السلام وكان معنا إسحاق بن ابراهيم الرافقي واسحاق بن أبي ربعي، ونحن نساير الأمير وكنا يومئذ أفره من الأمير دواب (أطول) وأجود منه كساء فجعل الأعرابي ينظر في وجوهنا فقلت: يا شيخ قد الححت في النظر! أعرفت شيئاً أم أنكرته؟ فقال: لا والله ما عرفتكم قبل اليوم ولا أنكرتكم لسوء أراه فيكم ولكني رجل حسن الفراسة في الناس جيد المعرفة بهم فأشرت له إلى اسحاق بن أبي ربيعة فقلت: ما تقول في هذا؟ فقال:

أرى كاتبا واهي الكتابة لين عليه وتأديب العراق منير
له حركات قد يشاهدن إنه عليم بتقسيط الخراج بصير

ونظر إلى إسحاق بن ابراهيم الرافقي فقال:

ومظهر نسك ما عليه ضميره يحب الهدايا بالرجال مكور
إخال به جبنا وبخلاً وشيمة تخبر عنه إنه لوزير

ثم نظر إليّ وانشأ يقول:

وهذا نديم للأمير مؤنس يكون له بالقرب منه سرور
واحسبه للشعر والعلم راويا فبعض نديم مرة وسمير

ثم نظر إلى الأمير وأنشأ يقول:

وهذا الأمير المرتجي سيب كفه فما إن له فيمن رأيت نظير
عليه رواء من جمال وهيبة ووجه بادراك النجاح بشير
لقد عصم الاسلام منه بذائد به عاش معروف ومات نكير
ألا إنما عبد الاله بن ظاهر لنا والدبَرّ بنا وأمير

فوقع ذلك من عبد الله أحسن موقع وأعجبه ما قال الشيخ فأمر له بخمس مائة دينار وأمره أن يصحبه.

* * *

٢٠٤٩- الراوية رضيمان بن حسين الشمري من مواليد مدينة فيد في منطقة حائل الواقعة في أكناف سلمى أحد جبلي طيء عام١٣٦٠هـ وبِفَيْدِ قضى طفولته وشبابه ثم انتقل إلى الرياض وأول ما عرفته عندما كان موظفا في مصلحة المياه عندما كان الشيخ عبد الله بن محمد بن خميس رحمه الله رئيساً لها، فعندما دخلت عليه ومعي معروض أطلب فيه إيصال

الماء لمترلي وكان رضيمان عنده وكانت لي سابق معرفة بالشيخ عبد الله قال: هذا رجل من جماعتك ينهي موضوعك وشرح على المعروض وسلمه رضيمان فقام بالموضوع خير وقيام ولم يمض طويل وقت حتى ادخل الماء إلى مترلي كان ذلك في عام ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م ومن ذلك الوقت تعرفت على أبي عبد الله وتوطدت المعرفة بيننا وتبادلناالزيارات وعندما فتح التلفاز السعودي عام ١٣٨٥هـ كان رضيمان من الضيوف الدائمين لبرنامج من البادية وكان يورد من القصص التراثيه والقصائد الشعبية التي يجيدها وكنت استمع لما يورده من قصص وروايات وقصائدواستمرت علاقتنا الوطيدة منذ ذلك الوقت ثم انتقل من المصلحة وصار من رجال وخوياء الأمير عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن آل سعود ثم دخل في مجال العقار وصارت جلساته مع العقارين وكان من شأنه أنه قبل أن يدخل مجال العقار كنا في مجلس الشيخ عبد الله بن حميس فسئل الشيخ عن بيت شعر فقال المثل القائل "لا يفتى ومالك بالمدينة" أي لا تسألوني ورضيمان موجوداً وبالفعل وجه السؤال للراوية رضيمان فجاء بالقصيدة الطويلة كاملة ومنها البيت المسئول عنه واسم قائلها ومناسبتها فنال إعجاب الجميع وكنت كلما زرته أستمتع بحديثه ومروياته وقصصه ولكني لم أستطع أن أكتب منه شيئاً لأنه في كل مرة يقول:ستراها كاملة في الكتاب الذي سأظهره ولا يحتاج أن تكتبها الآن وقلت في نفسي إنها قصص واشعار احتفظ بها لنفسه ولا لوم عليه لأنه سيخرجها بنفسه وانتظرت طويلاً ولم يظهر

شيئاً ويبدو أنه عندما دخل الشأن العقاري ألهاه عن الشعر ونشره وتباطأت الزيارات بيننا عندما دخل مع العقاريين وقابلته مرة في مطار حائل وقد تغير وجهه وصار فيه كلف وبقع فسألته عن ذلك فقال هذا من أثر الصبغة التي كنت أستعملها لشعر وجهي فصدقته وإذا هو في الحقيقة مريض و لم يرد الاخبار عن مرضه وفوجئت بخبر وفاته الذي وقع على أذني وقوع الصاعقة حين لاقى وجه ربه ١٤٣٣/١٠/٧هـ فلم أملك إلا أن قلت إنا لله وإنا إليه راجعون رحمك الله يا أبا عبد الله واسكنك فسيح جناته.

* * *

٢٠٥٠- قال عبد الله بن إبراهيم الجمحي قلت لابراهيم بن هرمة: أتمدح عبد الواحد بن سليمان بشعر ما مدحت به غيره فتقول فيه:

أعبد الواحد الميمون إني ... أغص حذار شخصك بالقراح

فأي شيء استوجب ذلك منك؟ فقال: إني أخبرك بالقصة لتعذرني أصابتني أزمة بالمدينة فاستنهضتني بنت عمي للخروج، فقلت لها: ويحك! إنه ليس لدي ما يقل جناحي، فقالت: أنا أنهضك بما أمكنني، وكانت عندي ناب (ناقة كبيرة مسنة) فنهضت عليها نجهد النوام ونؤذي السمار، وليس من مترل أنزله إلا قال الناس: إبن هرمة! حتى دفعت إلى دمشق، فأويت إلى مسجد عبد الواحد في جوف الليل،

فجلست فيه انتظره إلى أن نظرت إلى بزوغ الفجر فإذا الباب ينفلق عن رجل كأنه البدر، فدنا فأذن ثم صلى ركعتين، وتأملته فإذا هو عبد الواحد، فقمت فدنوت منه وسلمت عليه، فقال لي: أبو إسحاق! أهلاً ومرحبا بك فقلت لبيك بأبي أنت وأمي! وحياك الله بالسلام، وقربك من رضوانة، فقال: أما آن لك أن تزورنا؟ فقد طال العهد واشتد الشوق فما وراءك؟ قلت: لا تسلني، بأبي أنت وأمي، فإن الدهر قد أخنى عليَّ، فما وجدت مستغاثاًغيرك، فقال: لا تُرَعْ فقد وردت على ما تحب إن شاء الله، فوالله إني لأخاطبه فإذا ثلاثة فتية قد خرجوا كأنهم الأشطان (الشطن الحبل الطويل) فسلموا عليه فاستدنى الأكبر منهم فهمس إليه بشيء دون أخويه فمضى إلى البيت ثم رجع فجلس إليه فكلمه بشيء دوني ثم ولى وخرج معه عبد ضابط (قوي شديد) يحمل عبئاً من الثياب حتى ضرب به بين يدي، فقال لي عبد الواحد: إدن ياأبا إسحاق، فإني أعلم أنك لم تصر إلينا حتى تفاقم صدعك فخذ هذا وارجع إلى عيالك فوالله ما سللنا لك هذا إلا من أشداق عيالنا، ودفع إليَّ ألف دينار وقال لي قم فارحل فأغث ما وراءك فقمت إلى الباب فلما نظرت إلى ناقتي ضقت، فقال لي: تعال ما أرى هذه مبلغتك، ياغلام قدم له جملي فلاناً، فوالله لقد كنت بالجمل أشد سروراً مني بكل ما نلته، فهل تلومني أن أغص حذار سخط هذا بالقراح! والله ما أنشدته ليلتئذ بيتاً واحداً.

٢٠٥١- الفقرة الثالثة من طرائف المؤرخين قال صاحب كتاب "الغرر الحسان في أخبار الزمان" في معرض كلامه عن الأمير "يوسف" حاكم لبنان في ذلك الزمن: كان الأمير يوسف منصوراً مظفراً يصحبه العز والطموح إلى المعالي، وفي ليلة الجمعة في غرة محرم الحرام أخفى طائفة المغاربة الذين عنده في الدكاكين كي يقبضوا على أخويه الأمير أفندي والأمير سيد أحمد ويجيئوا بهما إليه، فلما وصل الأميران إلى المحل المذكور تواثب الرجال من الكمين فقبضوا على الأمير أفندي وفَرَّ الأمير "سيد أحمد" وساقوا الأمير أفندي وادخلوه إلى أخيه الأمير يوسف وعند دخوله نهض إليه من مجلسه وقتله بيده: وقال صاحب كتاب "الغرر الحسان" وعن مصير سيد أحمد على يد أخيه الأمير يوسف منصور الذي يصحبه العز والطموح إلى المعالي كان الأمير يوسف يغافل أخاه سيد أحمد ويظهر له الأمان حتى ركن فؤاده إليه وفي بعض الأيام نهض الأمير سيد أحمد إلى قريته "الرمتانية" الكائنة في منطقة البقاع في الجانب الشرقي من لبنان يريد النزهة والصيد وقد تغافل عن نفسه، وفيما هو فيها، إذ الرجال قد داهموه وأحاطوا به فمنعوه من الفرار كما فعل في السابق وقبضوا عليه وأحضروه إلى أخيه الأمير يوسف، وفي حين وصوله قلع له عينيه وحمله إلى قرية "بَمِيَّة". ومما ورد في تاريخ الأمير حيدر الشهابي عن الأمير يوسف هذا: كان الأمير بشير الشهابي خال الأمير يوسف قد هرب من "حاصبيا" إلى حوران فأرسل الأمير يوسف يستدعي خاله للمصالحة، وأطلق له الأمان فعاد من حوران إلى بلدة "دير القمر" وعندما دخل

على الأمير يوسف قتله هذا في مجلسه وقتل مدبره عبد الله مالك، لقد كان الأمير يوسف لا يتبارى في ميادين العزة والشهامة!! ويقول مؤرخ لبناني آخر في الأمير بشير الثاني الموصوف بالكبير حاكم لبنان في القرن التاسع عشر الميلادي: واستبد الأمير بشير بالحكم يقتل ويجمع الأموال ولا معارض له ثم اتخذ الأموال من "بشرى" مسقط رأس جبران خليل جبران فيما بعد وخلافها فأهلك البلاد ورجع فايزاً منصوراً مكللاً بالغار عاقلاً عادلاً جباراً فتاكا. ويقول أحد مؤرخينا في بيك من بيكوات المماليك اسمة حسين بك كشكش كان حسين بك كشكش كريما عظيما لا يباري في العزة والشهامة قتل الشيخ هزاع فانتشر الخبر عن أمجاده وشاع وفي وصف لأحد الأمراء في ذلك الزمان يقول أحد مؤرخينا "الجد على" وكان بعيد الهمة وثابا إلى القمة شريفا في دورة الشرف فتاكا شاعراً متقنا الضرب بالسيف والطعن بالرمح والرمي بالسهام حيا الله هذا النمط من المؤرخين ونفعنا بمفهوم الشرف والشهامة والحكمة وطلب المعالي والشاعرية عندما تقترن لدى الشاعر إتقان الضرب بالسيف والطعن بالرمح والرمي بالسهام كما هو في رؤوسهم وعلى أقلامهم!!.

* * *

٢٠٥٢- كان حجدر بن ربيعة من لصوص العرب وشياطينهم يغير على أحيائهم فينهبها وربما فتك بمن تعرض له، واشتد شره في أيام الوليد بن

عبد الملك حتى أباد خلقا كثيراً فبلغ أمره الحجاج فكتب إلى عاملة باليمامة يؤنبه لعجزه عن الضرب على يد ذلك الفاتك، وأمره أن توقع به أو يحمله إليه أسيراً فأوطأ العامل جماعة من فتية بني حنظلة وجعل لهم الجعائل (الجوائز) العظيمة إن هم أتوه به مغلولاً فأرسلوا إليه يقولون بأنهم يريدون الانقطاع إليه والخضوع لأمره فأخلد جحدر إلى قولهم وادخلهم في صحبته فأخذوا ينهبون تحت لوائه إلى أن صادفوا منه غرة فشدوا وثاقه وقدموا به إلى العامل الذي وجههم به إلى الحجاج فلما مثلوا بين يديه قال الحجاج: أنت جحدر؟ قال: نعم قال: وما جرأك على ما بلغني عنك؟ قال: جور الزمان وجرأة الجنان! قال وما بلغ من أمرك ؟ فقال: لو ابتلاني الأمير وجعلني من الفرسان لرأي مني ما يعجبه، قال يا جحدر إني قاذف بك إلى حفيرة بها سبع شرس فإن قتلك كفانا مئونتك وإن قتلته عفونا عنك لشجاعتك! فقال: أصلح الله الأمير! لقد قرب الفرج فامر الحجاج بحبسه وكتب إلى العامل أن يرتاد (يصطاد) سبعاً عتيا ويحمله إليه فارتاد له أسداً خبيثا كريه المنظر قد أفنى جميع ما باليمامة من حيوان ووضعه في قفص من جديد وأنفذه إلى الحجاج فأمر أن يلقى في الحفيرة ولا يطعم شيئاً ثلاثة أيام حتى إذا ما اشتد به الجوع أخرج إليه جحدر وما أعطي الاسيفا والحجاج مشرف على الحفيرة والناس حوله ينظرون إلى الأسد ما هو صانع بفريسته! فلما رفع له نهض وزأر زئيرا رج الجبال وراع الحاضرين فأنشد جحدر:

ليـــث وليـــث في مكـــان ضـــنك   كلاهمـــا ذو قـــوة وســـفك
وصـــولة وبطشـــة وفتـــك   إن يكشـــف الله قنـــاع الشـــك

فأنت لي في قبضتي وملكي

ثم أدلى به فوقع عليه وقوع الصاعقة فصرخ الأسد عند رؤيته ضرخة عظيمة فأجابه هو بأعظم منها وضربه بسيفه ضربة فلقت هامته فكبر الناس وأعجب به الحجاج وقال لله دَرُّكَ ما أمجدك! ثم خيره بين أن يقيم عنده مكرماً أو يلحق ببلاده على الأ يؤذي أحداً ولا يحدث حدثاً فاختار جحدر الاقامة معه وأحسن أدبه حتى حظي عنده وجعله من سماره وخواصه وبعد ذلك بزمن غير طويل ولاه اليمامة ومكث فيها مدة قام فيها بأعباء الولاية خير قيام.

* * *

٢٠٥٣- وضاح اليمن واسمه عبد الرحمن بن اسماعيل بن عبد كلال الحميري كان من أجمل العرب وقد شبب بأم البنين بنت عبد العزيز بن مروان وامرأة الوليد بن عبد الملك وعشقت أم البنين وضاحاً فكانت ترحل إليه فيدخل إليها ويقيم عندها فإذا خافت وارته في صندوق عندها وأقفلت عليه، فأهدي للوليد جوهر له قيمة فأعجبه واستحسنه فدعا خادماً له، فبعث به معه إلى أم البنين، وقال: قل لها إن هذا الجوهر أعجبني فآثرتك به، فدخل الخادم عليها مفاجأة ووضاح عندها فأدخلته الصندوق وهو

يرى، فأدى إليها رسالة الوليد ودفع إليها الجوهر ثم قال: يامولاتي هبيني منه حجراً، فقالت: لا، ياأبن اللخناء ولا كرامة، فرجع إلى الوليد فأخبره ثم قال: كذبت ياابن اللخناء وأمر به فوجئت عنقه (أي قتل) ثم لبس نعليه ودخل على أم الوليد وهي جالسة في ذلك البيت تمتشط وقد وصف له الخادم الصندوق الذي أدخلته فيه فجلس عليه ثم قال لها: يا أم البنين ما أحب إليك هذا البيت من بيوتك! فَلِمَ تختارينه؟ فقالت: أجلس فيه وأختاره لأنه يجمع حوائجي كلها فأتنا ولها منه كما أريد من قرب فقال: هبي لي صندوقاً من هذه الصناديق، قالت: كلها لك ياأمير المؤمنين قال: ما أريدها كلها وإنما أريد واحداً منها، قالت: خذ أيها شئت، قال: هذا الذي جلست عليه، قالت خذ غيره فإن لي فيه أشياء أحتاج إليها، قال: ما أريد غيره، قالت: خذه يا أمير المؤمنين، فدعا بالخدم وأمرهم بحمله، فحمله حتى انتهى به إلى مجلسه فوضعه فيه، ثم دعا عبيداًله فأمرهم فحفروا بئراً في المجلس عميقة فنحى البساط وحفرت البئر إلى الماء، ثم دعا بالصندوق فقال: يا هذا إنه بلغنا شيء إن كان حقاًفقد كفناك ودفناك ودفنا ذكرك وقطعنا أثرك إلى أخر الدهر وإن كان باطلاً فإنا دفنا الخشب وما أهون ذلك! ثم دفع الصندوق في البئر وهيل عليه التراب وسويت الأرض ورد البساط إلى حاله وجلس الوليد عليه ما رؤي بعد ذلك لوضاح أثر في الدنيا إلى هذا اليوم قال: وما رأت أم البنين لذلك أثراً في وجه الوليد حتى فرق بينهما.

٢٠٥٤- الحلقة الرابعة والأخيرة من طرائف المؤرخين بعد النماذج المختصرة من أعمال المؤرخين السابقين يجب ألا يحرم بعد المؤرخين اللاحقين من الموهبة من الذين عاشوا و"فكروا" وكتبوا في العصر الحديث قال:"المؤلف" عن الأمن في مملكة صيدا بالعصر الفينيقي الآشوري بالنسبة لسكان ما بين النهرين يوم ثار أهل صيدا على الحكم الآشوري لما لحق بهم من ظلم الولاة وطغيانهم وشرور العساكر الآشورية وما ناؤوا تحته من كابوس الضرائب التي حولتهم إلى فقراء معدمين، وهنا يقول المؤرخ "العصري" وعندما ثار أهل صيدا ثورة عارمة أيدهم فيها وناصرهم أهل سائر المدن الفينيقية جاءهم الملك "سنحاريب" على رأس خمسين ألف محارب من أشجع جنوده وأشرسهم للاقتصاص منهم على هذا العصيان ولتوطيد الأمن والسلام، وكان "سنحاريب" ملكا عظيماً وقائداً حكيماً، وبطلا شجاعاً، فطوق المدينة العاصية تطويقاً محكماً لا يخرج في أثنائه أحد منها ولا يدخلها أحد، ولا يحصل المحاصرون فيها على قوت أو ماء أو نجدة، وأقام "سنحاريب" الحكيم على هذه الحال إلى أن هلك نصف أهل المدينة جوعاًثم دخلها عنوة فصلب من أبنائها عشرة آلاف وأغرق في البحر عشرة آلاف وقتل بالسيف عشرة آلاف، بعد ذلك أحرق المدينة فلم يبق فيها شيء إلا وتحول إلى رماد... هكذا أدب الآشوريون العصاة المتمردين وساد الأمن والسلام بتدبير هذا الملك العظيم والقائد الحكيم "وما المانع أن ينهج مؤرخونا غداً هذا النهج نفسه فيصفون بالشهامة وعلو الهمة والوقوف على القمة وسلامة

الموقف والمسلك لكل من نصب كميناً أو فخخ سيارة لصاحب رأي لا يخدم مصالحهم أو أمر بتوجيه الرصاص إلى سفارة عربية في بيروت عقاباً لها على نشاطها في سبيل الخير والسلام، وكل من أوفد بائساً متخلفاً ليفجر نفسه بسوق يملؤها الفقراء والتعساء من رجال ونساء وأطفال يحاول كل منهم أن يحصل على رغيف خبز أو بيض دجاج أو بصلة يابسة أو حبة زيتون فيقتلهم بالعشرات والمئات، وما المانع في أن يصف المؤرخون غداً بطولات "شارون" و"بوش" الأب و"بوش" الابن وغيرهم ممن سحقوا الشعوب ويصفوها بالعدالة والحكمة والعظمة التي يتصف بها" سنحاريب " نفسه الذي أباد مدينة صيدا ومن فيها للمحافظة على الأمن والسلام أو من وجه فوهات المدافع والصواريخ والطائرات إلى أطفال غزة وفلسطين وغيرها من بقاع الأرض!

* * *

٢٠٥٥- الشيخ عبد الرحمن بن حمود السميط من مواليد الكويت عام ١٣٦٧هـ الموافق ١٩٤٧م وبها عاش طفولته وشبابه وتعلم في مدارسها حتى المرحلة الثانوية ثم ابتعث عام ١٩٧٢م إلى جامعة بغداد للحصول على بكالوريوس الطب وغادر بعدها إلى جامعة (ليفربول) ببريطانيا للحصول على دبلوم في أمراض المناطق الحارة في أبريل ١٩٧٤م ثم سافر إلى كندا للتخصص في مجال الجهاز الهضمي والأمراض الباطنية وتخصص في جامعة (ماكجل) ومستشفى مونتريال، ثم عمل طبيب متخصص في

مستشفى كلية الملكة في لندن عام ١٩٧٩/١٩٨٠م ثم عاد إلى الكويت حيث عمل احصائياً في أمراض الجهاز الهضمي القولون في مستشفى الصباح الفترة من ١٩٨٠-١٩٨٣م ونشر العديد من الأبحاث العلمية والطبية كما أصدر أربعة كتب (لبيك افريقيا) و(دمعة على أفريقيا) و(رسالة إلى ولدي) و(العرب والمسلمون في مدغشقر) ثم توجه إلى العمل الخيري التطوعي وتولى منصب أمين عام جمعية مسلمى أفريقيا عام ١٩٨١م وكان على رأس الجمعية التي تغير اسمها إلى"جمعية العون المباشر١٩٩٩م" ومنذ عام ١٩٨٣م، تفرغ للعمل في جمعية العون المباشر كأمين عام ثم رئيس مجلس الإدارة حتى عام ٢٠٠٨م ومديراً لمركز أبحاث دراسات العمل الخيري بالكويت، ونال السميط عدداً من الأوسمة والجوائز والدروع والشهادات التقديرية على جهوده الخيرة من ضمنها جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام ومكافأتها ٧٥٠ ألف ريال وحولها لتيكون نواة للوقف التعليمي لأبناء أفريقيا من عائد هذا الوقف تلقت أعداد كبيرة من أبناء أفريقيا تعليمها في الجامعات المختلفة، هذا الرجل العملاق آثر الباقية على الفانية وضحى بشبابه وحياته وأسرته وماله ومناصبه من أجل الفقراء والضعفاء والمساكين وتلقى المشاق والمخاطر وكان يقول: "نحن لا نرغب في أن يمنحنا البعض شهادات في عمل نقترب فيه إلى الله، لا نسعى للبحث عن جماهيرية وشعبية لا تفيدنا ولا تغنينا عن الآخرة وترافقه زوجته أم صهيب وتسهم معه في العمل الخيري وقد تبرعت بإرثها للعمل الخيري وهي قائدة بارزة في

مجالها فقد أسست الكثير من الأعمال الخيرية التي كانت تديرها بنجاح متميز، وأول عمل قام به في أفريقيا هو بناء مسجد لإحدى المحسنات الكويتيات في ملاوي، فرأى ملايين البشر يقتلهم الجوع والفقر والجهل والمرض يعيشون على مساعدات البعثات التبشيرية وأطفالهم عرضة للتنصير وأن ملايين المسلمين في أفريقيا لا يعرفون عن الاسلام إلا خرافات وأساطير فهداهم إلى الإسلام الصحيح وقد أسلم على يديه أثناء وجوده أكثر من احد عشر مليون ١١,٠٠٠,٠٠٠ شخص في افريقيا لمدة تسع وعشرين ٢٩ سنة من عمره الذي دام ٦٦ سنة أمضى نصفها في العمل الخيري وهذا مجال فخرنا واعتزازنا كمسلمين بمثل أعمال هذا الرجل الجبارة ونأمل أن ينبري مثله وأمثاله في هذا العمل الخيري لصالح الاسلام والمسلمين وبالذات في هذه القارة الفقيرة والتربة الصالحة للصدقات وبذل الأموال والزكوات في الوجه الصحيح النافع ثم لاقى الشيخ وجه ربه راضيا مرضيا إن شاء الله يوم الاربعاء السابع من شهر شوال عام ١٤٣٤هـ الموافق أربعة عشر من شهر آب أغسطس ٢٠١٣م فإلى رحمه الله ثم جنات الخلد يا أبا صهيب وجزاك الله خير الجزاء على ما قدمت لآخرتك في خدمة الاسلام والمسلمين.

* * *

٢٠٥٦- هوي بعض خلفاء بني العباسي أعرابية فتزوج بها فلم يوافقها هوى المدن فلم تزل تعتل وتتأوه مع ما هي فيه من النعيم والراحة والأمر

والنهي فسألها عن شأنها فأخبرته بما تجد من الشوق إلى البراري وأحاليب الرعاء وورود المياه التي تعودت فبني لها قصراً على رأس البرية بشاطئ دجلة وأمر بالأغنام والرعاء أن تسرح بين يديها وتتراى لها فلم يزدها ذلك الا اشتياقا إلى وطنها ثم مر بها يوماً في قصرها من حيث لا تشعر بمكانة فسمعها تنتحب وتبكي حتى ارتفع صوتها وعلا نحيبها ثم قالت:

وما ذنب أعرابية قذفت بها … صروف النوى من حيث لم تك ظنت

تمنت أحاليب الرعاة وخيمة … بنجد فلم يقض لها ما تمنت

إذا ذكرت ماء العذيب وطيبه … وبرد حصاه آخر الليل أنت

لها أنه عند العشاء وأنه … سحيراً ولولا اناتها لجنت

فخرج عليها الخليفة وقال: قد قضي ما تمنين فالحقي بأهلك من غير فراق فما مَرَّ عليها وقت أسر من ذلك وسرى ماء الحياة في وجهها من حينها والتحقت بأهلها بجميع ما كان عندها في قصرها وظل الخليفة يزورها عند أهلها بين الحين والآخر.

* * *

٢٠٥٧- قدم ابن جامع قدمة له من مكة على الرشيد (هارون الرشيد) وكان ابن جامع حسن السمت كثير الصلاة قد أخذ السجود جبهته وكان يعتم بعمامة سوداء على قلنسوة طويلة ويلبس لباس الفقهاء ويركب حماراً مريسيا (نسبة إلى مريسة قرية بمصر) في زي أهل الحجاز فبينما هو

واقف على باب يحى بن خالد (البرمكي) يلتمس الاذن عليه فوقف على ما كان يقف الناس عليه في القديم حتى يأذن لهم أو يصرفهم أقبل أبو يوسف القاضي بأصحابه من أهل القلانس فلما هجم على الباب نظر إلى رجل يقف إلى جانبه ويحادثه فوقعت عينه على ابن جامع فرأى سمته وحلاوة هيئته فجاءو وقف إلى جانبه وقال: أمتع الله بك، توسمت فيك الحجازية القرشية قال: أصبت قال: فمن أي قريش أنت؟ قال : من بني سهم قال: فأي الحرمين مترلك؟ قال مكة قال: ومن لقيت من فقهائها؟ قال: سل عمن شئت ففاتحه الفقه والحديث فوجد عنده ما أحب به، ونظر الناس إليهما فقالوا:هذا القاضي قد أقبل على المغني وأبو يوسف لا يعلم أنه ابن جامع فقال أصحابه: لو أخبرناه عنه! ثم قالوا لا لعله لا يعود إلى مواقفته بعد اليوم فلم نعمه فلما كان الاذن الثاني ليحي غدا عليه الناس وغدا عليه أبو يوسف فنظر يطلب ابن جامع فرآه فذهب فوقف إلى جانبه فحادثه طويلا كما فعل في المرة الأولى فلما انصرف قال بعض أصحابه: أيها القاضي أتعرف هذا الذي تواقف وتحادث؟ قال: نعم رجل من قريش من أهل مكة من الفقهاء قالوا: قد شهروك بمواقفته وأنكروا ذلك من فعلك فلما كان الاذن الثالث جاء ابو يوسف ونظر إليه فتنكبه وعرف ابن جامع أنه قد أنذر به فجاء فوقف فسلم عليه فرد عليه أبو يوسف بغير ذلك الوجه الذي كان يلقاه به ثم انحرف عنه فدنا منه ابن جامع وعرف الناس مالك تنحرف عني؟ أي شيء أنكرت؟ قالوا لك: إني ابن جامع المغني فكرهت مواقفتي لك!

اسألك عن مسألة ثم اصنع ما شئت ومال الناس فأقبلوا نحوهما يستمعون فقال: يا أبا يوسف لو أن أعرابيا جلفا وقف بين يديك فأنشدك بجفاء وغلطة من لسانه وقال:

يــا دار ميــة بالعليــاء فالســند أقوت وطال عليهــا ســالف الأبــد

أكنت ترى بذلك بأساً؟ قال: لا قدروي عن النبي صل الله عليه وسلم في الشعر قول وروي في الحديث فإن قلت أنا هكذا ثم اندفع يتغني فيه حتى أتي عليه ثم قال: يا أبا يوسف: رأيتني زدت فيه أو نقصت منه؟ قال: عافاك الله، اعفنا من ذلك، قال: يا أبا يوسف أنت صاحب فتيا ما زدته على أن حسنته بالفاظي فحسن في السماع ووصل إلى القلب ثم تنحى عنه ابن جامع.

* * *

٢٠٥٨- أعجبني ما كتبه الدكتور بكري شيخ أمين بعنوان "الكذبة التاريخية بين السموءل والحارثي" التي امتد بها الزمن ورددها الناس فصارت حقيقة (وللأسف) والكذبة يكذبها البعض فيقف منها أناس بين مصدق ومكذب ولا يبالون بصحتها وتسير الكذبة وتنتشر من مكان إلى مكان ومن عصر إلى عصر ومن دولة إلى أخرى ومن جيل إلى جيل فإذاً تكتسب مع الزمن قوة الحقيقة وتحتل مكانة الصدق ثم لا يجرؤ أحد على مناقشتها بصحتها أو عدم صحتها ذكر أبو تمام في "الحماسة" أبياتا

ونسبها إلى السموءل وكررها صاحب كتاب "الوسيط في الأدب العربي وتاريخه" وهما أحمد الاسكندري ومصطفى عناني بك، ثم رددها مؤلفون كبار في مصر وهم أحمد الاسكندري وأحمد أمين وعلي الجارم وعبد العزيز البشري وأحمد ضيف في كتابهم "المفصل في تاريخ الأدب العربي" والأبيات التي ذكرها المفصل:

وأنا لقوم لا نرى الموت سبة إذا ما رأته عامر وسلول

يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول

وما مات منا واحد حتف أنفه ولا طل منا حيث كان قتيل

وحقيقة هذا الشعر لرجل عباسي مسلم اسمه عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي من أرض اليمن السعيدة وقد ضاقت الشام بشاعرية عبد الملك الحارثي فقصد بغداد في مطلع شبابه كما يبدو ولكن لم ينل فيها توفيقا وقيل أن هارون الرشيد غضب عليه لسبب لا نعرفه فسجته وغابت أخبار عبد الملك وضاعت أشعاره والموضوع الذي أريد التحدث عنه يتلخص حول صحة أبيات السموءل بن عاديا اليهودي الجاهلي الأبيات الشعرية المشهورة التي قالها بعد أن ضحى بابنه الشاب في سبيل محافظته على وعده لامرئ القيس الشاعر الجاهلي المعروف بأن يصون دروعه وامرأته أثناء غيابه في سفره إلى بلاد الروم فضرب به المثل في الوفاء وصار يقال أوفى من السموءل من ذلك الأبيات المتفرقة:

إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

وإن هو لم يحمل على النفس ضـيمها   فلـيس إلى حسـن الثنـاء سـبيل
تعيرنـا إنـا قليـل عديـدنا   فقلـت لهـا إن الكـرام قليـل
ومـا ضـرنا أنـا قليـل وجارنـا   عزيـز وجـار الأكثـر يـن ذليـل
وأنا لقـوم لا نـرى المـوت سـبة   إذا مـا رأتـه عـامر وسـلول
وما مات منـا سـيد حتـف أنفـه   ولا طـل منـا حيـث كـان قتيـل
تسيل على حـد الظبـات نفوسـنا   وليست على غـير الظبـات تسـيل
سلي إن جهلت الناس عنـا وعنـهم   فلـيس سـواء عـالم وجهـول
فإن بـني الـديان قطـب لقـومهم   تـدور رحـاهم حـولهم وتجـول

وكنت أتمنى لو تعرض لخبر السموءل العلماء المسلمون الذين نخلوا الأحاديث التي رويت على لسان الرسول صل الله عليه وسلم وغربلوها وبينوا ما فيها من زيف أو ضعف أو بطلان يوم ابتدعوا علما رائعاً اسمه "الجرح والتعديل" وسموا الوضاعين بأسمائهم وبينوا أسباب ضعفهم ودواعي كذبهم لكن رواة الأدب واللغة المسلمين لم يعتنوا بهذا الجانب وجمعوا ما هب ودب، ومن ذلك قالها آدم ونوح وابراهيم وكثير من الأنبياء عليهم السلام ولم يكن أي منهم يعرف حرفا من الحروف العربية فضلاً عن أن ينظم الشعر وبداية الرواية عند الأعلم الشنتمري الأندلسي المتوفي عام ٤٧٦هـ ١٠٨٤م في كتابه "شرح أشعار العرب الستة" ثم جاء التبريزي المتوفي عام ٥٠٢هـ ١١٠٩م فزاد الطين بلة

ففصل القصة أكثر من الشنتمري وقد اعتمد القصاصون والروائيون على أبيات منسوبة للأعشى في أبيات مطلعها:

كن كالسموءل إذ طاف الهمام به — في جحفل كهزيع الليل جرار

إذ سامه خطتي خسف فقال له — قل ما تشاء فإني سامع جاري

فقال عذر وثكل أنت بينهما — فاختر وما فيهما حظ لمختار

فشك غير قليل ثم قال له — اقتل أسيرك إني مانع جاري

فاختار أدرعه كي لا يسب بها — ولم يكن عهده فيها بختار

لم ينتبه القصاصون والروائيون إلى هلهلة هذا الشعر وكأنه في عصور الضعف والانحطاط والنقد الموضوعي يوحي باختلاف أبيات الأعشى كما يوحي بأن ما أورده الأعلم الشنتمري والتبريزي كلام منتحل من أوله إلى آخره وأول من ذكر اشعار عبدالملك في ديوان الحماسة أبو تمام ثم أورد ابن المعتز ترجمة موجزة له كذلك أورد الثعالبي المتوفي عام ٤٢٩هـ شيئاً من شعر عبد الملك في كتابه "خاص الخاص" وكان الكثير من الناس منذ القدم يظنون أن القصيدة التي مطلعها:

إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه — فكل رداء يرتديه جميل

للسموءل بن عاديا اليهودي لكن بعض رواة الأدب كابن طباطبا العلوي المتوفي عام ٤٧٨هـ وأبي بكر الصولي المتوفي ٣٣٥هـ وابن الأعرابي المتوفي ٢٣١هـ والمرزوقي ٤٢١هـ ذكروا أن القصيدة لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ونبهوا أنها تنسب للسموءل خطأ وأكبر

دليل على براءة السموءل من القصيدة أن تعبير (مات حتف أنفه) تعبير إسلامي ثم أن افتخار السموءل ببني عبد المدان وهم قبيلة عبد الملك وليسوا قبيلة السموءل بن عاديا فكيف يفتخر شاعر بقوم هم غير عشيرته ثم نتساءل عن العاطفة الانسانية غير المعهودة في بني البشر جميعا أن يقتل شاب أو يذبح في ريعان شبابه أمام عيني أبيه ويشق إلى شقين والأب يراه بأم عينه ويرى قاتله ولا يحرك ساكنا ولا يبكي ويثأر لولده ولا يقول كلمة رثاء ولكنه يتغني بأبيات لا علاقة لها بقدر الحارث بن ظالم ولا بقصة امرئ القيس فكأن القصة في عالم والقصيدة في عالم آخر ونتساءل اليوم هل كان اليهود في ماضي الزمان ووسطه وحاضره في الشرق أو الغرب في الشمال أو الجنوب من حفظ العهد وأدى الأمانة ورعى عهداً أو ميثاقا!؟؟ وفي مصدر آخر: أن الرواة دارم بن عقال أوسعية بن الغريض أو غيرهما اختلقوا القصة ودارم بن عقال من سلالة السموءل وهو مصدر مشكوك فيه ومجهول وكل ما قيل من نسبة هذه القصيدة للسموءل من تلفيقات اليهود.

* * *

٢٠٥٩- الاستاذ محمد بن عبد العزيز الجلوي من مواليد حائل عام ١٣٦٤هـ ١٩٤٤م وبها عاش طفولته وصباه وشبابه ثم سافر إلى الرياض بعد أن حصل على ثاني ثانوي لطلب الرزق وذلك لمواجهة ظروف الحياة وعمل بشركة الكهرباء بالرياض فترة من الزمن ثم عاد إلى حائل والتحق

بالغرفة التجارية والصناعية بحائل (سكرتير) رئيس الغرفة يومذاك الأستاذ خدام بن صالح الفائز وعرفته من هذا المنصب حيث كنت أزور رئيس الغرفة بين الحين والآخر أحضر لمجلة الغرفة بعض المقالات والقصائد لنشرها ومن هنا توطدت بيني وبينه المعرفة وكان رجلاً شهماً بشوش الوجه ضاحك الجبين لا تفارق الابتسامة ثغرة لطيف المعشر فاضل الأخلاق حاد الطبع في بعض المواقف صريح المواقف في إزاء بعض الأمور يقوم بعمله بحيوية ونشاط وخفة حركة ولكون الغرفة التجارية محل للمنافسة بين التجار فموقفه معتدل لا يميل إلى جانب ضد آخر وكان شغوفا بالقراءة وهو على رأس العمل وبعد ما استقال من الغرفة التجارية عمل في جهات أخرى وما لبث أن تركها وتفرغ لهوايته الرئيسة ألا وهي القراءة وبعد أن انقطع عن العمل بالغرفة وبحكم وجودي بالرياض انقطعت عنه ولا أعرف منزله حتى دلني إبن العم الاستاذ علي بن عبد العزيز السويداء وأعطاني رقم هاتفه فاتصلت به ثم زرته في منزله هذا المنزل الذي حَوَّلَ غرف وطرقات وصالات الدور الثاني إلى مكتبة تغص بآلاف الكتب والتسجيلات والأشرطة وما من كتاب إلا قرأه وعلق عليه وما من شريط الا شاهد محتواه أو سمعه وقد هيأ الدور الثاني من منزله للقراءة والاستمتاع بالقراءة والنظر والاستماع لمحتويات الأشرطة المرئية والمسموعة وقد أعجبت بحسن ترتيبه وباعداد الكتب التي يحتويها الدور العلوي من منزله، يقول بأنني في بعض الأحيان أمضى أسبوعاً كاملاً لا أخرج من البيت إلا لأداء الصلوات وبقية وقتي

في الليل والنهار أمضيه بين صفحات هذه الكتب والاستماع إلى التسجيلات الصوتية والنظر إلى أشرطة الصور. وكان من شأنه أنه عندما زرته في إحدى المرات أهديته كتابين أحدهما من جزءين فقال لي: الليلة لن أنام قلت له لماذا؟ فقال إذا اشتريت كتابا أو كتبا أو أهدي إلي لا أنام تلك الليلة حتى أتصفحها وأقرأ عنا وينها وربما بعض فقراتها وهو يعيش بصحة جيدةوحيوية متدفقة وتطلع للمزيد من المعرفة بما يقرأه من الكتب.

* * *

٢٠٦٠- قحطت البادية في أيام الخليفة هشام بن عبد الملك فقدمت العرب من أحياء القبائل فجلس لرؤسائهم فدخلوا عليه وفيهم درواس بن حبيب وله أربع عشرة سنة عليه شملتان وله ذؤابة فاحجم القوم وهابوا هشاماً ووقعت عين هشام على درواس فاستصغره،فقال لحاجبه ما يشاء أحد أن يصل إليَّ إلا وصل حتى الصبيان فعلم درواس أنه يريده فقال يا أمير المؤمنين إن دخولي لم يخل بك شيئاً ولقد شرفني وأن هؤلاء القوم قدموا لأمر أحجموا دونه وأن الكلام نشر والسكوت طي ولا يعرف الكلام إلا بنشره فقال هشام فانشر لان لك! واعجبه كلامه فقال: أصابتنا سنة نقت العظم (أخرجت مخه) وفي يديكم فضول أموال إن كانت لله ففرقوها على عباده المستحقين لها وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم؟ وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فإن الله يجزي المتصدقين ولا يضيع

أجر المحسنين وأعلم يا أمير المؤمنين أن الوالي من الرعية كالروح من الجسد لا حياة للجسد إلا به، فقال هشام ما ترك الغلام في واحدة من الثلاث عذراً وأمر أن يقسم في باديته مائة الف درهم وأمر لدر واس بمئة ألف درهم فقال يا أمير المؤمنين أرددها إلى أهل باديتي فإني أكره أن يعجز ما أمر لهم به أمير المؤمنين عن كفايتهم فقال هشام فما لك من حاجة تذكرها لنفسك؟ فقال مالي من حاجة دون حاجة المسلمين ولما عاد درواس إلى مترله بعث إليه بمئة ألف درهم ففرقها في تسعة أبطن من العرب لكل بطن عشرة آلاف درهم وأخذ هو عشرة آلاف درهم فقال هشام إن الصنيعة عند درواس لتضعف على سائر الصنائع (الصنيعة المعروف والاحسان).

* * *

٢٠٦١- كان مالك بن أبي السمح الطائي المغني فاصابتهم حطمة (الجدب) في بلادهم بالجيلين (أجا وسلمى) فقدمت به أمه وبأخوة له أيتام لا شئ لهم فكان يجلس وهو غلام عند باب حمزة بن عبد الله بن الزبير عل من دخل عليه أو خرج منه يرمي عليه بدرهم أو دراهم يقتات بها هو وأمه واخوته، وكان معبد (المغني) منقطعا إلى حمزة يكون عنده في كل يوم بغني فسمع مالك غناءه فأعجبه واشتهاه فكان لا يفارق باب حمزة يسمع معبد إلى الليل فلا يطوف في المدينة ولا يطلب من أحد شيئاً ولا يريم مووضعه (تركه) فينصرف إلى أمه ولم يكتسب شيئاً فتضربه وهو

مع ذلك يترنم بألحان معبد ويؤديها دوراً دوراً في مواضع صيحاته وسجاحاته ونبراته نغماً لفظ ولا رواية شيء من الشعر وجعل حمزة كلما غدا وراح رآه ملازما لبابه فقال لغلامه يوماً أدخل هذا الغلام الأعرابي إلي فادخله فقال له: من أنت؟ فقال أنا غلام من طيء أصابتنا حطمة بالجبلين فحطتنا اليكم ومعي أم لي وإخوة وإني لزمت بابك فسمعت من دارك صوتا أعجبني فلزمت بابك من أجله فقال هل تعرف منه شيئاً؟ فقال أعرف لحنه كله ولا أعرف الشعر فقال: إن كنت صادقا إنك لفهم ودعا بمعبد فأمره أن يغني صوتا فغناه ثم قال لمالك: هل تستطيع أن تقوله؟ قال: نعم قال: هاته فاندفع فغناه فادى نغمته بغير شعر يؤدي مداته ولياته وعطفاته ونبراته وتعليقاته لا يخرم حرفا فقال لمعبد خذ هذا الغلام إليك وخرجه فليكونن له شأن قال معبد ولِمَ أفعل ذلك؟ قال: لتكون محاسنه منسوبة إليك وإلا عدل إلى غيرك فكانت محاسنه منسوبة إليه فقال مالك أصدق الأمير وأنا أفعل ما أمرتني به ثم قال حمزة لمالك كيف وجدت ملازمتك لبابنا؟ فقال: أرأيت لو قلت فيك غير الذي أنت له مستحق من الباطل أكنت ترضى بذلك؟ قال: لا، قال: وكذلك لا يسرك أن تحمد بما لم تفعل، قال: نعم، قال: فوالله ما شبعت على بابك شبعة قط ولا انقلبت منه إلى اهلي بخير. فأمر له ولأمه ولاخوته بمنزل وأجرى لهم رزقاً وكسوة وأمر لهم بخادم، وعبد يسقيهم الماء، وأجلس مالكاً معه في مجلسه، وأمر معبد أن يطارحه فلم ينشب (يلبث) أن مهر وحذق، وكان ذلك يعقب مقتل هدبة بن

الخشرم فخرج مالك يوماً فسمع إمرأة تنوح على زيادة الذي قتله هدبة بن الخشرم بشعر في زيادة:

ابعد الذي بالنعف نعف كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل
أذكر بالبقيا على من أصابني وبقياي أني جاهد غير مؤتلي
فلا يدعني قومي لزيد بن مالك لإن لم أعجل ضربة أو أعجل
وإلا أنل ثاري من اليوم أو غدٍ بني عمنا فالدهر ذو متطول
أنختم علينا كلكل الحرب مرة فنحن منيخوها عليكم بكلكل

فغنى هذا الشعر لحنين أحدهما نحا فيه نحو المرأة في نوحها ورقته وأصلحه وزاد فيه، والآخر نحافيه نحو معبد في غنائه ثم دخل على حمزة فقال له: أيها الأمير إني قد صنعت غناء في شعر سمعت بعض أهل المدينة ينشده فأعجبني، فإن أذن لي الأمير غنيته فيه، فقال: هاته، فغناه اللحن الذي نحا فيه نحو معبد فطرب حمزة وقال له: أحسنت ياغلام، هذا الغناء غناء معبد وطريقته، فقال: لا تعجل أيها الأمير، واسمع مني شيئاً ليس من غناء معبد ولا طريقته، قال: هات فغناه اللحن الذي تشبه بنوح المرأة، فطرب حمزة حتى القى عليه حلة كانت عليه قيمتها مائتي دينار، ودخل معبد فرأى حلة حمزة عليه فأنكرها، وعلم حمزة بذلك فأخبر معبداً بالسبب، وأمر مالكاً فغنى الصوتين فغضب معبد لما سمع الصوت الأول وقال: قد كرهت أن آخذ هذا الغلام فيتعلم غنائي فيدعيه لنفسه، فقال له: حمزة لا تعجل أو اسمع غناء صنعه ليس من شأنك ولا غنائك وأمره

أن يغني الصوت الآخر فأطرق معبد، فقال له حمزة والله لو انفرد هذا لضاهاك ثم يتزايد مع الأيام وكلما كبر زاد، شخت أنت ونقصت، فلأن يكون منسوباً إليك أجمل ، فقال له معبد وهو منكسر: صدق الأمير فأمر حمزة لمعبد بخلعه من ثيابه وجائزة حتى سكنت نفسه، فقال مالك على رجله فقبل راس معبدن وقال له: يا أبا عباد أساءك ما سمعت مني؟ والله لا أغنى لنفسي شيئاً أبداً ما دمت حيا، وإن غلبتني نفسي فغنيت في شعر أستحسنه لا نسبته إلا إليك، فطب نفسا وارض عني فقال له معبد: أو تفعل هذا وتفي؟ قال: إن شاء الله وأزيد، فكان مالك بعد ذلك إذا غنى صوتاًوسئل عنه قال: هذا لمعبد ما غنيت لنفسي شيئاً قط وإنما آخذ غناء معبد أو أنقله إلى الأشعار وأحسنه وازيد فيه وانقص.

* * *

٢٠٦٢- التعليم الذي غطى أنحاء المملكة ولله الحمد وأصبح في كل قرية وبلدة ومدينة وتطور التعليم الإبتدائي إلى المتوسط والثانوي والجامعي أول ما بدأ في عام ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م حيث انشئت أول مديرية للتعليم واسند إليها افتتاح المدارس في مناطق المملكة، ثم فتحت مجموعة من المدارس الابتدائية عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م في كل من حائل وشقراء وغيرهما من المدن واستمر افتتاح المدارس بشكل متوسع في عهد الملك سعود ــ رحمه الله ــ للذكور، ثم بدأت المناداة لإنشاء مدارس لتعليم البنات مساواة بالذكور ومن أول من كتب في هذا الشأن الشيخ عبد

الكريم بن عبد العزيز الجهيمان ــ رحمه الله ــ في الجريدة التي كان يرأس تحريرها "أخبار الظهران" عام ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م فأغلقت جريدته إثر نشره ذلك المقال الذي ينادي فيه لافتتاح مدارس لتعليم البنات ثم أخذت المدارس بعد ذلك تفتح هنا وهناك على مدى ست سنوات حتى جاء عام١٣٨٠هـ/١٩٦٠م وعندها تمت الموافقة على افتتاح المدارس الابتدائية للبنات في أنحاء المملكة، وفي عام ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م، ثم تعيين الأمير الملك فيما بعد فهد بن عبد العزيز آل سعود ــ رحمه الله ــ أول وزير للمعارف واستمر التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي حتى جاء عام ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م حيث صدر أمر ملكي بإنشاء جامعة الملك سعود بالرياض وتم تعيين الأمير الملك فهد بن عبد العزيز رئيساً أعلى للجامعة، وكان مقرها بالملز بالرياض ودراستي كانت فيها وقد تغير مسماها في عهد الملك فيصل إلى جامعة الرياض ثم أعيد إليها اسمها في عهد الملك خالد ــ رحمه الله ــ وقد اختير لها موقع جديد هو موقعها الحالي على طريق القصيم حيث انتقلت إليه في بداية العام ١٤٠٤/١٤٠٥هـ واستمرت الجامعات في المملكة ثمان جامعات هي:

١- جامعة الملك سعود بالرياض.

٢- جامعة الملك عبد العزيز بجدة.

٣- جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

٤- جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض.

٥- جامعة الملك خالد بأبها.

٦- جامعة الملك فيصل بالاحساء.

٧- جامعة الملك فهد بالدمام.

٨- الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

ثم جرى التوسع في التعليم الجامعي ففي ٤/١٠/١٤٣٠هـ/٢٠٠٨م تم افتتاح :

٩- جامعة الملك عبد الله (كوست) في ثُوَلْ شمال جدة، وقد حضر الافتتاح عدد من رؤساء الدول وتعتبر هذه الجامعة نقلة نوعية في مسيرة التعليم في الشرق الأوسط وبعد ذلك جرى افتتاح جامعات أخرى في الأقاليم.

١٠- جامعة حائل.

١١- جامعة القصيم.

١٢- جامعة الجوف.

١٣- جامعة تبوك.

١٤- جامعة المجمعة.

١٥- جامعة الخرج.

١٦- جامعة نجران.

١٧- جامعة جازان.

١٨- جامعة الأمير سلطان.

١٩- جامعة الدمام.

٢٠- جامعة عرعر.

٢١- جامعة اليمامة.

٢٢- جامعة حفر الباطن.

٢٣- جامعة الطائف.

٢٤- جامعة الأمير محمد بن فهد بالدمام.

٢٥- جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن بالرياض.

*   *   *

٢٠٦٣- الشيخ بندر بن نواف بن بندر التمياط الشمري، من مواليد حائل ١٣٤٢هـ عاش فيها طفولته وشبابه، توفي والده نواف وهو في السادسة من عمره وكفلته عمته جوزاء بنت بندر التمياط ـ رحمها الله ـ الآتي ذكرها ـ ثم انتقل إلى الرياض وعاش بها بقية حياته حتى لاقى وجه ربه عام ١٤١٨هـ، وله من الأبناء فهد الذي زودني مشكوراً ببعض المعلومات، ونايف، وصفوق، ومحمد، ونواف وزيد وليس له بنات وأفادني فهد أن له علاقة بالملك عبد الله ـ حفظه الله ـ من ناحية النساء ولذلك قال الملك مرة لصفوق: ياخال، وقال مرة لنواف: حياالله خالي، ولم تكن لي معرفة سابقة به وإنما عرفته صدفة حيث كنت أعقب معاملة لواحد من جماعتي عند الأستاذ محمد بن يوسف العريفي بوزارة الداخلية فدخل علينا الرجل النحيف بخطوات متحفزة وبيده قبضة أوراق صغيرة، فقفز محمد من مكتبه وسلم عليه وعرفني عليه

وعرفه عَليَّ فسلمنا على بعض ففرح بي وفرحت به وجلس في كرسيه وهو يرد المثل القائل: "عسى كل خرابة لنا به قرابة" وأعطى بعض الأوراق التي معه للأستاذ محمد الذي خرج بها وتحدثنا بلطف ومحبة وكأننا نعرف بعضنا من قديم، ورأيته كأنه مشدود الذهن إلى عودة محمد، ولما أقبل اتجه نظره إليه وهو يقول: بشر، بشر، والله إن أمهم لم تدعنا ننام البارحة، طول ليلها تصيح وتنوح فقال محمد: سينتهي موضوعه اليوم أو غداً، ويخرج من السجن، فقال: بشرك الله بالخير، في هذه الجلسة القصيرة أصبح وكأنه يعرفني من سنوات ثم دعاني لزيارته في مترله الذي وصفه لي وأعطاني رقم هاتفه ثم أخذ بقية أوراقه وهو يقول سأذهب لإدارة الأحوال المدنية ثم إدارة الجوازات والجنسية وبعد خروجه أخبرني الأستاذ محمد أن الشيخ بندر لا يكاد يتوقف طول فترة الدوام الرسمي ويكاد يمر علينا كل يوم وهو يعقب في كثير من الوزارات والدوائر لمعاملات جماعته ومن يلجأون إليه من غير جماعته، وقد أوقف نفسه على خدمتهم في مختلف شئوهم، وقبل أن يغادر المكان وصف لي مترله الكائن في حارة ابن دايل في جنوب غرب الرياض فزرته في عصر يوم من الأيام فوجدت في مجلسه مجموعة من الرجال الذين قدموا من منطقته، فرحب بي أجمل ترحيب وأحره، ولمست منه كرم النفس والكف ولطف المعشر ولين الجانب وأنس الحديث معي ومع الحاضرين ويسأل كل واحد عن أحواله وعما أنجزه في ذلك اليوم يتبادل مع الجميع الكلام الشيق الذي يشد السامع إليه واستنتجت من تلك الجلسة

أن هؤلاء الحضور الذين حلو ضيوفاًعليه كل واحد قد جاء لغرض منهم من جاء ومعه مريض أو مريضة يريد أن يدخله إلى المستشفى وآخر له ابن أو قريب مسجون يريد أن يفك أسره فطالما تدخل في فك الأسرى وإصلاح ذات البين وعتق الرقاب من عدة قبائل وعلى راسها قبيلة شمر، وثالث يريد أن يأخذ موعداًلمريض ورابع يتعقب معاملة له في إحدى الوزارات وخامس يبحث عن عمل وهكذا البقية وبعضهم معهم نساءهم وأطفالهم ومرضاهم يحلون ضيوفاًفي بيت الشيخ بندر مدة إقامتهم بالرياض حيث لا يوجد في ذلك الحين شقق مفروشة وهناك من لا يستطيع السكن في الفنادق ولذلك يجدون لين الجانب والملجأ والمسكن في بيت الشيخ بندر، وكنت اسمع أصوات الأطفال وجلبتهم داخل البيت، لقد تأثرت من هذا الموقف، رجل فتح بيته للغادي والرائح من جماعته وغيرهم فيجدون فيه المأوى والمأكل والمشرب والعناية، لاسيما وأن أحواله المادية رقيقة وليس له دخل ثابت فتفاعلت مع موقفه هذا رأفة بحاله، ثم زارني في بيتي بالروضة بعد ذلك وتبادلنا الزيارات عدة مرات وكنت آنس لحديثه لما أجد فيه من الفائدة من علوم الرجال وأخبار بعض الحوادث وأشهر الشخصيات وقد أخبرني عن عمته جوزاء بنت بندر التمياط التي سبق أن كتبت عنها بالفقرة رقم (٦٠٣) من هذا الكتاب وبعد انتقاله من البيت الذي أعرفه انقطعت بيننا الزيارات إلى أن علمت بانتقاله إلى جوار ربه، مما كان له وقع سيء على نفسي ولم

يسعني إلا ان قلت: رحمك الله يأبا فهد رحمة واسعة واسكنك فسيح جناته وإنا لله وإنا إليه راجعون.

* * *

٢٠٦٤- قال الأصمعي: إني لفي سفر وقد نزلت على رجل من بني كلاب، كان متزوجاً بالبصرة، إذ أقبلت عجوز على ناقة لها، حسنة البزة (الهيئة) فيها بقية جمال، فأناخت وعقلت ناقتها، وأقبلت تتوكأ على محجن لها، فجلست قريباً منا، وقالت: هل من منشد؟ فقلت للكلابي: أيحضرك شيء؟ قال: لا فأنشدها لبشر بن عبد الرحمن الأنصاري:

وقصيرة الأيام ود جليسها لو باع مجلسها بكل حميم
من محذيات أخي الهوى غصص الجوى بدلال غانية ومقلة ريم
صفراء من بقر الجواء كأنما خفر الحياء بها ذراع سقيم

قال: فجثت على ركبيتها، وأقبلت تحرث الأرث بمحجنها وأنشأت تقول:

قفي يأميم القلب نقرأ تحية ونشك الهوى ثم افعلي ما بدالك
فلو قُلْتِ طأ في النار أعلم أنه هوى لك أو مدن لنا من نوالك
لقدمت رجلي نحوها فوطئتها هدى منك لي أو ضلة من ضلالك
سلي البانة العلياء بالأجرع الذي به البان هل حببت أطلال دارك؟
وهل قمت في أطلالهن عشية مقام أخي البأساء واخترت ذلك

ليهنك أمساكي بكفي على الحشا ورقراق عيني خشية من زيالك

قال الأصمعي: فأظلمت والله عليَّ الدنيا بحلاوة منطقها فصاحة لهجتها فدنوت منها وقلت: أنشدتك الله لما زودتني من هذا، فرأيت الضحك في عينيها وأنشدت:

ومستخضبات ليس يخفين زرننا يسحبن أذيال الصبابة والشكل

جمعن الهوى حتى إذا ما ملكنه نزعن وقد أكثرت فينا من القتل

مريضات رجع الطرف خرس عن الخنا يختل ذوى الألباب بالجد والهزل

يعنفني العذال فيهن والهوى يحذرني من أن أطيع ذوي العذل

* * *

٢٠٦٥- قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: غنى مخارق بين يدي الرشيد هارون الرشيد صوتاً فأخطأ في قسمته فقلت: له أعد فأعاده، وكان الخطأ خفيا، فقلت للرشيد ياسيدي قد اخطأ فيه، فقال لإبراهيم المهدي (أخو الرشيد): ما تقول فيما ذكره إسحاق؟ قال: ليس الأمر كما ذكر ولاهاهنا خطأ فقلت له: أترضى بأبي، قال: أيْ والله، وكان أبي في بقايا علة، فأمر الرشيد بإحضاره محمولاً، فجئ به في محفة، فقال لمخارق: أعد الصوت، فأعاده، فقال: ما عندك ياإبراهيم في هذا الصوت؟ قال: قد أخطأ فيه، فقال له: هكذا قال ابنك إسحاق، وذكر أخي إبراهيم أنه صحيح فنظر إليَّ ثم قال: هاتوا دواة، فأتي بها وكتب شيئاً لم يقف عليه

أحد، ثم قطعه ووضعه بين يدي الرشيد، وقال لي أكتب بذكر الموضع الفاسد من قسمة هذا الصوت فكتبته والقيته فقرأه وسر، وقام فألقاه بين يدي الرشيد فإذا الذي قلناه جميعاً متفق، فضحك وعجب و لم يبق أحد بالمجلس إلا قرّض واثنى ووصف، ولا أحد خالف إلا خجل وأذعن وقال أبي:

ليت من لا يحسن العلم كفانا شر علمه

فاخبر الحق ابتداء وقس العلم بفهمه

طيب الريحان لا تعرفه إلا بشمه

* * *

٢٠٦٦- الخطوط الحديدية التي بدأت انطلاقها في عهد الملك عبد الله بن عبد العزيز ــ حفظه الله ــ من الشمال إلى الشرق مرروا بنجد وهناك خطوط أخرى إضافة إلى القطار المخصص لنقل الحجاج بين المشاعر بمكة المكرمة، وقد انتقلت فيه أثناء تأديتي الحج عام ١٤٣٢هـ كانت نواة هذا الخطوط الحديدية أو القطارات هو الخط الحديدي الذي أمر الملك عبد العزيز بإنشائه عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م والذي يربط ميناء الدمام بالرياض العاصمة. وذلك لنقل البضائع والسلع والمواد الغذائية ومستلزمات البناء والتعمير المستوردة عن طريق ميناء الدمام، وكذلك الركاب في عربات مخصصة لذلك، وعقب هذه الخطوط خطوة ثانية ففي يوم ٥/٦/١٤٠٥هـ /١٩٨٥م صدر أمر بإنشاء خط سكة حديد

جديد يربط الرياض بالدمام، واختصر مسافة وزمن السفر بمقدار حوالي النصف فاختصر زمن السفر أربع ساعات بدلاً من سبع ساعات، وكذلك الحال بالنسبة للبضائع، والسلع وكان لهذه الخطوة أثر إيجابي على وسط المملكة في العاصمة الرياض، وتم إنشاء الميناء الجاف بالرياض تنزل فيه البضائع والسلع ويستلمها أصحابها وكأنهم بجانب ميناء الدمام، ونشطت الأعمال التجارية تبعاً لذلك كما ورد عن طريق هذا الخط وهذا الميناء الجاف مواد البناء والإعمار التي واكبت النشاط الذي صاحب الطفرة العمرانية من عام ١٣٩٦- ١٤٠٥ هـ/١٩٧٦- ١٩٨٥م، هذه الفترة التي تسمى الطفرة، والتي شهدت المملكة فيها لا في وسطها فحسب بل في جميع أنحائها تطوراً واضحاًغَيَّر وجه البنية العمرانية والاقتصادية والاجتماعية وغيرت وجوه المدن والبلدات من مدن عادية وبلدات إلى مدن متطورة ومخططة تخطيطاً حديثاًومنفذة فيها المباني تنفيذاً عصرياً، وتسابقت المدن في البنايات والعمارات ذات الأدوار المتكررة والأبراج الشاهقة من ذوات الخمسين طابقاًفما فوق كل هذا التغيير والتطور كان لميناء الدمام وميناء جدة الإسلامي أثر واضح في نقل المواد التي نفذت فيهاوإلى مزيد من الخطوط الحديدية التي تربط أنحاء المملكة ببعضها وتسهل النقل والسفر فيها.

* * *

٢٠٦٧- قال عمرو بن مسعدة السلمي: أحضرت أبادلف عند المأمون وقد قال له: أي شيء تروى لأخي خزاعة؟ فقال: وأي خزاعة ياأمير المؤمنين؟ قال: ومن تعرف فيهم شاعراً؟ قال: أما من أنفسهم، فأبو الشيص، ودعبل وابن أبي الشيص، وداود بن رزين، وأمامن مواليهم فطاهر وابنه عبد الله. فقال ومن عسى من هؤلاء أن يسأل عن شعره سوى دعبل! هات أي شيء عندك فيه؟ قال: وأي شيء أقول في رجل لم يترك أهل بيته حتى هجاهم، فقرن إحسانهم بالإساءة، وبذلهم بالمنع، وجودهم بالبخل، حتى جعل كل حسنة منهم بإزاء سيئة! قال: حين يقول ماذا؟ قال: حين يقول في المطلب بن عبد الله بن مالك وهو أصدق الناس له، وأقربهم منه، وقد وفد إليه في مصر، فأعطاه الجزيل، وولاه، ولم يمنعه ذلك أن قال فيه:

اضرب ندى طلحة الطلحات متئداً بلؤم مطلب فينا وكن حكما
تخرج خزاعة من لؤم ومن كرم فلا تحس لها لؤماً ولا كرماً

قال المأمون: قاتله الله ما أغوصه وألطفه وأدهاه، وجعل يضحك، ثم دخل عبد الله بن طاهر، فقال له المأمون: أي شيء تحفظ ياعبد الله لدعبل؟ قال: أحفظ له أبياتاً في أهل بيت أمير المؤمنين، قال: هاتها ويحك! فأنشد عبد الله:

سقيا ورعيا لأيام الصبابات أيام أرفل في أثواب لذاتي
أيام غصني رطيب من لبانته أصبو إلى غير جاراتي وكناتي

دع عنك وقت زمـان فـات مطلبـه   واقذف برجلك عن مـتن الجهـالات

واقصد بكـل مـديح أنـت قائلـه   نحو الهـداة بـني بيـت الكرامـات

فقال المأمون: إنه قد وجد والله مقالاً فقال: ونال ببعيد ذكرهم ما لا يناله في وصف غيرهم، ثم قال: لقد أحسن في وصف سفر سافره فطال ذلك السفر عليه فقال:

ألم يـأن للسـفر الـذين تحملـوا   إلى وطـن قبـل الممـات رجـوع

فقلـت ولم أملـك سـوابق عـبرة   نطقـن بمـا ضـمت عليـه ضـلوع

تبـيَّنْ! فكـم دار تفـرق شملـها   وشمـل شـتيت عـاد وهـو جميـع

كذاك الليالي صـرفهن كمـا تـرى   لكـل أنـاس جدبـة وربيـع

ثم قال: ما سافرت قط إلا كانت هذه الأبيات نصب عيني في سفرى وهجيري ومسليتي حتى أعود.

* * *

٢٠٦٨- صالح بن (دحيم) أو عبد الرحمن بن محمد الطحيني من مواليد بلدة المستجدة في منطقة حائل نحو عام ١٣٦٤هـ وبها قضى بداية طفولته في حياة والده دحيم عبد الرحمن بن محمد الطحيني ــ رحمه الله ــ وبعد وفاة أبيه انتقل مع والدته إلى حائل وعاش فيها بقية طفولته وصباه وشبابه ودرس في مدارسها، وقد التحق بسلك التعليم وعمل مدرساً حتى تقاعد، وقد أسهم في بداية سنوات الطفرة في المجال الزراعي

بالمشاركة مع آخر، وقد عرفته منذ طفولته في حائل وبعد أن اكتهل فتح للناس بابه من بعد صلاة العصر إلى أذان المغرب وبعد المغرب إلى أذان العشاء وبعد صلاة العشاء إلى نحو الساعة الحادية عشرة، وكان بشوش الوجه دائم الابتسامة واسع الصدر، كريم المحيا والكف يلاطف من يأتيه، ويؤانسه، فقد كان أنيس المجلس لطيف المعشر يداعب أصدقاءه وما أكثرهم من سكان حائل ومن أهل المدن والبلدات والقرى في جنوب حائل منطقة رَمَّان ومن أبناء البادية من قبيلة شمر وعنزة وحرب وبني رشيد وغيرهم ولا يخلو مجلسه من الزوار على مدار الأسبوع عدا يوماً يخرج فيه مع أصدقاء له في استراحة لهم، في هذا المجلس تتوفر القهوة والشاي والتمر (القدوع) باشكال وألوان يحرص على التمر الذي تكون نسبة "السكرين" فيه قليلة نظراً لإصابة بعض الناس "بالسكري" وهو منهم، يقدم في مجلسه بالإضافة إلى القهوة والشاي بعض الخضار والفواكة في وقتها كما يقدم فيه الأقط والسمن في وقته وغير ذلك مما يستظرف من المأكولات، كان ـــ رحمه الله ـــ يتابع الأخبار من خلال جهاز تلفاز في مجلسه يناقش فيه ويجادرل فيما يرد من أخبار، وفي مجلسه تجد أخبار الناس من الوافدين إليه من مختلف المناطق والبلدات والقرى والذين يجلسون عنده بعد صلاة العشاء في كثير من الليالي يقدم لهم وجبة العشاء مما تيسر من عشائه كان هذا دأبه طيلة الفترة التي افتتح فيها بابه للناس وكنت أزوره منذ عام ١٤١٤هـــ عندما بدأت بناية قريبة منه فأجد عنده زواره الذين استفيد من بعض معلوماتهم

وأخبارهم، وكان كما أخبرني بنفسه يحرص على صلاة الجمعة في جامع حائل الكبير لأن الجامع في يوم الجمعة لا يخلو من الصلاة على جنازة أو جنائز فيه طمعاً في الأجر وأحياناً يصاحب الجنازة إلى المقبرة رجاء الثواب من عند الله عز وجل وآخر مرة شهدته فيها مناسبة زواج ابن أخي موسى وكانت صحته طيبة ثم فجعت بخبر وفاته يوم الخميس٢٩/١٠/١٤٣٤هـ/٥/٩/٢٠١٣م فتألمت لسماع الخبر ولم أملك إلا أن قلت : " إنا لله وإنا إليه راجعون" رحمك الله ياأبا دحيم رحمة واسعة في جنات الخلد مع الأبرار.

* * *

٢٠٦٩- روي أن الرشيد (هارون الرشيد) هب ليلة من نومه فدعا بحمار كان يركبه في القصر أسود قريب من الأرض فركبه، وخرج في دراعة وشي متلثما بعمامته وشي متلحفا بازار وشي، بين يديه أربعمائة خادم أبيض سوى الفراشين، وكان مسرور الفرغاني جريئاً عليه لمكانه عنده، فلما خرج من باب القصر قال: أين يريد أمير المؤمنين في هذه الساعة؟ قال: أردت مترل الموصلي، قال مسرور: فمضى ونحن معه وبين يديه حتى انتهى إلى مترل إبراهيم الموصلي، فخرج فتلقاه وقبل حافر حماره وقال له: ياأمير المؤمنين: في مثل هذه الساعة تظهر! فقال: نعم شوق لك طرق بابي، ثم نزل فجلس في طرف الديوان وأجلس إبراهيم، فقال له إبراهيم: ياسيدي: أتنشط لشيء تأكله؟ فقال: نعم خاميز ظي(نوع من

الطعام) فأتى به كأنما كان معداً له، فأصاب منه شيئاً يسيراً، قال إبراهيم: أو أغنيك أم تغنيك إماؤك؟ فقال: بل الجواري، فخرج جواري إبراهيم فأخذن صدر الديوان وجانبيه، فقال: أيضربن كلهن أم واحدة؟ قال: بل تضرب إثنتان إثنتان وتغني واحدة فواحدة، ففعلن ذلك حتى مرَّ صدر الديوان وأحد جانبيه والرشيد يسمع ولا ينشط الشيء من غنائهن إلى أن غنت صبية من حاشيته:

ياموري الزند قد أعيت قوادحه ... إقبس إذا شئت من قلبي بمقباس

ما أقبح الناس في عيني وأسمجهم ... إذا نظرت فلم أبصرك في الناس

فطرب لغنائها واستعاد الصوت مراراً، ثم سأل الجارية عن صانعه فأمسكت، فاستدناها فتقاعست، فأمر بها فأقيمت حتى وقفت بين يديه فأخبرته بشيء أسرته إليه، فدعا بحماره فركبه وانصرف ثم التفت إلى إبراهيم فقال (ممازحاً): ما ضرك إلا أن تكون خليفة! فكادت نفسه أن تخرج حتى دعابه وأدناه بعد ذلك، قال: وكان الذي خبرته به الجارية أن الصنعة في الصوت لأخته عُلَيَّة بنت المهدي وكانت الجارية لها وجهت بها إلى إبراهيم يطارحها (الإلحان فغار الرشيد).

* * *

٢٠٧٠- وزارة الصحة وفروعها المنتشرة في أنحاء المملكة وما تفرع عنها من المستشفيات العامة والتخصصية في مختلف التخصصات كانت بدايتها

سيارة الإسعاف التي تم شراءها في يوم ١٣٤٤/١/٢٨هـ/١٩٢٥م وسلمت لمستشفى مكة المكرمة من أجل خدمة الحجاج والمعتمرين وكان المستشفى قائماً يومذاك في مكة من أجل ضيوف الرحمن ثم بعد ذلك في عام ١٣٧٠هـ-١٩٥٠م أصدر الملك عبد العزيز ــ رحمه الله ــ مرسوماً ملكياً يقضي بتطوير مديرية الصحة والإسعاف لتصبح وزارة مما أحدث نقلة نوعية في مستوى الخدمات الصحية آنذاك فبلغ عدد المستشفيات أحد عشر مستشفى إلى جانب خمسة وعشرين مستوصفاً انتشرت في مختلف المناطق ومن هذه المستوصفات التي أذكرها واحد بمنطقة حائل بالمدينة نفسها فيه طبيب عام واحد وممرض واحد وهذا الكلام أذكره تماماًوقد راجعته يوم ١٣٧٦/١٢/١٢هـ١٩٥٦م، وذلك لخلع ضرس لَجَّ عَلَيَّ هذا المستوصف ليس لمدينة حائل لوحدها وإنما لمنطقة حائل مدينتها الرئيسة وبلداتها وقراها وكل سكانها يوم ذاك وفي ذلك الوقت عام ١٣٧٦/٧٥هـ كان ينفذ في مدينة حائل المستشفى العام الذي افتتح في مطلع ١٣٧٧هـ١٩٥٧م ثم أعقبه مستشفى الملك خالد ثم مستشفى الولادة وانتشرت بعد ذلك المستوصفات في المدن المتوسطة البالغة ثلاث عشرة مدينة والبلدات المستحقة وكثرت في مدينة حائل المستوصفات الخاصة كما تطورت بعض هذه المستوصفات في المدن المتوسطة إلى مستشفيات بسعة ثلاثين سريراًولا تزال المنطقة بمدنها الأربع عشرة وبلداتها وقراها التي تقارب الخمسمائة بلدة وقرية بحاجة ماسة إلى مزيد من المستشفيات والنقاط الصحية التي تفي باحتياجات

السكان ولاسيما أن المستوصفات التجارية هدفها مادي بالدرجة الأولى حيث تحاول الاستفادة من المريض بقدر الإمكان في الوقت الذي يكون فيه المريض بحاجة إلى مدَّ يد المساعدة إليه لمن يخدمه ويقدم له العلاج بالمجان، وحتى المستشفيات الحكومية ليست كما ينبغي حيث نرى الكثير من المرضى ممن يستطيعون الانتقال إلى الرياض أو جدة لا يتأخرون في مستشفيات حائل متى كانت لهم القدرة على ذلك.

* * *

٢٠٧١- خرج المغيرة بن شعبة المتوفى عام ٥١هـ وهو على الكوفة يومئذ، ومعه الهيثم بن الأسود النخعي بعد مطر بظهر الكوفة، فلقي أعرابياً من تيم الله بن ثعلبة وهو لا يعرف المغيرة. فقال له المغيرة: من أين أقبلت ياأعرابي؟ قال: من السماوة، قال: وكيف تركت الأرض خلفك؟ قال: عريضة أريضة، قال: وكيف كان المطر فيها؟ قال: عفى الأثر، وملأ الحفر، قال: ممن أنت؟ قال: من بكر بن وائل، قال: كيف علمك بهم؟ قال:إن جهلتهم لم أعرف غيرهم، قال: فما تقول في بني شيبان؟ قال: سادتنا وسادة غيرنا، قال: فما تقول في بني ذهل؟ قال: سادة نوكي (حمقي) قال: فقيس بن ثعلبة؟ قال إن جاورتهم سرقوك، وإن إئتمنتهم خانوك،ـ قال: فبنو تيم الله بن ثعلبة؟ قال: رعاء البقر وعراقيب الكلاب قال فما تقول في بني يشكر؟ قال: صريح تحسبه مولى قال: فبنو عجل؟ قال: أحلاس الخيل قال فبنو حنيفة؟ قال: يطعمون الطعام

ويضربون الهام، قال: فعترة؟ قال: لا تلتقي بهم الشفتان لؤماً! قال: فأخبرني عن النساء؟ قال: النساء أربع، ربيع مربوع، وجميع يجمع، وشيطان سمعمع، غل لا يخلع قال: فسرلي ما تقول، قال: أما الربيع فالتي إن نظرت إليها سرتك، وإن أقسمت عليها برتك وأما التي هي جمع يجمع، فالمرأة تتزوجها فتجمع نشبك إلى تشبها (مالك إلى مالها) وأما الشيطان السمعمع، فالكالحة في وجهك إذا دخلت والمولولة في أثرك إذا خرجت وأما الغل الذي لا يخلع فنبت عمك السوداء القصيرة الورهاء (الخرقاء في العمل والحمقاء) الذميمة التي نثرت لك بطنها إن طلقتها ضاع ولدك وإن أمسكتها على جدع أنفك ثم قال المغيرة: ما تقول في أميرك المغيرة؟ قال: أعور زناء فقال الهيثم فَضَّ الله فاك! هذا الأمير المغيرة فقال: هذه كلمة والله تقال، فانطلق به المغيرة إلى مترله وعنده يومئذ أربع نسوة وستون أمة ثم قال له: ويحك! هل يقدم أحد على هذه الكبيرة وعنده مثل هؤلاء؟ ثم قال لهن المغيرة: إرمين إليه بحليكن فخرج الأعرابي بملء كسائه ذهباً وفضة.

* * *

٢٠٧٢- من أجمل القصائد التي رأيتها لذي الرمة غيلان العدوى ايقاعا ومعنى وقوة قوله:

ذكرتك إذ مــرت بنــا أم شــادن　　أمــام المطايــا تشــرئب وتســـنح

من المؤلفات الرمـل أدمـاء حـرة	شعاع الضـحى في متنـها يتوضـح
تغادر بالوعسـاء وعسـاء مشـرف	طلا طـرف عينـها حواليـه يلمـح
رأتنـا كأنـا واعـدون لعهـدها	بـه فهـي تـدنو تـارة وتزحـزح
هي الشبه أعطافـا وجيـداً ومقلـة	وميـة أبهـا بعـد منـها وأملـح
أناة يطيب البيت من طيـب نشـرها	بعيد الكرى زيـن لـه حـين تصـبح
كأن البرى والعاج عيجـت متونـه	على عَشَرٍ نهـي بـه السـيل أبطـح
لها كفـل كالعانـك اسـتن فوقـه	أها ضـيب لبـدن الهـذاليل نصـح
وذو عذر فوق الـذنو بـين مسـبل	على البان يطوي بالمـداري ويسـرح
اسيلة مستن الـدموع ومـا جـرى	عليـه المجـن الجائـل المتوشـح
ترى قرطها في واضح الليت مشـرفا	علـى هالـك في نفنـف يتـرنح
وتجلـو بفـرع مـن أراك كأنـه	من العنبر الهنـدي والمسـك يصـبح
ترى أقحوان راحه الليـل وارتقـى	إليـه النـدى مـن رامـة المتـروح
لئن كانت الـدنيا علـي كمـا رأى	تبـاريح مـن مـي فللمـوت أروح

* * *

٢٠٧٣- الطيران الحربي المتمثل في كلية الملك فيصل الجوية التي خَرَّجَتْ المئات من الطيارين وادخلت الطيران الحربي الذي كان يمثل أحد الأركان الهامة من مهمات وزارة الدفاع والطيران كانت بدايته في ١٣٦٦/٧/٢٩هـ ١٩٤٦م عندما تم افتتاح مدرسة اعمال المطارات لتدريب الطلبة على قيادة وصيانة الطائرات الحربية وتعتبر النواة الأولى

لكلية الملك فيصل الجوية. ففي عام ١٣٦٨هـ ــ ١٩٤٨ ابتعثت مجموعة من الطلبة إلى انجلترا بعد أن اكملوا تدريبهم الأولى في مطار الحوية بالطائف على طائرات (تايجر ماوث). ثم استمرت يد التطور وزادت البعثات للطيران في بريطانيا على الطائرات المتطورة والطرازات الحديثة حتى تم افتتاح كلية الملك فيصل الجوية بالرياض وقد عملت لمدة عشر سنوات سكرتيراً للجنة القبول في كلية الملك فيصل لحيوية وكلية الملك عبد العزيز الحربية والكلية البحرية عندما كنت أعمل بإدارة الثقافة والتعليم بوزارة الدفاع إذا انعقدت اللجنة بدأت باستقبال ملفات الطلبة الراغبين في الالتحاق بإحدى الكليات الثلاث ثم يتم فحص الملفات ومطابقتا للشروط المحددة لكل كلية وتجري مقابلة الطلاب لكل كلية وبرأس لجنة القبول ضابط برتبة عقيد أو عميد ويمثل كل كلية من الكليات ضابط برتبة رائد أو مقدم ولم تكن الأعداد يومذاك كما هي عليه الآن من عام ١٣٨٨- ١٣٩٨هـــ حيث لا يتجاوز اعداد المتقدمين لكل كلية ٢٠٠ طالب يتم من بين هذه الأعداد اختيار ما تحتاجه كل كلية للسنة الأولى فيها بما لا يتجاوز مئة طالب ممن تنطبق عليهم الشروط النظرية وشروط القيافة من الطول والبنية والجوانب الأخرى والكشف الطبي ويخضع طلاب الطيران لفحوص دقيقة وفحص طبي دقيق وإني لأذكر من رؤساء اللجان العميد عبد المحسن العنقري رحمه الله الذي راس اللجنة لثلاث سنوات متتالية ويومها كانت الكليات بأمس الحاجة إلى الشباب الوطني وأعضاء ورئيس اللجنة حريصون أشد

الحرص على الحصول عليهم استمرت هذه الكلية تخرج الدفعات من الطيارين الذين يعتبرون بعد الله درعاً من دروع الوطن وقد تدربوا على مختلف الطائرات العسكرية التي تتعاقد الحكومة على استيرادها لمختلف البرامج.

* * *

٢٠٧٤- قال هشام بن عبد الملك لشبةبن عقال وعنده جرير والفرزدق والأخطل وهو يومئذ أمير ألا تخبرني من هؤلاء الذين قد مزقوا أعراضهم وهتكوا أستارهم وأغروا بين عشائرهم في غير خير، ولا بر ولا نفع أيهم أشعر؟ فقال شبة: أما جرير فيغرف من بحر، وأما الفرزدق فينحت من صخر وأما الأخطل فيجيد المدح والفخر فقال هشام: ما فسرت لنا شيئاً! فقال ما عندي غير ما قلت! قال لخالد بن صفوان: صفهم لنا يا ابن الأهتم فقال: أما أعظمهم فخراً وأبعدهم ذكراً وأحسنهم عذراً وأسيرهم مثلاً وأقلهم غزلاً واحلاهم عللاً الطامي إذا زخر والحامي إذا زأر والسامي إذا خطر الذي إذا هدر قال، وإن خطر صال الفصيح اللسان الطويل العنان فالفرزدق وأما أحسنهم نعتا وأمدحهم بيتا واقلم فوتا الذي إذا هجا وضع وإذا مدح رفع فالأخطل وأما أغزرهم بحراً وأرقهم شعراً وأهتكهم لعدوه ستراً الأغر البلق، الذي إذا طلب لم يسبق وإذا طلب لم يلحق فجرير وكلهم ذكي الفؤاد رفيع العماد، وَرِيُّ الزناد فقال له مسلمة بن عبد الملك، ما سمعنا بمثلك في الأولين ولا رأينا في

الآخرين، وأشهد أنك أحسنهم وصفا وألينهم عطفاً وأعفهم مقالاً وأكرمهم فعالاً فقال خالد: أتم الله عليكم نعمه وأجزل لكم قسمه وآنس بكم الغربة وفرج بكم الكربة وأنت والله ما علمت أيها الأمير الكريم الغراس عالم بالناس جواد في المحل بسام عند البذل حليم عند الطيش في ذروة قريش ولباب عبد شمس ويومك خير من أمس فضحك هشام وقال ما رأيت لتخلصك يا ابن صفوان في مدح هؤلاء ووصفهم حتى رفقتهم جميعا وسلمت منهم.

* * *

٢٠٧٥- قال الأصمعي: دخلت أنا واسحاق الموصلي يوماً على هارون الرشيد فرأيناه لَقِسْ النفس (اللقس الكدر) فأنشده إسحاق:

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري ... فذلك شيء ما إليه سبيل

أرى الناس خلان الكرام ولا أري ... بخيلاً له حتى الممات خليل

وإني رأيت البخل يزري بأهله ... فأكرمت نفسي أن يقال بخيل

ومن خير حالات الفتى لو علمته ... إذا نال خيراً أن يكون ينبل

فعالي فعال المكثرين تجملاً ... ومالي كما قد تعلمين قليل

وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغني ... ورأي أمير المؤمنين جميل

فقال الرشيد: لا تخف إن شاء الله ثم قال: لله در أبيات تأتينا بها ما أشد أصولها وأحسن فصولها وأقل فضولها وأمر له بخمسين ألف درهم فقال له

اسحاق: وصفك والله يا أمير المؤمنين لشعري أحسن منه فعلام آخذ الجائزة ! فضحك الرشيد وقال: اجعلوها له مئة ألف درهم قال الأصمعي فعلمت يومئذ أن اسحاق أخذ يصيد الدراهم مني.

* * *

٢٠٧٦- كانت القوات التي استخدمها الملك عبد العزيز رحمه الله هي عبارة عن مقاتلين على الطريقة التقليدية القديمة لم يكونوا مدربين أو متعلمين وإنماهم مقاتلين تقليديين على طرق الحرب القديمة وفي ١٣٥٣/٦/٢٦هـ ١٩٣٤م تم إنشاء أول قوة عسكرة تحت مسمى "الدفاع العسكري" واسندأمرها إلى وزير المالية حينذاك الشيخ عبد الله السليمان إلى جانب عمله كوزير للمالية وعلى أثر ذلك تكونت قوة الهجانة ومهمتها المحافظة على حدود المملكة وحفظ الأمن في الداخل ثم تطورت الأمور شيئاً فشيئاً حتى صدر امر بتكوين وزارة الدفاع وعين الأمير منصور بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله وزيراً للدفاع وبدأ بتطوير الجيش وتنظمه وكانت بدايته بالطائف وانطلقت كتائب الجيش ولكن الأمير لم يمهله القدر طويلاً ليتم الخطوات التي بدأها حيث وافته المتية في يوم ١٣٧٠/٧/٢٤هـ ١٩٥٠م رحمه الله ولكن البرامج التي وضع نواها استمرت وتطورت حتى توسعت فروع القوات المسلحة. وفي عام١٣٧٦هـ ١٩٥٦م انتقلت وزارة الدفاع إلى الرياض مع بقية الوزارات الأخرى في عهد الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود رحمه

الله وتوسعت بعد ذلك ونشأت قيادة المناطق مثل قيادة منطقة تبوك وقيادة المنطقة الجنوبية التي تعززت وتوسعت ورسخت بعد وقعة شرورة التي حدثت عام ١٣٩١هـ ١٩٧١م ونشأت قيادة المنطقة الشرقية وأضيف الطيران إلى القوات المسلحة فصار مسماها "وزارة الدفاع والطيران" وتوها الأمير مشعل بن عبد العزيز آل سعود ثم الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله وصار مسماها وزير الدفاع والطيران والمفتش العام" وقد عملت بالوزارة من ١٣٨٥/٢/٥هـ حتى ١٤٠٤/٢/٤هـ بإدارة الثقافة والتعليم التي تتولى شئون مدارسالأبناء بمراحلها بنين وبنات في كل من الرياض وتبوك وخميس مشيط والخرج وغيرها والمدارس الليلة لمنسوبي الجيش المكافحة والمتابعة والمتوسطة والثانويةوبقى الأمير سلطان بن عبد العزيز بالاضافة إلى وزارة الدفاع والطيران وليا للعهد حتى تاريخ وفاته رحمه الله.

* * *

٢٠٧٧- كان صاعد (بن الحسن بن عيسى البغدادي) بين يدي المنصور بن أبي عامر (من حكام الأندلس) فاحضرت إليه وردة في غير وقتها لم يستتم فتح ورقها فقال صاعد مرتجلاً.

أتتـــك أبـــا عـــامر وردة يـــذكرك المســـك أنفاســـها
كعـــذراء أبصـــرها مبصـــر فغطـــت بأكمامهـــا رأســـها

فسر بذلك المنصور وكان بن العريف حاضراً فحسده وقال لابن أبي عامر: هذان البيتان لغيره، وقد أنشدنيها بعض البغداديين لنفسه بمصر وهما عندي على ظهر كتاب بخطه! فقال المنصور: أرنية فخرج ابن العريف وركب وحرك دابته حتى أتى مجلس ابن بدر وكان أحسن أهل زمانه بديهة فوصف له ما جرى فقال هذه الأبيات ودس فيها بيتي صاعد:

غـــدوت إلى قصـــر عباســـة	وقـــد جـــدل النـــوم حراســـها
فألقيتـــها وهـــي في خـــدرها	وقـــد صـــرع الســـكر أناســـها
فقالـــت: أســـار علـــى هجمـــة	فقلـــت: بلـــى فرمـــت كأســـها
ومـــدت يـــديها إلى وردة	يحـــاكي لـــك الطيـــب أنفاســـها
كعـــذراء أبصـــرها مبصـــر	فغطـــت بأكمامهـــا رأســـها

فسار ابن العريف بها وعلقها على ظهر الكتاب بخط مصري ومداد أشقر ودخل بها على المنصور فلما رآها اشتد غيظه على صاعد وقال للحاضرين: غداً أمتحنه فإن فضحه الامتحان أخرجته من البلاد و لم يبق في موضع لي عليه سلطان، فلما أصبح وجه إليه فأحضر واحضر الندمان فدخل بهم إلى المجلس، وقد أعد فيه طبقا عظيماً فيه شقائق مصنوعة من جميع النواوير، ووضع على السقائف لعب من ياسمين في شكل جواري وتحت السقائف بركة ماء قد القي فيها اللالي مثل الحصباء وفي البركة حية تسبح فلما دخل صاعد ورأى الطبق قال له المنصور: إن هذا يوم

إما أن تسعد فيه معنا وإما أن تشقى فيه عندنا لأنه قد زعم أن كل ما تأتي به دعوى وقد وقفت من ذلك على حقيقة وهذا طبق ما توهمت أنه حضر بين يدي ملك قبلي شكله فصفه بجميع ما فيه فقال صاعد بديهة:

أبا عامر هل غير جدواك واكف — وهل غير من عاداك في الأرض خائف

يسوق إليك الدهر كل غريبة — وأعجبت ما يلقاه عندك واصف

وشائع نور صاغها هامر الحيا — على حافتيها عبهر ورفارف

ولما تناهي الحسن فيها تقابلت — عليها بأنواع الملاهي الوصائف

كمثل الظباء والمستكنة كنسا — تظللها بالياسمين السقائف

وأعجب منها أنهن نواظر — إلى بركة ضمت إليها الطرائف

حصاها اللآلي سابح في عبابها — من الرقش مسموم الثعابين زاحف

ترى ما تراه العين في جنباتها — من الوحش حتى بينهن السلاحف

فاستغربت له يومئذ تلك البديهة في مثل هذا الوضع وكتبها المنصور بخطه وكان إلى ناحية من تلك السقائف سفينة فيها جارية من النوار بمجاديف من ذهب لم يرها صاعد فقال له المنصور: أحسنت إلا أنك اغفلت ذكر المراكب والجارية فقال للوقت:

وأعجب منها غادة في سفينة — مكللة تصبوا إليها المهاتف

إذا راعها هوج من الماء تتقي — بسكانها ما أنذرته العواصف

متى كانت الحسناء ربان مركب — تصرف في عين يديها المجادف

ولم ترعيني في البلاد حديقة — تنقلها في الراحتين الوصائف

ولا غرو إن ساقت معاليك روضة وشتها أزاهير الربا والزخارف
إذا قلت قولاً أيدته بديهة فكلني له إني لمجدك واصف

فأمر له المنصور بألف دينار ومئة ثوب ورتب له في كل شهر ثلاثين ديناراً والحقة بالدماء.

* * *

٢٠٧٨- دخلت شابة على أحد الفقهاء وهي تبكي وتولول قال: ما بك؟ قالت: إخواني ظلموني، فقال لها وكيف ظلموك؟ فقالت: لقد توفى أخى وترك خلفه من المال ستمائة درهم واقتسموها ونهبوها ولم يعطوني إلا درهما واحداً!! ففكر الفقيه لحظات ثم قال لها: ربما كان لأخيك زوجة، قالت: نعم، قال: لها الثمن وقدره ٧٥ درهماً ثم قال: وربما كان له إبنتان؟ قالت: نعم له إبنتان، قال وللابنتين أربعمائة درهم، ثم قال: وربما كان له أم؟ قالت: نعم قال: وللأم السدس مائة درهم ثم قال: وربما كان له اثنا عشر أخ غيرك؟ قالت: نعم له كذلك فقال: إن للزوجة ٧٥ درهما وللبنتين ٤٠٠ درهماً وللأم ١٠٠ درهم ومجموعها ٥٧٥ درهما وبقي ٢٥ درهماً لكل أخ من الإخوان درهمين حيث ياخذ الذكر مثل حظ الأنثيين ويبقى لك درهم واحد وهو نصيبك الشرعي ولم يظلموك.!

* * *

٢٠٧٩- قال أبو العتاهية: أخرجني المهدي معه للصيد فوقفنا منه على شيء كثير، فتفرق أصحابه في طلبه وأخذ هو في طريق غير طريقهم فلم يلتقوا وعرض لنا وادجرار، وتغيمت السماء وبدأت تمطر وتحيرنا وأشرفنا على الوادي فإذا فيه ملاح يعبر الناس، فلجأنا إليه فسألناه عن الطريق فجعل يضعف رأينا ويعجزنا في بذلنا أنفسنا في ذلك الغيم للصيد حتى أبعدنا ثم أدخلنا كوخاً له، وكاد المهدي يموت برداً فقال له: أغطيك بجبتي هذه الصوف؟ فقال: نعم فغطاه بها فتماسك قليلاً ونام فافتقده غلمانه وتبعوا أثره حتى جاءونا فلما رأى الملاح كثرتهم على أنه الخليفة فهرب وتبادر الغلمان فنحوا الجبة عنه والقوا عليه الخز والوشي فلما انتبه قال لي: ويحك! ما فعل الملاح؟ فقد والله وجب علينا، فقلت: هرب والله خوفا من قبح ما خاطبنا به، قال: إنا لله! بحياتي عليك إلا ما هجوتني قلت يا أمير المؤمنين: كيف تطيب نفسي بأن أهجوك!قال: والله لتفعلن فإني ضعيف الرأي مغرم بالصيد فقلت:

يـــالا بـــس الوشـــي علـــى ثوبـــه ... مـــا أقـــبح الأشـــيب في الـــراح

فقال زدني بحياتي فقلت:

لو شئت أيضـــا دخلـــت في خامـــة ... وفي وشـــــاحين وأوضـــــــاح

قال: ويلك، هذا معنى سوء يرويه عنك الناس وأنا استأهل شيئاً آخر فقلت أخاف أن تغضب قال: لا والله فقلت:

كم مـــن عظـــيم القـــدر في نفســـه ... قـــد نـــام في جبـــة مـــلاح

قال: معنى سوء عليك لعنة الله! وقمنا فركبنا.

*　　*　　*

٢٠٨٠- من الأبناء العققة عيسى بن يحي بن سعيد الأعمى وكان يعيب شعر أبيه ويماريه في رأيه ويثب على عثراته، يعيب أباه بسوء خلقه فقال فيه قصيدة طويلة منها:

فقلت له يوماً لأسمع قوله　　ويعلم بالتعليم من كان يجهل
غذوتك مولوداً وعلتك يافعاً　　تُعَلُّ بما أجنى إليك وتنهل
إذا ليلة آبتك بالشكو لم أبت　　بشكواك إلا خائفاً اتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي　　طرقت به دوني وعيني همل
تخاف الردى نفسي عليك وإنها　　لتعلم أن الموت وقت مؤجل
وأن ليس عن ورد المنايا مؤخر　　لعز ولا عنها لذل معجل
فلما بلغت السن في الغاية التي　　إليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائي منك جبها وغلظة　　كأنك أنت المنعم المتفضل
وسميتني باسم المفند رأيه　　وفي رأيك التفنيد لو كنت تعقل
فليتك إن لم ترع حق أبوتي　　كما يفعل الجار المجاور تفعل
وإن كنت شيئاً فالتمس لك والداً　　أبا لك تدعوه أباً حين تسأل
فإني أرى فيمن رأيت معاشراً　　بآبائهم آباء سوء تبدل
كما رضيت للحين كَلْبٌ بحِمّيَرٍ　　أبا من معد ضَلَّة ما تقول

إلى أي عـــز أو إلى أي ثـــروة عن ابـن رسـول الله كانـت تحـول
فما استوحش الحي المقيم لرحلة الخليـط ولا عـز الـذين تحملـوا
لتـارك يومـاً مشـية مـن سـجية لأخـرى ففاتتـه وأصـبح يحجـل

* * *

٢٠٨١-قال عبد الله بن مالك:كنت أتولى الشرطة للخليفة المهدي (محمد) وكان يبعث إليَّ في ندماء ولده الهادي (موسى) أن أضربهم وأحبسهم صيانة للهادي عنهم، فيبعث إليَّ الهادي يسألني الرفق بهم والتخفيف من أمرهم، فلا التفت إلى ذلك، وأمضى لما يأمر به المهدي، فلما ولي الهادي الخلافة أيقنت بالتلف، فبعث إليَّ يوماً، فحضرت ودخلت عليه متكفنا متحنطا، وإذا هو جالس على كرسي والنطع والسيف بين يديه، فسلمت عليه فقال: لاسَلَّم الله عليك، تذكر يوماً بعثت إليك في أمر الحراني لما أمر أمير المؤمنين بضربه، فلم تجبني؟ وفي فلان وفلان وجعل يعدد ندماءه، قلت: نعم يا أمير المؤمنين أفتأذن لي أن أتكلم؟ قال: نعم قلت: أنشدتك الله! أيسرك أنك وليتني ما ولاني أبوك وأمرتني بامر، فبعث إلّي بعض ولدك بأمر يخالف أمرك فاتبعت أمره وعصيت أمرك؟ قال: لا، فقلت: فكذلك أنا لك، وكذلك كنت لأبيك، فأستدناني، فقبلت يده، فأمر بخلع أفيضت عليَّ وخرجت من عنده، وصرت إلى مترلي مفكراً في أمره وأمري وقلت في نفسي، قد يحدث القوم بالأمر الذي عصيته فيه، وندماؤه وكتابه فكأني بهم قد أزالوه عن رأيه وحملوه

في أمري ما كنت أتخوفه! قال: فإني لجالس وبين يدي خبز مشطور بكامخ (نوع من الأدم) وأنا أسخنه وأطعمه الصبية، وإذا ضجة عظيمة حتى توهمت أن الدنيا قد اقتلعت وزلزلت من شدة وقع حوافر الخيل والدواب وكثرة الضوضاء فقلت: هاه! والله قد جاء الأمر، وإذا بالباب قد فتح وإذا الخدم قد دخلوا، وإذا أمير المؤمنين الهادي في وسطهم، فلما رأيته وثبت من مجلسي مبادراً فقبلت يده ورجله، فقال لي: ياعبد الله، إني فكرت في أمرك بعد انصرافك فقلت:قد يسبق، إلى قلبك أني إذا جلست وحولي أعداؤك الذين أسأت إليهم أزالوا ما حَسُنَ من رأيي فيك، فأقلقك ذلك وأوحشك، ومنعك القرار، فصرت إلى مترلك لأؤانسك، وأعلمك أن الوحشة قد زالت عن قلبي، فهات فاطعمني مما كنت تأكل، وأفعل فيه ما كنت تفعل.حتى تعلم أن الوحشة قد زالت، وقد تحرمت بطعامك، وأنست بمترلك ليزول خوفك ووحشتك، فأدنيت منه ذلك الرقاق والسكرية (إناء صغير) التي فيها الكامخ، فأكل ثم قال: هاتوا ما أحضرتموه لعبد الله في مجلسي، فأدخلت بغال كثيرة موقرة دراهم وأطعمة وقال هذه استعن بها، وهذه البغال أيضاً، وقد وليتك ما كان أبي ولاك ثم انصرف، وصرت بعد ذلك أعد من صنائعه (ذوي الحظوة لديه).

*   *   *

٢٠٨٢- قال يحيى بن الربيع: دخل أبو عبد الله على المهدي وكان قد وجد عليه (غضب) في أمر بلغه عنه، وأبو العتاهية حاضر المجلس، فجعل المهدي يشتم أبا عبد الله ويتغيظ عليه، ثم أمر به فَجُرَّ برجله وحبس، ثم أطرق المهدي طويلاً فلما سكن أنشده أبو العتاهية:

أرى الدنيا لمن هي في يديه عذاباً كلما كثرت عليه

تهين المكرمين لها بصغر وتكرم كل من هانت عليه

إذا استغنيت عن شيء فدعه وخذ ما أنت محتاج إليه

فتبسم المهدي وقال لأبي العتاهية أحسنت، فقام أبو العتاهية ثم قال: والله ياأمير المؤمنين ما رأيت أحداً أشد إكراماًللدنيا ولا أصون لها، ولا أشح عليها من هذا الذي جُرَّ برحله الساعة، ولقد دخلت إلى أمير المؤمنين ودخل وهو أعز الناس،فما برحت حتى رأيته أذل الناس ولو رضى من الدنيا بما يكفيه لاستوت أحواله ولم تتفاوت، فتبسم المهدي ودعا بأبي عبيدة فرضي عنه، فكان أبو عبيدة يشكر لأبي العتاهية ذلك.

* * *

٢٠٨٣- هذه العمالة الوافدة التي امتلأت منها البيوت والشوارع والساحات والمزارع والمصانع وكادت أعدادهم أن تطغى على أعداد السكان من المواطنين وأصبحت مضرهم واضحة للعيان، ولكن مع ذلك لا غنى عنهم، واصبحوا نزيفاً حاداً للاقتصاد الوطني، حيث يتدفق سيل جارف

من الريالات والدولارت خارجة من حدود الوطن إلى البلدان التي قدموا منها من شرق آسيا وشرق أفريقيا، ومن مختلف الاتجاهات حين بلغت أعداد هذه الأيدي العاملة من الذكور والآناث الملايين فضلاً عما جلبوه معهم من المشاكل من سرقات وسحر وفجور وخمور عكرت بيئتنا، أتدري كم عمر دخول هذه العمالة التي أنصبت علينا كالطوفان الجارف فقد تم ذلك في عام ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م أول دخول الأيدي العاملة الآسيوية إلى المملكة مع أول سنوات الطفرة ١٣٩٦-١٩٧٦م،وذلك لتنفيذ المشاريع التي انبثقت من الطفرة المالية وعمال المزارع والمصانع وخدم البيوت حين احتاج الناس إلى التوسع في الصناعة والعمران حتى أصبحوا كل شيء في البلد فكل اليد العاملة بالبلد هي العمالة الوافدة من أكبر الأمور إلى أصغرها، ومع كثرتهم من مختلف الجنسيات والشعوب تكونت منهم بؤر فساد وعصابات سرقة ومروجي مخدرات ومشروبات مسكرة ودور فساد وغير ذلك من السلبيات الضارة، وإن كان لوجودهم خدمة للمواطنين بتدبير وتسيير أعمالهم وخدمة للدولة من قيمة تأشيرات الدخول ورسوم الإقامة، ولكن هذه الخدمة في حقها يتقاضون عنها هذه الأموال ويحولونها لبلدانهم كتريف حاد للاقتصاد الوطني كما سبق، والآن البلد تحت أسرهم وتصرفهم فيما يختص بتنفيذ الأعمال التي يصل الأمر فيها بعض الأحيان إلى درجة الابتزاز والاستغلال وربما لو يرحلون عنا لتعطلت كثير من الأعمال إلا أن يؤتى بعمالة أخرى قد تكون أسوأ من هؤلاء، واصبح مع الأسف

المواطن لا يقوم بواجب من الواجبات التي كان يقوم بها آباؤه وأجداده بل وحتى هو قبل التاريخ المشار إليه عام ١٣٩٦هـ، ففي ذلك الوقت كان المواطن هو الذي يقوم بكثير من الأعمال التي يحتاجها حتى بوجود اليمنيين آنذاك الذين كانوا بالبلد قبل مجئ العمالة الحاضرة، كان المواطن يقوم بأعمال كثيرة ، أما الآن فإنه لا يقوم بأي عمل مما سبب تكدس البطالة بين الشباب وكثرت مشاكلهم من السلب والنهب والسرقة وغير ذلك.

* * *

٢٠٨٤- نزل جرير على عنبسة بن سعيد بن العاص (أحد أشراف بني أمية) بواسط ولم يكن أحد يدخلها إلا بإذن الحجاج، فلما دخل على عنبسة قال له: ويحك! لقد غررت بنفسك، فما حملك على ما فعلت؟ قال: شعر قلته أعتلج في صدري، وحاشت به نفسي، وأحببت أن يسمعه الأميرة فعنَّفَهُ وأدخله بيتاً في جانب داره، وقال: لا تطلعن راسك حتى تنظر كيف تكون الحيلة لك، ولم يلبث أن أتاه رسول الحجاج من ساعته يدعوه في يوم قائظ وهو قاعد في الخضراء (واسط) وقد صب فيها ماء أستنقع في اسفلها، وهو قاعد على سرير وكرسي موضوع ناحية، فقال عنبسة قعدت على الكرسي، وأقبل إليّ الحجاج يحدثني، فلما رأيت تطلعه وطيب نفسه قلت: أصلح الله الأمير! رجل من شعراء العرب قال فيك شعراً أجاد فيه، فاستخفه عجبه به حتى دعاه إلى أن

رحل إليك، ودخل مدينتك من غير أن يستأذن له، قال: ومن هو؟ قلت: ابن الخطفي، قال: وأين؟ قلت: في المترل، قال: ياغلام، فأقبل الغمان يتسارعون قال: صف لهم موضعه من دارك ، فوصفت لهم البيت الذي هو فيه، فانطلقوا حتى جاءوا به، وأدخل عليه وهو مأخوذ بضبعيه (عضديه) ثم رمي به في الخضراء فوقع على وجهه في الماء، ثم قام يتنفش كما يتنفش الفرخ فقال له: هيه! ما أقدمك علينا بغير إذننا؟ لا أم لك! قال: أصلح الله الأمير، قلت: في الأمير شعراً لم يقل مثله أحد، فجاش في صدري، وأحببت أن يسمعه مني الأمير، فأقبلت به إليك، فتطلق الحجاج وسكن واستنشده، فأنشده، ثم قال: ياغلام: فجاءوا يسعون قال: عليَّ بالجارية التي بعث بها إلينا والي اليمامة، فأتى بجارية بيضاء، مديدة القامة، فقال: إن أصبت في صفتها فهي لك، فقال: ليس لي أن أقول فيها وهي جارية الأمير، فقال: بلى فتأملها واسألها، فقال: ما سمك؟ فأمسكت، فقال لها الحجاج خبريه، فقالت: أمامة فأنشأ:

ودع أمامه حان منك رحيل ... إن الوداع لمن تحب قليل

مثل الكثيب تمايلت أعطافه ... فالريح تجبر متنه وتميل

هذى القلوب صواديا تيمتها ... وأرى الشفاء وما إليه سبيل

فقال الحجاج: قد جعل الله لك السبيل إليها فخذها فهي لك، فضرب بيده إلى يدها فتمنعت عليه فقال:

إن كان طبكم الدلال فإنه ... حسن ولا لك يا أمام جميل

فاستضحك الحجاج وأمر بتجهيزها معه إلى اليمامة وكانت من أهل الري وكان إخوالها أحراراً فاتبعوه وأعطوه حتى بلغوا عشرين الفا فلم يقبل ففي ذلك يقول:

إذا عرضوا عشرين الفا تعرضت ... لام حكيم حاجة هي ما هيا

لقد زدت أهل الري عندي مودة ... وحببت أضعافاً إلي المواليا

فأولدها حكيماً وبلالاً وحزرة.

* * *

٢٠٨٥- قال الزبير بن بكار: حدثني أبو غزية وكان قاضيا بالمدينة قال: كان اسحاق بن عزيز يتعشق "عبادة" جارية المهلبية وكانت المهلبية منقطعة إلى الخيزران (أم هارون الرشيد) فركب اسحاق يوماً ومعه عبد الله بن مصعب يريدان المهدي فلقيتنا عبادة فقال اسحاق: يا أبا بكر هذه عبادة وحرك دابته حتى سبقها فنظر إليها فجعل عبد الله بن مصعب يتعجب من فعله مضيا ومضيا فدخلا على المهدي، فحدثه عبد الله بن مصعب بحديث اسحاق وما فعله فقال: أنا اشتريتها لك يا اسحاق ودخل إلى الخيزران فدعا بالمهلبية فحضرت فأعطاها بعبادة خمسين ألف درهم فقالت له: يا أمير المؤمنين إن كنت تريدها لنفسك فبها فداك الله، وهي لك، فقال: إنما أريدها لأسحاق بن عزيز بما جرى، وقال له: الخمسون ألف درهم مكانها وأمر له بها فأخذها عبادة فقال أبو العتاهية:

مـــن صـــدق الحـــب لأحبابـــه	فـــإن حـــب ابـــن عزيـــز غـــرور
انســـاه عبـــادة ذات الهـــوى	واذهـــب الحـــب الـــذي في الضـــمير
خمســـين الفـــا كلـــها راجـــح	حسنا لهـــا في كـــل كـــيس صـــرير

*   *   *

٢٠٨٦- الحرس الوطني هذا الجهاز الذي أصبح يضارع وزارة الدفاع في الوقت الحاضر بل قد أصبح وزارةالحرس الوطني بما فيه من الأفراد والتدريب والأمور العسكرية ولا من حيث التسليح الخفيف وتعدد الفروع والتفرعات والمهمات التي يقوم بها وقت الحاجة أتدري متى بدأ الحرس الوطني فقد تعين أول رئيس للحرس الوطني عام ١٣٧٤هـ هو سمو الأمير عبد الله بن فيصل بن فرحان آل سعود على عهد الملك سعود حتى عام ١٣٧٦هـ وفي ١٣٨٢/٩/١١هـ أصدرالملك سعود بن عبد العزيز رحمه الله مرسوماً يقضي بتعيين سموا الأمير عبد الله بن عبد العزيز آل سعود (الملك الحالي) رئيساً للحرس الوطني وعلى يديه تم تطوير الحرس الوطني بعد أن كان على من يسمون المجاهدين طوره إلى منشأة وطنية حديثة العناصر البشرية والتجهيز والتدريب ثم اختيار المكان المناسب له وكان في البداية كما أذكر في حي المربع وكان الشيخ عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري رحمه الله اليد الفاعلة تحت توجيهات الرئيس لكل ما جرى ويجري في الحرس من تطوير وتحديث وقد حاول رحمه الله نقل خدماتي من وزارة الدفاع والطيران لأتولى قسم الابتعاث

للدرسات العليا في الخارج لحساب الحرس الوطني لكن رئيس الأركان في وزارة الدفاع عارض في ذلك الوقت قائلاً: نحن بأمس الحاجة إلى هذا الشخص الذي تولى قسم الابتعاث بإدارة الثقافة والتعليم بوزارة الدفاع والطيران لمدة عشر سنوات فلن نفرط به، وبقيت في مكاني. أما الحرس فقد تقدم تقدماً ملحوظاً ولايزال في عهد سمو الأمير (الملك) منذ أن تولاه وحتى الآن وعينه من ورائه ودونه ثم حوله إلى وزارة باسم وزارةالحرس الوطني ووزيره سمو الأمير متعب بن عبد الله بن عبد العزيز آل سعود وكان قبل ذلك رئيساً للحرس بمكان أبيه حفظه الله.

* * *

٢٠٨٧- خرج العديل بن الفرخ العجلي يريد الحجاج فلما صار ببابه حجبه الحاجب فوثب عليه العديل وقال: إنه لن يدخل على الأمير بعد رجالات قريش من هو أكبر مني ولا أولى بهذا الباب فنازعه الحاجب الكلام، فأحفظه (أغضبه) وانصرف العديل عن باب الحجاج إلى يزيد بن المهلب، فلما دخل إليه أنشأ يقول:

لئن أرتج الحجاج بالبخل بابه	فباب الفتى الأزدي بالعرف يفتح
فتى لا يبالي الدهر ما قل ماله	إذا جعلت أيدي المكارم تسنح
يداه يدا بالعرف تنهب ما حوت	وأخرى على الأعداء تسطو وتجرح
إذا ما أتاه المرملون تيقنوا	بأن الغنى فيهم وشيكا سيسرح

أقام على العافين حراس بابه ينادونهم والحر بالحر يفرح
هلموا إلى سيب الأمير وعرفه فإن عطاياه على الناس تنضح

فقال له يزيد: عرضت بنا وخاطرت بدمك وبالله لا يصل اليك في حيزي ثم أمر له بخمسين الف درهم، وأمر له بأفراس وقال له: الحق بعلياء نجد واحذر أن تعلقك حبائل الحجاج أو تحتنك محاجنه وابعث إليّ في كل عام فلك على مثل هذا فارتحل.

* * *

٢٠٨٨- قال ابن دأب: خرج ركب من ثقيف إلى الشام وفيهم أمية بن أبي الصلت، فلما قفلوا راجعين نزلوا مترلاً ليتعشوا بعشاء إذ أقبلت عضاية (العضاية دويبة ملساء)حتى دنت منهم فحصبها بعضهم بشئ في وجهها فرجعت وكفتوا (ضموا) سفرتهم ثم قاموا يرحلون فطلعت عليهم عجوز من وراء الكثيب مقابل لهم تتوكأعلى عصا فقالت: ما منعكم أن تطعموا رجيمة الجارية اليتيمة التي جاءتكم عشية! قالوا: ومن أنت؟ قالت: أنا أم العوام إِمْتُ منذ أعوام (إمت فقدت زوجي فأصبحت أيماً) أما ورب العباد لتفترقن في البلاء وضربت بعصاها الأرض ثم قالت بطيء إيابهم ونَفِّرِيْ ركابهم فوثبت الابل كأن في ذروة كل بعير منها شيطان ما يملك منها شيء حتى افترقت في الوادي فجمعناها في آخر النهار من الغد ولم نكد فلما أنخناها لنرحلها طلعت علينا العجوز فضربت الأرض بعصاها ثم قالت كقولها الأول ففعلت الابل كفعلها

بالأمس فلم نجمعها إلا الغد عشيه فلما أنخناها لنرحلها أقبلت علينا العجوز ففعلت كفعلها في اليومين ونفرت الابل فقلنا لأمية: اين ما كنت تخبرنا به عن نفسك؟ فقال: إذهبوا أنتم في طلب الابل ودعوني فتوجه إلى ذلك الكثيب الذي كانت العجوز تأتي منه حتى علاه وهبط منه إلى واد فيه كنيسة وقناديل وإذا رجل مضطجع معترض على بابها، وإذا رجل أبيض شعر الرأس واللحية فلما رأى أمية قال: إنك لمتبوع فمن أين يأتيك صاحبك؟ قال: من إذني اليسرى قال فبأي الثياب يأمرك؟ قال بالسواد، قال: هذا خطيب الجن، كدت والله أن تكونه و لم تفعل إن صاحب النبوة يأتيه صاحبه من قبل أذنه اليمنى ويأمره بلباس البياض فما حاجتك؟ فحدثه حديث العجوز فقال صدقت وليست بصادقه!! هي إمرأة يهودية من الجن هلك زوجها منذ أعوام وإنها لن تزال تصنع ذلك بكم حتى تهلككم إن استطاعت فقال أمية: وما الحيلة؟ فقال: إجمعوا ظهركم (ركابكم) فإذا جاءتكم ففعلت كما كانت تفعل فقولوا لها سبعاً من فوق وسبعاً من أسفل باسمك اللهم فلن تضركم فرجع أمية إليهم وقد جمعوا الظهر فلما أقبلت قال لها ما أمره به الشيخ فلم تضرهم فلما رأت الابل لم تتحرك قالت: عرفت صاحبكم وليبيضن أعلاه وليسودن أسفله فأصبح أمية وقد برص مذاريه وأسود أسفله فلما قدموا مكة ذكروا لهم الحديث فكان ذلك أول ما كتب أهل مكة "باسمك اللهم" في كتبهم قبل نزول بسم الله الرحمن الرحيم (الجدير بالذكر أن أمية كان يدعي أن عنده شيء من علم الغيبيات).

٢٠٨٩- كانت بعض المدن حتى عهد قريب منغلقة على نفسها من قبل رجال متشددين مما لا يتمشى مع روح العصر من ذلك مدينة بريدة التي قامت بها مطالبة من مجموعة من الشباب في عام ١٣٧٦هـ ١٩٥٦م والمطالبة تتمثل في السماح باستخدام المذياع "الراديو" وفتح المطاعم والمقاهي وجميع الأشياء الحديثة لمواكبة العصر وتعتبر هذه المطالبة أول مطالبة من الشباب في التاريخ السعودي وكان التدخين من أكبر الموبقات وأعظم المعاصي وقد سمعت أنه عام ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م جاء مسافر من المنطقة الشرقية وكان يبع سجائر الدخان هناك وهو مسموح وما فيه من بأس جاء هذا الرجل منتقلاً إلى إحدى مدن الحجاز مكة أو المدينة أو جدة مروراً ببريدة ضمن ركاب على سيارة شحن (لوري) ولما وصلت السيارة إلى بريدة وبات ركاب السيارة ببريدة وفي الصباح قال السائق للركاب إننا سنتحرك من هنا بعد صلاة الظهر وقبيل أذان العصر فقال أحد المسافرين في نفسه: الآن معي عدة ساعات يمكن أن استفيد منها فأخرج صندوق عرض السجائر الصغير وعبأه "بالبكيتات" وعلقه على صدره في عدداً من أنواع علب السجائر وتحرك من عند رفاقه في ظل تلك الأثلة متجها إلى السوق ويالها من مصيبة عندما وصل إلى السوق أمسكه رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذين اعتبروا بيع الدخان علنا بالسوق من الأمور الكبيرة فأخذوه وما معه فأتلفوا ما معه من الدخان وحجزوه في غرفة التوقيف وعندما أراد صاحب السيارة أن يتحرك وتفقد ركاب سيارته فقدوا ذلك الرجل

وبعد جهد جهيدمن البحث وجدوه عند أذان المغرب لدى مركز الهيئة فحاولوا إخراجه لمصاحبتهم لكن المسئول بالمركز رفض إلا أن يبقى موقوفا لمدة ثلاثة أيام عند ذلك أنزل صاحب السيارة (شنطته) وفراشه عند المركز وذهب في حال سبيله هذه القصة رواهالي رجل ثقة.

* * *

٢٠٩٠- قال السائب راوية كثير: والله إني لأسير يوماً مع كثير (بن عبد الرحمن) حتى كنا من المدينة على أميال لقينا إمرأة في رحالة (السرج) متنقبة معها عبيد لها يسعون معها فمرت جنابي (ناحيتي) فسلمت ثم قالت: ممن الرجل؟ قلت من أهل الحجاز قالت فهل تروي لكثير شيئاً؟ قلت نعم قالت أما والله ما كان بالمدينة من شيء هو أحب إليَّ من أن أرى كثير وأسمع شعره فهل تروي له قوله.

أها جك برق آخر الليل واصب.

قلت نعم فانشدها إياها وآخرها قالت: فهل تروي قوله:

كأنك لم تسمع ولم تر قبلها ... تفرق ألاف لهن حنين

قلت: نعم فأنشدها حتى انتهيت على قوله:

فلم أر مثل العين ضنت بمائها ... علي ولا مثلي على الدمع يحسد

فقالت: قاتله الله! فهل قال مثل قول كثير أحد على الأرض ! والله لأن أكون رأيت كثير أو سمعت منه شعره أحب إلى من مئة ألف درهم فقلت: هو ذاك الراكب أمامك وأنا السائب راويته قالت: حياك الله! ثم ركضت بغلتها حتى ادركته فقالت: أنت كثير قال: مالك؟ ويلك! فقالت: أنت الذي تقول:

إذا حسرت عنه العمامة راعها　　جميل المحيا أغفلته الدواهن

والله ما رأيت عربيا قط أقبح ولا أحقر ولا الأم منك! قال: أنت والله أقبح مني وألأم قالت له: أولست القائل:

تراهن إلا أن يؤدين نظرة　　بمؤخر عين أو يقلبن معصما

يحاذرن مني غيرة قد عرفنها　　قديما فما يضحكن إلا تبسما

لعن الله من يفرق (يخاف) منك قال بل لعنك الله من أنت؟ قالت: لا يضرك: حياك الله يا أبا صخر! ما كان بالمدينة رجل احب إلي وجها ولا لقاء منك ثم قالت: أتعرفني؟ قال: اعرف أنك لئيمة من اللئام وسايرها حتى الجبل ثم قالت له: يا أبا صخر، أضمن لك مئة ألف درهم عند بشر بن مروان إن قدمت عليه، قال: أفي سبك إياي أو في سبي إياك تضمنين لي هذا والله لا أخرج إلى العراق على هذه الحال فلما قامت تودعه سفرت فإذا هي أحسن ما رأيت من أهل الدنيا وجها وأمرت له بعشر آلاف درهم.

٢٠٩١- رفيقي الشاعر علي بن ابراهيم الحاتم زارني في مكتبتي واستعرضنا الأوراق القديمة بما في ذلك الرسائل التي تبادلنا ها حتى وقع نظره على هذه القصيدة التي أرسلها لي في ١٤٠٩/١/٢٩هـ فأمسكها بيده وقال: طلبتك طلبة لا تردها قلت له: أبشريا أبا ناصر طلبك على العين والرأس قال: أن تنشر هذه القصيدة التي رقدت في درجك لأكثر من عشرين سنة فقلت له: ابشر وهذه قصيدته:

٨٦- مَعْرُوْفْ جِهْدَكْ يَالسُّوَيدا وْمَشْكُورْ ... أَرْسَلْتْ لِيْ عِدَّةْ هَدَايَا ثِمِيْنَةْ
٨٧- كِتْبٍ حَوَتْ فِي جَوْفَهَا دِرْ وِزْهُوْرْ ... تَا تِحْتَفِظْ فِيْهَا أَيَادٍ أَمِيْنَةْ
٨٨- فِيْها الكَلَامْ اللّي مْسَجَّلْ وْمَسْطُوْرْ ... إِنْتَاجِكَمْ يَاهْلَ العُقُوْلْ الرِّزِيْنَةْ
٨٩- رَاي سِدِيْد وَالحَصَافَةْ لَهَا دَوْرْ ... رَاعْ الفِكِرْ مِثْلَكْ عَسَى الله يْعِينَهْ
٩٠- الْكِتْبْ تَشْرَى بِالمَكَاتِبْ وْبَالدُّوْرْ ... وَالّي قُرَاهَا قَالْ: تَسْلَمْ يِمِيْنَهْ
٩١- دَارْ النَّشِرْ عِنْدَكْ بَهَا شعشع النور ... نُوْرٍ كِمَا نُوْرَ الفَجِرْ تَأْبعِيْنَهْ
٩٢- اللّي قَرَى الانْتَاجْ فَرْحٍ وْمَسْرُوْرْ ... إِبْنَ الوِطَنْ يَقْرَاهْ قَلْبَهْ وْعَيْنَهْ
٩٣- أَرْجُو السُّمُوحْة لاَحَصِلْ منّي قَصُوْرْ ... غَلاكْ فِي قَلْبِي حْبَالَهْ مِتِيْنَةْ

* * *

٢٠٩٢- قال خالد بن محمد بن شماس: نهى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس أن ينشدوا شيئاً من مناقضة الأنصار ومشركي قريش وقال: في ذلك شتم الحي بالميت وتجديد الضغائن وقد هدم الله أمر الجاهية بما جاء

في الاسلام فقدم المدينة عبد الله بن الزبعري السهمي وضرار بن الخطاب الفهري ثم المحاربي فنزلا على أبي أحمد بن جحش وقالا له: تحب أن ترسل إلى حسان بن ثابت حتى يأتيك فننشده وينشدنا مما قلنا له وقال لنا فأرسل إليه فجاءه فقال له: هذان أخوان ابن الزبعري وضرار قد جاءا أن يسمعاك وتسمعهما ما قالا لك وقلت لهما فقال ابن الزبعري وضرار: نعم يا أبا الوليد إن شعرك كان يحتمل في الاسلام ولا يحتمل شعرنا وقد أحببنا أن نسمعك وتسمعنا فقال حسان أفتبدآن أم ابدأ؟ قالا: لا نبدأ نحن قالا: ابتدأنا فأنشداه حتى فار كالمرجل غضبا ثم استويا على راحايتهما يريدان مكة، فخرج حسان حتى دخل على عمر بن الخطاب فقص عليه قصتهما وقصته فقال عمر: لن يذهب عنك شيء إن شاء الله وأرسل من يردهما وقال له عمر: لو لم تدركهما إلا بمكة فارددهما علي وخرجا فلما كانا بالروحاء (موضع بين مكة والمدينة على نحو ٣٠ كيلا من المدينة) رجع ضرار إلى صاحبه بكره فقال له: يا ابن الزبعري! أنا أعرف عمرو ذَبَّهُ عن الاسلام وأهله وأعرف حسان وقله صبره على فعلنا به وكأني به وقد جاء عمر وشكا إليه ما فعلنا فأرسل في آثارنا وقال لرسوله: لو لم تلحقهما إلا بمكة فارددهما عليَّ فاربح بنا نترك العناء وأقم بنا في مكاننا فإن كان الذي ظننت فالرجوع من الروحاء أسهل منه من أبعد منها، وإن أخطأ ظني فذلك الذي نحب ونحن من وراء المضي، فقال ابن الربعري: نعم ما رأيت فأقاما بالروجاء فما كان إلا كمر الطائر حتى وافاهما رسول عمر فردها إليه فدعا لهما

بحسان وعمر في جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لحسان أنشدهما مما قلت لهما فأنشدهما حتى فرغ مما قال لهما فوقف فقال في الملإ وقال لهما عمر: إن شئتما فأقيما وإن شئتما فانصرفا، وقال لمن حضره: إني كنت نهيتكم أن تذكروا ما بين المسلمين والمشركين شيئاً دفعا للتضاغن عنكم وبث القبيح فيما بينكم فأما إذا أبوا فاكتبوه واحتفظوا به، فدونوا ذلك عندهم قال خلاد بن محمد: فأدركته والله إن الأنصار لتجدده عندها إذا خافت بلاه.

* * *

٢٠٩٣- من منا لا يذكر كارثه نفق المعيصم بمكة المكرمة تلك الكارثة التي تزلزلت لوقعها الأبدان وتفطرت القلوب وتصدعت النفوس حين امتدت الأيادي الأثمة إلى حجاج بيت الله الحرام يوم عيد الأضحى عندما تحلل الحجاج من فسخ الحج، وكان لهذا الحدث وقعا مؤلما في جميع أنحا العالم العربي والاسلامي، فلم يقتصر أذى أهل الشر على الشريرين مثلهم بل امتد شرهم إلى الخيرين من المسلمين الحجاج الذين وفدوا إلى البيت الحرام من مختلف أصقاع الأرض لاداء فريضة الحج أو المقيمين في مكة المكرمة من السكان والذين كانت أقدارهم قد ساقتهم أن يكونوا في ذلك النفق لحظة الكارثه فاغتالتهم المنية مع الشهداء فما أقساها من كارثة حيث لم يكن هناك من مفرأ وهروب للناس من نفق مشقوق في جوف الجبل على امتداد مئات الأمتار فتدافع الناس بقوة هائلة بفعل دفع

الغاز السام، وبتأثير الغاز السام والتدافع الشديد هلك عدد كبير من الناس وذلك ما حدث في ضحى يوم ١٠/١٢/١٤٠٩هـ ١٩٨٨م حين قام مجموعة من البغاة باطلاق غاز سام في نفق المعيصم قرب الحرم الشريف وهزت العملية العالم الاسلامي من حيث موعدها في ضحى يوم العيد بعد أن تحلل الحجاج من إحرامهم ومن حيث عنفها فقد تسبب في هلاك كثير من الحجاج الأبرياء الذين يعدون إن شاء الله من الشهداء، وإنا لله وإنا إليه راجعوة والأنفاق التي تحت الجبال من الصعب مراقبتها أو التحكم فيمن يدخل فيها خاصة في أيام الازدحام في موسم الحج ووضع الحجاج وما يحملونه معهم من أغراضهم الشخصية، حيث أن هناك حجاج يحملون حقائب وفرش ملفوفة وصرر على كواهلهم ومن السهل من بين هذه الجموع من يريد فعل الشر بحمل أنبوبة غاز أو قنبلة أو متفجرات أخرى ويدخل النفق حيث ينحصر وجود الأكسجين في نطاق هذا النفق بكمية محدودة مما يؤدي إلى الاختناق مع أنفاس الناس العابرين للانفاق والتي تستوعب جزءاً كبير من الأكسجين ولقد مررت بالنفق بعد ذلك ورأيت ما فيه من تحسينات ولكنها لا تغني عند الأزمات.

* * *

٢٠٩٤- دخل كثير بن عبد الرحمن على عزة فقالت: ما ينبغي أن نأذن لك بالجلوس قال: ولم ذلك؟ قالت: لأني رأيت الأحوص ألين جانبا عند القوافي منك في شعره، واضرع خداً للنساء وإنه الذي يقول:

يا ايهــا اللائمــي فيهــا لأصــرعها ... أكثرت لو كان يغــني عنــك إكثــار

أقصر فلست مطاعاً إذ وشــيت بهــا ... لا القلب ســال ولا في حبــها عــار

ويعجبني قوله:

أدور ولـــــولا أن أرى أم جعفـــــر ... بـــا بيـــاتكم مـــادرت حيـــث أدور

وما كنت زواراً ولكــن ذا الهــوى ... إذا لم يــــزر لابــــد أن ســــيزور

لقــد منعــت معروفهــا أم جعفــر ... وإني إلى معروفهــــــا لفقـــــــير

ويعجبني قوله:

كم من دَنِيٍّ لها قــد صــرت أتبعــه ... ولو صحا القلب عنها كــان لي تبعــا

لا أســتطيع نزوعــاً عــن محبتــها ... أو يصنع الحب بي فوق الــذي صــنعا

ادعــو إلى هجرهــا قلــبي فيتــبعني ... حتى إذا قلــت هــذا صــادق نزعــا

وزادني رغبــة في الحــب أن منعــت ... أشهى إلى المرء من دنيــاه مــا متنعــا

وقوله:

إذا أنت لم تعشق ولم تــدرما الهــوى ... فكن حجراً من يابس الصخر جلمــدا

وما العــيش إلا أن تلــذ وتشــتهي ... وإن لام فيــه ذو الشـــنان وفنـــدا

وإني لأهواهـــا وأهـــوى لقاءهـــا ... كما يشتهي الصادي الشراب المــبردا

فقال كثير: والله لقد أجاد، فما استجفيت من قولي؟ قالت فذلك قولك:

وكنت إذا ما جئت أجللن مجلسي وأظهرن مني هيبة لا تجهما
يحاذرن مني غيرة قد عرفنها قديما فما يضحكن إلا تبسما
تراهن إلا أن يؤدين نظرة بموخر عين أو يقلبن معصما

وقولك:

وددت وبيت الله أنك بكرة هجاناً وأني مصعب ثم نهرب
كلا نابه عُرٌّ فمن يرنا يقل على حسنها جرباء تعدي وأجرب
نكون لذي مال كثير مغفل فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب
إذا ما وردنا منهلاً صاح أهله علينا فما ننفك ننفي ونضرب

ويحك! لقد أردت في الشنعاء وما وجدت أمنية أوطأ من هذه! فخرج من عندها خجلاً.

* * *

٢٠٩٥- قال يوسف بن أبي سليمان بن عنيزة: هجا عبد الله بن محمد الأحوص (الأنصاري) رجلاً من الأنصار من بني حرام يقال له ابن بشير وكان كثير المال، فغضب من ذلك، فخرج حتى قدم على الفرزدق بالبصرة وأهدى إليه وألطفه (أكرمه وبره بطرف من التحف) فقبل منه ثم جلسا يتحدثان، فقال الفرزدق: ممن أنت؟ قال: من الأنصار قال: من أقوياء

قال: جئت مستجيراً بالله عز وجل ثم بك من رجل هجاني، قال: قد أجارك الله منه وكفاك مؤنته، فأين أنت من الأحوص؟ قال: هو الذي هجاني فأطرق ساعة ثم قال: اليس هو الذي يقول:

ألا قف برسم الدارفا سنطق الرسمـا فقد هـاج أحـزاني وذكـرني نعمـا

قال: بلى، قال: فلا والله لا أهجو رجلا هذا شعره، فخرج ابن بشير فاشترى أفضل من الشراء الأول من الهدايا فقدم على جرير فأخذها وقال له: ما أقدمك؟ قال جئت مستجيراً بالله ثم بك من رجل هجاني قال: قد أجارك الله عز وجل منه وكفاك، وأين أنت من ابن عمك الأحوص بن محمد؟ قال: هو الذي هجاني، فأطرق ساعة ثم قال: أليس هو الذي يقول:

تمشي بشـتمي في أكـاريس مالـك تشيد به كالكلـب إذ ينـبح النجمـا

فما أنا بالمخسوس في جـذم مالـك ولا بالمسـمى ثم يلتـزم الاسمـا

ولكـن بـيتي إن سـألت وجدتـه توسط منها العز والحسـب الضـخما

قال: بلى والله قال: فلا والله لا أهجو شاعراً هذا شعره، قال فاشترى افضل من تلك الهدايا وقدم على الأحوص فاهداها إليه وصالحه.

* * *

٢٠٩٦- الظواهر الطبيعية مثل كسوف الشمس وخسوف القمر من الأشياء التي تحدث بين الحين والآخرلكن أشد كسوف للشمس شهدته هو ما

حدث في شهر ذي القعدة عام ١٣٧١هـ ١٩٥١م حين اكسفت الشمس في الحادية عشرة صباحاً واختفت تماماً وصارت السماء سوداء وظهرت النجوم كأنك من منتصف الليل وأوت الطيور إلى أعشاشها وأماكن مبيتها وكنا في ذلك اليوم قد حملنا على سيارة علي الحساوي خشبا للعم عبد الرحمن بن عبد الله السويداء رحمه الله ليسقف به مترله في حائل وقبل ذلك بنحو ساعة كنت مع زملائي قد أحضرنا شبكا من هميد شجر الشبرم (السلا) لونه أسود وذلك لاستخدامه علفا للمواشي وكانت تلك السنة مجدبة ودهر شديد ما حق، فلم يبق من العلف إلا أشجار (السلا) الهامد الأسود ونجلبه من جبال مسامير، وجذوع السخبر "الجعثن" نحضره من مسائل الشعاب مما هو شمال جبل سابل نقتلعه ثم يدق وينعم وتعلف منه البهائم، وبعد أن أنزلنا شبك السلا أخبرونا أنا وبعض زملائي أن العم (دحيم) يحمل خشب فجئنا فزعين لنساعد مع من يحملون ولما بد أنا بالتحميل رأينا السماء قد تغيرت وصار الواحد يرى ظله يهتز فوق الأرض و لم يمض حوالي نصف ساعة إلا وقد اختفت الشمس رويداً رويداً فأسرعنا إلى المسجد وفزع الناس رجالاً ونساءاً إلى المسجد الجامع وغيره من المساجد لأداء صلاة الكسوف وضج الناس بالصياح والجئير من الرجال ثم اختفت الشمس تماماً ودخلنا في ليل دامس، و لم يكن هناك من سرج وبعد حوالي ساعة ونصف بزغ طرف الشمس وبدأت تتجلى بعد أن دخل الناس في المساجد وقامت في ذلك اليوم سيدة على علقها خطيبا في تجمع النساء

في المسجد تنصحهن وتقول إن سبب هذا من ذنوبكن و بجانب المسجد الجامع كان هناك زواج والنساء يطبخن وليمة العرس فالتفتت تلك السيدة موجهة كلامها إلى النسوة اللاتي يطبخن قائلة: لابارك الله في عرسكم الذي كسفت فيه الشمس، وانتهى ذلك اليوم وكأن الناس قد خلقوا من جديد وسميت تلك السنة عند معظم الناس "سنة الكسوف" وبعضهم قد سماها "سنة الجعثن" وكلها في سنة واحدة ١٣٧١هـ ١٩٥١م ثم في شهر محرم من عام ١٣٧٢هـ نزل الغيث بغزارة وكثرت الأمطار واخصبت الأرض وجاء الجراد وعاد الناس إلى سابق عهدهم.

* * *

٢٠٩٧- قال متمم العبدي: خرجت من مكة زائراً قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فإني لبسوق الجحفة إذا جويرية تسوق بعيراً وتترنم بصوت مليح طيب حلو في هذا الشعر:

ألا أيها البيت الـذي حيـل دونـه ... بنا أنت من بيت وأهلـك مـن أهـل

بنا أنت من بيـت وحولـك لـذة ... وظلك لو يسـطاع بالبـارد السـهل

ثلاثـة أبيـات فبيـت أحبـه ... وبيتان ليسا مـن هـواي ولا شـكل

فقلت: لمن هذا الشعر يا جويرية؟ قالت: أما ترى تلك الكوة الموقاة بالكلة الحمراء! قلت: اراها قالت: من هنا نهض الشعر قلت:أو قائله من الأحياء؟ قالت: هيهات! لو أن لميت يرجع لطول غيبته لكان ذلك

فأعجبني فصاحة لسانها ورقة الفاظها، فقلت لها: ألك أبوان؟ فقالت: فقدت خيرهما وأجلهما ولي أم فقلت وأين أمك؟ قالت: منك بمر أي ومسمع، فنظرت فإذا إمرأة تبيع الخرز على ظهر طريق الجحفة فأتيتها فقلت: يا أماه استمعي مني، فقالت لها: يا أمة فاستمعي من عمي ما يلقيه إليك فقالت حياك الله! هيه هل من خبر؟ قلت: أهذه ابنتك؟ قالت: كذا يقول أبوها قلت أتزوجينها لي؟ قالت: العلة رغبت فيها! والله ما عندها جمال ولا لها مال، قلت لحلاوة لسانها وحسن عقلها فقالت: اينا أملك بها أنا أم هي بنفسها؟ فقلت بل هي بنفسها قالت: فإياها فخاطب فقلت لعلها أن تستحي من الجواب في مثل هذا! فقالت: ماذاك عندها أنا أخبرها، فقلت يا جارية أما تستحين ما تقول أمك؟ قالت: قد سمعت قلت: فما عندك؟ قالت: أوليس حسبك أن قلت إني استحي من الجواب في مثل هذا؟ فإن كنت أستحي من شيء فلم أفعله؟ أتريد أن يكون سلطانك علي؟ لا والله لا يشد علي رجل حواءه وأنا أجد مذقه لبن أو بقلة (عشبة توكل) ألين بها معاي فورد علي والله أعجب كلام على وجه الأرض فقلت: أتزوجك والأذن فيه إليك وأعطي الله عهداً ألا أصدر في أمرك شيئاً إلا عن إرادتك قالت: إذاً والله لا تكون في هذا إرادة أبداً ولا بعد الأبد إن كان بعده بعد! فقلت قد رضيت وتزوجتها وحملتها وأمها معي إلى العراق وأقامت معي حتى فارقت الدنيا.

٢٠٩٨- روى أبو ورقاء الحنفي قال: خرجت من الكوفة أريد بغداد فلما صرت إلى أول خان نزلته (الخان من أسماء الفندق) بسط غلماننا وهيئوا غداءهم و لم يجئ أحد بعد ، إذ رمانا الباب برجل فاره البرذون (طويل) حسن الهيئة فصحت بالغلمان، فأخذوا دابته، فدفعها إليهم ودعوت بالغداء، فبسط يده غير محتشم وجعلت لا أكرمه بشئ الا قبله ، ثم جاء غلمانه بعد ساعة في ثقل سري وهيئة حسنة، فتناسبنا (ذكر كل منا نسبه) فإذا الرجل طريح بن اسماعيل الثقفي فلما ارتحلنا إرتحلنافي قافلة غناء لايدرك طرفاها، فقال لي: ما حاجتنا إلى زحام الناس، وليست بنا إليهم وحشية ولا علينا خوف! نتقدمهم بيوم فيخلو لنا الطريق ونصادف الخانات فارغة ونودع أنفسنا إلى أن يوافوا، قلت: ذلك اليك، قال فأصبحنا الغد فترلنا الخان فتغدينا وإلى جانبنا نهر ظليل، فقال: هل لك أن تستنقع؟ فقلت له: شانك فلما سرى ثيابه (القاها) إذا يبين عصعصه إلى عنقه ذاهب وفي جبينه أمثال الجردان فوقع في نفسي منه شيء فنظر إلي ففطن وتبسم ثم قال: قد رأيت ما ذعرك مما رأيت وحديث هذا إذا سرنا العشية إن شاء الله أحدثك به، فلما ركبنا قلت: الحديث! قال: نعم قدمت من عند الوليد بن يزيد بالدنيا وكتب إلى يوسف بن عمر مع فراش، فملأ يدي أصحابي فخرجت أبادر الطائف فلما امتد بي الطريق وليس يصحبني فيه خلق عَنَّ لي أعرابي (ظهر) على بعير له فحدثني فإذا هو حسن الحديث، وروي لي الشعر فإذا هو راوية وأنشدني لنفسه فإذا هو شاعر فقلت له: من أين أقبلت؟ قال: لا أدري،

قلت: فأين تريد؟ فأخبر قصة يخبر فيها أنه عاشق لمرئية قد أفسدت عليه عقله، وسترها عنه أهلها وجفاه أهله فإنما يستريح إلى الطريق ينحدر مع منحدريه ويصعد مع مصعديه قلت فأين هي؟ قال: غداً نتزل بازائها فلما نزلنا أراني ظربا (اي رابية) عن يسار الطريق فقال لي: أترى ذلك الظرب؟ قلت أراه، قال: فإنها بمسقطه فأدركتني أريحية الشباب فقلت أنا والله آتيها برسالتك، قال: فخرجت وأتيت الظرب وإذا بيت حريد (لوحده منتحي عن الناس) وإذا فيه إمرأة جميلة ظريفة فذكرته لها، فزفرت زفرة كادت أضلاعها أن تتساقط، ثم قالت: حَيٌّ هو؟ قلت: نعم تركته عند رحلي وراء هذا الظرب ونحن بائتون ومصبحون قالت: بأبي أرى لك وجها يدل على خير فهل لك في الأجر؟ قلت: فقير والله إليه، قالت: فالبس ثيابي وكن مكاني ودعني حتى آتيه وذلك مغير بان الشمس فقلت: أفعل قالت: إنك إذا أظلمت أتاك زوجي في هجمة من إبله (الهجمة أولها أربعون فما زادت) فإذا بركت أتاك فقال: يا فاجرة يا هنتاه (اي هذه) فوسعك شتما فأوسعه صمتا ثم يقول: إقمعي سقاءك (القمع وضع القمع وهو المحقان في فم السقاء) فضع القمع في هذا السقاء حتى يحقن فيه واياك وهذا الآخر فإنه واهي الأسفل قال: فجاء ففعلت ما أمرتني به ثم قال: إقمعي سقاءك فحين (وفقني) الله فتركت الصحيح وقمعت الداهي فما شعر إلا واللبن بين رجليه فعمد إلى رشاء (حبل) من قد مربوع فثناه باثنين فصار علي ثمان قوي ثم صار لا يتقي

مني رأساً ولا رجلاً ولا جنباً فخشيت أن يبدو له وجهي فتكون الأخرى فألزمت وجهي الأرض فعمل بظهري ما ترى.

* * *

٢٠٩٩- الحجاج وما أدراك ما الحجاج الذين بلغ تعدادهم في السنوات الأخيرة ما يزيد على ثلاثة ملايين في عام ١٤٣٣هـ فقد كان تعدادهم لا يتعدى ٨٦٠ ألف حاج في آخر احصائية لهم عام ١٤٠٥هـ وهذه إحصائية أعدها رئاسة شئون الحرمين عام ١٤٠٦هـ لمدة ستين عاماً من عام ١٣٤٥هـ ١٤٠٥هـ وهي كما يلي:

١٣٤٥هـ	٩٠٦٦٢	١٣٥٥هـ	٤٩٥١٧
١٣٤٦هـ	٩٦٢١٢	١٣٥٦هـ	٧٦٢٢٤
١٣٤٧هـ	٩٠٧٦٤	١٣٥٧هـ	٥٩٥٧٧
١٣٤٨هـ	٨١٦٦٦	١٣٥٨هـ	٣٢١٥٢
١٣٤٩هـ	٣٩٠٤٥	١٣٥٩هـ	٩٠٢٤
١٣٥٠هـ	٢٩٠٦٥	١٣٦٠هـ	٣٨٦٣
١٣٥١هـ	٢٠١٨١	١٣٦١هـ	٢٤٧٤٣
١٣٥٢هـ	٢٥٢٩١	١٣٦٢هـ	٦٢٥٩٠
١٣٥٣هـ	٣٣٨٩٨	١٣٦٣هـ	٣٧٨٥٧
١٣٥٤هـ	٣٣٨٣٠	١٣٦٤هـ	٣٦٣٥٨

١٣٦٥هـ	٦١٢٨٦	١٣٨٤هـ	٢٨٣٣١٩
١٣٦٦هـ	٥٥٢٤٤	١٣٨٥هـ	٢٩٤١١٨
١٣٦٧هـ	٧٥٦١٤	١٣٨٦هـ	٣١٦٢٢٦
١٣٦٨هـ	٩٩٠٦٩	١٣٨٧هـ	٣١٨٥٠٧
١٣٦٩هـ	١٠٧٦٥٢	١٣٨٨هـ	٣٧٤٧٨٢
١٣٧٠هـ	١٠٠٥٧٨	١٣٨٩هـ	٤٠٦٢٩٥
١٣٧١هـ	١٤٨٥١٥	١٣٩٠هـ	٤٣١٢٧٠
١٣٧٢هـ	١٤٩٨٤١	١٣٩١هـ	٤٧٩٣٩٩
١٣٧٣هـ	١٦٤٠٧٢	١٣٩٢هـ	٦٤٥١٨٢
١٣٧٤هـ	٢٣٢٩٧١	١٣٩٣هـ	٦٠٧٧٥٥
١٣٧٥هـ	٢٢٠٧٢٢	١٣٩٤هـ	٩١٨٧٧٧
١٣٧٦هـ	٢١٥٥٧٥	١٣٩٥هـ	٨٩٤٥٧٣
١٣٧٧هـ	٢٠٩١٩٧	١٣٩٦هـ	٧١٩٠٤٠
١٣٧٨هـ	٢٠٧١٧١	١٣٩٧هـ	٧٣٩٣١٩
١٣٧٩هـ	٢٥٣٣٦٩	١٣٩٨هـ	٨٣٠٣٣٦
١٣٨٠هـ	٢٨٥٩٤٨	١٣٩٩هـ	٨٦٢٥٢٠
١٣٨١هـ	٢١٦٤٥٥	١٤٠٠هـ	٨١٢٨٩٢
١٣٨٢هـ	١٩٩٠٣٨	١٤٠١هـ	٨٧٩٣٦٨
١٣٨٣هـ	٢٦٦٥٥٥	١٤٠٢هـ	٨٥٣٥٥٥

١٤٠٣هـ	١٠٠٣٩١١		
١٤٠٤هـ	٩١٩٦٧١		
١٤٠٥هـ	٨٤٦٠٩٧		

* * *

٢١٠٠- قال ابن المبارك: جاءني رسول عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة فقال لي: يقول لك عمرو: قد جاءت هذه الدولة وأنا حديث السن كثير العيال منتشر المال فما أكون في قبيلة إلا شهر أمري وعرفت وقد اعتزمت أن أفدي حرمي وأنا صائر إلى باب الأمير سليمان بن علي فصر إلي فوافيته وعليه طيلسان مبطن أبيض وسراويل وشي مسدول فقلت يا سبحان الله! ما تصنع الحداثة بأهلها! أبهذا اللباس تلقي هؤلاء إلا أشهر مما ترى، فأعطيته طيلساني وأخذت طيلسانه (والطيلسان ثوب فضفاض يلبس فوق الثياب يشبه العباءة)لما تريد لقاءهم فيه! فقال: لا والله ولكنه ليس عندي ثوب ولويت سراويله إلى ركبتيه فدخل ثم خرج مسروراً فقلت له:حدثني ما جرى بينك وبين الأمير قال: دخلت عليه ولم نتراء قط فقلت: اصلح الله الأمير، لفظتني البلاد إليك، ودلني فضلك عليك فإما قتلتني غانماً، وإما رددتني سالماً فقال: ومن أنت؟ ما أعرفك فانتسبت إليه فقال: مرحبا بك إقعد فتكلم آمنا غانما ثم أقبل علي فقال: ما حاجتك يا ابن أخي؟ فقلت: إن الحرم اللواتي أنت أقرب الناس إليهن معنا وأولى الناس بهذابعدنا قد خفن لخوفنا ومن خاف خيف عليه،فوالله

ما أجابني إلا بدموعه على خديه ثم قال: يا ابن أخي يحقن الله دمك ويحفظك في حرمك ويوفر عليك مالك، ووالله لو أمكنني ذلك في جميع قومك لفعلت فكن متواريا كظاهر وآمنا كخائف ولتأتيني رقاعك فكنت والله أكتب إليه كما يكتب الرجل إلى أبيه وعمه فلما فرغ من الحديث رددت عليه طيلسانه فقال: مهلاً فإن ثيابنا فارقتنا لن ترجع إلينا.

* * *

٢١٠١- قال رجل من أهل الكوفة: كنا مع مسلمة بن عبد الملك ببلاد الروم فسبى سبيا كثيراً وأقام ببعض المنازل فعرض السبي على السيف فقتل خلقا كثيراً حتى عرض عليه شيخ ضعيف فأمر بقتله فقال:ما حاجتك بقتل شيخ مثلي إن تركتني جئتك باسيرين من المسلمين شابين فقال ومن لي بذلك؟ (أي من يضمن لي ذلك) قال: إني إذا وعدت أوفيت قال: لست أثق بك، فقال: دعني أطوف في عسكرك لعلي أجد من يكفلني إلى أن أمضى وأجيء بالأسيرين فوكل به من طاف معه في عسكره والاحتفاظ به فما زال الشيخ يطوف ويتصفح الوجوه حتى مر بفتى من بني كلاب قائماً يحسن فرسه فقال: يا فتى إضمني من الأمير وقص عليه قصته فقال: أفعل وجاء الفتى معه إلى مسلمة فضمنه فاطلقه مسلمة فلما مضى قال: أتعرفه؟ قال: لا والله، قال: ولم ضمنته؟ قال: رأيته يتصفح الوجوه فاختارني من بينهم، وكرهت أن أخلف ظنه، فلما

كان من الغد عاد الشيخ ومعه أسيرين شابين من المسلمين دفعهما إلى مسلمة وقال:يأذن لي الأمير في هذا الفتى أن يصير معي إلى حصني لأكافئه على فعله معي. قال مسلمة: إن شئت فامض معه، فلما مضى وصار إلى حصنه قال له: تعلم والله يا فتى أنك إبني؟ قال: وكيف أكون ابنك وأنا رجل من العرب مسلم وأنت من الروم نصراني؟ قال: أخبرني عن أمك من هي؟ قال: رومية قال الشيخ: فإني أصفها لك، فبالله إن صدقت إلا تصدقني قال: أفعل، فأقبل الرومي يصف أم الفتى ما حزم من صفتها شيئاً، فقال: هي كذلك فكيف عرفت أني أبنها؟ قال: بالشبه وتعارف الأرواح وصدق الفراسة ثم أخرج إليه إمرأة فلما رأها الفتى لم يشك في أنها أمه لشدة شبهها بها وخرجت معها عجوز كأنها هي فأقبلن يقبلن رأس الفتى فقال له الشيخ: هذه جدتك وهذه خالتك ثم خرج من حصنه فدعا بشباب في الصحراء فأقبلوا فكلمهم بالرومية فجعلوا يقبلون رأس الفتى ويديه ورجليه فقال: هؤلاء أخوالك وبنو خالتك، وبنو عم والدتك ثم أخرج إليه حَلَباً كثيراً وثيابا فاخرة فقال: هذا لوالدتك عندنا منذ سبيت فخذه معك فادفعه إليها فإنها ستعرفه ثم أعطاه لنفسه مالاً كثيراً وثيابا جليلة وحملاً على عدة دواب وبغال وألحقه بعسكر مسلمة وانصرف فأقبل الفتى قافلاً حتى دخل مترله، فأقبل يخرج الشيء بعد الشيء مما عرفه الشيخ أنه لأمه فتراه فتبكي فيقول لها قد وهبته لك! فلما كثر ذلك عليها قالت: يا بني أسألك بالله من أي بلد صارت إليك هذه الثياب؟ وهل قتلتم أحداً من هذا الحصن

الذي كان هذا فيه؟ فقال لها الفتى صفة الحصن كذا وكذا ووصف لها أمها واختها وأولادهما وهي تبكي فقال لها: ما يبكيك فقالت: الشيخ والله أبي والعجوز أمي وتلك أختي فقص عليها الخبر وأخرج بقية ما كان معه مما أنفذه أبوها إليه فدفعه إليها.

*   *   *

٢١٠٢- السيول التي تجرأ الناس على مجاريها وصاروا يبنون ببطونها البيوت والمساكن فإذا جاء السيل سار مع طريقه لا يشارو أحداً ولا ينتظر من أحد أن يسمح له بالمرور مع مجراه بل إنه يجري في طريقة ويحمل ما أمامه وما وضع في دربه ولو تأخر سنوات وسنوات ولكنه سياتي اليوم الذي يجري فيه كما قال الشاعر راشد الخلاوي في قصيدته:

٨٢- وَادٍ جرَىَ لأبَدْ يَجرْيْ مْــنَ الحَيَــا   لَوْ مَا جَرىَ عَامْ جَرَىَ عَــامْ عَايِــده

وما جرى في جدة قبل سنوات وما جرى في تبوك قبل أيام دليل قاطع على صحة ما أقول وما قد يجري في مدن أخرى في المستقبل لا سمح الله، والأمطار والسيول بيد العزيز الحكيم ومن لا يعرف قوة السيل ولا شاهده بعينه لا يصدق مدى قوة السيل ففي الثمانينيات الهجرية المنصرمة جرى سيل ما بين جدة والمدينة المنورة فحمل جسور الطرق المقامة عليه بكاملها بأجسامها وقواعدها ونسفها على جانب الوادي وقد شهدتها بعيني يعلم الله أن الجسر بكامل هيكله وقواعده وقوائمه ملقى على جانب الوادي وكأنه الدود (أبو ٧٧ رجل) هذا الجسر لو

أحضرت أقوى الرافعات لما زحزحته عن مكانه قيد أنملة لكن السيل حفر من تحته ثم حمله والقى به بعيد عن طريقه ومضى وفي عام ١٣٥٥هـ جرى وادي الرمة بقوة رهيبة حاصرت مياهه مدينة عنيزة وكونت بحيرة تبلغ مساحتها حوالي ٢٠٠ كيل مربع وبقيت لمدة عامين وسبق أن سال هذا الوادي العظيم وظل يجري لمدة أربعين يوماً وذلك في عام ١٢٣٤هـ ١٨١٨م وبلغت مياهه مبلغا لم يصله من قبل لأن وادي الرمة تمتد منحدراته من سفوح جبال الحجاز غرب منطقة حائل كلها تفيض فيه إذا توالت الأمطار على تلك الجهات وما عند الله قريب.

* * *

٢١٠٣- قال ابن ربيح راوية ابراهيم بن هرمة أصابت ابن هرمة أزمة فقال لي في يوم حار فكار حمارين إلى ستة أميال و لم يسم موضعاً فركب واحد وركبت آخر ثم سرنا حتى صرنا إلى قصور الحسن بن زيد ببطحاء ابن أزهر فدخلنا مسجده، فلما مالت الشمس خرج علينا مشتملا على قميصه فقال لمولى له: أذن فاذن و لم يكلمنا كلمة ثم قال له: أقم فأقام فصلى بنا ثم أقبل على ابن هرمة فقال: مرحبا بك يا أبا سحاق حاجتك؟ قال: نعم بأبي أنت وأمي أبيات قلتها وقد كان عبد الله وحسن وابراهيم بنو حسن بن حسن وعدوه شيئاً فاخلفوه فقال: هاتها فقال:

أما بنو هاشم حولي فقد قرعوا نبل الضباب التي جمعت في قرن

فما بيثرب منهم من أعاتبه إلا عوائد رجوهن من حسن

الله أعطاك فضلاً من عطيته على هنٍ وهنٍ فيما مضى وهن

قال: حاجتك! قال: لابن أبي مضرس عَلَيَّ خمسون ومئة دينار، فقال لمولى له: يا هيثم إركب هذه البغلة فأتني بابن المضرس وذكر حقه (الصك الذي يكتب فيه الدين) قال: فما صلينا العصر حتى جاء به فقال له: مرحبا بك يا ابن أبي مضرس أمعك ذكر حقك على ابن هرمة؟ قال: نعم قال: فامحه فمحاه ثم قال: يا هيثم مع ابن مضرس من تمر الخانقين بمئة وخمسين ديناراً وزده على كل دينار ربع دينار وَكِلْ ابن هرمة بخمسين ومئة دينار وكل ابن ربيح ثلاثين ديناراً تمراً ثم انصرفنا من عنده فلقيه محمد بن عيد الله بن حسن بالسيالة وقد بلغه الشعر فغضب لابيه وعمومته فقال: يا ماص... أمه أنت القائل: على هن وهن فيما مضى وهن فقال: إلا والله ولكني الذي أقول:

لا والذي أنت منه نعمة سلفت نرجو عواقبها في آخر الزمن

لقد أتيت بأمر ما عمدت له ولا تعمده قولي ولارسني

فكيف أمشي مع الأقوام معتدلاً وقد رميت برئ العود بالابن

ما غيرت وجهه أم مهجنة إذا القتام تغشى أوجه الهجن

* * *

٢١٠٤- كان عبد الله بن جعفر مع إخوان له في عشية من عشايا الربيع فراحت عليهم السماء بمطر جود فأسال كل شيء فقال عبد الله هل لكم في العقيق؟ فركبوا دوابهم ثم انتهوا إليه فوقفوا على شاطئه وهو يرمي بالزبد مثل مد الفرات وإنهم لينظرون إذ هاجت السماء فقال عبد الله لأصحابه ليس معنا جنه لنستجن بها (الجنة ما يتقي به المطر) وهذه سماء خليقة بأن تبل ثيابنا فهل لكم في مترل طويس (إسمه عيسى بن عبد الله) فإنه قريب منا فنسكن فيه ويحدثنا ويضحكنا وطويس في النظارة يسمع كلام عبد الله بن جعفر فقال له عبد الرحمن بن حسان يشين من عرفه! فقال له عبد الله: لا تقل ذلك فإنه مليح خفيف لنا فيه أنس فلما استوفى طويس كلامهم تعجل إلى مترله فقال لامرأته ويحك! قد جاءنا عبد الله بن جعفر سيد الناس فما عندك؟ قالت: نترع هذه العناق (الأنثى من ولد الماعز) وكان عندها عُنَيِّقٌ قدربتها باللبن واختبزت خبزا رقاقا فبادرت بذبحها وعجنت هي ثم خرج فتلقاه مقبلا إليه فقال له طويس بأبي أنت وأمي! هذا المطر فهل لك في المترل فتستكن فيه إلى أن تكف السماء قال إياك أريد قال فامض يا سيدي على بركة الله وجاء يمشي بين يديه حتى نزلوا فحدثوا حتى أدرك الطعام (نضج) فقال: بأبي أنت وأمي تكرمني إذا دخلت مترلي أن تتعشى عندي قال: هات ما عندك فجاء بعناق سمينة ورقاق (خبز رفيق) فأكل وأكل القوم حتى تملئوا فأعجبه طيب طعامه فلما غسلوا أيديهم قال: بأبي انت وأمي!

أتمشي معك وأغنيك؟ فقال: إفعل يا طويس فأخذ ملحفة فاتزرها وأرخى لها ذنبين ثم أخذ المربع فتمشى وأنشأ يقول:

يــا خليلـــي يـــا بـــني ســـهدي لم تـــــنم عـــــيني ولم تكـــــد

فشـــــرابي مـــــا أســـيغ ومـــا أشــــتكي مـــا بي إلي أحـــــد

كيـــف تلحـــوني علـــى رجـــل آنـــــس تلتـــــذه كبـــــدي

مثـــل ضـــوء البـــدر طلعتـــه لـــــيس بالزميلـــــة النكـــــد

مـــن بـــني آل المغـــيرة لا خامـــل نكـــس ولا جحـــد

نظـــرت يومـــاً فـــلا نظـــرت بعـــده عـــيني إلى أحـــد

فطرب القوم وقالوا: أحسنت والله يا طويس! ثم قال: يا سيدي أتدري لمن هذا الشعر؟ قال: لا والله ما أدري لمن هو، إلا أني سمعت شعراً حسناً قال: هو لفارعة بنت ثابت أخت حسان بن ثابت في عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي فنكس القوم رؤوسهم وضرب عبد الرحمن بن حسان برأسه على صدره (أطراق استحياء وخجلاً) فلو شقت الأرض له لدخل فيها.

* * *

٢١٠٥- من عجائب الأشجار شجرة التين البري التي يسمونها "ملكة الأشجار" وهي شجرة هائلة بالكبر والارتفاع بلغ قطر جذعها حوالي ثلاثة أمتار وارتفاعها نحو ثمانين متراً بالكاد ترى رأسها تنبت قرب مجاري الأنهار ومراكد المياه في الغابات الأفريقية ولها أغصان متدلية غير

بعيدة عن الأرض وثمرها ثمر التين العادي وأصغر منه يخرج على هيئة عناقيد يتجمع في ركاب واحد ولون ثمرها إذا نضج تحول إلى اللون الأصفر البرتقالي فإذا نضج وبدأت الطيور تأكل منه والحشرات بأشكالها وألوانها وأحجامها والنمل باحجامه يأكل منه فتأتي الطيور التي تأكل الحشرات وتأكل من هذه الحشرات التي تأكل من التين وتأتي الثعابين متسلقة أغصان الشجرة الغليظة لتقتنص من تلك الطيور وتبتلعها وما يتساقد من ثمرها على الأرض تأتيه القوارض التي تكون في متناول الثعابين وتأتي الحيوانات كالظباء والمها والجواميس وتتناول أغصانها الزرافات لترعى من ثمرها المتساقط فتأتي الأسود والنمور وتكمن غير بعيد عنها ثم تهجم على تلك الحيوانات وتطردها وتفترسها كل هذا شاهدته في فيلم حي وفي بعض سيقانها المجوفة تجد خلايا النحل هي اماكن آمنة فتتخذ منها مناحل داخل هذه التجاويف ويأتي الانسان فيخرق بفأسه مقابل هذه المناحل ويدخل يده ليخرج كتلا من عسل النحل بشمعه ويجمع منه ما يريد ويأكل منه ما يشاء وفوق هذا فقد رأيت بعض الحشرات وهي تغترس شوكة طويلة من ذيلها في ثمرة التين الناضجة ويبدو أنها أنثى تلك الحشرة ثم تأتي حشرة مثلها إلا أنها أصغر منها وتغرس شوكة طويلة من ذيلها في نفس الثمرة ويبدو أنها ذكر تلك الحشرة فإذا نضجت الثمرة تماماً انفتحت وخرج منها يرقات تلك الحشرة التي تبقى معلقة حتى ينفسخ منها غشاء عليها ثم تطير يبدو أن تلك الحشرة تتخذ من ثمرة التينة مكانا لحضانة بيضها هذا ما شاهدته

بعيني من الأشياء الظاهرة فضلا عن الأشياء الصغيرة فسبحان الله الذي جعل من تلك الشجرة أسبابا للحياة والموت وحقا إنها ملكة الأشجار كما سميت.

* * *

٢١٠٦- قال ابراهيم بن هرمة: ما رأيت احداً قط أسخى ولا أكرم من رجلين ابراهيم بن عبد الله بن مطيع وابراهيم بن طلحة فاتيته فقال: احسنوا ضيافة أبي اسحاق فاتيت بكل شيء من الطعام فأردت أن انشده فقال: ليس هذا وقت الشعر ثم أخرج الغلام إلي رقعة فقال: إئت بها الوكيل فأتيته بها فقال إن شئت أخذت لك جميع ما كتب به وإن شئت أعطيتك القيمة قلت وما أمر لي به فقال: مئتا شاة برعائها واربعة جمال وغلام جمال ومظلة وما تحتاج إليه وقوتك وقوت عيالك سنة قلت فاعطني القيمة فأعطاني مئتا دينار وأما ابراهيم بن عبد الله بن مطيع فأتيته بمنزله بمشاش (موضع في بلاد بني سليم بين مكة والمدينة) على بئر ابن الوليد بن عثمان بن عفان فدخل إلى منزلة ثم خرج إلي برزمة من ثياب وصرة من دراهم ودنا نيرو حلي ثم قال: لا والله ما بقينا في منزلنا ثوبا إلا ثوبا نواري به امرأة لا حليا ولا ديناراً ولا درهما فقال يمدح ابراهيم هذا:

أرقتني تلومني أم بكر بعد هدء واللوم قد يؤذيني
حذرتني الزمان ثمت قالت ليس هذا الزمان بالمأمون

قلـــت لمـــا هبـــت تحـــذرني الـــد هر دعـــي اللـــوم عنـــك واســـتبقيني
إن ذا الجـــواد والمكـــارم ابـــرا هـــيم يعنيـــه كـــل مـــا يعنـــيني
قـــد خبرنـــاه في القـــديم فالفينـــا ه مواعيـــــده كعـــــين الـــــيقين
قلت ما قلـــت للـــذي هـــو حـــق مســـــتبين لا للـــــذي يعطـــــيني
نضـــحت أرضـــنا سمـــاؤه بعـــد الجدب منـــها وبعـــد ســـوء الظنـــون
فرعينـــا آثـــار غيـــث هراقتـــه يـــداً فحكـــم القـــوى ميمـــون

* * *

٢١٠٧- جلس عبد الله بن جعفر يوماً عند عبد الملك بن مروان فحدثه عن اقلال أبي عتيق وكثرة عياله فأمره عبد الملك أن يبعث به إليه فأتاه ابن جعفر فأعلمه بما دار بينه وبين عبد الملك وبعثه إليه فدخل ابن ابي عتيق على عبد الملك فوجده جالساً بين جاريتين قائمتين تميسان (تتبختران) كغصى بان بيدكل جارية مروحة تروح بها عليه مكتوب بالذهب في المروحة الواحدة:

إنـــــني أجلـــــب الريـــــا ح وبي يلعـــــب الخجـــــل
وحجـــــاب إذا الجيـــــد ب ثـــــنى الـــــرأس للقبـــــل
وغيـــــاث إذا النديـــــ ـــــم تغـــــني أو ارتجـــــل

وفي المروحة الأخرى:

انـــا في الكـــف لطيفـــة مســـكني قصـــر الخليفـــة

أنـــا لا أصـــلح إلا لظريـــف أو ظريفـــة

أو وصـــيف حســن القـــدر شـــبيه بالوصـــيفة

قال ابن أبي عتيق فلما نظرت إلى الجاريتين هونتا الدنيا علي وانستاني سوء حالي ثم قلت إن كانتا من الانس فما نساؤنا إلا من البهائم فلما كررت بصري فيهما تذكرت الجنة فإذا تذكرت إمرأتي وكنت محبالها تذكرت النار وبدأ عبد الملك يتوجع لي بما حكى له ابن جعفر عني ويخبرني بما لي عنده من جميل الرأي فأكذبت له كل ما حكاه ابن جعفر عني، ووصفت له نفسي بغاية الملا والجِدَةِ (الغنى) فامتلأ عبد الملك سروراً بما ذكرت له وغما بتكذيب ابن جعفر فلما عاد إليه ابن جعفر عاتبه عبد الملك على ما حكاه عني وأخبره ما حَلَّيْتُ له نفسي فقال: كذب والله يا أمير المؤمنين إنه أحوج أهل الحجاز إلى قليل فضلك فضلا عن كثيره ثم خرج عبد الله فلقيني فقال: ما حملك أن كذبتني عند أمير المؤمنين ؟ قلت أفكنت تراني وقد أجلسني بين شمس وقمر ثم أتفاقر عنده! لا والله ما رأيت ذلك بنفسي وإن رأيته لي فلما أعلم بذلك عبد الله بن جعفر عبد الملك بن مروان قال: فالجاريتان له قال ابن أبي عتيق فلما صارتا إِلَيَّ زرت عبد الله بن جعفر فوجدته قد امتلأ فرحاً وهو يشرب وبين يديه عُسٌّ فيه عسل ممزوج بمسك وكافور فقال: مهيم؟ (كلمة استفهام) قلت والله قد قبضت الجاريتين قال: ما شرب فتناول العس فجزعت منه جزعا فقال: زد فأبيت فقال لجارية عنده تغنيه إن

هذا قد حاز اليوم غزالتين من عند أمير المؤمنين فخذي من نعمتهما

فحركت الجارية العود ثم غنت:

عهدي بها في الحي قد جردت	صفراء مثل المهرة الضامرة
قد حجر الثدي على نحرها	في مشرف ذي بهجة ناضرة
لو أسندت ميتا على صدرها	قام ولم ينقل إلى قابره
حتى يقول الناس مما رأوا	يا عجبا للميت الناشره

فلما سمعت الأبيات طربت ثم تناولت العس فشربت عللاً بعد نهل ورفعت عقيرتي أغني:

سقوني وقالوا لا تغني ولو سقوا	جبال حنين ما سقوني لغنت

* * *

٢١٠٨- الطباعة والمطبوعات والمطابع التي ملأت بانتاجها احتياجات الناس من كتب وكتيبات ومطويات وغيرها قد انتبهت لها الحكومة في وقت مبكر لأنها عندما انضوت الحجاز مكة والمدينة المنورة إلى كيان المملكة و كان هناك مطبوعات ومطابع لبعض الصحف، فقد صدر أول نظام للمطابع والمطبوعات عام ١٣٤٧هـ ١٩٢٧م وفتح المجال لتأسيس المطابع ضمن شروط ميسرة ساعدت على انتشار وتخفيض قيمتها. ثم بعد ذلك أخذت المطابع صفة تجارية وتوسعت بشكل كبير وعلى مختلف المستويات منها المطابع الصغيرة التي تنفذ المطبوعات الصغيرة مثل

الأوراق التجارية والظروف وغيرها وبطاقات الأفراح وبطاقات العناوين وغيرها ومنها المطابع المتوسطة التي تصف الكتب يدويا من حروف معدنية وتنفيذ الكتب الصغيرة ومتوسطة الحجم ثم دخلت المطابع الكبيرة التي تعمل ذاتيا وتطبع الكتب الكبيرة والصحف والمجلات بأعداد كبيرة والتي ملأت الأرض بمنتجاتها ثم جاءت المطابع الألكترونية الضخمة التي تنتج آلاف المطبوعات بالساعة وتقدمت الطباعة بالمملكة بشكل جيد وإن كانت الطباعة على الحروف المعدنية أجود في الكتابة من الطباعة على الظل واللون ومع هذا فإن التقدم في مجال الطباعة غير أنها الآن غالية التكاليف لأن أصحاب تلك المطابع الذين دفعوا في أقيامها الملايين يريدون استرداد ما دفعوه في أقرب وقت ممكن وقد تعاملت مع هذه المطابع منذ عام ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م وحتى الآن فكان هناك فرقا شاسعاً مما كانت عليه في ذلك الوقت وما هي عليه الآن من حيث الأسعار فهم ساعة يحتجون بغلاء سعر الورق وأخرى يتعللون بقيمة التقنية التي يعملون بها حيث أن الكتاب الذي يطبع في الداخل يكلف أضعاف ما يكلفه في الخارج ففي مطابع لبنان تكلف النسخة الواحدة من الكتاب نحو عشرة ريالات بينما نجده يكلف هنا أكثر من عشرين ريالاً حتى إذا جاء الكتاب الذي طبع في لبنان كان أرخص مما طبع هنا مع أنهم قد حسبوا أرباحهم فوق قيمة الطباعة وهذا ما يثقل كاهل المؤلف والناشر.

* * *

٢١٠٩- قال من سمع هلال الأسعر التميمي يقول: قدمت المدينة وعليها رجل من آل مروان فلم أزل أضع على إبلي وعليها أحمال التجار حتى أُخِذَ بيدي وقيل لي: أجب الأمير قلت لهم: ويلكم! إبلي وأحمالي! فقيل: لا بأس على إبلك وأحمالك، فَانْطُلِقَ بي حتى أدخلت على الأمير فسلمت عليه ثم قلت جعلت فداك! إبلي وأمانتي! فقال: نحن ضامنون لا بلك وأمانتك حتى نؤديها إليك فقلت عند ذلك فما حاجة الأمير إلي جعلني الله فداه؟ فقال لي وإلى جنبه رجل أصفر، لا والله ما رأيت رجلاً قط أشد خلقا منه ولا أغلظ عنقا ما أدري طوله أكثر أم عرضه فقال الأمير: إن هذا العبد الذي ترى لا والله ما ترك بالمدينة عربيا يصارعه إلا صرعة وبلغني عنك قوة فأردت أن يجري الله صرعه على يديك فتدرك ما عنده من أوتار العرب فقلت جعلني الله فداء الأمير إني لغب نصب جائع فإن رأى الأمير أن يدعني اليوم حتى أضع عن إبلي وأودي أمانتي واريح يومي هذا وأجيئه غداً فاليفعل، فقال لأعوانه: انطلقوا معه فأعينوه على الوضع على إبله وأداء أمانته وانطلقوا به إلى المطبخ فاشبعوه، ففعلوا جميع ما أمرهم به، قال: فظللت بقية يومي ذلك وبت ليلتي تلك بأحسن حال شبعاً وراحة وصلاح أمر، فلما كان من الغد غدوت عليه وعليَّ جبة صوف وبت (كساء غليظ من وبر وصوف) وليس عليَّ إزار إلا أنّي قد شددت بعمامتي وسطي، فسلمت عليه فرد علي السلام، وقال للأصفر: قم إليه ، فقد أرى أنه اتاك الله بمن يخزيك، فقال العبد: إتزر ياأعرابي، فأخذت بتي فاتزرت به على جبتي، فقال: هيهات! هذا لا

يثبت إذا قبضت عليه جاء في يدي فقلت والله مالي من إزار، فدعا الأمير بملحفة ما رأيت قبلها ولا علا جلدي مثلها فشددت بها على حقوي وخلعت الجبة، وجعل العبد يدور حولي، ويريد ختلي وأنا منه وجل، ولا أدري كيف أصنع به، ثم دنا مني دنوة، فنقد جبهتي بظفره، نقدة حتى ظننت أنه قد شجني وأوجعني فغاضني ذلك، فجلعت أنظر في خلقه بِمَ أقبض منه، فما وجدت في خلقه شيئاً أصغر من راسه فوضعت إبهامي في صدغه وأصابعي الآخر في أصل أذنه، ثم غمزته غمزة صاح منها قتلتني! قتلتني! فقال الأمير إغمس راس العبد في التراب، فقلت له: ذلك لكَ على قال فغمست راسه في التراب ووقع شبيهاً بالمغشي عليه، فضحك الأمير، حتى استلقى وأمر لي بجائزة وكسوة وانصرفت.

* * *

٢٢١٠- جلست جميلة (مولاة بني سليم) يوماً للوفادة عليها، وجعلت على رؤوس جواريها شعوراًمسدلة كالعناقيد إلى أعجازهن وألبستهن أنواع الثياب المصغبة، ووضعت فوق الشعور التيجان وزينتهن بأنواع الحلي، ووجهت إلى عبد الله بن جعفر تستزيره، وقالت لكاتب أملت عليه :" بأبي أنت وأمي! قدرك يجل عن رسالتي، وكرمك يحتمل زلتي، وذنبي لا تقال عثرته، ولا تغفر صوبته، فإن صفحت فالصفح لكم معشر أهل البيت يؤثر، والخير والفضل كله فيكم مدخر، ونحن العبيد وأنتم الموالي، فطوبى لمن كان لكم مجاوراً، وبعزكم قاهراً وبضيائكم مبصراً، والويل

لمن جهل قدركم، ولم يعرف ما أوجبه الله على هذا الخلق لكم، فصغيركم كبير، بل لا صغير فيكم، وكبيركم جليل، بل الجلالة التي وهبها الله عز وجل للخلق هي لكم، ومقصورة عليكم، وبالكتاب نسألك، وبحق الرسول ندعوك إن كنت نشيطاً بمجلس هيأته لك، لا يحسن إلا بك، ولا يتم إلا معك، ولا يصلح إلا أن ينقل عن موضعه، ولا يسلك به عن طريقه". فلما قرأ عبد الله الرسال قال: إنا لنعرف تعظيمها لنا وإكرامها لصغيرنا وكبيرنا، وقد علمت أنها قد آلت أَلِيَّةً (أقسمت) ألا تغني أحداً إلا في منزلها، وقال للرسول: والله قد كنت على الركوب إلى موضع كذا، وكان في عزمي المرور بها، فأما إذا وافق مرادها فإني جاعل بعد رجوعي طريقي عليها، فلما صار إلي بابها أدخل بعض من كان معه إليها وصرف بعضهم، فنظر إلى ذلك الحسن البارع والهيئة الباذة (الفائقة) فأعجبه وقع من نفسه فقال: ياجميلة قد أتيت خيراً كثيراً! ما أحسن ما صنعت! فقالت: ياسيدي إن الجميل للجميل يصلح، ولك هيأت هذا المجلس، فجلس عبد الله بن جعفر، وقامت على رأسه الجواري صفين فاقسم عليها فجلست غير بعيد، ثم قالت: ياسيدي ألا أغنيك! فقال: بلى! فغنت:

بني شيبة الحمد الذي كـان وجهـه ... يضيء ظلام الليـل كـالقمر البـدر
كهولهم خـير الكهـول ونسـلهم ... كنسل الملـوك لا يبـور ولا يجـري
أبوكم قُصَيٌّ كـان يـدعي مُجَمِّعـاً ... بـه جمـع الله القبائـل مـن فهـر

فقال عبد الله: أحسنت ياجميلة! بالله أعيديه عليَّ فأعادته فجاء الصوت أحسن من الارتجال، ثم دعت لكل جارية بعود وأمرهن بالجلوس على كراسي صغار قد أعدها لهن، فضربن، وغنت عليهن هذا الصوت، وغنى جواريها على غنائها، فلما ضربن جميعاً قال عبد الله: ما ظننت أن مثل هذا يكون! وإنه لما يفتن القلب، ثم دعا ببغلته وانصرف إلى مترله وكانت جميلة أعدت طعاماً كثيراً فقال لأصحابه: تخلفوا للغداء وانصرفوا مسرورين.

* * *

٢١١١- عيادات طب الأسنان، التي انتشرت في كل شارع من الشوارع الرئيسة، بل وفي شوارع الأحياء مع كثرتها فلا تزال أسعاره مرتفعة، وعادة إذا كثر التخصص وفروعه تترل أسعارها إلى الحد المناسب الذي يجعل الناس من متوسطي الحال لا تثقل عليهم التكلفة لأن الناس كلهم إن لم يكن جلهم محتاجون إلى طب الأسنان، الصغار قبل الكبار، لأن الصغار مغرمون بالحلويات ويأكلون (الشكولاتة) وهي أساس تسوس الأسنان، فتجد الصغار والواحد للتو قد ثغرت أسنانه قد أصابه التسوس في أسنانه واضراسه، ويبدأ فيها حشو أسنانه وأضراسه، أما الشباب فقد كثر تناولهم للحلويات و(الشكولاتة) بمناسبة وبدون مناسبة حتى أن بعضهم يأكلها قبيل النوم ولا ينظف أسنانه وأضراسه منها مما يتولد التسوس ثم الحشو المؤدي إلى قلعها وقد عانيت من ألم الأضراس منذ

وقت مبكر عام ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م حين قلعت أول ضرس بدون مخدر (بنج) بعد آلام شديدة استمرت معي أسبوعاً كاملاً لم أذق طعم النوم كما تحدثت في فقرة سابقة من هذا الكتاب وبعد ذلك بسنتين لَجَّ على الضرس الثاني وآذاني دون أن يكون فيه سوس مثل الأول فاضطررت إلى قلعه بدون مخدر (بنج) وآلام شديدة، ثم تعاملت مع آلام الأضراس وحشوها ثم خلعها إلى اليوم، فهل تعلم متى استوردت الحكومة ما يخص الأسنان؟ إنه في ١٣٥٨/٨/١٥هـ-١٩٣٩م استوردت الحكومة أول أدوات طبية للأسنان لنقل المجتمع من الطرق البدائية لقلع الأسنان إلى الطرق الحديثة عن طريق التخدير ووضعت العيادات في مستشفى مكة المكرمة. لكن هذه الأدوات بقيت في المستشفيات الحكومية في مكة وغيرها و لم تصل للمناطق النائية إلا بعد فترة طويلة امتدت نحو أربعين سنة، كما خضعت العيادات الخاصة لطب الأسنان في مكة والمدينة وجدة والرياض وغيرها، كما دخل في طب الأسنان فئة من الناس من النَّوَرْ الذين يرحلون ويترلون مع البادية ويغشون القرى في شمال المملكة يعملون في قلع الأضراس وحشو الأسنان وتلبيسها برقائق الذهب فانصبت عليهم بعض النساء الباحثات عن جمال الثغور وتلبيس الأسنان بالذهب خاصة أسنان الضويحك العليا وكذلك الشباب الباحثين عن النصب وذلك في عشر الثمانينيات والتسعينيات الهجرية من عام ١٣٧١-١٣٩١هـ وهذه الظاهرة كانت منتشر بين النساء الشابات وبعض الفتيات والنساء المتصابيات ثم خفت هذه الظاهرة واقلعت

النساء عن ذلك وكذلك الشباب، وبدأ من كان ملبساً أسنانه بالذهب يزيلها، ولكن بعد أن خربت العملية أسنانه، لأن الذي يركبها يحك ما على الأسنان من الطبقة الصلبة وبعد إزالة الذهب تبقى الأسنان سوداء فإما أن يبقي التلبيس عليها أو أن يقلعها.

* * *

٢١١٢-كان عروة بن الورد العبسي إذا أصاب الناس سنة شديدة (جدب) تركوا في دارهم المريض والكبير والضعيف (يرحلون عنه ويتركونه) وكان عروة بن الورد يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته في الشدة، ثم يحفر لهم السرداب ويكنف عليهم الكنف (الحضائر من الشجر) (أي يكسب لهم ويعيشهم) ومن قوى منهم أما المريض يبرأ من مرضه، أو ضعيف تثوب إليه قوته، خرج به معه فأغار، وجعل لأصحابه الباقين في ذلك نصيباً، حتى إذا أخصب الناس والبنوا (توفر لديهم اللبن) وذهبت السنة الحق كل إنسان بأهله وقسم له نصيبه من الغنيمة إن كانوا غنموا فربما أتى الإنسان أهله وقد استغنى (ياله من محسن كريم!!) فلذلك سُمِّيَ عروة الصعاليك فقال في تلك السنين وقد ضاقت حاله:

لعل ارتيادي في البلاد وبغيتي ... وشدي حيازيم المطية بالرحل
سيدفعني يوماً إلى رب هجمة ... يدافع عنها بالعقوق وبالبخل

وإن الله عز وجل قيض له وهو مع قوم هُلاَّكٍ عشيرته في شتاء شديد ناقتين دهما وين فنحر لهم إحداهما وحمل متاعهم وضعفاءهم على الأخرى وجعل يتنقل بهم من مكان إلى آخر (للقارئ أن يتصور هذا المنظر!؟) وكان بين النَّقْرَةِ والربذة (النقرة لا تزال معروفة على طريق الحج الكوفي والربذة كذلك معروفة شرق المدينة المنورة) فنزل بهم ما بينهما بموضع يقال له ماوان (قرية معروفة الآن) ثم إن الله عزوجل قبض له رجلاً صاحب مئة من الإبل قد فَرَّ بها من حقوق قومه وذلك أول ما ألبن الناس، فقلته وأخذ إبله ومرأته وكانت من أحسن النساء فأتى بالإبل أصحاب الكنيف، فحلبها لهم وحملهم عليها حتى إذا دنوا من عشيرتهم أقبل يقسمها بينهم وأخذ مثل نصيب إحدهم، فحلفوا عليه وقالوا: لا نرضى حتى تجعل المرأة نصيباً فمن شاء أخذها (ياللؤم) فجعل يهم بأن يحمل عليهم فيقلتهم وينتزع الإبل منهم، ثم يذكر أنهم صنيعته، وأنه إذا فعل ذلك أفسد ما كان يصنع، فأفكر طويلاً ثم أجابهم إلى أن يرد عليهم الإبل إلا راحلة يحمل عليها المرأة حتى يلحق بأهله، فأبوا ذلك عليه، حتى انتدب رجل منهم فجعل له راحلة من نصيبه فقال عروة في ذلك قصيدته التي أولها:

ألا إن أصحاب الكنيف وجدتهم	كما الناس لما أمرعوا وتمولوا
وإني لمدفوع إليّ ولاؤهم	بماوان إذ نمشي وإذ نتململ
وإني وإياهم كذى الأم أوهِنت	له ماء عينيها تفدي وتحمل

فباتت بحد المرفقين كليهما توحوح مما نالها وتولول
تخير من أمرين ليسا بغبطة هو الثكل إلا أنها قد تحمل

* * *

٢١١٣- حَدَّث إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: غدوت يوماً وأنا أضجر من ملازمة دار الخلافة والخدمة فيها، فخرجت وركبت بكرة وعزمت على أن أطوف الصحراء وأتفرج، فقلت لغلماني: إن جاء رسول الخليفة أو غيره فعرفوه أني بكرت في بعض مهماتي، وأنكم لا تعرفون أين توجهت ومضيت وطفت ما بدا لي، ثم عدت وقد حمي النهار فوقفت في الشارع المعروف بالمحترم في فناء ثخين الظل وجناح رحب على الطريق لأستريح، فلم ألبث أن جاء خادم يقود حماراً فارها عليه جارية راكبة تحتها منديل ودبقي (منسوب إلى ديبق) وعليها من اللباس الفاخر ما لا غاية بعدها ورأيت لها قواماً حسنا وشمائل حسنة، فخرصت أنها مغنية فدخلت الدار التي كنت واقفا عليها، ثم لم ألبث أن جاء رجلان شابان، فاستأذنا فإذن لهما، فترلا ونزلت معهما ودخلت، فظنا أن صاحب الدار دعاني، ظن صاحب الدار أني معهما، فجلسنا وأتي الطعام فأكلنا وبالشراب فوضع، فخرجت الجارية وفي يدها عود فغنت، وقمت قومة فسأل صاحب المترل الرجلين عني، فأخبراه أنهما لا يعرفاني، فقال: هذا طفيلي ولكنه ظريف، فاجملوا عشرته، وجئت وجلست، وغنت الجارية

في لحن لي، فأدته أداء صالحاً، ثم غنت أصواتاً شتى، وغنت في اضعافها من صنعتي:

الطـــلـــول الـــدوارس فـــارقـتـهـــا الأوانـــس
أوحشت بعـــد أهلهـــا فهـــي قـفـــر يابـــس

فكان أمرها فيه أصلح منه في الأول، ثم غنت أصواتاً من القديم والحديث وغنت في أثنائها من صنعتي:

قـــل لمـــن صَـــدَّ عاتبـــاً ونـــأي عنـــك جانبـــاً
قـــد بلغـــت الـــذي أرد ت وان كنـــت لاعبـــاً

فكان أصلح ما غنته فاستعدته منها لأصححه لها، فاقبل عليَّ رجل من الرجلين وقال: مارأيت طفيلياً أصفق وجهاً منك! لم ترض بالتطفيل حتى اقترحت وهذا غاية المثل "طفيلي مقترح" فأطرقت و لم أجبه وجعل صاحبه يكفه عني فلا يكف، ثم قاموا للصلاة وتأخرت قليلاً فأخذ عود الجارية ثم أصلحته إصلاحاًمحكماً وعدت إلى موضعي فصليت وعادوا ثم أخذ ذلك الرجل يغني وأنا صامت، ثم أخذت الجارية العود فجسته وانكرت حاله، وقالت: من مس عودي؟ قالوا: ما مسه أحد، قالت: بلى، والله لقد مسه حاذق متقدم وأصلحه متمكن من صناعته، فقلت لها: أنا أصلحته، فقالت: فبالله خذه واضرب به، فأخذته وضربت به مبدأ ظريفاً عجيباً صعباً، فيه نقرات متحركة فما بقي أحد منهم إلا وثب على قدميه وجلس بين يدي. وقالوا: ياسيدنا أتغني؟ فقلت: نعم

وأعرفكم بنفسي أنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي ووالله إني لأتيه على الخليفة إذا طلبني، وأنتم تسمعونني ما أكره منذ اليوم لأني نزلت بكم! فوالله لانطقت بحرف ولا جلست معكم. حتى تخرجوا هذا المعربد المقيت الغث، فقال له صاحبه: من هذا حذرت عليك فأخذ يعتذر، فقلت والله لانطقت بحرف ولاجلست معكم حتى يخرج فأخذه بيده وأخرجوه وعادوا، فبدأت وغنيت الأصوات التي غنتها الجارية من صنعتي، فقال لي الرجل: هل لك في خصلة؟ قلت: ما هي ؟ قال: تقيم عندي شهراً والجارية والحمار لك مع ما عليها من حلي، قلت أفعل فأقمت عنده ثلاثين يوماً لا يدري أحد أين أنا، والمأمون يطلبني في كل موضع فلا يعرف لي خبراً، فلما كان بعد الثلاثين يوماً أسلم إليَّ الجارية والحمار والخادم فجئت بذلك إلى منزلي وركبت إلى المأمون من وقتي فلما رآني قال: إسحاق! ويحك! أين تكون؟ فأخبرته بخبري فقال: علي بالرجل الساعة فدللتهم على بيته فاحضر فسأله المأمون عن القصة فأخبره، وأمر له بمئة ألف درهم وأمر لي بخمسين ألف درهم وقال: أحضر لي الجارية فأحضرها فغنته فقال لي: قد جعلت لها نوبة كل ثلاثاء تغنيني من وراء الستر مع الجواري وأمر لها بخمسين ألف درهم فربحت والله بتلك الركبة.

* * *

٢١١٤ - تصدعات الأرض من الظواهر التي تحدث بين الحين والآخر في أماكن متعددة من ذلك ما حدث في بلدة طَابَةْ إلى الشرق عن جبل سلمى بمنطقة حائل عام ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م حيث حدثت تصدعات أرضية كبيرة وعميقة لا يعلم غورها، فسارعت الدولة بإيجاد مخططات خارج البلدة ونقلت السكان إلى خارج البلدة القديمة التي كانت تشغل منخفضاً عميقاً نحو خمسة وثلاثين متراً عما حوله من الأرض، هذا المنخفض يبدو أنه كان مضرب نيزك أو جسم سماوي منذ ملايين السنين وهذه المنطقة ما شرق جبل سلمى تكثر فيها هذه المنخفضات سبق أن كتبت عنها في فقرة سابقة في هذا الكتاب وقد قامت بلدة طابة في هذا المنخفض منذ نحو قرنين من الزمن وكان فيها آبار ذات مياه عذبة قامت عليها بساتين النخيل وقد مررت بها عدة مرات والنخل بطوله لا ترى فروعه ولا أطراف ذراه إذا كنت خارج المنخفض، وبعد أن رحل الناس عن البلدة إلى المخططات الجديدة في براح من الأرض إلى الشمال الشرقي عن البلدة القديمة قلت فيها المياه وماتت البساتين بعد أن أهملها أهلها بعد تلك التصدعات في العام المذكور ولم يحدث أي شيء آخر، وآخر مرة زرت البلدة عام ١٤٢٧هـ فقد أصبحت بلدة عامرة بلغ عدد سكانها حسب إحصاء عام ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م ١٤٧١نسمة وبها عدد ٩ دوائر حكومية وكلها في المخططات الجديدة.

* * *

٢١١٥- قال محمد بن داود الهشامي: كان لذي الأصبع العدواني واسمه حرثان بن الحارث العدواني أربع بنات، وكن يخطبن فيعرض ذلك عليهن فيستحين ولا يزوجهن، وكانت أمهن تقول: لو زوجتهن! فلا يفعل، فخرج ليلة إلى متحدث لهن فاستمع عليهن وهن لا يعلمن فقلن: تعالين نتمنى ولنصدق، فقالت الكبرى:

ألا ليت زوجي من أنـــاس ذوي غـــنى   حديث الشباب طيب الريح والعطر
طبيـــب بـــأدواء النســـاء كأنـــه   خليفة جـــان لا ينـــام علـــى وتـــر

فقلن لها: أنت تحبين رجلاً من قومك فقالت الثانية:

الاهـــل أراهـــا ليلـــة وضـــجيعها   أشم كنصـــل الســـيف غـــير ملبـــد
لصـــوقا بأكبـــاد النســـاء وأصـــله   إذا ما انتمى من سر أهلـــي ومحتـــدي

فقلن لها: أنت تحبين رجلاً من قومك، فقالت الثالثة:

ألا ليتـــه يمـــلأ الجفـــان لضـــيفه   له جفنه يشقى بهـــا النيـــب والجـــزر
له حكمات الدهر مـــن غـــير كـــبرة   تشين ولا الفاني ولا الضـــرع العمـــر

قلن لها: أنت تحبين رجلاً شريفاً وقلن للصغرى: تمنى فقالت: ما أريد شيئاً، قلن والله لا تبرحين حتى نعلم ما في نفسك قالت: زوج من عود خير من قعود، فلما سمع ذلك أبوهن زوجهن أربعتهن فمكثن برهة ثم اجتمعن إليه فقال للكبري يَابُنَيَّهْ ما مالكم؟ قالت: الابل قال فكيف تجدونها؟ قالت: خير مال نأكل لحومها مزعاً ونشرب البانها جرعاً

وتحملنا وضعيفنا معاً قال: فكيف تجدين زوجك؟ قالت: خير زوج، يُكِنُّ الخليلة ويعطي الوسيلة قال: مال عميم وزوج كريم ثم قال للثانية: يا بنية: ما مالكم؟ قالت: البقر، قال: فكيف تجدون بها؟ قالت: خير مال تألف الفناء وتودك السقاء (بالزبد) وتملأ الاناء (بالحليب) ونساء في نساء قال: فكيف تجدين زوجك؟ قالت: خير زوج يكرم أهله وينسى فضله قال: حضيت فرضيت ثم قال للثالثة: يابنية مالكم؟ قالت: المعزى قال: كيف تجدونها؟ قالت: لا بأس بها نولدها فطما ونسلخها أدما (جلود) قال: فكيف تجدين زوجك؟ قالت: لابأس به ليس بالبخيل الحكر ولا بالسمح البذر، قال: جدوى مغنية ثم قال للرابعة: يا بنية ما لكم؟ قالت: الضأن قال: وكيف تجدونها؟ قالت: شر مال جوف لا يشبعن وهيم لا ينقعن وصم لا يسمعن وأمر مغويتهن يتبعن قال: فكيف تجدين زوجك؟ قالت: شرزوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال: أشبه أمرأ بعض بزه" أي أنه قريب الشبه منك.

* * *

٢١١٦- قال يونس الكاتب كنا يوماً متنزهين بالعقيق أنا وجماعة من قريش فبينا نحن على حالنا إذا أقبل ابن عائشة (محمد بن عائشة) يمشي ومعه غلام من بني ليث، وهو متوكئ على يده فلما رأى جماعتنا وسمعني أغني جاءنا فسلم وجلس إلينا وتحدث معنا وكانت الجماعة تعرف سوء خلقه وغضبه إذا سئل أن يغني فأقبل بعضهم على بعض يتحدثون بأحاديث

كثير وجميل وغيرهما من الشعراء يستجرونه بذلك لعله أن يطرب ويغني فلم يجدوا عنده ما أرادوا فقلت لهم لقد. حدثني اليوم بعض الأعراب حديثا يأكل الأحاديث فإن شئتم حدثتكم إياه، قالوا: هات قلت: حدثني هذا الرجل أنه مر بناحية الربذة (قرية شرق المدينة) فإذا صبيان يتغاطسان بغدير وإذا شاب جميل منهوك الجسم عليه أثر العلة والنحول جسمه بين وهو جالس ينظر إليهم، فسلمت عليه فرد علي السلام وقال: من أين وضح الراكب؟ (من أين اتى) قلت: من الحمى قال: ومتى عهدك به؟. قلت: رائحاً قال واين مبيتك؟ قلت ببني فلان قال: أواه! والقى بنفسه على ظهره وتنفس الصعداء فقلت: إنه خرف قلبه ثم أنشأ يقول:

سقى بلداً أمست سليمي تحلة ... من المزن ما يروي به ويسيم

وإن لم أكن من قاطنيه فإنه ... يحل به شخص علي كريم

ألا حبذا من ليس يعدل قربه ... لدي وان شط المزار نعيم

ومن لامني فيه حميم وصاحب ... فرد بغيط صاحب وحميم

ثم سكن كالمغشي عليه فصحت بالصبية فأتوا بماء فصببته على وجهه فأفاق وأنشأ يقول:

إذا الصب الغريب راى خشوعي ... وأنفاسي تَزَيَّنَ بالخشوع

ولي عين أضرها التفاني ... إلى الأجزاع مطلقة الدموع

إلى الخلوات يأنس فيك قلبي ... كما أنس الغريب إلى الجميع

فقلت له ألا أنزل فأساعدك أو اكر عودي على بدئي إلى الحمى إن كان لك فيه حاجة أو رسالة؟ فقال: جزيت خيراً وصحبتك السلامة! إمض لطيتك فلو علمت أنك تغنى شيئاً لكنت موضعاً للرغبة وحقيقا باسعاف المسألة ولكنك أدركتني في صبابة من حياتي يسيرة فانصرفت وأنا لا أراه يمسي ليلته إلا ميتاً فقال القوم: ما أعجب هذا الحديث واندفع ابن عائشة فتغني بالشعرين جميعا وطرب و لم يزل يغنينا إلى أن انصرفنا.

*　*　*

٢١١٧- المجاعات كفانا الله شرها، وأبعد شبحها عنا، تلم بالبلاد من حين لآخر خاص في الزمن الماضي عندما كان الناس يعتمدون على الله ثم على الحيوانات في تأمين لقمة العيش للسكان سواء أكان نقل الطعام من الأقطار المجاورة لنجد كالعراق والشام والكويت والاحساء أو كان يخرج على ظهور الإبل والبقر والحمير من الماء من جوف الأرض لسقي المزروعات وذلك في سنوات الجدب المحل حين يمتنع قطر السماء وتموت البهائم أو تهزل، ومن يطلع على كتابي" الحروب والمجاعات والأمراض وأثرها على التركيبة السكانية في نجد" ١٤٣٠هـــ ٢٠١٠م يرى الأسباب الكامنة وراء المجاعات التي تحدث بين الحين والآخر، والمسبب الرئيس هو الجدب وامتناع القطر الذي ينتج عنه قلة الأرزاق أو المجاعة التي حدثت عام ١٢٨٧هـــ ١٥٨٦م فقد حلت بالناس مجاعة شديدة على جميع المناطق النجدية واشتدت المؤنة وارتفعت الأسعار وغارت

المياه في الآبار فلم يجد الناس ما يشربونه من الماء ولا ما يأكلونه ومات من جراء هذه المجاعة خلق كثير كما يقول المؤرخون خاصة من صغار السن أو كبار السن، وفي الوقت الحاضر قد يكون أيسر بعض الشيء من ذلك الوقت حين وجدت السيارات ووسائل النقل من سيارات وقطارات وطائرات وغيرها لنقل المؤن من أماكن بعيدة، ويبقى موضوع الأزمات والحروب التي تعوق وصول الإمدادات بهذه المؤن لمستحقيها كالذي حدث في البلاد التي جرت فيها حروب وشغاشغ تعرض السكان اثناءها وفي أثرها إلى مجاعات مؤلمة وإن لم تكن مثل المجاعات في الزمن القديم الذي لا يجد فيه الناس ما يأكلونه ويضطرون إلى أكل ما لا يؤكل، وما نشاهده الآن من حملات الإنقاذ والإغاثة التي تحصل وقت الكوارث والنكبات والحروب من توزيع الأغذية والملابس وإن كانت غير كافية إلا أنها قد تسد الرمق وتستر العرى وتدفئ الأجسام كفانا الله شرها وأبعدها عنا وعن بلاد العرب والمسلين والعالمين أجمعين دون إستثناء، وإن كان أكثر من ابتلى بها في السنوات الأخيرة بلاد العرب والمسلمين والفقراء.

* * *

٢١١٨- قصيدة ذي الأصبع العدواني واسمه حرثان بن الحارث العدواني النونية وهي قصيدة جميلة أعجبتني وموضوعها العلاقات بين الأقارب حين قال:

يامن لقلب شديد الهم محزون	أمسى تذكر ريا أم هارون
أمسى تذكرها من بعدما شطحت	والدهر ذو غلظ حينا وذو لين
فإن يكن حبها أمسى لنا شجناً	واصبح الولي حتما لا يواتيني
فقد غنينا وشمل الدار يجمعنا	أطيع ريا وريا لا تعاصيني
نرمي الوشاة فلا نخطي مقاتلهم	بخالص من صفاء الود مكنون
ولي ابن عم على ما كان من خلق	مختلفان فأقليه ويقليني
أزرى بنا أننا شالت نعامتنا	فخالني دونه وخلته دوني
لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب	شيئاً ولا أنت دياني فتخزوني
ولا تقوت عيالي يوم مسغبة	ولا بنفسك في العراء تكفيني
فإن ترد عرض الدنيا بمنقصتي	فإن ذلك مما ليس يشجيني
ولا ترى فيَّ غير الصبر منقصة	وما سواه فإن الله يكفيني
لولا أواصر قربي لست تحفظها	ورهبة الله في مولى يعاديني
إذا بريتك بريا لا انجبار له	إني رأيتك لا تنفك تبريني
إن الذي يقبض الدنيا ويبسطها	إن كان أغناك عني سوف يغنيني
الله يعلمكم والله يعلمني	والله يجزيكم عني ويجزيني
ماذا عليَّ وإن كنتم ذوي رحمي	ألا أحبكم إن لم تحبوني
لو تشربون دمي لم يرو شاربكم	ولا دماؤكم جمعا ترويني
ولي ابن عم لو أن الناس في كبدي	لظل محتجزاً بالنبل يرميني
ياعمرو إن لم تدع شتمي ومنقصتي	أضربك حتى تقول الهامة اسقوني

كل امرئ صائر يوماً لشيمته	وإن تخلق أخلاقاً إلى حين
إني لعمرك ما بابي بذي غلق	عن الصديق ولا خيري بممنون
ولا لساني على الأدنى بمنطلق	بالمنكرات ولافتكي بمأمون
لا يخرج القسر مني غير مغضبة	ولا ألين لمن لا يبتغي ليني
وأنتم معشر زَيْدٌ على مئة	فأجمعوا أمركم شتى فكيدوني
فإن علمتم سبيل الرشد فانطلقوا	وإن غبيتم طريق الرشد فأتوني
يارب ثوب حواشيه كأوسطه	لا عيب في الثوب من حسن ومن لين
يوماً شددت على فرغاء فاهقة	يوماً من الدهر تارات تماريني
ماذا على إذا تدعونني فرعاً	ألا اجيبكم إذ لا تجيبوني
وكنت أعطيكم مالي وأمنحكم	ودي على مثبت في الصدر مكنون
يارب حي شديد الشغب ذي لجب	ذعرت من راهن منهم ومرهون
رددت باطلهم في رأس قائلهم	حتى يظلوا خصوماً ذا أفانين
ياعمرو لو كنت لي ألفيتني يسراً	سمحاً كريماً أجازي من يجازيني

* * *

٢١١٩-قال محمد بن قيس: وجهني عامل المدينة إلى يزيد بن عبد الملك وهو إذ ذاك خليفة، فلما خرجت عن المدينة إذ أنا بامرأة جالسة على الطريق وشاب نائم وهو يتلوى وراسه يسقط في حجرها، وكلما سقط أعادته مكانه، فسلمت فردت السلام، والشاب مشغول بنفسه، فسألتها عنه، فقالت: ياعبد الله، هل لك في الأجر والمثوبة؟ فقلت لا أبغي سواهما

قالت: هذا ولدي، وكانت له ابنة عم تربيا معاً، شغفت به وشغف بها، وعلم بذلك أبوها، وعلم بهما أهل المدينة فحجبها عنه، وكان يأتي الموضع والخيام فيبكي، ثم خطبها من أبيها، فأبى أن يزوجه، لأنه يرى ذلك عيباً أن تزوج إمرأة من رجل يحبها!! ثم خطبها رجل غيره فزوجها أبوها منه منذ خمسة أيام، وهو على ما ترى لا يأكل ولا يشرب ولا يعقل، فلو نزلت إليه وتحدثت معه، ووعظته وسليته فلعله يسكن إلى حديثك ويتقوت بشيء من الطعام! قال: فترلت ودنوت منه، وتلطفت به فرجع إليَّ طرفه وقال بصوت حزين:

ألا مـــا للمليحـــة لا تعـــود	أبخـــل بالمليحـــة أم صـــدود
مرضـــت فعـــادني أهلـــي جميعـــاً	فمـــا لـــك لا نـــرى فـــيمن يعـــود
فقـــدتك بينـــهم فبكيـــت شـــوقاً	وفقـــد الألـــف ياســـلمى شـــديد
ومـــا اســـتبطأت غـــيرك فأعلميـــه	وحـــولي مـــن ذوي رحمـــي عديـــد
فلو كنـــت المريضـــة كنـــت أســـعى	إليـــك ولم ينهنـــهني الوعيـــد

ثم سكن فنظرت المرأة إلى وجهه وصرخت وقالت: والله فاضت نفسه! قالتها والله ثلاث مرات فغشيني من ذلك هم وغم، ولما رأت العجوز ما حلَّ بي من الحزن قالت: ياولدي هون عليك، والله لقد استراح من تباريحه وغصصه، فهل لك في استكمال الأجر؟ قلت: قولي ما أحببت، قالت: هذا الحي منك قريب فإن رأيت أن تمضي إليهم فتنعيه لهم، وتسألهم الحضور ليعينوني على مواراته فافعل، فركبت وأتيت الحي

ونعيته لهم وأخبرهم بصورة أمره، فبقيت أدور في الحي وإذا أنا بامرأة قد خرجت من خبائها تجر خمارها ناشرة شعرها فقالت: أيها الناعي من تنعي؟ فقلت: فلان قالت: بالله عليك مات! قلت: نعم، قالت: هل سمعت منه شيئاً قبل موته؟ قلت: نعم وانشدها الشعر فاستمرت باكية وأنشأت تقول:

عداني أن أزورك ياحبيبي معاشر كلهم واش حسود
أشاعوا ما علمت من الرزايا وعابونا وما فيهم رشيد
فإما إذ ثويت اليوم لحداً فدور الناس كلهم لحود
فلا طابت لي الدنيا حياة ولا سحت على الأرض الرعود

ثم خرجت مع القوم وهي تولول حتى أتنيا إلى الغلام فغسلناه وصلينا عليه ودفناه ثم تفرقنا عن قبره وجعلت تصرخ وتلطم، ثم ركبت ومضيت وهي على تلك الحال، فأتيت يزيد وناولته الكتاب فسألني عن أمور الناس وما رأيت في طريقي فأخبرته الخبر، فقال يامحمد إمض الساعة قبل أن تشتغل في غير هذا حتى تمر بأهل الفتى وبني عمه وتمضي بهم إلى عامل المدينة فتأمره أن يثبتهم في شرف العطاء، وإن كان أصاب الجارية ما أصابه فافعل بأهلها كما فعلت بأهله وارجع حتى تخبرني بالخبر وتأخذ جواب الكتاب، قال: فخرجت حتى انتهيت إلى قبر الغلام فوجدت بجانبه قبراً آخر فسألت عنه فقالوا هذا قبر الجارية، لم تزل تصرخ وتلطم حتى فاضت نفسها ودفنت بجانبه، فدفعت أهلهما

ومضيت بهم إلى عامل المدينة فأثبتهم في شرف العطاء وعدت فأخبرته فأجازني على ذلك جائزة حسنة.

* * *

٢١٢٠- أهداني الصديق الحبيب الأستاذ محمد بن عبد الرزاق القشعمي كتاباً ألفه عن بدايات الطيران ووجدت في آخره نبذة عن رائد الفضاء العربي المسلم عباس بن فرناس الأموي الأندلسي وبسبقه للغرب في فكرة الطيران بأكثر من عشرة قرون نحو الألف سنة فأحببت أن أُلْقِيَ الضوء على هذا السبق ليكون القارئ الكريم على علم بما كان، فعباس بن فرناس مخترع أندلسي من موالي بني أمية من أهل قرطبة ظهر في عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الثاني بن الحكم في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ٢٧٠هـ-٨٨٠م، وكان عالماً وفيلسوفاً وهو أول من استنبط الزجاج، من السليكا في الأندلس، كما صنع الميقاتة وهي الساعة لقياس الوقت، وقد برع في الهندسة فقد بنى قبة سماوية مثل فيها النجوم والغيوم والبرق والرعدن ومن أهم أعماله اهتمامه بالطيران، حيث يعتبر أول طيار اخترق الجو في العصور الوسطى حيث عمد إلى تغطية جسمه بالريش كما مَدَّ له جناحين طار بهما في الجو مسافة بعيدة ثم سقط فتأذى ظهره كما جاء في الموسوعة العالمية، عاد ابن فرناس من تجربته المدهشة، وإذا كان لم ينجح سعيه في هذا المجال إلا أنه كان أول من حفر النفق وأفسح مكاناً لأول ضوء قاد من جاءوا بعده، وقد شهد

لعباس بن فرناس أستاذ التاريخ الأمريكي (لين هوايت) الذي نشر بحثه العلمي في مجلة "التكنولوجيا والثقافة عام ١٩٦٠م ومما جاء فيه: وإنما الجدير بالذكر في هذا الشأن هو ضرورة تتبع المحاولات العلمية التجريبية الشهيرة في التاريخ الحضاري قبل (إيلمر) والتي يمكن حصرها في أضخم واجرأ تجربة علمية للطيران هي تجربة ابن فرناس إذ لم تشبها أي شائبة من خرافة أو خيال، وإنما تتصف باطنها بالمنهجية العلمية بكل المقاييس، بالإضافة لذلك فإن تجربة ابن فرناس قد صار تطبيقها وفق نظريتين علمتين وضعها العالم المسلم مازال يؤخذ بها إلى هذا اليوم في مجال الطيران ومما لا شك فيه أن تجربة ابن فرناس في الطيران قد كانت المصدر الوحيد للأوربيين منذ القرن الحادي عشر الميلادي، فمن غير المشكوك فيه أن يكون رائد الطيران الأوروبي (إيلمر) ومن جاء بعده قد قرأوا عن تجربة ابن فرناس واتخذوا منها مصدراً لاستلهام فكرة الطيران في أوروبا، ومع الأسف أن كتُّاب الموسوعات الحديثة ينصفون الأخوين (رايت) وينسون أو يتناسون مترلة المخترع العربي المسلم عباس بن فرناس الذي سبق عباقرة القرن العشرين بأكثر من عشرة قرون، علماً أن الاختراعات في ذلك العصر تُعَدُّ من عجائب الدهر، إن اختراعاته المدهشة وتجاربه المذهلة تُعَدُّ من مفاخر المسلمين ومآثرهم، لقد كان صاحب مغامرات نادرة فقد طار وحلق في الهواء كما تطير الطيور، ويعتبر أول رائد فضاء في التاريخ سبق (أورفيل) و(ويلبورن رايت) الذين طارا في الطيران الآلي عام ١٩٠٣م ١٣٢١هـ قال الشاعر:

إن يركب الغرب متن الـريح مبتـدعاً ما قصرت عن مـداه حيلـة النـاس

فإن للشـرق فضـل السـبق يعرفـه للجـوهري وعبـاس بـن فرنـاس

قد مهـدا سـبلاً للنـاس تسـلكها إلى السماء بفضـل العلـم والبـاس

* * *

٢١٢١- قال أحمدبن المبارك عن أبيه: كان بالبصرة فتى من بني منقر (من تميم) وأمه عجلية (من عجل) وكان يبعث في كل عيد أضحية لبشار باضحية من الأضاحي التي كان أهل البصرة يسمنونها سنة وأكثر للأضاحي، ثم تباع الأضحية بعشرة دنانير، ويبعث بعضها ألف درهم، فأمر وكيله في بعض السنين أن يجريه على رسمه، فاشترى له نعجة كبيرة غير سمينة وسرق باقي الثمن، وكانت نعجة عبدلية من نعاج عبد الله بن دارم وهو نتاج مرذول، فلما أدخلت عليه قالت جاريته ربابة: ليست هذه الشاة من الغنم التي كا يبعث بها إليك فقال: أدنيها مني فأدنتها ولمسها بيده ثم قال:أكتب يا غلام:

وهبـت لنـا يـا فـتى منقـر وعجـل وأكـرمهم أولا

وأبسـطهم سـاحة في النـدى وأرفعهـم ذروة في العـلا

عجـوزاً قـد أوردهـا عمرهـا واسـكنها الـدهر دار البلـى

سـلوحاً توهمـت أن الرعـاة سـقوها ليسـهلها الحـنظلا

أضـرط مـن أم مبتاعهـا إن اقتحمـت بكـرة حـوملا

فلو تأكل الزبد في الفرسيان وَتدَّمِجَ المسك والمندلا
كما طيب الله أرواحها ولا بل من عظمها الأقحلا
وضعت يميني على ظهرها فخلت حراقيفها جندلا
وأهوت شمالي لعرقوبها فخلت عراقيبها مغزلا
وقلبت إليتها بعدذا فشبهت عصعصها منجلا
فقلت أبيع فلا مشربا أرجي لديها ولا مأكلا
ام أشوى وأطبخ من لحمها وأطيب من ذاك مضغ السلا
إذا ما أمرت على مجلس من العجب سبح أو هللا
رأوا آيه خلفها سائق يحث وإن هرولت هرولا
وكنت أمرت بها ضخمة بلحم وشحم قد استكملا
ولكن روحاً عدا طوره وما كنت أحسب أن تفعلا
فعض الذي خان في أمرها من أست أمه بظرها الأغرلا
ولولا استحائيك خضبتها وعلقت في جيدها جلجلا
فجاءتك حتى ترى حالها فتعلم أني بها مبتلي
سألتك لحما لصبياننا فقد زدتني فيهم عيلا
فخذها وأنت بنا محسن وما زلت بي محسن مجملا

وبعث بالرقعة إلى الرجل فدعا بوكيله وقال له: ويلك! تعرف أنني أفتدي من بشار بما أعطيه وتوقعني في لسانه!إذهب فاشتر لبشار وإن قدرت أن تكون مثل الفيل فافعل وأبلغ بها ما بلغت وابعث بها إليه.

١- الفرسيان نوع من جيد التمر.

٢- السلا ما يخرج مع الوليد من رحم أمه.

* * *

٢١٢٢- قال ميمون الآمدي: (ركبت بحر الخزر (بحر قزوين) أريد بلداً حتى إذا ما كنت منه غير بعيد لُجِّجَ مركبنا فاستا قته ريح الشمال شهراً في اللجة ثم انكسر بنا فوقعت أنا ورجل من قريش إلى جزيرة في البحر فجعلنا نطوف حتى أشرفنا على هوة وإذا بشيخ مستند على شجرة عظيمة فلما رآنا تحشش (تحرك) وأناف إلينا (اشرف) ففزعنا منه ثم دنونا نحوه، وقلنا السلام عليك أيها الشيخ، قال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فأنسنا، فقال: ما خطبكما؟ فأخبرناه فضحك وقال ما وطئ هذا الموضع أحد من بني آدم قط، فمن أنتما؟ قلنا: من العرب، قال بأبي وأمي العرب، فمن أيها؟ قلت:أما أنا فرجل من خزاعة وأما صاحبي فمن قريش قال: بأبي قريش وأجمدها! قال: يا أخا خزاعة هل تدري من القائل:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... انيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا ... صروف الليالي والجدود العواثر

قلت: نعم ذلك الحارث بن مضاض الجرهمي قال ذلك مؤديها وأنا قائلها في الحرب التي كانت بينكم معشر خزاعة وبين جرهم يا أخا. قريش: اولد عبد المطلب بن هاشم؟ قلت: وأين يذهب بك، رحمك الله

قربا وعظم قال: أرى زمانا قد تقارب إبانه افولد ابنه عبد الله؟ فقلنا: وأين يذهب بك؟ أتسألنا مسألة من كان في الموتى قال: فتزايدثم قال: فابنه محمد الهادي قلت: هيهات! مات رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أربعين سنة فشهق ثم ظننا أن نفسه قد خرجت وانخفض حتى صار كالفرخ وأنشأ يقول:

ولـــرب راج حيـــل دون رجائـــه ومؤمـــل ذهبـــت بـــه الآمـــال

ثم جعل ينوح ويبكي حتى بل دمعه لحيته فبكينا لبكائه ثم قال: ويحكما! فمن ولي الأمر بعده؟ قلنا: أبو بكر الصديق وهو رجل من خير أصحابه ثم قال: ثم من؟ قلنا عمر بن الخطاب قال: أفمن قومه؟ قلنا: نعم قال: أما إن العرب ما زالت بخير ما فعلت ذلك.

* * *

٢١٢٣- يحلو لبعض المحبين والعشاق إذا ضاق صدره أن يرتقي في رأس جبل او رابية أكمة أو أي مرتقي ليبوح بما يكنه صدره من لواعج الشوق وهواجس الوجدان وأشجان الفؤاد ونوازع النفس وهي طريقة قديمة تقليدية سار عليها القدماء وتبعهم من جاء بعدهم سواء أكان هذا الارتقاء للمرتفعات الحقيقية أو من الخيال حيث يتصور أنه ارتقى أو (نط) أو (عَدًّا) برأس ذلك الجبل أو الهضبة أو الحزم أو الحزن أو الرابية وعند ذلك يخلو بنفسه ويتمنى ما يريد أو يتوجد على من يحب وحيل

بينه وبين حبيبه بأي مانع من الموانع إذ ربما تكون هذه المحبوبة متزوجة وبعصمة رجل وتوجده عليها يأتي من باب التمني وتهنئة من هي ملك يمينه وكم مر علينا من قصص المحبين من أمثال هذه التمنيات والتوجد والتحرق وأحيانا يكون هذا الانفراد بالنفس من أجل تجرع غصص المعانات والتعبير عما في النفس وقد يبكى ويتألم كما فعل رقاد بن هقشان الدغماني الذي إدعى أنه سيل رأس كثيب الرمل أو (الطعس) بدموعه حين قال:

٨٣- رِقَيْـــتَ أَنَـــا رَاسْ مَيْقُـــوْعِ   مِنْ عَرْضْ مِـــنْ نَـطْ وَارْقَـبْ بُـهْ

٨٤- مَايْرِقِبَـــهْ كُـــوْدْ مَلْقُـــوْعِ   مِشْـــرَافْ مِـــنْ عَذّبُـــهْ رَبَـــهْ

٨٥- وْسَـيَّلْتْ أَنَـا الطَّعْـسْ بِـدْمُوْعِيْ   مِثْـــلَ الهَمَالِيْـــلْ مِنْصَـــبَّهْ

وما ماجد بن غضبان الحثربي عنا ببعيد حين كان ينفرد بنفسه في رأس حبيل غير بعيد عن نزل العرب يمضي فيه النهار بطوله ويضاعف من معاناته ويتجرع مرارتها التي جسدها بقصيدته التي مطلعها:

٩٤- يَا عَمْرُوْ يَالْمِذْلاَةْ يَا نَـازِلْ الخَـوْفْ   عَذّبْتِنِيْ وِانْتَـهْ تْنَشَّـدْ مْـنِ العَـامْ

ومنها:

٩٥- لَوْ يِعْتِرِضْ لِيْ لاَبِسْ الخِضِرْ وِشْنُوْفْ   فِي دِيْرِةٍ لاَحَـوْلْ كِفَـرِ وَلاَ إِسْـلاَمْ

٩٦- مَا اعَارْضُهْ لَوْ هُوْ بَانٍ مِـنْ الخَـوْفْ   وْلاَ أَبِيْهْ لَو إِنُّهْ عَلَـى الـرُّوْحْ عَـزَّام

ومن ذلك هذا الشاعر الذي لم أعثر على اسمه وقد جسد معاناته ووجده وأمانيه حين ارتقى ذلك الرجم ويعني الجبل وقال هذه الأبيات:

٩٧- عَدَّيْتْ لِيْ رِجْمٍ خَلِيٍّ بَـلاَ أَوْنَـاسْ قَفْرِيِّـةٍ فِيْهَـا الجُـوَازِيْ رُتُـوْعِيْ

٩٨- لاَ وَقْتْ راسُهْ دَقْ بَالْقَلْبْ هُوْجَـاسْ عَوَى ضِمِيْرِيْ وِاسْـتَلَجَّنْ ضْـلُوْعِيْ

٩٩- عَلَيْكْ يَاوِرْعٍ تِكِدْ أَشْـقَرْ الـرَّاسْ صْـغَيْرٍ تَـوَّهْ لُهُـوْدَهْ طْلُـوْعِ

١٠٠- لاَ وَاهَنِيْ عْبَيْد فِي زَيْـنَ الأَلْبَـاسْ اَللّيْ مَنَامَـهْ فِـي حْضَـيْنَ الفـرُوُعْ

١٠١- وَأَنَـا مَنَـامِيْ بَالَمهَفَّـةْ وَالاتْعَـاسْ إِرْكِيْ عَلَى حَدَّ الزَّرَايِـبْ ضْـلُوْعِيْ

* * *

٢١٢٤- شكا اليزيدي (يحى بن المبارك بن المغيرة) إلى المأمون خلة (حاجة) أصابته ودينا لحقه، فقال: ما عندنا في هذه الأيام ما إن أعطيناكه بلغت به ما تريد فقال: يا أمير المؤمنين إن الأمر قد ضاق عليَّ وإن غرمائي قد أرهقوني، قال: فَرُمَّ لنفسك أمراً تنل به نفعاً فقال: لك منادمون فيهم ما إن حركته نلت منه ما أحب فأطلق لي الحيلة فيهم، قال: قل ما بدالك، قال: فإذا حضروا وحضرت فمر فلانا الخادم أن يوصل إليك رقعتي فإذا قرأهّا فأرسل إلي: دخولك في هذا الوقت متعذر، ولكن اختر لنفسك ما أحببت فلما علم اليزيدي بجلوس المأمون واجتماع ندمائه إليه وتيقين أنهم في سرور أتى الباب فدفع إلى ذلك الخادم رقعة كتبها، فأوصلها إلى المأمون فقرأهافإذا فيها:

يـــا خـــير إخـــواني وأصـــحابي هـــذا الطفيلـــي لـــدى البـــاب
خـــير أن القـــوم في لـــذة يصـــبو إليهـــا كـــل أواب
فصـــيروني واحـــداً مـــنكم أو أخرجـــوا لي بعـــض اتـــرابي

فقرأها المأمون على من حضره فقالوا: ما ينبغي أن يدخل هذا الطفيلي على مثل هذه الحالة، فأرسل إليه المأمون: دخولك في هذا الوقت متعذر، فاختر لنفسك من أحببت تنادمه، فقال: ما أرى اختياراً غير عبد الله بن طاهر فقال المأمون: قد وقع اختياره عليك فسر إليه، قال: يا أمير المؤمنين: فما أكون شريك طفيلي! فقال: ما يمكن رد أبي محمد عن أمرين فإن أحببت أن تخرج وإلا فافتد نفسك فقال: يا أمير المؤمنين له علي عشرة آلاف درهم! قال: لا أحسب ذلك يقنعه منك في مجالستك فلم يزل يزيد عشرة عشرة والمأمون يقول له:لا أرضى له بذلك حتى بلغ مئة ألف درهم. فقال المأمون: فجعلها فكتب له بها إلى وكيله ووجه معه رسولاً فأرسل إليه المأمون قبض هذه في مثل هذه الحال اصلح لك من منادمته على مثل حاله وانفع عاقبه.

* * *

٢١٢٥- قال الحارث بن سليمان الهجيمي: شهدت مجلس أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك بن مروان وكان عنده رؤبة بن العجاج، وأتاه سليمان بن سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان فقال: يا أمير المؤمنين أتيتك مستعديا، قال: ومن بك؟ قال: موسى شهوات، قال: وما قاله؟

قال سمع بي (شهر بي)؟ واستطال في عرضي قال: يا غلام علي بموسى فأتني به، فأتي به فقال: ويلك! أسمعت به واستطلت في عرضه؟ قال: ما فعلت يا أمير المؤمنين، ولكني مدحت ابن عمه فغضب هو، قال: وكيف؟ قال: علقت جارية لم يبلغ ثمنها جدتي (مقدرتي) فأتيته وهو صديق فشكوت إليه ذلك، فلم أصب عنده شيئاً فأتيت ابن عمه سعيد بن خالد بن عبد الله بن أسيد فشكوت إليه ما شكوته إلى هذا فقال: تعود إلي فتركته ثلاثا ثم أتيته فسهل من إذني فلما استقر بي المجلس قال: يا غلام قل لِقَيِّمَتْي هاتي وديعتي ففتح الباب بين بيتين وإذا بجارية فقال لي: أهذه بغيتك؟ قلت نعم فداك أبي وأمي! قال: إجلس ثم قال: يا غلام قل لقيمتي: هاتي ظبية نفقتي (الطبية جراب صغير من جلد الظبي) فأتي بظبيه فنثرت بين يديه فإذا فيها مئة دينار ليس فيها غيرها فردت في الظبية ثم قال: عتيدة طيبي (الحقة يكون فيها طيب الرجل) فأتى بها فقال: ملحفة فراشي فأتي بها فصير ما في الظبية وما في العتيدة في حواشي الملحفة ثم قال: شأنك بهواك (اي جاريتك) واستعن بهذا عليه قال سليمان بن عبد الملك فذاك حين تقول:

أبا خالد أعني سعيد بن خالد	**أخا العرف لا أعني ابن بنت سعيد**
ولكني أعني ابن عائشة الذي	**ابو أبويه خالد بن أسيد**
عقيد الندى ما عاش يرضى به الندى	**فإن مات لم يرض الندى بعقيد**
دعوه، دعوه إنكم قد قدرتم	**وما هو من أحسابكم برقود**

فقال سليمان: علي يا غلام بسعيد بن خالد فأتى به فقال: أحق ما وصفك به موسى؟ قال: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ فأعاد عليه فقال: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين قال: فما طوقتك هذه الأفعال؟ قال: ثلاثين ألف دينار، قال: قد أمرت لك بمثلها وبمثلها وبمثلها، وثلث مثلها، فحملت إليه مائة ألف دينار قال فلقيت سعيدبن خالد بعد ذلك فقلت له: ما فعل المال الذي وصلك به سليمان؟ قال: ما أصبحت والله أملك منه إلا خمسين ديناراًقلت: ما اغتاله؟ قال: خلة من صديق أو فاقه من ذوي رحم.

* * *

٢١٢٦- المعادن في بلادنا كثيرة ولله الحمد إضافة إلى النفط والغاز السائلين ومن المعادن التي تحتضنها تربة بلدنا الذهب والفضة والحديد والفوسفات والكبريت وغير ذلك، من هذه المعادن ما يجري استغلاله واستخراجه ومنها ما ندخره لمستقبل الأيام عندما ينضب النفط والغاز فالثروة المعدنية لا تزال نائمة في أما كنها إلى اليوم الذي يجري فيه استخراجها للأجيال القادمة إن شاء الله، ففي ١٣٧١/٩/٦هـ ١٩٥١م تم اكتشاف مناجم غنية بالحديد والكبريت الخالص في الشمال الغربي من المملكة وجلبت الشركة المكلفة معدات تقيلة تمهيداً للانتاج. غير انه حتى الآن لم يتم في تلك المنطقة انتاج أي شيء من الحديد في تلك المنطقة أما الفوسفات والألمنيوم فهناك بوادر للانتاج حيث جرى بناء

خط حديدي لنقل خام الألمنيوم إلى البحرين عبر هذا الخط الحديدي وكذلك الفوسفات وهناك معدن الأورانيوم النفيس من جنوب غرب حائل حول بلدة ضرغد (ضرغط) وهناك بوادر لاستخراج هذا المعدن من هذه المنطقة التي قد تنتعش وتتحسن أوضاعها عند استخراج هذه المعادن منها، وهناك الآن جبال من الجرانيت في هذه المنطقة هي جبل أجأ بطوله الذي يبلغ نحو ١٠٠ كيل وعرضه الذي يتراوح بين ٣٠-٣٥ كيلاً وارتفاعه الذي يبلغ ١٣٥٠متراً فوق سطح البحر وجبل سلمى الذي يبلغ طوله نحو ٦٠ كيلاً وعرضه ١٥ كيلاً وارتفاعه ١٢٠٠م فوق سطح البحر وجبل رَمَّانْ الأحمر الذي يبلغ طوله نحو ٤٠ كيلاً وعرضه نحو ١٥ كيلا وارتفاعه ١١٠٠ متر فوق سطح البحر وجبلي قنا وقني الذين يأتي طولهما نحو ٢٠ كيلا وعرضها نحو ١٠ أكيال وارتفاعهما حوالي ٩٠٠ متر فوق سطح البحر هذه الجبال الخمسة كل صخورها من الجرانيت الذ ي يعتبر مادة جيدة من مواد البناء وتجري الآن تجارب على صخور من أجأ بأخذ عينات منها واجراء التجارب عليها لمعرفة أنواع الجرانيت وصلابته وهشاشته بعض صخوره فضلاً عن المعادن الموجودة في الجبال السود والحرار المنتشرة في تلك المنطقة.

* * *

٢١٢٧- قال علي بن يوسف: كنت عند أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي (كان كريماً سريا جواداً شجاعاً) فاستأذن عليه حاجبه لجعيفران الموسوس، فقال له: أي شيء أصنع بموسوس قد قضينا حقوق العقلاء وبقي علينا حقوق المجانين فقلت له: جعلت فداء الأمير موسوس أفضل من كثير من العقلاء وإن له لسانا يتقي وقولاً مأثوراً يبقى فالله الله أن تحجبه! فليس عليك منه أذي ولا ثقل؟ فأذن له فلما مثل بين يديه قال:

يـــا أكـــرم العـــالم موجـــوداً	ويـــا أعـــز النـــاس مفقـــودا
لمـــا ســـألت النـــاس عـــن واحـــد	أصـــبح في الأمـــة محمـــوداً
قـــالوا جميعـــا إنـــه قاســـم	أشـــبه آبـــاء لـــه صـــيدا
لـــو عبـــدوا شـــيئاً ســـوى ربهـــم	أصـــبحت في الأمـــة معبـــودا
لا زلـــت في نعمـــي وفي غبطـــة	مكرمـــا في النـــاس محـــدودا

فأمر له بكسوة وبألف درهم فلما جيء بالدراهم أخذ منها عشرة وقال: تأمر القهرمان (المسئول عن صرف المال) أن يعطيني الباقي مفرقا كلما جئت، لئلا تضيع مني فقال للقهرمان أعطه المال كلما جاء فأعطه ما شاء حتى يفرق الموت بيننا فبكى عند ذلك جعيفران وتنفس الصعداء وقال:

يمـــوت هـــذا الـــذي أراه	وكـــل شـــيء لـــه نفـــاد
لـــو غـــير ذي العـــرش وأم شـــيء	لـــدام ذا الفضـــل والجـــواد

فذهب ثم لقيته بعد مدة فقال: يا أبا حسن اسمع ما قلته في الأمير:

أبـــا حســـــن بلغـــن قاسمــا بــأني لم أجفــه عــن قــلا
ولا عـــن مـــلال لإتيانـــه ولا عـــن صـــدود ولا عـــن عنـــا
ولكـــن تعففـــت عـــن مالـــه وأصـــفيته مـــدحتي والثنـــا
أبـــو دلـــف ســـيد ماجـــد ســـني العطيـــه رحـــب الفنـــا
كـــريم إذا انتابـــه المعتفـــو ن عمهـــم بجزيـــل الحبـــا

فأبلغتها أبا دلف وحدثته بالحديث فقال: لقد لقتيه منذ أيام فلما رأيته وقفت له وسلمت عليه وتحضيت به فقال لي سرأيها الأمير على بركة الله ثم قال:

يا معـدي الجـود علـى الأمـوال ويـا كـريم الـنفس والفعـال
قـد صـنتني عـن ذلـة السـؤال بجـودك المـوفي علـى الآمـال
صـانك ذو العـزة والجـلال مـن غـير الأيـام والليـالي

ولم يزل يختلف على أبي ويزره ويبره حتى افترقا.

* * *

-٢١٢٨

تعلقـت ليلـى وهـي ذات ذؤابـة ولم يبد للأتراب مـن ثـديها حجـم
صغيرين نرعى البـهم ياليـت أننـا إلى اليوم لم نكـبر ولم يكـبر البـهم

قال ابن الكلبي: كان سبب عشق المجنون ليلى،أنه أقبل ذات يوم على ناقة له كريمة وعليه حلتان من حلل الملوك فمر بأمرأة من قومه يقال لها

كريمة وعندها جماعة نسوة يتحدثن فيهن ليلى، فأعجبهن جماله وكماله فدعونه إلى الترول والحديث فترل وجعل يحدثهن وأمر عبداً له كان معه فعقرلهن ناقته وظل يحدثهن بقية يومه فبينا هو كذلك إذ طلع عليهم فتى عليه بردة من برود الأعراب يقال له: منازل يسوق معزى له، فلما رأينه أقبلن عليه وتركن المجنون فغضب وخرج من عندهن وأنشأ يقول:

أأعقــر مــن جــرا كريمــة نــاقتي ووصلي مغــروس لوصــل منــازل
إذا جــاء قعقعــن الحلــي ولم أكــن إذا جئت أرضى صوت تلك الخلاخل
متى مــا انتضــلنا بالســهام نضــلته وإن نرم رشقا عندها فهــو ناضــلي

فلما أصبح لبس حلته وركب ناقةله أخرى ومضى متعرضا لهن فألفى ليلى قاعدة بفناء بيتها وقد علق حبه بقلبها وهويته وعندها جوير بات يتحدثن معها فوقف بهن وسلم فدعونه إلى الترول وقلن له: هل لك في محادثة من لا يشغله عنك منازل ولا غيره؟ فقال: إي لعمري فترل وفعل مثل ما فعله بالأمس فأرادت أن تعلم هل لها عنده مثل ماله عندها فجعلت تعرض عن حديثه ساعة بعد ساعة وتحدث غيره، وكان قد علق بقلبه مثل حبها إياه وشغفته واستملحها فبيناهي تحدثه إذ أقبل فتى من الحي فدعته وسارته سراراً طويلاً ثم قالت له: انصرف ونظرت إلى وجه المجنون قد تغير وانتقع لونه وشق عليه منها فأنشأت تقول:

كلانــا مظهــر للنــاس بغضــا وكــل عنــد صــاحبه مكــين
تبلغنــا العيــون بمــا أردنــا وفي القلــبين ثم هــوى دفــين

فلما سمع البيتين شهق شهقةشديدة وأغمي عليه فمكث ذلك ساعة ونضحوا الماء على وجهه حتى أفاق وتمكن حب كل واحد منهما من قلب صاحبه حتى بلغ منه كل المبلغ (يمكن أن تكون هذه الراوية في مرحلة متأخرة).

* * *

٢١٢٩- المياه التي يشربها الناس اليوم والتي يستعملونها لمختلف الأغراض كانت في الزمن السابق تستخرج من الآبار والعيون، ومع ازدياد أعداد الناس وشرههم في استهلاك المياه لمختلف الخدمات المترلية لم تعد الكميات المستخرجة من الآبار بواسطة الحيوانات والمضخات أو المجلوبة من العيون كافية لاسيما مع شح نزول الأمطار في السنوات الأخيرة فقد اضطرت الدولة من أجل تأمين المواطنين بالكمية الكافية من احتياجاتهم إلى الاستعانة بمياه البحار فقامت محطات التحلية على الخليج العربي والبحر الأحمر وذلك لتزويد المدن المتنامية بكميات المياه الكافية وقامت على البحر الأحمر عدة محطات لتزويد مكة المكرمة وجدة والطائف وما حولها بالماء ومحطات لتزويد مدن المنطقة الجنوبية أبها خميس مشيط وغيرهما ومحطة لتزويد المدينة المنورة وينبع وما حولهما وفي يوم ١٤٠٣/٩/١٠هـ وافق الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله على ترسية الجزء الأول من مشروع تحلية الشعيبة لامداد مدينتي مكة المكرمة والطائف بماء مقداره ٤٠ مليون جالون من الماء في المرحلة الأولى

وبتاريخ ١٤٠٨/١١/٤هـ افتتح الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله خط التحليلة وتوليد الطاقة الكهربائية وخط أنابيب المياه لمكة المكرمة والطائف وجدة وما حولهما وعلى الخليج العربي قرب الجبيل محطة رئيسة ضخمة لتحلية المياه وتوليد الكهرباء لمدينة الرياض وأخرى لتزويد مدن المنطقة الشرقية الدمام والخبر والظهران والجبيل وما بينها بالمياه المحلات فجاءت هذه المحطات وإن كانت عالية التكاليف بتأمين الماء لهذه المدن للشرب والاستخدامات المنزلية بما يكفيها، ورغم بُعد المسافات بين محطات التحلية ومناطق الاستهلاك إلا أن الجهود الجبارة التي تبذل في هذا السبيل قد مكنت المسئولين من التغلب على أزمة الماء وإن كان يقع بين الحين والآخر أزمة للمياه خاصة في مدينة الرياض كما حدث في أواخر عام ١٤٣٣هـ حيث عاشت المدينة في شح من الماء لمدة نحو ستة أشهر عانينا خلالها من شح الماء مما اضطر المواطنين إلى اللجوء إلى الصهاريج للحصول على الماء طول فترة الأزمة، أمَّا لو انقطعت المياه المحلات عن التدفق فسوف يسبب كارثة وهلاك الناس عطشا لا سمح الله ونسأل الله ألا تأتي تلك الساعة.

* * *

٢١٣١- نام الخليفة العباسي المعتضد بالله يوماً نصف النهار بعد أن أكل، وعندما انتبه، إنتبه مترعجاًوقال: ياخدم، فأسرع إليه الخدم فقال: ويلكم أعينوني والحقوا عند الشط بأول ملاح ترونه منحدراً في سفينة فارغة،

فاقبضوا عليه وأتوني به. ووكلوا بالسفينة من يحفظها، فأسرعوا فوجدوا ملاحاً في سفينة فارغة، فقبضوا عليه، ووكلوا بالسفينة من يحفظها، وصعدوا به إلى المعتضد، فلما رآه الملاح كاد يتلف، فصاح عليه المعتضد صيحة عظيمة كادت روحه تذهب منها وقال: إصدقني ياملعون عن قضيتك مع المرأة التي قتلتها اليوم، وإلا ضربت عنقك، فتلعثم وقال: نعم، كنت سحراً في المشرعة الفلانية فترلت إمرأة لم أر مثلها، وعليها ثياب فاخرة وحلي كثيرة، وجواهر فطمعت فيها وأحتلت عليها حتى سددت فمها وأغرقتها، وأخذت جميع ما عليها، ثم طرحتها في الماء، و لم أجسر على حمل ما سلبته إلى داري لئلا يفشوا الخبر فعولت على الهرب، فصبرت إلى أن خلا الشط في هذه الساعة من الملاحين وأخذت في الانحدارن فتعلق بي هؤلاء القوم فحملوني إليك، فقال الخليفة واين الحلي والسلب؟ قال الملاح في صدر السفينة، قال المعتضد علي به الآن، فحضروا به فأمر بتغريق الملاح، ثم أمر أن ينادي في بغداد من خرجت له إمرأة إلى المشرعة الفلانية سحراً وعليها ثياب فاخرة وحلي فاليحضر فحضر في اليوم الثاني ثلاثة من أهلها وأعطوا صفتها وصفة ما كان عليها، فسلم ذلك إليهم فقالوا للمعتضد بالله يامولانا من أعلمك؟ وهل أوحي إليك بهذه الحالة وأمر هذه الصبية؟ فقال: بل رأيت ذلك في منامي رجلاً شيخاً أبيض الراس واللحية والثياب، وهو ينادي: يا أحَمد! أول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره عن المرأة التي قتلها اليوم ظلماًوأقم عليه الحد فكان ما شهدتم.

٢١٣١- قال أبو ثمامة الجعدي: حدثني بعض العشيرة، قلت لقيس بن الملوح قبل أن يخالط: ما أعجب شيء أصابك في وجدك بليلى؟ قال: طرقنا ذات ليلة أضياف ولم يكن عندنا لهم أدم (ما يؤتدم به) فبعثني أبي إلى منزل أبي ليلى وقال لي أطلب منه أدماً، فأتيته فوقفت على خبائه فصحت به (ناديته) فقال: ما تشاء؟ فقلت طرقنا ضيفان ولا أدم عندنا لهم فأرسلني أبي نطلب منك أدماً، فقال: ياليلى أخرجي إليه ذلك النَّحِيْ فاملأي له إناءه من السمن، فأخرجته ومعي قعب فجعلت تصب السمن ونتحدث، فألهانا الحديث وهي تصب السمن وقد امتلأ القعب ولا نعلم جميعاًوهو يسيل حتى استنقعت أرجلنا بالسمن، قال: فاتيتهم ليلة ثانية، أطلب نار وأنا متلفع ببردي، فأخرجت لي ناراً في عطبة (العطبة خرقة ملفوفة تؤخذ فيها النار) فأعطبتها ووقفنا نتحدث فلما احترقت العطبة خرقت من بردي خرقة وجعلت النار فيها فكلما احترقت خرقت أخرى واذكيت حتى لم يبق على من البرد إلا ما وارى عورتي وما أعقل ما أصنع وأنشدني قوله:

أمستقلي نفح الصِّبَا ثم شائقي	ببرد ثنايا أم حسان شائق
كأن على أنيابها الخمر شجها	بماء الندى من آخر الليل عاتق
وما شمته إلا بعيني تفرساً	كما شيم في أعلى السحابة بارق

وتروى هذه الأبيات لنصيب بن رباح.

٢١٣٢- الهيئة الملكية للجبيل وينبع من المؤسسات الهامة التي قام لها مركزان مهمان أحدهما على ساحل الخليج العربي بمدينة الجبيل في شرق المملكة والثاني في ينبع البحر على البحر الأحمر في غرب المملكة ويربط بين المركزين خط أنابيب نفط ينقل النفط عبر أراض المملكة وقد فكر المسئولون في إنشاء هذا الخط بعد تعرض الخط الشمالي الذي ينقل النفط من المنطقة الشرقية إلى ساحل البحر الأبيض المتوسط وهو خط الأنابيب عبر البلاد العربية "التابلاين" ويمر في أراضي المملكة والأراضي الأردنية والأراضي اللبنانية، وقد تعرض لعدة مشاكل وانقطاعات أثناء الحرب الأهلية في لبنان من عام ٩٢-١٩٩٥م وصار هدفاً للمخربين المدفوعين من جهات معادية وكان تعطله يسبب خسارة للمملكة في تصدير النفط عبر هذا الخط ولذلك سعت الدولة إلى إنشاء خط بديل ومساند في نفس الوقت ففي عام ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م تأسست الهيئة الملكية للجبيل وينبع وبدأ هذا الخط ويحتوي هذا المشروع على ثلاث مصافي للنفط ومصنع للبلاستيك وعدة مصانع للكيماويات وتعتبر ينبع الآن أكبر ميناء صناعي في العالم، وهذا الخط قد جنب النفط السعودي المشاكل العالمية والتراعات الإقليمية وصار ينساب مع أراضي المملكة بأمن وأمان ليصب في البحر الأحمر، ولو سهل الله الطريق لمنفذ للنفط على بحر العرب ما بين أراضي شرق اليمن وأراضي غرب عمان لجنب النفط مخاطر مضيق هرمز على الخليج العربي ولأصبح يجري مع أراضي سعودية حتى هذه الوصلة الباقية ما بين الأراضي اليمانية والأراضي

العمانية فعسى أن تفلح المفاوضات التي تلوح في الأفق حينا وتختفي أحياناً، فالنفط اليوم سلعة استراتيجية هامة بكل المعايير والصراع عليه قائماًمن وراء الكواليس بين الدول الكبري ولو نضب هذا النفط لا سمح الله لحصل للعالم كارثة مهلمكة ومات معظمه لأنه يعتبر روح العالم الذي يتنفس من خلاله وقوة العالم التي يسيطر بطاقتها، ومواصلاته التي يسير ويطير عليها، وحتى البدائل التي يناورون بها بين الحين والآخر كالطاقة الذرية والنووية قد تنفع في جوانب ولا تصلح لجوانب عديدة أخرى، وهي غير مأمونة في التحركات المحدودة ويمكن أن تنوب عن النفط وتخفف من الطلب عليه وقلة استهلاكية.

* * *

٢١٣٣- كان مَعْبَدْ (المغني) قد علم جارية من جواري الحجاز الغناء تدعي ظبية وعني بتخريجها، فاشتراها رجل من أهل الأحواز، فأعجب بها، وذهبت به كل مذهب، وغلبت عليه ثم ماتت بعد أن أقامت عنده برهة من الزمان، وأخذ جواريه أكثر غنائها عنها، فكان لمحبته إياها واسفه عليها لا يزال يسأل عن أخبار معبد وعن مستقرة ويظهر التعصب له، والميل إليه، وتقديم غنائه على سائر أغاني أهل عصره، إلى أن عرف ذلك منه، وبلغ معبداً خبره، فأراد أن يأتيه، فخرج معبد من مكة حتى أتي البصرة فلما وردها، صادف الرجل وقد خرج منها اليوم إلى الأحواز، فاكتري سفينة، وجاء معبد يتلمس سفينة ينحدر فيها إلى الأحواز فلم

يجد غير سفينة الرجل وليس يعرف أحد منهما صاحبه، فأمر الرجل الملاح أن يجلسه معه في مؤخرة السفينة ففعل، ثم انحدروا، فلما صاروا في نهر الأبلة تغدوا وشربوا وأمر الرجل جواريه فغنت، ومعبد ساكت وهو في ثياب السفر وعليه فروة وخفان غليظان وزي غريب من زي أهل الحجاز إلى أن غنت إحدى الجواري:

بانت سعاد وامسى حبلـها انصـرما   واحتلت القور فالأجراع مـن إضـما

وكان الغناء لمعبد فلم تجد الجارية غناءه، فصاح بها معبد، ياجارية إن غناءك هذا ليس بمستقيم، فقال له مولاها وقد غضب: وإنت ما يدريك بالغناء؟ فالأفضل لك أن تمسك عن الكلام وتلزم شأنك فأمسك معبد عن الكلام ثم غنت أصواتاً من غناء غيره ومعبد ساكت لا يتكلم ثم غنت:

يابنـة الأزدي قلـبي كئيـب   مسـتهام عنـدها مـا ينيـب

والغناء لمعبد فأخلت ببعضه فقال لها معبد: ياجارية لقد أخللت بهذا الصوت إخلالاً شديداً. فغضب الرجل وقال لمعبد: ويلك ما أنت والغناء؟ ألا تكف عن هذا الفضول؟ فسكت معبد وغنى الجواري مليا ثم غنت إحداهن:

خليلي عوجـا منكمـا سـاعة معـي   على الربع نقضـي حاجـة ونـودع

والغناء لمعبد، فلم تصنع فيه شيئاً، فقال لها معبد: ياهذه أما تقولين على أداء صوت واحد؟ فغضب الرجل وقال لمبعد: ما أراك تدع هذا الفضول بوجه ولا حيلة، وأقسم بالله لئن عاودت لأخرجنك من السفينة، فسكت معبد حتى إذا سكتت الجواري عن الغناء اندفع معبد يغني الصوت الأول حتى فرغ منه فصاحت الجواري أحسنت والله يارجل فاعده، فقال معبد: لا والله ولا كرامة ثم اندفع يغني الصوت الثاني فقلن لسيدهن: ويحك! هذا والله أحسن الناس غناء، فسله أن يعيده علينا ولو مرة واحدة لعلنا نأخذه عنه فإنه إن فاتنا لم نجد مثله أبداً. فقال سيدهن قد سمعتن سوء رده عليكن، وأنا خائف من أن يرد عليَّ مثل رده عليكم، وقد أسلفنا الإساءة إليه فانصرفن حتى نداريه، ثم غنى الصوت الثالث فزلزل عليهم الأرض فوثب الرجل ، فخرج إليه وقبل رأسه وقال: ياسيدي أخطأنا معك، ولم نعرف موضعك وقدرك، فقال معبد: فهبك لا تعرف موضعي، قد كان ينبغي لك أن تتثبت ولا تبادر إليَّ بسوء العشرة، وجفاء القول، قال الرجل لمعبد: لقد أخطأت وأنا أعتذر إليك مما جرى واسألك أن تترل إليَّ وتختلط بي، فقال معبد: أما الآن فلا، فلم يزل يرفق به حتى نزل إليه، فقال الرجل لمعبد: ممن أخذت هذا الغناء؟ قال معبد: من بعض أهل الحجاز، فمن أين أخذه جواريك؟ فقال الرجل: أخذنه من جارية كانت لي ابتاعها رجل من أهل البصرة من مكة وكانت قد أخذت من أبي عباد معبد، وعُنِيَ بتخريجها فكانت تحل مني محل الروح من الجسد، ثم استأثر الله عز وجل

بها، وبقي هؤلاء الجواري وهن من تعليمها فأنا الآن أتعصب لمعبد وأفضله على المغنين جميعاً وأفضل صنعته على كل صنعة (غناء) فقال مِعبد: أو أنك لأنت هو! أفتعرفني؟ قال الرجل لمعبد: لا فَضَكَّ معبد صلعته بيده ثم قال: أنا والله معبد، وإليك قدمت من الحجاز ووافيت البصرة ساعة نزلت السفينة لأقصدك بالأحواز، والله لاقصرت في جواريك هؤلاء ولأجعلن لك في كل واحدة منهن خلفاً من الماضية، فأركب الرجل الجواي على يديه ورجليه يقبلونها ويقولون كتمتنا نفسك طول هذا الوقت حتى جفوناك في المخاطبة وأسأنا عشرتك، وأنت سيدنا ومن نتمنى على الله أن نلقاه، ثم غير الرجل زيه وحاله وخلع عليه عدة خلع وأعطاه في وقته ثلاثمائة دينار وطيباً وهدايا بمثلها وانحدر معه إلى الأحواز، وأقام عنده حتى حذق جواريه وما أخذنه عنده، ثم ودعه وانصرف للحجاز.

* * *

٢١٣٤- قال ابن أبي الأزهر عن رواته قال: كان المجنون وليلى وهما صَبيَّان يرعيان غنماً لأهلهما عند جبل في بلادهما يقال له التُّوبادْ فلما ذَهب عقله وتوحش، كان يجيئ إلى ذلك الجبل فيقيم به فإذا تذكر أيام كان يطيف به هو وليلى به جزع جزعاً شديداً واستوحش فهام على وجهه حتى يأتي نواحي الشام، فإذا ثاب إليه عقله رأى بلداً لا يعرفه فيقول للناس الذين يلقاهم، بأبي أنتم، أين التوباد من أراضي بني عامر؟ فيقال

له: وأين أنت من أرض بني عامر؟ أنت بالشام عليك بنجم كذا فَأُمَّهُ فيمضي على وجهه نحو ذلك النجم حتى يقع بأرض اليمن فيرى بلاداً ينكرها وقوماً لا يعرفهم فيسألهم عن التوباد وأرض بني عامر فيقولون وأين أنت وأرض بني عامر! عليك بنجم كذا فلا يزال كذلك حتى يقع على التوباد، فإذا رآه قال في ذلك:

وأجهشت للتوباد حين رأيته ... وكبر للرحمن حين رآني
واذرفت دمع العين لما عرفته ... ونادى بأعلى صوته فدعاني
فقلت له: قد كان حولك جيرة ... وعهدي بذاك الصرم منذ زمان
فقال: مضوا واستودعوني بلادهم ... ومن ذا الذي يبقى على الحدثان
وإني لأبكي اليوم من حذري غداً ... فراقك والحيان مجتمعان
سجالاً وهتاناً ووبلاً وديمة ... وسحاً وتسجاماً إلى هملان

* * *

٢١٣٥- دور الرعاية الإجتماعية التي انتشرت في مدن المملكة والتي تتولى رعاية الأيتام والذين لا يعرف لهم والدين من ذكور وإناث تتولى هذه الدور رعايتهم منذ سن الطفولة المبكرة منذ أن يوجدون على هذه الحياة ممن وضعوهم في أماكن معينة في المساجد أو حولها وتتكفل هذه الدور بإرضاعهم والعناية بهم وعلاجهم وتربيتهم حتى يكبروا ويكونوا لبنات تحتل مكانها في البنية الاجتماعية يعملون كل بالمهنة التي تعلمها في هذه

الدور ويتزوجون ويندمجون في بنية المجتمع ويصبحون أفراداً عاديين فهل تعلم أيها القارئ الكريم متى بدأت عملية بناية هذه الدور وافتتاحها؟ في ١٣٧٦/٦/٢٠هـ-١٩٥٦م أمرت الحكومة ببناء دوراً اجتماعية لرعاية الأيتام في بعض المناطق من المملكة تتكفل الدولة بتكاليف الرعاية الاجتماعية والصحية والمعاشية لهؤلاء الأيتام، ثم عمت هذه الدور معظم المدن وفي مدينة الرياض يقع مبنى إحدى هذه الدور على طريق خريص وهو الطريق الذي أذهب معه إلى مكتبي وأعود إلى بيتي وقد أدركتني الصلاة أربع مرات وأنا في موازات هذا المسجد فأديت فيه صلاة العصر مرتين وصلاة العشاء الأخر مرتين في رمضان والمسجد مفتوح على الشارع يصلي فيه من الناس ممن أدركتهم الصلاة وهم بموازات هذا المسجد والمسجد قد وجدت فيه ثلاثة صفوف في صلاة العصر وأربعة صفوف في صلاة العشاء معظمهم من الصبية والغلمان والمشرفين عليهم أديت الصلاة وخرجت ولاحظت على هؤلاء الصبية اختلاف الألوان والسحن كذلك أعمارهم وأطوال أجسامهم وقصرها وكان هؤلاء الذين من هذا الوضع يأخذ منهم بعض الناس الذين لا ذرية لهم فيرضعونهم ويغذونهم ويربونهم حتى يكبروا ثم ينطلقون في ميادين الحياة، وقد يتسمون باسماء من ربوهم ويتلقبون بألقابهم وإني لأعرف أكثر من واحد ممن أخذوا من الدور الاجتماعية أطفالاً فربوهم، والإناث يتزوجهن من لا يجد مهراً كافياً للزواج من غيرهن، المهم يندمجن في بنية المجتمع ويصبحن أمهات أبناء وبنات وأسر ولا يضيع الله

خلقاً خلقه وإن قست عليه ظروف الحياة فكل وما كتب الله له في هذه الحياة من رزق ومصير .

* * *

٢١٣٦- حكي عن الرشيد (هارون الرشيد) أنه قال للفضل بن الربيع: من بالباب من الندماء؟ قال: جماعة فيهم هاشم بن سليمان مولى بني أمية، وأمير المؤمنين يشتهي سماعه، فإذن له وحده فدخل فقال: هات ياهاشم، فغناه من شعر جميل بثينة:

إذا ما تراجعنا الذي كان بيننا جرى الدمع من عيني بثينة بالكحل

خليليَّ فيما عشتما هل رايتما قتيلا بكى من حب قاتله مثلي

فطرب الرشيد طرباً شديداً وقال: أحسنت، لِلّهِ أبوك ثم قلده عقداً نفيساً، فلما رآه هاشم ترقرقت عيناه بالدموع، قال له الرشيد: ما يبكيك ياهاشم؟ فقال: ياأمير المؤمنين إن لهذا العقد حديثاً إن أذن لي الأمير حدثته عنه قال: لك ذلك، قال: ياأمير المؤمنين، قدمت يوماً على الوليد (بن عبد الملك) وهو على بحيرة طبريا ومعه قينتان لم ير مثلهما جمالاً،وحسناً، فلما وقعت عينه عليَّ قال: هذا أعرابي قد ظهر من البوادي، أُدْعُهُ لنسخر منه، فدعاني، فسرت إليه و لم يعرفني، فغنت إحدى الجاريتين بصوت هُوَ لِيْ فأخطأته الجارية، فقلت لها: أخطأت ياجارية فضحك ثم قالت: ياأمير المؤمنين: لم تسمع ما يقول هذا

الأعرابي؟ يعيب علينا غناءنا، فنظر إليَّ كالمفكر، فقلت: ياأمير المؤمنين أنا أبين لك الخطأ، فالتصلح وتر كذا ووتر كذا ففعلت وغنت شيئاً ما سمع منها إلا في هذا اليوم فقامت الجارية مكبة عليَّ وقالت: أستاذي هاشم ورب الكعبة، فقال الوليد: أهاشم بن سليمان أنت؟ قلت: نعم ياأمير المؤمنين وكشفت عن وجهي وأقمت معه بقية يومنا فأمر لي بثلاثين ألف درهم، فقالت الجارية أتاذن لي في بر أستاذي؟ فقال الوليد: ذلك لك ، فحلت ياأمير المؤمنين هذا العقد من عنقها ووضعته في عنقي وقالت: هو لك، ثم قربوا إليه السفينة ليرجع إلى موضعه فركب في السفينة وطلعت معه إحدى الجاريتين وتبعتها صاحبتي فأرادت أن ترفع رجلها وتطلع في السفينة فسقطت في الماء فغرقت لوقتها، وطلبت فلم يقدر عليها فاشتد جزع الوليد عليها وبكى بكاءً شديد وبكيت أنا عليها أيضاً، فقال لي: ياهاشم ما نرجع عليك بما وهبنا لك ولكن نحب أن يكون هذا العقد عندنا نذكرها به، فبعني إياه فعوضني عنه ثلاثين ألف درهم، فلما وهبتني العقد ياأمير المؤمنين تذكرت قضيته، وهذا سبب بكائي. فقال الرشيد: لا تعجب فإن الله كما ورثنا مكانهم ورثنا أموالهم.

* * *

٢١٣٧- قال إسماعيل بن يونس: خرج محمد بن عائشة من عند الوليد بن يزيد وقد غناه:

أبعـــدك معقـــلاً أرجـــو وحصـــنا قـــد اعيـــتني المعاقـــل والحصـــون

فأطربه وأمر له بثلاثين ألف درهم وبمثل كارة القصار (كمية) كسوة فبينما ابن عائشة يسير إذ نظر إليه رجل من أهل وادي القرى كان يشتهي الغناء فدنا من غلامه وقال: من هذا الراكب؟ قال: ابن عائشة المغني، فدنا منه وقال: جعلت فداك انت ابن عائشة أم المؤمنين؟ قال: لا أنا مولى لقريش وعائشة اسم أمي وحسبك هذا، فلا عليك أن تكثر، قال: وما هذا الذي أراه بين يديك من المال والكسوة؟ قال: غنيت أمير المؤمنين صوتاً فاطربته، فكفَّر وترك الصلاة وأمر لي بهذا المال، قال: جعلت فداك فهل تمن عليَّ بأن تسمعني ما اسمعته إياه؟ قال له: ويلك، مثلي يكلم بمثل هذا في الطريق! قال: فما أصنع ؟ قال: الحقني بالباب (أي في بيتي) وحرك بن عائشة بغلة شقراء كانت تحته لينقطع عنه، فعدا معه حتى وافيا الباب كفرسي رهان، ودخل ابن عائشة فمكث طويلاً طمعاً في أن يضجر فينصرف فلم يفعل فلما أعياه قال لغلامه: دخله فما دخل قال له: ويلك! من أين صَبَّكَ الله عليَّ! قال: أنا رجل من أهل وادي القرى أشتهي هذا الغناء قال: هل لك فيما هو أنفع منه لك؟ قال: وما ذاك؟ قال مئتي دينار وعشرة اثواب تنصرف بها إلى أهلك، فقال له: جعلت فداك، والله إن لي لَبُنَيَّة ما في أذنها علم الله حلقة من الورق فضلا عن الذهب وإن لي زوجة ما عليها يشهد الله قميص، ولو أعطيتني جميع ما أمر لك به أمير المؤمنين على هذه الخلة والفقر (الخلة الحاجة) الذين عرفتكها واضعفت لي ذلك لكان الصوت أعجب إليَّ،

وكان ابن عائشة تائها لا يغني إلا للخليفة أو الذي على قدر جليل من إخوانه فتعجب ابن عائشة منه ورحمه ودعا بالدواة وكان يغني مرتجلاً فغناه الصوت فطرب له طرباً شديداً وجعل يحرك رأسه حتى ظن أن عنقه سينقصف، ثم خرج من عنده ولم يرزأه شيئاً وبلغ الخبر الوليد بن يزيد فسأل ابن عائشة عنه، فجعل يغيب عن الحديث ثم جد الوليد به فصدقه عنه وأمر بطلب الرجل حتى أحضر ووصله صلة سنية وجعله من ندمائه ووكله بالشقي فلم يزل معه حتى ما ت.

*   *   *

٢١٣٨- كانت المقابر في المدن والبلدات والقرى وحتى في البراري مكشوفة وتجتنبها جواد الناس وطرقهم، وحتى الحيوانات تجتنب المقابر لا تمر من فوقها، فالناس يجتنبونها احتراماً لمن فيها، فالمسلم له حرمة حتى وهو في قبره يراعيها الناس ويجتنبون المرور من فوقها وحتى البهائم والدواب لا تتجشمها بل تحيد عنها ربما تشاهد فيها أشياء لا يشاهدها الإنسان و تسمع فيها أصواتاً لا يسمعها الإنسان فلذلك نراها تبتعد عنها، وعندما صار الناس يمشون على السيارات التي لا تحس ولا تدري، وبعض المقابر دارسة منذ زمن بعيد وأثناء مرور السيارات عليها قد تنخفس في قبر دارس ليس له معالم بارزة، واحتراماً وتقديراً لما في تلك الأرماس فقد أمرت الحكومة بتاريخ ١٨/١٢/١٣٩٤هـ ــ١٩٧٤م بتسوير المقابر بالمملكة بحائط من الطوب الأسمر المليص وقواعد وميد من تحته وأعمدة

خرسانية وأبواب تغلق عليها لحمايتها من السيارات والحيوانات السائبة ومن أراد أن يزور أحداً بتلك المقابر فما عليه إلا أن يفتح ذلك الباب الحديدي ويزور من أراد ثم يرد الباب من بعده إذا خرج، وظهرت مقابر واسعة في المدن والبلدات القديمة بعد أن سورت فصار الإنسان يمر على المدينة والبلدة القديمة ويجد فيها عدداً من المقابر التي تحتوي على الآلاف وعشرات ومئات الآلاف من القبور لأصحابها الراقدين تحت التراب والذين أكلت الأرض أجسادهم وعادت تراباً كما بدأت، وتفيد هذه المقابر عن أعمار هذه المدن والبلدات ومن سكنها من الأمم والأجيال عبر مئات وربما آلاف السنين التي مضت وفضلاً عن المقابر في المدن والبلدات والقرى فقد امتدت الأيدي إلى مقابر في البراري التي حصلت فيها معركة أو معارك ذهب ضحيتها المئات وكونت لهم مقابر مكشوفة حتى اتخذ ذلك القرار فامتدت إليها عناية الأيدي وسورتها وصار الإنسان يرى مقابر مسورة في البراري وإذا سأل عنها وجدها نتيجة معركة من المعارك التي حدثت في يوم من الأيام، هذه القبور لمن هيأ الله لأصحابها أن يدفنوا بعد تلك المعارك التي حدثت قبل مئات السنين ودفن قتلاها، أما من تركوا حينها ولم يقبروا وما أكثرها فقد أكلت من جثثهم السباع والطيور الجارحة التي تقع على الجيف من النسور والرخم والغربان وغيرها وبقيتها طارت مع عواصف الرياح.

* * *

٢١٣٩- نزل رجل يقال له الخضر ضيفاً على بني حنيفة قال: جلست تحت ظِلَّةٍ لهم من جريد النخل، فإذا بجارية (فتاة) كأنها سبيكة فضة وكأن عينيها كوكبان دريان فقالت: فمن الرجل؟ وأين تؤم؟ فقلت: من بني حنظلة (من تميم) وأؤم اليمامة، قالت: ها هي تلك أمامك ثم أنشأت تقول:

تذكرني بلاداً خير أهلي   بها أهل المروءة والكرامة
ألا فسقى الإله أجش صوبا   يسح بدره بلد اليمامة
وحي بالسلام أبا نجيد   فأهل للتحية والسلامة

فأنست بها، وقلت لها: أذات خدن (صديق) أم ذات بعل؟ فأنشأت تقول:

إذا رقد النيام فإن عمراً   تؤرقه الهموم إلى الصباح
تقطع قلبه الذكرى وقلبي   فلا هو بالخَلِيِّ ولا بصاح
سقى الله اليمامة دار قوم   بها عمرو يحن إلى الرواح

فقلت لها: من عمرو؟ فأنشأت تقول:

فإن تك ذا قبول إن عمراً   هو القمر المضيء المستنير

ثم سكتت سكتة كأنها تسمع إلى كلام ثم ضعفت وتهافتت وأنشأت تقول:

يخيل لي هيا عمرو بن كعب   كأنك قد حملت على السرير
يسير بك الهويني القوم لما   رماك الحب بالعلق العسير

فـــإن تـــك هكـــذا يـــاعمرو إني   مبكـــرة عليـــك إلى القبـــور

ثم شهقت شهقة فخرت ميتة، فقلت لهم: من هذه ؟ قالوا: هذه عقيلة بنت الضحاك بن عمرو بن محرق بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء فقلت لهم: من عمرو هذا؟ قالوا : ابن عمها عمرو بن كعب بن محرق بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء فارتحلت من عندهم، فلما دخلت اليمامة سألت عن عمرو هذا فإذا هو قد دفن في ذلك الوقت الذي قالت فيه ما قالت.

* * *

٢١٤٠- قال زياد بن عثمان الغطفاني عن ابن ميادة واسمه الرماح بن أبرد الغطفاني: كنا بباب بعض ولاة المدينة ففرضنا (ضجرنا) من طول الثواء، فإذا أعرابي يقول: يا معشر العرب، أما من رجل يأتيني أعلله إذ غرضنا من هذا المكان فأخبره عن أم جحدر وعني؟ فجئت إليه فقلت: من أنت؟ فقال: أنا الرماح بن أبرد، قلت: أخبرني ببدء أمريكما؟ قال: كانت أدم جحدر من عشيرتي فأعجبتني وكانت بيني وبينها خلة ثم أني عتبت عليها في شئ بلغني عنها، فأتيتها فقلت: يا أم جحدر إن الوصل عليك مردود فقالت: ما قضى الله فهو خير فلبثت على تلك الحال سنة ثم ذهبت بهم نجعه (طلب الكلأ) فتباعدوا واشتقت إليها شوقا شديداً فقلت لا مرأة أخ لي: والله لئن دنت دارنا من أم جحدر لآتينها ولأطلبن إليها أن ترد الوصل بيني وبينها ولئن ردته لانقضته أبداً و لم يكن يومان

حتى رجعوا فلما أصبحت غدوت عليهم فإذا بيتين نازلين إلى سند أبرق طويل (السند ما ارتفع من الأرض من قبل الجبل) وإذا إمرأتان جالستان في كساء واحد بين البيتين فجئت فسلمت فردت إحداهما ولم ترد الأخرى فقالت: ما جاء بك يا رماح إلينا؟ ما كنا حسبنا إلا إنه قد انقطع ما بيننا وبينك فقلت: إني جعلت علي نذراً لإن دنت بأم جحدر دار لآتينها ولأطلبن منها أن ترد الوصل بيني وبينها، ولئن هي فعلت لا نقضته أبداً وإذا الذي تكلمني إمرأة أخيها وإذا الساكته أم جحدر فقالت إمرأة أخيها: فادخل مقدم البيت فدخلت وجاءت من مؤخرة فدنت قليلاً ثم إذا هي قد برزت، فساعة برزت جاء غراب فنعق على رأس لأبرق فنظرت إليه وشهقت وتغير وجهها فقلت: ما شأنك؟ قالت: لاشيء قلت: بالله إلا أخبرتني: قالت: ارى هذا الغراب يخبرني أنا لا نجتمع بعد هذا اليوم إلا ببلد غير هذا البلد، فتقبضت نفسي ثم قلت: جارية والله ما هي في بيت عيافة (العيافة زجر الطير) ولا قيافة (القيافة تتبع الأثر ومعرفته) فأقمت عندها ثم تروحت (ذهبت) إلى أهلي فمكثت عندهم يومين، ثم أصبحت غاديا إليها فقالت لي إمرأة أخيها ويحك يارماح أين تذهب؟ فقلت: إليكم فقالت: وما تريد؟ قد والله زوجت أم جحدر البارحة فقلت بمن ويحك! قالت برجل من أهل الشام من أهل بيتها جاءهم من الشام فخبطها فزوجها وقد حملت إليه، فمضيت إليهم فإذا هو قد ضرب سرادقات، فجلست إليه فأنشدته وحدثته وعدت إليه أياماً ثم إنه احتملها فذهب بها فقلت:

جرى بانبتات الحبل من أم جحدر ظباء وطير بالعراق نعوب
نظرت فلم أعتف وعافت فبينت لها الطير قبلي واللبيب لبيب
فقالت: حرام أن نرى بعد هذه جميعين إلا أن يلم غريب
أجارتنا صبراً فيارب هالك تقطع من وجد عليه قلوب

* * *

٢١٤١- طوابع البريد التي توضع على الرسائل لا يصالهاإلى من أرسلت إليه بالقيمة التي اشترى بها هذا الطابع،وأول طابع صدر بالمملكة عام ١٣٥٢هـ ١٩٣٣م وهو طابع تذكاري يحمل اسم المملكة العربية السعودية بمناسبة ولاية العهد للأمير سعود بن عبد العزيز رحمه الله (الملك فيما بعد) وكانت الطوابع توضع على الرسائل بقيمة رمزية زهيدة قرشين وأربعة قروش وخمسة قروش وعشرة قروش ثم صارت نصف ريال واستمرت على ذلك مدة طويلة وإلى الخارج كان بضعف هذه القيمة وعندما كثرت الأيدي العاملة الوافدة رفعت إدارة البريد هذه الأجرة إلى ريالين في الداخل للمراسلات الداخلية الخفيفة ومازاد في الوزن زاد في الأجرة والرسالة المسجلة أربعة ريالات للرسالة العادية وستة ريالات لمازاد على ذلك أما بالنسبة للرسائل الخارجية فأربعة ريالات للرسائل الخفيفة وستة ريالات للمسجلة وفئات أخرى من الأقطار ثمانية ريالات وعشرة ريالات للرسالة المسجلة ثم خمسين ريالاً للداخل و٧٠ و ٨٠ ريالاً للخارج أما الطرود فأجرها حسب وزنها

والبلد المرسلة إليه واجرة الرسائل البريدية والطرود من أعلى الأسعار، وأذكر انني أوصيت على كتاب من مصر مكون من جزءين فأرسله إلى أحد الأصدقاء الذي أعطيته قيمة الكتاب وأجرة البريد فأفادني أن أجرة البريد خمسة عشر جنيها وكان الجنيه وقتها يساوي الريال واستلمت الكتاب من البريد ومن باب الفضول وحب الاستطلاع أخذت نفس الكتاب إلى قسم الارسال قلت إنني سأرسل هذا الطرد إلى مصر فوضعه على الميزان وقال سيكلفك خمسة وستين ريالاً فأخذته وانصرفت وقلت في نفسي لقد أرتفعت تكلفة الكتاب أكثر من أربعة أضعاف ما بين ١٥ جنيها إلى ٦٥ ريالاً يالله العجب مع أن خدمات البريد لدينا رديئة التوزيع حيث ترجع كثير من الرسائل دون أن تصل إلى أصحابها أو إلى صناديقهم وحتى البريد الممتاز طلبوا مني أكثر من مرة أن أحضر إليهم في مبني البريد لأستلم الرسالة المرسلة إلي في البريد المركزي الموجود عند وزارة المالية مع أنهم قد أخذوا الأجرة خمسين ريالاً بما في ذلك الايصال.

* * *

٢١٤٢- خرج دريد بن الصمة الجشمي في فوارس من بني جشم حتى إذا كانوا في واد لبني كنانة ظهر له رجل من ناحية الوادي معه ظعينة أي إمرأة في هودج فلما نظره أرسل إليه فارساً يطلب منه التخلي عن الظعينة والنجاة بنفسه فقتل الرجل الفارس فأرسل إليه فارساً آخر فقتله أيضاً

فأرسل فارساً ثالثاً فقتله وأنكسر رمحه،وعندما لم يعد الفرسان أتى دريد الرجل فوجد أصحابه قد قتلوا ورمح الرجل قد كسر فقال دريد: فدونك هذا الرمح فإني منصرف إلى أصحابي ومثبطهم عنك و لم يلبث بنوا كنانة أن أغاروا على بني جشم وأسروا دريد بن الصحة فأخفى دريد نسبة خوفا من القتل فبينما هو محبوس عندهم جاءت نسوة يتهادين إليه فصاحت إحداهن فقالت: هلكتم وأهلكتم ماذا جر علينا قومنا هذا والله الذي أعطى ربيعة رمحه يوم الظعينة ثم ألقت عليه ثوبها كي تجيره، قالت يا آل فراس أنا أخبره منكم هذا صاحبنا يوم الوادي، فأتوا إليه وسألوه: من أنت؟ فقال: أنا دريد بن الصمة فمن صاحبي؟ قالوا: ربيعة بن مُكَدَّمْ، قال: فما فعل قالوا قتلته بنو سليم قال: فما فعلت الظعينة؟ قالت المرأة : أنا هي وأنا إمرأته فحبسه القوم وتشاوروا في امره فقال بعضهم: لا ينبغي لدريد أنت تُكْفَرَ نعمته على صاحبنا وقال آخرون لا يخرج من أيدينا إلا برضا الذي أسره فانبعث المرأة في الليل وهي ريطة بنت جذل الطعان فقالت:

سنجزي دريـــداً عـــن ربيعـــة نعمـــة ... وكل إمرئ يجزي بمـــا كـــان قـــدما

فإن كان خيراً كـــان خـــيراً جـــزاؤه ... وإن كان شـــراً كـــان شـــراً مـــذمما

ســـنجزيه نعمـــى لم تكـــن بصـــغيرة ... باعطائـــه الـــرمح الطويـــل المقومـــا

فلما أصبحوا أطلقوه فكسته وجهزته ولحق بقومه فلم يزل يكف عن حرب بني فراس حتى مات.

٢١٤٣- قال جعفر بن قدامة: لما قال عمر بن ابي ربيعة قصيدته التي منها:

نظرت إليهـا بالمحصـب مـن مـنى ولي نظـرة لـولا التحـرج عـارم

كان يزيد بن عبد الملك (بن مروان) قد حج في تلك السنة بالناس وخرج عمرو معه سريج على نجيبين رحالتاهما ملبستان بالديباج وقد خضبا النجيبين ولبسا حلتين فجعلا يلقيان الحاج ويستعرضان للنساء إلى أن أظلم الليل، فعدلا إلى كثيب مشرف والقمر طالع يضيء فجلسنا على الكثيب وقال عمر لابن سريج: غنني صوتك الجديد فاندفع يغنيه ولم يستتمه إلا وقد طلع عليه رجل راكب على فرس عتيق فسلم ثم قال:أيمكنك أعزك الله أن ترد هذا الصوت؟ قال: نعم ونعمة عين (أي إكراماً لعينيك) على أن تنزل وتجلس معنا قال: أنا أعجل من ذلك فإن أجملت وأنعمت أعدته! وليس عليك من وقوفي شيء ولا مؤونة فأعاده فقال له: بالله أنت ابن سريج؟ قال: نعم قال: حياك الله! وهذا عمر بن أبي ربيعة؟ قال: نعم قال: حياك الله يا أبا الخطاب! فقال له: وأنت حياك الله عرفنا بنفسك قال: لا يمكنني ذلك فغضب ابن سريج فقال: والله لو كنت يزيد بن عبد الملك لما زاد فقال له: أنا يزيد بن عبد الملك فوثب عليه عمر فاعظمه ونزل ابن سريج إليه فقبل ركابه فترع حلته وخاتمة فدفعهما إليه ومضى يركض حتى لحق ثقله (حشمه) فجاء بهما ابن سريج إلى عمر فاعطاه إياهما وقال له إن هذين بك أشبه منهما بي فاعطاه عمر ثلاثمائة دينار وغدا فيهما إلى المسجد فعرفهما الناس وجعلوا

يتعجبون ويقولون كأنهما والله حلة يزيد بن عبد الملك وخاتمة ثم يسألون عمر عنهما فيخبرهم أن يزيد بن عبد الملك كساه ذلك أما قصيدة عمر المشار إلى مطلعها فهي:

نظرت إليهـا بالمحصـب مـن مـنى ... ولي نظـرة لـولا التحـرج عـارم
فقلـت أشمـس أم مصـابيح بيعـة ... بدت لك خلف السجف أم أنت حالم
بعيدة مهـوي القـرط إمـا لنوفـل ... أبوها وإمـا عبـد شمـس وهاشـم
ومد عليهـا السـجف يـوم لقيتـها ... علـى عجـل تباعهـا والخـوادم
فلم أستطعهما غـير أن قـد بـدالنا ... على الرغم منـها كفهـا والمعاصـم
معاصم لم تضرب على البهم بالضـحى ... عصاها ووجـه لم تلحـه السـمائم
نضـير تـرى فيـه أسـاريع مائـه ... صـبيح تناديـه الأكـف النـواعم
إذا مـا دعـت اترابهـا فاكتنفهـا ... تمـايلن أو مالـت بهـن المـآكم
طلبن الصـبا حـتى إذ مـا أصـبنه ... نـزعن وهـن المسـلمات الظـوالم

* * *

٢١٤٤- المطارات الدولية بالمملكة ثلاثة أولها مطار الملك عبد العزيز الدولي وثانيهما مطار الملك خالد الدولي وقد افتتح عام ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م وثالثها مطار الملك فهد الدولي بالدمام وقد افتتح في ١٤٢٠/٨/٢٠هـ ثم الحق بها بصفة موسمية مطار المدينة المنورة في موسم الحج لمن أراد الزيارة وهو قادم من الخارج وما عدا ذلك فكل بقية المطارات وعددها

٢٣ مطاراً إقليميا منتشرة في كل من الطائف وخميس مشيط ونجران وجازان وشرورة ووادي الدواسر والقصيم وحائل وتبوك وأملج وطريف ورفحاء وحفر الباطن وعرعر والقريات وينبع والوجه والجوف والقطيف وبيشة والباحة والدوادمي والقيصومة هذه المطارات ينتظر أن يتوسع بعضها ليكون هو مطار حائل نظراً لتوسطه في الجزيرة العربية ولمرور الخطوط العالمية القادمة من الشرق إلى الغرب ومن الغرب إلى الشرق ولوجود أراض فسيحة حول المطار الجديد المقترح إلى الشمال عن مدينة حائل وإذا كان الانسان بحائل في ليالي الصيف والسماء صافية فإن العين لا تكاد تخطئ رؤية الطائرات العابرة من فوق حائل من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي وبالعكس وقد شاهدت عدة مرات وأنا ذاهب إلى دمشق الشام أو بيروت أو عمان بالأردن أو مصر كل هذه الرحلات تمر من فوق حائل أو أجزاء من المنطقة شمال حائل وجنوبها لذلك يؤمل أن يكون فيها مطار دولي وفي أكثر من حادثة في العامين الماضيين تم هبوط اضطراري لطائرات قادمة من دبي والدوحة إلى القاهرة وبالعكس في مطار حائل الأقليمي حتى تنتهي مشكلتها ثم تقلع من جديد ومطارها الحالي في فساح متسع من الأرض والمطار المقترح أكثر اتساعاً ولعل هذا الحلم أن يتحقق وفي القريب العاجل وقد عاشت المطارات القديمة منذ عام ١٣٧٨هـ ــ ١٩٥٨ كما ذكرت ذلك في فقرة سابقة وقد خدمت المطارات الاقليمية القائمة الآن خدمة مريحة غير أن الذي يعمل بها الآن الخطوط السعودية فقط ولو دخلت عليها

خطوط ثانية لدخل عنصر المنافسة الذي يؤدي إلى تحسن الخدمات للركاب والمسافرين وينعش الحركة السياحية في أنحاء المملكة وأتمنى على المسؤلين افتتاح مطار بالعلا لتنتعش الحركة السياحية في مدائن صالح كما أشرت إلى ذلك من قبل.

* * *

٢١٤٥- قال اسحاق بن يحي بن طلحة: قدم جرير الخطفي المدينة ونحن يومئذ شباب نطلب الشعر فاحتشد ناله ومعنا أشعب فبينما نحن عنده إذقام لحاجته، وأقمنا لم نبرح وجاء الأحوص بن محمد الشاعر من قباء على حمار فقال: أين هذا؟ (يقصد جرير) قلنا قام لحاجته فما حاجتك إليه؟ فقال: أريد والله أن أعلمه أن الفرزدق اشعر منه وأشرف قلنا: ويحك! لا تعرض له وانصرف فانصرف وخرج وجاء جرير فلم يكن بأسرع من أن أقبل الأحوص فأقبل عليه، فقال: السلام عليك يا جرير، قال جرير: وعليك السلام فقال الأحوص: يا ابن الخطفي الفرزدق أشرف منك وأشعرقال جرير: من هذا أخزاه الله؟ قلنا: الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت قال: نعم هذا الخبيث الطيب أأنت القائل:

يقر بعيني ما يقر بعينها وأحسن شيء ما به العين قرت

قال نعم؟ قال جرير فإنه يقر بعينها أن يدخل فيها مثل ذراع البكر أفيقر بعينك! وكان الأحوص يرمى بالحلاق (صفة تنافي الرجولة) فانصرف

فبعث إليهم بتمر وفاكهة وأقبلنا على جرير نسائله وأشعب عند الباب في مؤخرة البيت فالح عليه أشعب يسأل فقال: والله إني لأراك أقبحهم وجها وأراك ألأمهم حسبا فقد أبرمتني (أضجرتني) منذ اليوم، فقال: إني والله أنفعهم وخيرهم لك، فانتبه جرير وقال: ويحك كيف ذاك! إني أُمَلِّحُ شعرك وأجيد مقاطعة ومبادئة قال: ويحك! فاندفع أشعب فنادى بلحن ابن سريح:

يا أخت ناجية السلام عليكم قبل الرحيل وقبل عذل العذل

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم يوم الرحيل فعلت ما لم يفعل

فطرب جرير وجعل يزحف نحوه حتى لصق بركبته وقال: لعمري لقد صدقت إنك لأنفعهم لي حسنته وأجدته وزينته أحسنت والله ثم وصله وكساه فلما رأينا إعجاب جرير بذلك الصوت قال بعض أهل المجلس: فكيف لو سمعت واضع هذا الغناء! فقال أو إن له لو اضعا غير هذا؟ فقلنا: نعم قال: فأين هو قلنا بمكة فقال: لست بمفارق حجازكم حتى أبلغه فمضى ومضى معه جماعة ممن يرغب في طلب الشعر في صحابته وكنت فيهم فأتيناه جميعا فإذا هو في فتية من قريش كأنهم المها مع ظرف كثير فأدنوا ورحبوا وسألوه عن الحاجة فأخبرناهم الخبر فرحبوا بجرير وادنوه وسروا بمكانه وأعظم عبيد بن سريج موضع جرير وقال سل ما تريد جعلت فداك! قال: أريد أن تغنيني لحنا سمعته بالمدينة أزعجني إليك قال: وما هو؟ قال:

يا أخت ناجية السلام عليكم قبل الرحيل وقبل عذل العذل

فغناه ابن سريج وبيده قضيب يوقع به وينكت فو الله ما سمعنا شيئاً قط أحسن من ذلك فقال جرير: لله دركم يا أهل مكة ماذا أعطيتم! والله لو أن نازعا نزع إليكم ليقيم بين أظهركم فيسمع هذا صباح مساء لكان أعظم الناس حظاً ونصيبا كيف ومع هذا بيت الله الحرام، ووجوهكم الحسان ورقة ألسنتكم وحسن شارتكم وكثرة فوائدكم.

* * *

٢١٤٦- قال مسلم بن عبد الله بن جندب: خرجت أنا وزبان السواق إلى العقيق فلقينا نسوة نازلات من العقيق لهن جمال وشارة وفيهن جارية حُسَّانَةُ العينين فلما رآهن زبان قال لي يابن الكرام دَمُ أبيك والله في ثيابها فلا تطلب أثراً بعد عين وأنشد قول أبي مسلم بن جندب:

ألا ياعباد الله هذا أخوكم قتيلاً فهل منكم له اليوم ثائر

خذوا بدمي إن مت كل مليحة مريضة جفن العين والطرف ساحر

فقالت لي الجارية: أنت ابن جندب؟ قلت: نعم قالت: فاغتنم نفسك واحتسب أباك فإن قتيلنا لا يؤدي وأسيرنا لا يفدى، وكتبت وصيف جارية الطائي على عصابتها:

الكفر والسحر في عيني إذا نظرت فاغرب بعينك يامغرور من عيني

فإن لي سيف لحظ لست أغمده من صنعة الله لا من صنعة القين

٢١٤٧- قال الحسين بن يحيى: كتب الوليد بن عبد الملك إلى عامل مكة أن أشخص إليَّ ابن سريج، فأشخصه، فلما قدم مكث أياماً لا يدعو به ولا يلتفت إليه، ثم إنه ذكره فقال: ويلكم! أين ابن سريج؟ قالوا: هو حاضر، قال: عليَّ به، فقالوا: أجب أمير المؤمنين، فتهيأ وأقبل حتى دخل عليه فسلم فأشار إليه أن أجلس فجلس بعيداً، فاستدناه حتى كان منه قريباً، قال: ويحك ياعبيد! لقد بلغني عنك ما حملني على الوفادة بك من كثرة أدبك وجود اختيارك مع ظرف لسانك، وحلاوة مجلسك، فقال: جعلت فداك ياأمير المؤمنين! "تسمع بالمعيدي خير من أن تراه" قال الوليد: إني لأرجو ألا تكون أنت ذاك، قال: هات ما عندك، فاندفع ابن سريج فغنى بشعر الأحوص:

أمنزلتي سلمى على القدم اسلما	فقد هجتما للشوق قلبا متيما
وذكرتما عصر الشباب الذي مضى	وجدة وصل حبله قد تجذما
وإني إذا حلت ببيش مقيمة	وحَلَّ بِوُجٍّ جالساً أو تتهما
يمانية شطت فأصبح نفعها	رجاء وظنا بالمغيب مرجما
أحب دنو الدار منها وقد أبى	بها صدع شعب الدار لا تثلما
بكاها وما يدري سوى الظن من بكى	أحيا يُبَكَّى أم تراباً وأعظما
فدعها وأخلف للخليفة مدحة	تزل عنك بؤسي أو تفيدك أنعما
فإن بكفيه مفاتيح رحمة	وغيث حيا يحيا به الناس مرهما
إمام أتاه الملك عفواً ولم يثب	على ملكه مالاً حراماً ولا دما

تخـــيره رب العبـــــاد لخلقـــــه ولـيّـــاً وكـــان الله بالنـــاس أعلمـــا
فلمـــا قضـــاه الله لم يـــدع مســـلماً ليبعثـــــه إلا أجـــــاب وســـــلما
ينال الغـــنى والعـــز مـــن نـــال وده ويرهب موتـــا عـــاجلاً مـــن تشـــأما

فقال الوليد: أحسنت والله وأحسن الأحوص! عَلَيَّ بالأحوص ثم قال: ياعبيد: هيه، فغناه بشعر عدي بن الرقاع العاملي.

* * *

٢١٤٨- خرج أبو دلامة الشاعر الهزلي مع المهدي الخليفة العباسي وعلى بن سليمان في مَصَادٍ لهم، فَعَنَّ لهم ظبي فرماه المهدي فاصابه، ورمى على بن سليمان فأخطأ وأصاب كلب الصيد، فضحك المهدي وقال لأبي دلامة: قل، فقال:

قـــــد رمـــــى المهـــــدي ظبيـــــاً شـــــك بالســـــهم فـــــؤاده
وعلـــــي بـــــن ســـــليما ن رمـــــى كلبـــــا فصـــــاده
فهنيئـــــا لهمـــــا كـــــل امـــــرئ يأكـــــل زاده

وكتب أبو دلامة إلى عيسى بن موسى وهو والي البصرة رقعة فيها هذه الأبيات:

إذا جئـــت الأمـــير فقـــل ســـلام عليـــك ورحمـــة الله الـــرحيم
وأمـــا بعـــد ذاك فلـــي غـــريم مـــن الأنصـــار قـــبح مـــن غـــريم
لـــزوم مـــا علمـــت بيـــاب داري لـــزوم الكلـــب أصـــحاب الـــرقيم

لــه مئــة علــيٍّ ونصــف أخــرى ونصــف النصــف في صــك قــديم
دراهــم مــا انتفعــت بهــا ولكــن حبــوت بهــا شــيوخ بــني تمــيم

* * *

٢١٤٩- قال محمد بن عباس اليزيدي: كان نصيب بن رباح حبشيا يرعى إبلا لمواليه، فاضل منها بعيراً فخرج في طلبه حتى أتي الفسطاط (بمصر) وبه إذا ذاك عبد العزيز بن مروان وهو ولي عهد عبد الملك بن مروان، فقال نصيب: ما بعد العزيز واحد أعتمده لحاجتي! فأتى الحاجب فقال: استأذن لي الأمير فقد هيأت له مديحاً، فدخل الحاجب فقال: أصلح الله الأمير بالباب رجل أسود يستأذن عليك بمديح قد هيأه لك، فظن عبد العزيز أنه ممن يهزأ به ويضحكهم، فقال: مره بالحضور يوم حاجتنا إليه، فغدا نصيب وراح إلى باب عبد العزيز أربعة أشهر، فأتاه آت من عبد الملك فسره، فأمر بالسرير فأبرز للناس، وقال: على بالأسود، وهو يريد أن يضحك منه الناس فدخل، فلما كان حيث يسمع كلامه قال:

لعبــد العزيــز علــى قومــه وغيرهــم نعــم غــامرة
فبابــك الــين أبــوابهم ودارك مأهولــة عــامرة
وكلبــك آنــس بــالمعتفين مــن الأم بالابنــة الزائــرة
وكفــك حــين تــرى السـائلين أنــدى مــن الليلــة المــاطرة
فمنــك العطــاء ومــني الثنــاء بكــل محــبرة ســائرة

فقال: أعطوه، أعطوه، فقال: إني مملوك، فدعا الحاجب فقال: أخرج فأبلغ قيمته، فدعا بالمقومين فقال: قوموا غلاماً أسود ليس به عيب، قالوا: مئتا دينار، قال: إنه راع للإبل، يبصرها ويحسن القيام بها، قالوا: حينئذ مائة دينار، قال: إنه يبري القسى ويثقفها ويرمي النبل ويريشها، قالوا: أربعمائة دينار، قال: إنه راوية للشعر بصير به، قالوا: ستمائة دينار، قال: إنه شاعر لا يلحق حذق، قالوا: ألف دينار، قال عبد العزيز ادفعوها إليه، قال: أصلح الله الأمير ثمن بعيري الذي أضلت! قال وكم ثمنه قال: خمسة وعشرون ديناراً، قال: أدفعوها إليه، قال: أصلح الله الأمير جائزتي لنفسي عن مديحي إياك، قال اشتر نفسك ثم عد إلينا، فأتى الكوفة وبها بشر بن مروان فاستأذن عليه فاستصعب الدخول إليه وخرج بشر بن مروان متنزهاً فعارضه، فلما ناكبه، أي صار حذاء منكبه ناداه :

يابشـــر يـــاابن الجعفريـــة مـــا خلـــق الله يـــديك للبخـــل

جـــاءت بـــه عجـــز مقابلـــة مـــا هـــن مـــن حـــرم ولا عكـــل

فأمر له بعشرة آلاف درهم، الجعفرية التي عناها نصيب أم بشر بن مروان وهي قطية بنت بشر بن عامر ملاعب الأسنة بن مالك بن جعفر بن كلاب.

* * *

٢١٥٠- كان هارون الرشيد ــــ رحمه الله ــــ جالساً بين جاريتين من جواريه فقال لهما: من يبيت عندي هذه الليلة منكما؟ فقالت إحداهما: أنا، فقالت الأخرى: بل أنا، فقال للأولى: ما حجتك فيما أدعيت؟ قالت: قول الله ياأمير المؤمنين: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ الواقعة: ١٠ – ١١، وقال للثانية: وما حجتك أنت؟ قالت قول الله عز وجل: ﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ الضحى: ٤، فقال: لتقل كل واحدة منكما شعراً في الغزل فمن كانت أرق شعراً باتت عندي، فقالت الأولى:

أنا التي أمشي كما يمشي الوجي ... يكاد أن يصرعني تغنجي

من جنة الفردوس كان مخرجي

وقالت الأخرى:

أنا التي لم ير مثلي بشر ... كلامي اللؤلؤ حين ينتثر

أسحر من شئت ولست أسحر ... لو سمع الناس كلامي كَفَّرُوا

فقال لهما: أحسنتما وأجدتما وما لواحدة منكما فضيلة على الأخرى ولكني أبيت بينكما.

* * *

٢١٥١- قال الأصمعي: مررت بِكَنَّاسٍ بالبصرة يكنس كنيفاً ويغني:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر

فقلت له: أمَّا سداد الكنيف فأنت مليُ به، وأمَّا الثغر فلا علم لي بك كيف أنت فيه، وكنت حديث السن، فأردت العبث به فأعرض عني ملياً ثم أقبل فأنشد:

وأكـــرم نفســـي إنـــي إن أهنتـــها وحقك لم تكرم علـــى أحـــد بعـــدي

فقلت له: والله ما يكون من الهوان شيء أكثر مما بذلتها له، فبأي شيء أكرمتها! فقال: بلى والله إن من الهوان لشراً مما أنا فيه، فقلت وما هو؟ فقال: الحاجة إليك وأمثالك من الناس، فانصرفت عنه أخزى الناس. أما أبيات العرجي فهي:

أضـــاعوني وأيٌّ فـــتى أضـــاعوا ليـــوم كريهـــة وســـداد ثغـــر
وصـــبر عنـــد معتـــرك المنايـــا وقد شـــرعت أســـنتها بنحـــري
أجـــرر في الجوامـــع كـــل يـــوم فيالِلَّـــهِ مظلمـــتي وصـــبري
كـــأني لم أكـــن فـــيهم وســـيطا ولم تـــك نســـبتي في آل عمـــرو

* * *

٢١٥٢- عضد الدين ألب أرسلان التركي (٤٥٥- ٤٦٥هـ -١٠٦٣-١٠٧٢م) ولي الحكم بعد وفاة عمه طغرلبك وأحيا الروح الحربية الاسلامية، وحمل لواء الجهاد ضد الروم والشيعة على السواء.

يروى ابن الأثير في حوادث سنة ٤٦٣هـ (١٩٧٠م) أن السلطان الب أرسلان رأى أن يبدأ بالاستيلاء على حلب وشمال الشام كي يحمي

ظهره من الخطر الفاطمي قبل التوغل في أرض الروم شمالاً. وعلم أمير حلب محمود بن صالح بن مرداس[1] بهذه الحركة مقدما وكان يدين بالمذهب الشيعي، فجمع أهل حلب وقال لهم:"هذه دولة جديدة، ومملكة شديدة ، ونحن تحت الخوف منهم، وهم يستحلون دماءكم لأجل مذاهبكم. والرأي أن نقيم الخطبة قبل أن يأتينا وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل فأجاب المشايخ إلى ذلك ولبسوا السواد، وخطبوا للقائم بأمر الله والسلطان. فأخذت العامة حصر الجامع وقالوا: هذه حصر علي بن أبي طالب، فليأت أبو بكر بحصر يصلي عليها الناس!!

وأرسل الخليفة القائم إلى محمود بن مرداس الخلع مع نقيب النقباء طراد بن محمد الزينبي فلبسها ومدحه الشعراء.

وبعد قليل وصل السلطان ألب أرسلان إلى حلب، وكان مندوب الخلافة لا يزال بها، فطلب منه الأمير محمود أن يخرج إلى السلطان ليعفيه من الحضور عنده والمثول بين يديه، فخرج نقيب النقباء وأخبر السلطان بأن الأمير محمود قد لبس الخلع القائمية وخطب فقال السلطان:"أي شيء تساوي خطبتهم وهم يؤذنون: حي على خير العمل؟ (الأذان عند الشيعة) ولا بد له من الحضور ودوس بساطي". فامتنع محمود من ذلك. فاشتد الحصار على البلد، وغلت الأسعار، وعظم القتال. فلما عظم

[1] بنو مرداس سلالة من عرب الشام من بني كلاب ينتمون إلى صالح بن مرداس الكلابي الذي استقل بحكم حلب عن الفاطميين سنة ١٠٢٣م وحموا شمال الشام من هجمات البيزنطيين.

الأمر على محمود، خرج ليلا ومعه والدته منيعة بنت وثاب النميري، فدخلا على السلطان وقالت له: هذا ولدي، فافعل به ما تحب. فتلقاهما بالجميل، وخلع علي محمود، وأعاده إلى بلاده، فأنفذ إلى السلطان مالا جزيلاً[1].

لم يكتف ألب أرسلان بالاستيلاء على حلب، بل أرسل في نفس هذه السنة أميرا يدعى أتسز بن أوق الخوارزمي إلى جنوب الشام أي إلى فلسطين وكانت تحت حكم الفاطميين، ففتح مدينة الرملة، وبيت المقدس وما جاورها من بلاد ما عدا عسقلان مفتاح الطرق المؤدية إلى مصر، ثم قصد مدينة دمشق وحاصرها وخرب أعمالها وقطع الميزة عنهاولكنه لم يستطع دخولها.

وهكذا يتضح من تحركات جيوش ألب أرسلان في بلاد الشام أنها كانت تهدف إلى ضرب القوى الشيعية في تلك البلاد قبل التوجه شمالاً إلى آسيا الصغرى لجهاد البيزنطيين.

كانالامبراطور البيزنطي رومانوس ديوجينيس قد خرج في ذلك الوقت لمهاجمة الديار الإسلامية في نحو مائتي ألف مقاتل من الروم والروس والفرنج والأرمن وغيرهم من طوائف تلك البلاد في تحميل كثير وزي عظيم. ثم تقدم في زحفه شرقا حتى بلغ بلدة ملاذكرد من أعمال خيلاط

---

[1] ابن الأثير: الكامل – ١٠ ص ٦٣– ٦٤.

على الفرات الأعلى شمالي بحيرة فان عند أرمينيا. ويبدو أنه كان يريد اختراق ثغور المسلمين من ناحية الجزيرة والتوغل في الأراضي الإيرانية وفطن ألب ارسلان لخطة العدو وكان في ذلك الوقت قد بلغ أذربيجان في خمسة عشر ألف فارس فقط. فتقدم من فوره لوقف زحف العدو. ويقال إنه انزعج عندما شاهد ضخامة جيش العدو لدرجة أنه أرسل إلى الامبراطور رومانوس يطلب المهادنة، وكان هدفه من ذلك كسب الوقت ريثما تصله الامدادات ولكن الامبراطور اصر على الحرب ومواصلة الزحف وقال: لا هدنه إلا بالري! [1]

عندئذ قرر السلطان مواجهة العدو، واختار بان يكون اللقاء في يوم الجمعة وفي الساعة التي يكون فيها الخطباء على المنابر يدعون للمجاهدين بالنصر. فلما كانت تلك الساعة علا بجنوده وقال لهم: "من أراد الانصراف فلينصرف، فما ها هنا سلطان يأمر وينهي أنني أقاتل محتسبا صابراً فإن سلمت فنعمة من الله وإن كانت الشهادة فإن ابني ملكشاه ولي عهدي"، ثم ألقى القوس والنشاب وأخذ السيف والدبوس وعقد ذنب فرسه بيده وفعل عسكره مثله، ولبس البياض وتحنط، وقال: إن قتلت فهذا كفني ثم زحف نحو الروم، فلما قاربهم ترجل وعفر وجهه على التراب وأكثر الدعاء ثم ركب واندفع نحو العدو وحملت العساكر

---

[1] الري مدينةقديمة في جنوب ايران وقد اشتهرت في العصر السلجوقي بصناعة الخزف ذي البريق المعدني كما كانت منازلها كما يقول ياقوت من الآجر المحكم اللمع بالزرقة المدهون كما تدهن الغضائر أي الخزف.

معه حملةرجل واحد، فقتل المسلمون في الروم كيف شاؤوا ، وأنزل الله نصره عليهم، فانهزم الروم وقتل منهم ما لا يحصى حتى امتلأت الأرض بجثث القتلى ، وأسر ملك الروم رومانوس، أسره مجاهد مسلم أراد قتله ولم يعرفه فقال له خادم مع الملك: لا تقتله فإنه الملك. وسيق الملك إلى السلطان ألب أرسلان. فضربه ثلاث مقارع بيده وقال له: ألم أرسل إليك في الهدنة فأبيت؟ فقال: دعني من التوبيخ، وافعل ما تريد. فقال السلطان: ما عزمت أن تفعل بي إن أسرتني؟ فقال: أفعل القبيح. قال له: فما تظن أنني أفعل بك؟ قال: إما أن تقتلني، وإما أن تشهر بي في بلاد الاسلام، والأخرى بعيدة، وهي العفو وقبول الاموال، واصطناعي نائبا عنك. قال: ما عزمت على غير هذاوافتدي الامبراطور نفسه بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار، (١٥٠٠,٠٠٠)وتعهد أن يرسل إلى ألب أرسلان عساكر الروم في أي وقت طلبها، وأن يطلق كل أسير في بلاد الروم وأن تعقد الهدنة لمدة خمسين سنة. وقد أكرم ألب أرسلان الامبراطور بعد عقد الصلح، فأرسل إليه عشرة آلاف دينار يتجهز بها واطلق له جماعة من البطارقة. ويقال إن الامبراطور سأل قبل رحيله: أين جهة الخليفة"؟ فدل عليها فقام وكشف عن رأسه وأومأ إلى الأرض بالخدمة ثم شيعه السلطان فرسخا وأرسل معه عسكراً وأوصلوه إلى مأمنه. [1]

[1] ابن الأثير: الكامل — ١٠ ص ٦٦ وما بعدها.

تعتبر موقعة ملاذكرد أو منزكرد سنة ٤٦٣هـ (١٠٧١م) من المواقع الحاسمة في التاريخ إذ نتج عنها نتائج سياسية وحربية خطيرة في تاريخ هذه المنطقة أهمها:

١- مهدت الطريق أمام جيوش المسلمين للتوغل في بلاد آسيا الصغرى واقتطاع هذه الأقاليم الأسيوية من ممتلكات الدولة البيزنطية لأول مرة. فقد وجه إليها ألب أرسلان ابن عمه سليمان قتلمش الذي استوطنها برجاله وأقام هناك دولة سلاجقة الروم نسبة إلى بلاد الروم التي قامت فيها. وستكون هذه الدولة هي أطول الدويلات السلجوقية عمرا، إذ ستظل قائمة إلى أن يقضي عليها الأتراك العثمانيون في أواخر القرن ١٤م.

٢- كانت هذه الوقعة من أهم الأسباب التي أدت إلى قيام الحروب الصليبية سنة ١٠٩٦م.ذلك لأن أخبار هزيمة الروم وعدم تمكنهم من حشد جيش آخر لرد الخطر التركي، أثار مخاوف الدول الأوربية. صحيح أن العلاقات بين روما والقسطنطينية كانت عدائية بسبب ما قام بين الكنيسة البيزنطية والكنيسة الرومانية من خلاف مذهبي انتهى بانفصال الكنيسة الشرقية في القسطنطينية عن الكنيسة الغربية في روما سنة ١٠٥٤م أي قبل موقعة ملاذكرد بنحو ثمانية عشر عاما إلا أنه على الرغم من ذلك كان الغرب اللاتيني ينظر إلى الدولة

البيزنطية على أنها الحصن الأمامي الذي يحمي المسيحية من الإسلام في الشرق ومن ثم يجب على الغرب المسيحي أن يمد لها يد المساعدة.

* * *

٢١٥٣- قوس الله أو قوس السحاب أو قوس السماء وهي التي يقال لها "قوس قزح" ويشبه بها ما يقل لبثه وبقاءه ولا يدوم مكثه قال الشاعر العلوي الحمامي:

فشبهت سرعة أيامهم   بسرعة قوس يسمى قزح
تلون معترضاً في السماء   فماتم ذلك حتى نزح

وفي الخبر لا تقولوا قوس قزح، ولكن قولوا قوس الله فإن قزح من أسماء الشيطان، ويجوز أن تكون سميت بهذا الأسم واضيفت إلى الله تعالى لأنها من فضل الله وقد ذكرت بالتفصيل في موضع سابق وسائر القسي من صنع الناس وفعلهم وقد سماها الوأواء الدمشقي قوس السماء بقوله:

أحسن بيوم ترى قوس السماء به   والشمس مسفرة والبرق خلاس
كأنها قوس رام والبروق لها   رشق السهام وعين الشمس برجاس

وسماها سيف الدولة قوس السحاب في قوله:

وساق صبيح للصبوح دعوته   فقام وفي أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم   فمن بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفا   على الجو دكنا والحواشي على الأرض

تطرزها قوس السحاب بأحمر على أصفر في أخضر إثر مبيض
كأذيال خود أقبلت في غلائل مصبغة والبعض أقصر من بعض

* * *

٢١٥٤- روى العباس بن الأحنف قال: خرجت إلى منزلي، فلما وصلت إلى المسودة محيطة بي فمضى بي إلى دار أمير المؤمنين فصرت إلى يحيي بن خالد (البرمكي) فقال لي: ويحك ياعباس إنما اخترتك من ظرفاء الشعراء لقرب مأخذك، وحسن تأنيك، وإن الذي ندبتك له من شأنك، وقد عرفت خطرات الخلفاء وإني أخبرك أن (ماردة) هي الغالية على أمير المؤمنين وأنه جرى بينهما عتب فهي بدالة المعشوق تأبى أن تعتذر، وهو بعز الخلافة وشرف الملك يأبى ذلك، وقد رمت الأمر من قبلهما فأعياني وهو أحرى أن تستعزه الصبابة فقل شعراً يسهل عليه هذا السبيل، فقضى كلامه ثم دعاه أمير المؤمنين فصار إليه، وأعطيت قرطاساً ودواة فاعتراني الزمع (الدهش والخوف) وأذهب عني ما أريد الاستحثاث فتعذرت على كل عروض ونفرت عني كل قافية، ثم انفتح لي شيء والرسل تنعتني فجاءتني أربعة أبيات رضيتها وقعت صحيحة المعنى سهلة الألفاظ ملائمة لما طلب مني، فقلت لأحد الرسل: أبلغ الوزير أني قلت أربعة أبيات فإن كان فيها مقنع، وفي ذهاب الرسول ورجوعه قلت بيتين من غير ذلك الروي، فكتبت الأبيات الأربعة في صدر الورقة وعقبت البيتين فقلت:

العاشقان كلاهما متغضب وكلاهما متوجد متعتب

صدت مغاضبة وصد مغاضباً وكلاهما مما يعالج متعب
راجع أحبتك الذين هجرتهم إن المتيم قلما يتجنب
إن التجنب إن تطاول منكما دب السُّلُوُّ فعز منه المطلب

ثم كتب تحت ذلك:

لابد للعاشق من وقفة تكون بين الهجر والصرم
حتى إذا الهجر تمادى به راجع من يهوي على الرغم

ثم وجهت الكتاب إلى يحيي، فدفعه إلى الرشيد، فقال: والله ما رأيت شعراً أشبه بما نحن فيه من هذا فكأني قصدت به، فقال يحيي: فأنت والله المقصود به ياأمير المؤمنين، فلما قرأ البيتين وأفضى إلى قوله: راجع من يهوى على الرغم، استغرق ضاحكاً ثم قال: إي والله : راجع على الرغم وما ردة هذه هي أم المأمون كما ذكرت أحد المصادر.

* * *

٢١٥٥- ناقة الله وسقياها، النوق وغيرها من المخلوقات كلها لله، لكن هذه الناقة لما كانت آية من آيات الله تعالى ومعجزة لنبيه صالح عليه السلام حضيت بالإضافة إلى الله تعالى كما قال: "ناقة الله وسقياها" وذلك أن ثمود قالوا لصالح: إن أردت أن نؤمن لك فاخرج لنا من هذه الصخرة ناقة عُشَراءْ تبرك بين أيدينا ، وتمخض (تلد) كما تمخض النوق الحوامل، وتنتج سَقَباً منها (السقب ولد الناقة ساعة يولد)، فصلى صالح ركعتين

ودعا الله تعالى فانشقت الصخرة عن ناقة شديدة الخلق، حسنة الصورة، فبركت بين أيديهم وتمخضت ونتجت سقباً مثل أمه في صفة الخلقة فقال لهم صالح عن الله تعالى: ﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ الشعراء: ١٥٥، فاقتسموا الماء فكان لهم يوم وللناقة يوم، فإذا كان يوم الناقة توسعوا في اللبن ما شاءوا وإذا كان يومهم لم يكن للناقة ماء، فنفسوا عليها شرب يومها (استكثروه عليها) وتآمروا في عقرها، فقال لهم صالح: ﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ هود: ٦٤، فانبعث أشقاها (قدار بن سالف) أو (أحمر ثمود) وعقرها بأمر ثمود، فرفع السقب راسه إلى السماء ورغا بحنين وأنين فقال لهم صالح عيه السلام: ﴿ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ ﴾ هود: ٦٥، ثم جاءهم العذاب في اليوم الرابع وأخذهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين، وأحداث هذه الناقة في مدينة الحجر آثارها الان شمال مدينة العلا شمال المدينة المنورة، وصارت ناقة صالح مثلا سائراً على وجه الدهر وربما قيل لها ناقة صالح وصار عاقرها مثلاً للشقوة والشؤم وهو أحمر ثمود، وصارت ثمود مثلا في الفناء والهلاك وقد سمي زهير بن أبي سلمى أحمر ثمود بأحمر عاد على أنها عاد الثانية حين قال مذكراً بشأن الحرب وعواقبها:

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

وقد أكثر الناس من ضرب المثل بهذه الناقة ومن مليح ذلك قول بعضهم في العتاب والاقتضاء:

حوائج الناس كلها قضيت ... وحاجتي لا أراك تقضيها

أناقة الله حاجتي عقرت ... أم نبت الحرف في حواشيها

وضرب ابن الرومي المثل فقال يصف إنسانا بشدة الأكل:

شبه عصا موسى ولكنه ... لم يخلق الله له فاها

رفقاً بزاد القوم لا تفنه ... ياناقة الله وسقياها

* * *

٢١٥٦- سَمَرَ أبو جعفر المنصور ذات ليلة، فذكر خلفاء بني أمية وسيرهم وكيف سلبهم الله العز ونقل عنهم النعمة، فقال صالح بن علي: ياأمير المؤمنين إن عبد الله بن مروان لما دخل بلاد النوبة هارباً فيما تبعه سأل ملك النوبة عنهم فاخبر، فركب إلى عبد الله فكلمه بكلام عجبيب في هذا النحو لا أحفظه، وأزعجه عن بلده، فإن راى أمير المؤمنين أن يدعو به من الحبس بحضرتنا في هذه الليلة ويسأله عن ذلك؟ فأمر المنصور بإحضاره وسأله عن القصة فقال: يا أمير المؤمنين، قدمنا أرض النوبة وقد خبر الملك بأمرنا، فدخل على رجل أقنى الألف، طوال حسن الوجه فقعد على الأرض و لم يقرب الثياب (الفراش) فقلت: ما يمنعك أن تقعد على ثيابنا؟ قال: لأني ملك، ويحق على الملك، أن يتواضع لعظمة الله إذ

رفعه الله، ثم قال: لأي شيء تشربون الخمر وهي محرمة عليكم؟ قلت: إجترأ على ذلك عبيدنا وغلماننا واتباعنا لأن الملك قد زال عنا، قال: فَلِمَ تطئون الزروع بدوا بكم، والفساد محرم عليكم في كتابكم؟ قلت: يفعل ذلك عبيدنا واتناعنا بجهلهم، قال: فَلِمَ تلبسون الديباج والحرير وتستعملون الذهب والفضة وذلك محرم عليكم؟ قلت: ذهب الملك عنا وقل أنصارنا فانتصرنا بقوم من العجم ودخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا، قال: فأطرق ملياً، وجعل يقلب يده وينكث في الأرض (بطرف العصا) ويقول: عبيدنا وأتباعنا وقوم دخلوا ديننا وزال الملك عنا، يردده مراراً، ثم قال: ليس ذلك وكذلك، بل أنتم قوم استحللتم ما حرم الله، وراتكبتم ما نهاكم عنه، وظلمتم من ملكتم، فسلبكم الله العز، وألبسكم الذل بذنوبكم والله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها، وأخاف أن يحل بكم العذاب وأنتم ببلدي فيصيبني معكم، وإنما الضيافة ثلاثة أيام فتزودوا ما احتجتم وارتحلوا عن بلدي.

* * *

٢١٥٧- قميص يوسف، أجرى الله تعالى أمر يوسف من ابتدائه إلى انتهائه في ثلاثة أقمصة، أولها قميصه المضرج بدم كذب والثاني قميصه الذي قُدَّ من دبر، والثالث قميصه الذي ألقي على وجه أبيه فارتدَّ بصيراً، ولكل من هذه الأقمصة موضع في ضرب المثل وإجراء النادر، فيروي أن إخوة يوسف لما قالوا لأبيهم ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ

ٱلذِّئْبُ ﴾ يوسف: ١٧، قال لهم: أروني قميصه، فأروه إياه، مضرجاً بالدم غير ممزق فقال: تاالله ما رأيت ذئباً أحلم من هذا وارفق، أكل أبني و لم يمزق قميصه! وأنشد عبد الله المرزباني قول أبي الشيص الخزاعي:

وقائلة وقد بصرت بدمع ... على الخدين منهمر سكوب
أتكذب في البكاء وأنت خلو ... قديمًا جسرت على الذنوب
جفونك والدموع تجول فيها ... وقلبك ليس بالقلب الكئيب
نظير قميص يوسف يوم جاءوا ... على لباته بدم كذوب
فقلت لها فداك أبي وأمي ... رجمت لسوء ظنك بالغيوب

وأما القميص الثاني فلأبي الحارث جُمَّيْزْ فيه نادرة طريفة وهي أنه رؤي في ثياب متخرقة، فقيل له: ألا يكسوك محمد بن يحيي؟ فقال: لو كان له بيت مملوء إبراً، وجاءه يعقوب ومعه الأنبياء شفعاء والملائكة ضمناء، يطلب منه إبرة ليخيط بها قميص يوسف الذي قُدَّ من دبر ما أعاره إياها فكيف يكسوني! ونظم هذا المعنى من قال:

وقد زعمت جمل بأني أردها ... على نفسها، تبا لذلك من فعل!
سلوا عن قميصي مثل شاهد يوسف ... فإن قميصي لم يكن قُدَّ من قبل

أما القميص الثالث فهو مثل سائر في لطف الموقع كما قال أبو الطيب المتنبي:

كأن كل سؤال في مسامعه ... قميص يوسف في أجفان يعقوب

قال أبو عثمان الخالدي للوزير المهلبي وذلك معز الدولة:

إن غبت أودعك الإله حياطة   وإذا قدمت أباحك الترحيبا

ويكون في مقة كتابك عنده   كقميص يوسف إذ أتى يعقوبا

ولبلغاء المترسلين، لاسيما أهل العصر منهم في التتميل بهذا القميص نكت وغرر، ومن أحسنها فصل للأمير السيد أبي الفضل من رسالة إلى أبيه: وصل كتاب مولانا فعددت يوم وروده عيداً، ولم أشبه في إهداء الروح ورد الشفاء وتلاقي الروح بعد أن أشفت على المكروه كل الأشفاء إلا بقميص يوسف حين تلقاه يعقوب من البشير وألقاه على وجهه فنظر بعين البصيرة .. الخ.

*   *   *

٢١٥٨- قال الشيباني: أقبل أعرابي إلى مالك بن طوق، فأقام بالرحبة حيناً، وكان الأعرابي من بني أسد، صعلوكاً في عباءة صوف وشملة شعر، فكلما أراد الدخول منعه الحجاب وشتمه العبيد، وضربه الأشراط، فلما كان في بعض الأيام خرج مالك بن طوق يريد التتره حول الرحبة، فعارضه الأعرابي فضربوه ومنعوه، فلم يثنه عن ذلك حتى أخذ بعنان فرسه ثم قال: أيها الأمير: إنا عائذ بالله من أشراطك هؤلاء، فقال مالك: دعو الأعرابي، هل من حاجة يا أعرابي؟ قال: نعم أصلح الله الأمير، أن

تصغي إليَّ بسمعك وتنظر إليَّ بطرفك، وتقبل عليَّ بوجهك قال: نعم، فأنشأ الأعرابي يقول:

ببابك دون الناس أنزلت حـاجتي ... وأقبلـت أسـعى حولـه وأحـوف

ويمنعني الحجاب والسـتر مسـبك ... وأنت بعيـد والشـروط صـفوف

يدورون حولي في الجلـوس كـأنهم ... ذئـاب جيـاع بينـهن خـروف

فأما وقد أبصرت وجهـك مقـبلاً ... فاصـرف عنـه إنـني لضـعيف

فمالي من الـدنيا سـواك ولا لمـن ... تركـت ورائـي مربـع ومصـيف

وقد علم الحيان قـيس وخنـدف ... ومـن هـو فيهـا نـازل وحنيـف

تَخَطِّيَ أعنـاق الملـوك ورحلـتي ... إليك وقد أخنـت علـيَّ حـروف

فجئتك أبغي اليسر منـك فمـرَّ بي ... ببابك عن ضـرب العبيـد صـنوف

فلا تجعلن لي نحـو بابـك عـودة ... فقلبي من ضرب الشـروط مخـوف

فاستضحك مالك حتى كاد أن يسقط عن فرسه، ثم قال لمن حوله: من يعطيه درهماً بدرهمين، وثوباً بثوبين، فوقعت عليه الثياب والدراهم من كل جانب حتى تحير الأعرابي، ثم قال له هل بقيت لك حاجة يا أعرابي؟ قال: أما إليك فلا، قال: فإلى من؟ قال: إلى الله أن يبقيك للعرب فإنها لا تزال بخير ما بقيت لها.

* * *

٢١٥٩- سنو يوسف، يضرب المثل في القحط والشدة وكانت سبعاً متواترة ومن قصة سني يوسف أنه كان عليه السلام قد أعَدَّ في سني الخصب الحنطة والشعير وسائر الحبوب في الأهراء (بيت كبير تجمع فيه الحبوب) والخزائن ما يسع أهل مصر وغيرهم، فلما كانت السنوات الشداد جعل يوسف يبيعهم في السنة الأولى بالدراهم والدنانير، حتى استغرق دراهم مصر ودنانيرها ثم باعهم في الثانية في الحُلِيْ والجواهر حتى لم يبق في أيدي الناس شيء منها ثم باعهم في الثالثة بالمواشي والدواب حتى احتوى عليها كلها، ثم باعهم بالرابعة بالعبيد والإماء حتى لم يبق لأحدهم عبد ولا أمة، ثم باعهم في الخامسة بالضياع والعقار والدور حتى جمع بين ملك مصر وملكها، ثم باعهم في السادسة بأولادهم حتى استرقهم، ثم باعهم في السابعة برقابهم حتى لم يبق فيها حُرٌّ ولا حرة، إلا صار عبداً وصارت أمة، ثم إنه عليه السلام قال: إني لم أملك مصر لأملك أهلها، و لم أبرهم لأجفوهم، فأعتقهم كلهم ورد عليهم أموالهم وأملاكهم وأولادهم فذلك قول الله عز ذكره: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ ﴾ يوسف: ٥٦.

* * *

٢١٦٠- أصر الشاعر حمدان بن عبيد العتري أن أنشر هذه القصيدة له رغم ممانعتي من ذلك وتحت ضغط إصراره ونزولاً عن طلبه ننشرها حيث قال:

١٠١	الشِّعِرْ لَوْ يِعْطِيْ عَلَـى مَـا تَمنَّيْـتْ	عَزَّ الله إنِّي مَا وِفَيْتَـكْ بَالأَشْـعَارْ
١٠٢	يَالْوَافِيْ اللِّي لَلْطَّلَـبْ مَـا تُوَانَيْـتْ	مَا تَمْنَعَكْ طُوْلَ المِسَافَةْ وَالأَسْـفَارْ
١٠٣	صَقْر السُّوَيْدا كَاسِبْ المَدْحْ وَالصِّيْتْ	أَنَا أَشْهَدْ إِنَّكْ حِرْ مِنْ مَاكَرْ أَحْـرَارْ
١٠٤	مِنْ بَحْرْ عِلْمَكْ يَاخِذْ الحَيْ وَالمَيْـتْ	مَشْهُورْ واشْهَرْ مِنْ عَلَمْ فَوْقُهْ النَّـار
١٠٥	أَلَّفْتْ جَـزْلاَتْ المَعَـانِيْ وْخَطَّيْـتْ	بَعْدَ الوِلِيْ فَضْلَكَ عَلَى كِلْ الأَمْصَارْ
١٠٦	عَلَى بَحَرْ عِلْمَكْ شِـرِبْتْ وْتَهَنَّيْـتْ	وْقِطَفْتْ مِنْ بِسْتَانْ عِلْمَكْ لِيْ أَفْكَارْ
١٠٧	الشِّعِرْ قِلْتَهْ مِن جَنَابَكْ وْلاَ أَوْفَيْـتْ	وَأَنْتَ الَّذي مَا تَمْدَحَكْ كِلْ الأَشْعَارْ

* * *

٢١٦١- غسيل الملائكة هو حنظلة بن أبي عامر الأنصاري، غسلته الملائكة، وذلك أنه خرج يوم أحد فأصيب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:"هذا صاحبكم قد غسلته الملائكة" فسألت عن ذلك امرأته فقالت: إنه كان معي على ما يكون الرجل مع امرأته فأعجلته حطمة المسلمين ومنعته من الاغتسال فخرج فأصيب وكان حنظلة خال أبيه.

غسلت خالي الملائكة الأبرا	ر ميتاً إكرم به من صريع
وانا ابن الذي حمت ظهره الديـ	ـر قتيل الحيان يوم الرجيع

وقد ذكر المبرد نفراً من كان بينهم وبين الملائكة سبب فمنهم سعد بن معاذ هبط لموته سبعون ألف مَلَكْ لم يهبط إلى الأرض قبلهم، وقبض

رسول الله صلى الله عليه وسلم رجله وهو يمشي في جنازته لأ لايطأ على جناح ملك، واهتز لموته عرش الله يقول حسان بن ثابت:

وما اهتز عرش الله عن موت هالك لماضـــية إلا لمـــوت أبي عمــــرو

وكبر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعاً، كما كبر على حمزة وشم من تراب قبره المسك، ومنهم حسان بن ثابت قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أهجهم وروح القدس معك"، وقال في حديث آخر: "إن الله مؤيد حسان بروح القدوس ما نافح عن نبيِّه".

وكان يوضع لحسان منبر في مؤخرة المسجدة يقوم عليه فينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنهم عمران بن حصين، كان تصافحه الملائكة وتعوده ثم افتقدها فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يارسول الله: إن رجالاً كانوا يأتونني لم أر أحسن وجوهاً، ولا أطيب أرواحاً منهم، ثم انقطعوا عني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أصابك جرح فكنت تكتمه؟ قال: أجل، قال: ثم أظهرته، قال: قد كان ذاك، قال: أما والله لو أقمت على كتمانه لزارتك الملائكة إلى أن تموت" وهذا الجرح أصابه في سبيل الله، ومنهم جرير بن عبد الله البجلي، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يطلع عليكم من هذا الفج خير ذي يمن، فإن عليه مسحة ملك"، ومنهم دحية بن خليفة الكلبي كان جبريل يهبط بصورته، فمنذلك يوم بني قريظة لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق هبط عليه جبريل

عليه السلام فقال:" يامحمد قد وضعت سلاحك، وما وضعت الملائكة أسلحتها بعد! إن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة (حي من اليهود) وهائذا سائر إليهم فمزلزل بهم" فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يصلوا العصر إلا في بني قريظة وجعل يمر بالناس فيقول: "أَمَرَّ بكم أحد"؟ فيقولون: مرَّ بنا دحية بن خليفة على بغلة وعليه قطيفة خز نحو بني قريظة، فيقول: ذاك جبريل، ثم مرَّ بهم دحية بعد ذلك، وكان لا يزال بعد ذلك اليوم يترل على صورته، كما ظهر إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جشعم الكناني، في صورة الشيخ النجدي يوم الندوة حين أشار بأن تجتمع قريش فتضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيف واحد.

* * *

٢١٦٢- كان أبو جعفر المنصور أيام بني أمية إذا دخل البصرة دخل متستراً ، فكان يجلس في حلقة أزهر السمان المحدث، فلما أفضت الخلافة إليه قدم عليه أزهر، فرحب به وقربه وقال له: ماحاجتك ياأزهر؟ قال: داري متهدمة، وعَلَيَّ أربعة آلاف درهم وأريد أن يبني محمد إبني بعياله، فوصله بإثني عشر ألفاً وقال: قضينا حاجتك ياأزهر، فلا تأتينا طالباً، فأخذها وارتحل، فلما كان بعد سنة أتاه، فلما رآه أبو جعفر قال: ما جاء بك ياأزهر؟ قال: جئتك مسلماً، قال: إنه إن يقع في خلد أمير المؤمنين أنك جئت طالباً، قال: ماجئت إلا مسلماً قال: قد أمرنا لك

بإثني عشر ألفا وأذهب فلا تأتينا طالباً ولا مسلماً، فأخذها ومضى فلما كان بعد سنة أتاه، فقال: ما جاء بك ياأزهر؟ قال: أتيت عائداً، قال: إنه يقع في خلد أمير المؤمنين أنك جئت طالباً، ما جئت إلا عائداً، قال: قد أمرنا لك بإثني عشر ألفاً واذهب فلا تأتنا طالباً ولا مسلما ولا عائداً فأخذها وانصرف فلما مضت السنة أقبل، فقال له : ماجاء بك يا أزهر؟ قال: دعاء كنت اسمعك تدعو به ياأمير المؤمنين جئت لاكتبه فضحك أبو جعفر وقال: إنه دعاء غير مستجاب، وذلك أني دعوت الله تعالى به أن لا أراك فلم يستجيب وأمرنا لك بإثني عشر ألف فاذهب وتعالى متى شئت فقد أعيتني فيك الحيل.

* * *

٢١٦٣- إبليس الأباليس، قال جرير من قصيدته التي فيها:

وابن اللبون إذا ما لُزَّ في قرن   لم يستطع صولة البزل القناعيس

إني ليلقى عليَّ الشعر مكتهل   من الشياطين إبليس الأباليس

وكانت الشعراء تزعم أن الشياطين تلقى على أفواهها الشعر على لسانه فمن كان شيطانه أمرد كان شعره أجود، (والأمرد الشاب الذي لم ينبت الشعر في وجهه) وبلغ من تحقيقهم وتصديقهم بهذا الشأن أن ذكروا لهم أسماء فقالوا إن شيطان الأعشى "مسحل" واسم شيطان

الفرزدق "عمرو" واسم شيطان بشار" ستفتاق" وفي مسحل يقول الأعشى:

وما كنت ذا قول ولكن حسبتني إذا مسحل يبني لي القول أنطق

خليلان فيما بيننا من مودة شريكان جني وإنس موفق

وقال يذكره:

حباني أخي الجني نفسي فداؤه بأفيح جياش العشيات مرجم

وقال فيه:

دعوت خليلي مسحلاً ودعوا له جهنام جدعاً للهجين المذمم

وقال حسان بن ثابت:

إذا ما ترعرع منا الغلام فليس يقال له من هُوَهْ

إذا لم يَسُدْ قبل شد الإزار فذلك فينا الذي لا هُوَهْ

ولي صاحب من بني الشيصبان فحينا أقول وحينا هُوَهْ

شيصبان، وشنفنان رئيسان عظيمان من الجن بزعمهم. ولما ادعى بشار أن ستفتاق يرغب في مصاحبته ومعاونته قال:

دعاني شنفتاق إلى خلف بكرة فقد تركاني في التفرد أحمد

يقول: أحمدني في الشعر ألا يكون عليه معين فقال أعشى سليم:

إذا ألف الجني قرداً مشنفا فقل لخنازير الجزيرة أنشري

فجزع بشار لذلك الجزعة، من قول حماد عجرد:

ويـــا أقـــبح مــــن قـــرد   إذا مــــا عمــــي القـــــرد

لأنه يعلم مع تغزله أن وجهه وجه قرد وفي زعمهم أن مع كل شاعر شيطاناً، يقول أعشى بني سليم:

وما كان جــني الفــرزدق قــدوة   وما كان فيها مثــل فحــل المخبــل

وما في الخوا في مثل عمرو وشــيخه   ولا بعد عمرو شاعر مثــل مســحل

وقال الفرزدق وهو يمدح أسد بن عبد الله القسري:

ليــبلغن أبـــا الأشـــبال مـــدحتنا   من كان بالفوز أو مـــروى خراســـانا

كأنها الــذهب الابريــز حبرهـــا   لســـان أشـــعر خلـــق الله شـــيطانا

وقال أبو النجم العجلي:

إني وكـــل شـــاعر مـــن البشــــر   شـــيطانه أنثــى وشـــيطاني ذكـــر

فمـــا يـــراني شـــاعر إلا اســـتتر   فعــل نجــوم الليــل عـــاين القمـــر

وقال آخر:

إني وإن كنـــت صـــغير الســـن   وكـــان في العـــين نُبـــوّ عـــني

فـــإن شـــيطاني أمـــير الجـــن   يـــذهب في الشـــعر بكـــل فـــن

وقال ابن مبادة:

لمـــا أتـــاني مـــا تقـــول محـــارب   تغنـــت شـــياطيني وجـــني جنونهـــا

وقال منظور بن رواحة:

فلما أتـاني مـا يقـول ترقصـت شياطين رأسي وانتشين مـن الخمـر

وقال الزفيان العوافي:

أنـا العـوافي فمـن دعـاني أذقتـه بـوادر الهـوان

حـتى تـراه مطـرق الشـيطان علمـني الشـعر معلمـان

يعني معلمان من الجن، وقال أبو السمط لعلي بن جهم:

إن ابن جهـم في المغيـب يعيـني ويقـول لي حسـنا إذا لاقـاني

ويكون حين أغيب عنـه شـاعراً ويضل عنـه الشـعر حـين يـراني

وإذا التقينـا زاد شـعري شـعره ونـزا علـى شـيطانه شـيطاني

إن ابن جهم لـيس يـرحم أمـه لـو كـان يرحمهـا لمـا عـاداني

وقال الفرزدق: شيطان جرير هو شيطاني إلا أنه من فمي أخبث، وقيل لجعفر بن يحيي: لو قلت الشعر! فقال: شيطانه أخبث من أن أسلطه على عقلي.

* * *

٢١٦٤- كان المهدي قد كسا أبا دلامة ساجاً (الطيلسان الأخضر أو الأسود شبيه العباءة) فَأخذ به وهو سكران فأتي به إلى المهدي فأمر بتمزيق الساج عليه، وأن يحبس في بيت الدجاج، فلما كان في بعض الليل وصحا أبو دلامة من سكره، ورأى نفسه بين الدجاج، صاح: ياصاحب

البيت فاستجاب له السجان فقال: مالك ياعدو الله؟ قال له: ويلك! من أدخلني مع الدجاج؟ قال: أعمالك الخبيثة، أتي بك أمير المؤمنين وأنت سكران فأمر بتمزيق ساجك وحبسك مع الدجاج قال له: ويلك! أو تقدر توقد سراجاً وتجيئني بدواة وورق، ولك سلبي هذا، فأتاه بدواة وورق فكتب أبو دلامة:

أمن صهباء صافية المزاج	كأن شعاعها لهب السراج
تهش لها النفوس وتشتهيها	إذا برزت ترقرق في الزجاج
وقد طبخت بنار الله حتى	لقد صارت من النطف النضاج
أمير المؤمنين فدتك نفسي	علام حبستني وخرقت ساجي
أقاد إلى السجون بغير ذنب	كأني بعض عمال الخراج
ولو معهم حبست لهان وجدي	ولكني حبست مع الدجاج
دجاجات يطيف بهن ديك	يناجي بالصباح إذا يناجي
وقد كانت تخبرني ذنوبي	بأني من عذابك غير ناجي
على أني وإن لاقيت شراً	لخيرك بعد ذاك الشر راجي

ثم قال: أوصلها إلى أمير المؤمنين، فأوصلها السجان فلما قرأها أمر بإطلاقه وأدخله عليه، فقال: أين بت الليلة يا أبادلامة؟ قال مع الدجاج يا أمير المؤمنين، قال: فما كنت تصنع؟ قال: كنت أقاقي معهن، حتى أصبحت، فضحك المهدي وأمر له بصلة جزيلة، وخلع عليه كسوة شريفة..

٢١٦٥- جبار بني العباس كان يقال للرشيد (هارون الرشيد) جبا بني العباس، لأنه أغزى ابنه القاسم الروم فقتل منهم خمسين ألفاً وأخذ خمسةآلاف دابة بسرج الفضة ولجمها، وأغزى على بن عيسى بن ماهان فقتل منهم أربعين الفا وسبى عشرة آلاف وأسر ملكين منهم ثم غزا الرشيد نفسه الروم وافتتح هرقلة وأخذ الجزية على ملك الروم، ولم يخلّف أحد قط من الملوك ما خلفه الرشيد من الأثاث والعين (الذهب) والوَرقْ (الفضة) والجواهر وكان بقيمة مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف دينار غير قيمة الضياع والدواب والعبيد أي ١٢٠,٠٠٠,٠٠٠ مليون دينار.

* * *

٢١٦٦- من جود عبيد الله بن عباس أن معاوية بن أبي سفيان حبس الحسين بن علي صِلاَتُهُ حتى ضاقت عليه حاله، فقيل له: لو وجهت إلى ابن عمك عبيد الله، فإنه قد قدم بنحو من ألف ألف درهم (مليون) فقال الحسين: واين تقع ألف ألف درهم من عبيد الله، فوالله لهو أجود من الريح إذا عصفت وأسخى من البحر إذا زخر ثم وجه إليه مع رسوله بكتاب ذكر فيه حبس معاوية صلاته (مخصصاته) وضيق حاله وأنه يحتاج إلى مئة الف درهم، فلما قرأ عبيد الله كتابه، وكان من أرق الناس قلباً والينهم عطفاً، إنهلت عيناه ثم قال: ويلك يامعاوية مما اجترمت يداك من الإثم، ثم أصبحت حين لُيِّنَ المهاد رفيع العماد والحسين يشكو ضيق الحال وكثرة العيال ثم قال لقهرمانة (الكاتب أو الوزير) إحمل إلى الحسين نصف ما

أملكه من فضة وذهب وثوب ودابة وأخبره أني شاطرته مالي، فإن أقنعه ذلك وإلا فارجع وأحمل إليه الشطر الآخر، فقال له القَيِّمُ : فهذه المؤن التي عليك من أين تقوم بها؟ (القَيِّم المسئول عن الأموال) قال: إذا بلغنا ذلك دلَلتك على أمر يقيم حالك، فلما أتى الرسول بارساليته إلى الحسين قال: إنا لله حملت والله على ابن عمي وما حسبته يتسع لنا بهذا كله، فأخذ الشطر من ماله وهو أول من فعل ذلك في الإسلام.

*　　*　　*

٢١٦٧- عرق الخال، تقول العرب: " عرق الخال لا ينام" قال الجاحظ: زعم كثير من العلماء أن عرق الخال أنزع من عرق العم، قالوا: والدليل على أن نصيب الأمهات في الأولاد أكثر، وأنها على الشبه أغلب، إن أكثر ما تلد الأمهات الآناث، وكذلك الناس وجميع الحيوانات، والأم والخال عند العرب أنزع واشدُّ جذباً للولد، لأن الأم والأب يستويان في وجوه ثم تفضل الأم والأب في وجوه بعد ذلك، لأن الولد ليس يخلق من ماء الأب دون ماء الأم قال تعالى ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ ﴾ الطارق: ٦ — ٧، والصلب للأب والترائب للمرأة ومن الدليل على غلبة عرق الخال قول عبد الله بن قيس يهجو خبيب بن المهلب بن أبي صفرة:

غلبـــت أمـــه عليـــه أبـــاه　　فهـــو كالكـــا بلـــي أشـــبه خالـــه

وقول الآخر:

وأدركـــه خالاتـــه فخذلتـــه　　ألا إن عرق الســوء لابــد يــدرك

وأنشد الأصمعي:

سرى عرقه في القوم حتى أصـــابهم　　وللخال عــرق لا ينــام ولا يكــد

وقال مكي بن سوادة :

وخالك أصهب الســبلات علــج　　وعرق الخــال ينمــي بعــد دهــر

وقال رجل من كنانة:

تخيرهــا للنســل وهــي غريبــة　　فجاءت به كالبــدر خرقــا معممــا

فلو شاتم الفتيــان في الحــي ظالمــا　　لما وجدوا غــير التكــذب مشــتما

وقال الأبيرد وهو يهجو طَلْبَةَ بن قيس بن عاصم:

قضى الله حقا ياابن قيس بن عاصم　　وكـــان قضـــاء الله لا يتبـــدل

بأنك ياطلب بن قيس بــن عاصــم　　مقـــيم بـــدار الـــذل لا تترحـــل

أبـــت لـــك أعـــراق وأم لئيمـــة　　وخال قصير الباع وغــد مفســكل

قالوا: ورأينا الناس يتباهون بأخوالهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أخذ بيد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: "هذا خالي، فاليأت كل إمرئ بخاله" قال عمرو بن الأهتم حين سب الزبرقان بن

بدر: "لئيم الخال، ضيق العطن، زمر المروءة، حديث الغنى" وافتخر امرؤ القيس بن حجر بخاله حيث قال:

خالي ابن كبشة لو علمت مكانــه وأبــو يزيــد ورهطــه أعمــامي

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"الخال والد" والعرب إذا مدحت رجلاً قالت: "ذاك المعم المخول".

وقال العجمي:

الولد لا طاب قالوا مــن خوالــه؟ بــالخوال يســال قبــل الوالــدين

* * *

٢١٦٨- قال الحسن بن رجاء الكاتب: قدم علينا على بن جبلة إلى عسكر الحسن بن سهل والمأمون هناك بانياً على خديجة بنت الحسن بن سهل المعروفة بلقبها بوران (بأن تزوجها ودخل بها) ونحن إذ ذاك نجري (نطعم) على نَيِّفٍ وسبعين ألف فلاح في زواج المأمون ببوران المشهور وكان الحسن بن سهل مع المأمون يتصبح، فكان الحسن يجلس للناس إلى وقت انتباهه أي المأمون، فلما قدم على بن جبلة العكوك نزل بي، فقلت له: قد قوي شغل الأمير، قال: إذا لا أضيع معك قلت: أجل، فدخلت على الحسن وقت ظهوره فأعلمته مكانه، فقال: ألا ترى ما نحن فيه فقلت: لست بمشغول عن الأمر له، فقال: يعطي عشرة آلاف إلى أن نتفرغ له، فأعلمت على بن جبلة فقال في كلمة له:

أعطيتني ياولي الحق مبتدئاً عطية كافأت حمدي ولم ترني
ما شمت برقك حتى نلت ريقه كأنما كنت بالجدوى تبادرني

* * *

٢١٦٩- فأرة العرم، تضرب مثلاً للضعيف يقوى على الأمر الكبير، وفي المهين يجر الخطب الجليل، ويضر الضرر الكبير قال الجاحظ: لا يشك الناس في أن أرض سبأ وجنتها إنما خربت حين دخلها سيل العرم، وأن الذي فجر الماء فأرة، وكانت سبباً لدخول الماء الذي إذا دخل خرب بقدر قوته قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾ سبأ: ١٦، والعرم المسنّاه (السّد) التي كانوا أحكموا عليها لتكون حاجزاً بين ضياعهم وبين السيل ففجرته فأرة ليكون أظهر في الأعجوبة كما أفار الله ماء الطوفان من جوف تنور ليكون ذلك أثبت في العبرة وأعجب في الآية، ولذلك قال خالد بن صفوان لليماني الذي فخر عند المهدي وهو ساكت فقال له المهدي مالك لا تقول؟ قال: وما أقول في قوم ليس منهم إلا دابغ جلد، أو ناسج برد أو قائد قرد أو راكب عرد ؟(الحمار) أغرقتهم فأرة، وملكتهم إمرأة ودل عليهم هدهد. وفي هذه الفأرة يقول الحكم بن عمرو البهراني:

خرقت فأرة بأنف ضئيل عرما محكم الأساس بصخر
فجرته وكان جيلان عنه عاجزا أن يرومه بعد دهر

وجيلان فعله الملوك (وكانوا من أهل الجبل) يقول فجرته فأرة ولو أن جيلان أرادت ذلك لامتنع عليها، لأن الفأرة إنما مزقته لما سخر الله تعالى لها من ذلك العرم وقال الخوارزمي لنفسه من قصيدة له في ساس الحاجب الذي سعى في قتل أبي الحسن المرزباني:

لا تعجبوا من صيد صعو بازيا إن الأسود تصاد بالخرفان
قد غرقت أملاك حمير فأرة وبعوضة قتلت بني كنعان

يعني فأرة العرم، والبعوضة التي يروى أنها دخلت في أنف نمرود بن كنعان وكان بها حتفه.

* * *

٢١٧٠- قال الربيع حاجب المنصور يعني الخليفة العباسي قلت له يوماً:إن الشعراء ببابك وهم كثيرون طالت أيامهم ونفدت نفقاتهم وكأنهم الشحاذون قال: أخرج إليهم فاقرأ عليهم السلام وقل لهم: من مد حنى منكم فلا يصفني بالأسد فإنما هو كلب من الكلاب ولا بالحية فإنما هي دويبة منتنة تأكل التراب ولا بالجبل فإنما هو حجر أصم ولا بالبحر فانما هو غطامط (عظيم الأمواج) لجب ومن ليس في شعره هذا فاليدخل ومن كان في شعره ما ذكرت فالينصرف فانصرفوا كلهم إلا ابراهيم بن هرمة فإنه قال له: يا ربيع فأدخلني فأدخله فلما مثل بين يديه قال

المنصور:ياربيع قد علمت أنه لا يجيبك أحد غيره هات يابن هرمه فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

له لحظـات في خفـا في سـريره إذا كرهـا فيهـا عـذاب ونائـل

لهم طية بيضـاء مـن آل هاشـم إذا اسود من كوم التـراب القبائـل

إذا ما أبي شيئاً مضـى كالـذي أبى وإن قـال إني فاعـل فهـو فاعـل

فقال المنصور: حسبك، هاهنا بلغت هذا عين الشعر قد أمرت لك بخمسة آلاف درهم فقمت إليه وقبلت رأسه وأطرافه ثم خرجت فلما كدت أن أخفى عن عينيه سمعته يقول: يا ابراهيم فأقبلت إليه فزعا فقلت لبيك، فداك أبي وأمي قال احتفظ بها فليس لك عندنا غيرها فقلت بأبي وأمي أنت أحفظها حتى أوافيك على الصراط بخاتم الجهبذ.

* * *

٢١٧١- جمع النمل وألذر قال الحاجظ: أما ترون خلق النمل أو الذروما فيها من بديع التأليف ومن الاحساس الصادق، والتدابير الحسنة ومن الروية والنظر في العاقبة والاختيار لكل ما فيه صلاح المعيشة ومع ما فيها من البراهين النيرة والحجج الظاهرة وقال في موضع آخر: قد علمنا أن النمل أو النملة أو الذرة تدخر في الصيف للشتاء وتتقدم في حالة المهلة ولا تضيع أوقات الفرصة ثم تبلغ من نقدها (حذرها) وصحة تمييزها والنظر في عواقبها أنها تخاف على الحبوب التي ادخرتها للشتاء أن تعفن وتسوس

فتنقلها من باطن الأرض إلى ظهرها لتعيدها بعد جفافها وليضربها النسيم وينفي عنها الفساد ثم ربما بل في أوقات اختارت ذلك ليلاً لأنه أخفى وفي القمر لأنها فيه أبصر. فإن كان مكانها نديا وخافت أن ينبت الحب نقرت موضع القطمير (نواة الحبة) من وسطها وهي تعلم أنها من ذلك الموضع تبتدئ تنبت وهي تفلق الحب كله أنصافا وإذا الحب من حب الكزبرة فلقته أرباعاً لأن الأنصاف من حب الكزبرة تنبت من جميع جهاتها فهي من هذا الوجه مجاوزة لفطنة جميع الحيوانات وفي وصية لقمان لابنه: يا بني لاتكن النملة أو الذرة أكيس منك تجمع صيفها لشتائها قال أحد الشعراء:

تركـــت والله في عرضـــه كرامـــة للشـــعر لا للتقـــى
لأنـــه أحـــرص مـــن ذرة علـــى الـــذي تجمعـــه للشـــتاء

وفي حديث عمرو بن معد يكرب حين سأله عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن سعد بن أبي وقاص قال: أسد في خيسه (بيت الأسد) وأعرابي في شملته، ونبطي في حبوته، ينقل إلينا نقل النملة أو الذرة إلى حجرها وقد يجمع بين النمل والذر (والذر صغار النمل) في الوصف بالجمع قال الجمعي:

ولهـــا بالمـــاطرون إذا أكـــل النمـــل الـــذي جمعـــا

وقال الكميت بن زيد الأسدي:

وأنفذ حتى النمـــل مـــا في بيـــوقم وعلل بالســـوف الوليـــد لنهـــذب

وقال آخر:

يجمـــع للـــوارث جمعـــا كمـــا تجمـــــع في قريتـــــها النمـــــل

وهناك أكثر من موضوع عن النمل في سلسلة هذا الكتاب.

* * *

٢١٧٢- يصاب بعض الناس بشعور غريب يظن بأن الناس كلهم يعملون ضده، فلا يحبه منهم أحد ويحسدونه حتى على العافية في جسده التي أعطاه الله إياها فضلا عن ما يملك من نشب الحياة أو ما يحتله من مكانة اجتماعية أو ثقافية أو دينية أو غير ذلك كان هذا الأمر قديما وحديثا ومثل هذا الانسان يحتاج إلى معالجة نفسية تبعده شيئاً عما يشعر به إن لم يشف من هذه الحالة ولو نظرنا من بعيد قبل أثني عشر قرنا من الزمان وأطللنا على أبي العتاهية رحمه الله لوجدناه يتألم من هذه النوازع التي تتجاذبه حين قال:

فيـــارب إن النـــاس لا ينصـــفونني وكيـــف ولـــو أنصـــفتهم ظلمـــوني
وإن كان لي شيئاً تصـــدوا لأخـــذه وإن جئت أبغـــي ســـيبهم منعـــوني
وإن نالهم بذلي فلا شـــكر عنـــدهم وإن أنـــا لم أبـــذل لهـــم شـــتموني
وإن طـــرقتني نقمـــة فرحـــوا بهـــا وإن صـــحبتني نعمـــة حســـدوني
ســـأمنع قلـــبي أن يحـــن إلـــيهم وأحجب عنـــهم نـــاظري وجفـــوني

٢١٧٣- غراب البين، قال الجاحظ غراب البين نوعان أحدهما غربان صغار معروفة بالضعف واللؤم، والآخر كل غراب يتشاؤم به وإنما لزمه هذا الأسم لأن الغراب أو الغربان إذا رحل أهل الدار (عندما كان الناس في بيوت الشعر يرحلون وينزلون) وقع في مواضع بيوتهم يلتمس ما تركوا ليأكله، فتشاءموا به، وتطيروا منه إذ كان لا يعتري منازلهم إلا إذا بانوا (رحلوا) فسموه غراب البين واستقوا من اسمه الغربة والاغتراب وليس في الأرض بارح (مغادر) ولا قعيد (مقيم) ولا شيء مما يتشاءم به إلا الغراب عندهم أنكد منه، وللبديع الهمداني ذكر يليق بهذا الموضوع حين قال: ما أعرف مثلا إلا الغراب لا يقع إلا مذموماً على أي جنب وقع، إن طار فمقسم الضمير وإن وقع فمروع النذير وإن حجل فمشية الأمير، وإن شحج فصوت الحمير وإن أكل فدبرة البعير (الدبرة الجرح الذي يكون بظهر البعير أو غيره ينزل عليه الغراب ويأكل منه وينقر الجرح حتى يدميه) وقد ذكر الشعراء غراب البنين كثيراً قال أحدهم:

يا غراب البين في الشؤ ... م وميزاب الجنابه
يا كتابا بطلاق ... وعزاء بمصابه

وقال آخر:

بت على رغم غراب البين ... أنا ومن أحب ناعمين
قرير عين بقرير عين ... فظن ما شئت بعاشقين

وحكايات الغراب كثيرة والأمثال عليه كذلك من حيث الحذر والحسد وانتقاء الأشياء أحذر من غراب وأحسد من غراب وتمرة غراب وفي سوء الحال يقال: عين للغراب وعين للتراب وغير ذلك.

* * *

٢١٧٤- وفدت سودة ابنة عمارة بن الأشتر الهمدانية على معاوية بن أبي سفيان فاستأذنت عليه فأذن لها فلما دخلت عليه سلمت فقال لها: كيف أنت يا ابنة الأشتر؟ قالت بخير يا أمير المؤمنين قال لها: أنت القائلة لأخيك:

شَمِّرْهُ كفعل أبيك ابن عمارة ... يوم الطعان وملتقى الأقران
وانصر عليا والحسين ورهطه ... واقعد لهند وابنها بهوان
إن الإمام أخو النبي محمد ... علم الهدى ومنارة الإيمان
فقد الجيوش وسر أمام لوائه ... قدما بابيض صارم وسنان

قالت: يا أمير المؤمنين: مات الرأس وبتر الذنب فدع عنك تذكار ما قد نسي قال: هيهات ليس مثل مقام أخيك ينسى قالت صدقت والله يا أمير المؤمنين ما كان أخي خفي المقام ذليل المكان ولكن كما قالت الخنساء:

وإن صخراً لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

وبالله أسأل أمير المؤمنين إعفائي مما استعفيته قال: قد فعلت فقولي حاجتك، قالت:يا أمير المؤمنين إنك للناس سيد ولأمورهم مقلد والله سائلك عما افترض عليك من حقنا ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ويبسط سلطانك، فيحصدنا حصاد السنبل ويدوسنا دياس البقر ويسومنا الخسيسة ويسألنا الجليلة هذا ابن إرطاة (بسر بن ارطاة) قدم بلادي وقتل رجالي وأخذ مالي ولولا الطاعة لكان فينا عزاً ومنعه فإما عزلته عنا فشكرناك وإما لا فعرفناك فقال معاوية إياي تهددين بقومك! والله لقد هممت أن أردك عليه على قتب أشرس فينفذ حكمه فيك، فسكتت ثم قالت:

صلى الإلــه علــى روح تضــمنه قبر فأصــبح فيــه العــدل مــدفونا
قد حالف الحق لا يبغــي بــه ثمنــا فصــار بــالحق والايمــان مقرونــا

قال ومن ذاك؟ قالت: علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى، قال: ما أري عليك منه أثراً قالت: بلى أتيته يوماً في رجل ولاه صدقتنا فكان بيننا وبينه ما بين الغث والسمين فوجدته قائماً يصلي فانفتل من الصلاة ثم قال برأفة وتعطف ألك حاجة فأخبرته خبر الرجل فبكى ثم رفع يديه إلى السماء فقال: اللهم إني لم أمرهم بظلم خلقك ولا ترك حقك ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب فكتب فيهافاحفظ بما في يديك حتى يأتي من يقبضه منك والسلام: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ

فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ الأعراف: ٨٥ فأخذته يا أمير المؤمنين ما خزم بخزام ولا ختمه بختام قال معاوية اكتبو لها بالانصاف لها والعدل عليها فقالت: أَلِيَ خاصة أم لقومي عامة؟ فقال: وما أنت وغيرك، قالت: هي والله الفحشاء واللؤم إن لم يكن عدلاً كاملاً وإلا يسعني ما يسع قومي قال: هيهات لمظكم ابن أبي طالب الجرأة على السلطان فبطيئاً ما تفطمون وغركم قوله:

فلو كنت بوابا علـى بـاب جنـة ... لقلـت لهمـدان ادخلـوا بسـلام

وقوله:

ناديت همدان والأبـواب مغلقـة ... ومثل همـدان سـني فتحـة البـاب

كالهنـد وأني لم تفلـل مضـاربه ... وجه جميـل وقلـب غـير وجـاب

اكتبوا لها حاجتها أي لها ولقومها.

* * *

٢١٧٥- دجاجة أبي الهذيل يضرب للشيء اليسير يستعظمه مهديه فيكثر ذكره قال الحاجظ: ومن البخلاء المذكورين أبو هذيل أهدى مرة إلى مويس بن عمران دجاجة وكانت دون ما يتخذ لمويس إلا أنه لكرمه وحسن خلقه أظهر التعجب من سمنها وطيب لحمها فقال له: كيف رأيت يا أبا عمران تلك الدجاجة؟ قال: كانت عجبا من العجائب قال: أو تدري

ما حسنها وتدري ما سمنها؟ فإنما الدجاجة إنما تطيب بالسمن والحسن أتدري بأي شئ كنا نسمنها؟ وفي أي مكان كنا نعلفها؟ ولا يزال في هذا ومويس يضحك ضحكا نعرفه نحن ولا يعرفه أبو الهذيل وصار بعد ذلك إذا ذكروا دجاجة قال: أين كانت يا أبا عمران من تلك الدجاجة! وإذا ذكروا بطة أو عناقا أو جزوراً أو بقرة قال فأين كانت هذه الجزور من تلك الدجاجة في الدجاج! وإن استسمنوا شيئاً من الطير أو البهائم أو الدجاج قال: لا والله ولا تلك الدجاجة! وإن ذكروا عذوبة الشحم تصاب في البقر والبط والدجاج ولا سيما ذلك الجنس من الدجاج وإن ذكروا ميلاد شيء أو قدوم انسان قال: كان ذلك قبل أن أهدي تلك الدجاجة بشهر أو كان بعد أن اهديتها بسنة وما كان بين فلان وبين البعث بتلك الدجاجة إلا يوم وكانت مثلاً في كل شيء وتاريخا لكل شيء.

* * *

٢١٧٦- استأذنت بكارة الهلالية على معاوية بن أبي سفيان فأذن لها وهو يومئذ بالمدينة فدخلت عليه وكانت إمرأة قد أسنت وغشي بصرها وضعفت قوتها ترتعش بين خادمين لها فسلمت وجلست فرد عليها معاوية السلام وقال كيف أنت يا خالة؟ قالت: بخير يا أمير المؤمنين قال: غيرك الدهر قالت: كذلك هو ذو غير من عاش كبر ومن مات قبر، قال عمرو بن العاص هي والله القائلة يا أمير المؤمنين:

يا زيد دونك فاستشر من دارنا سيفا حساماً في التراب دفينا
قد كنت أذخره ليوم كريهة فاليوم أبرزه الزمان مصونا

وقال مروان بن الحكم: وهي والله القائلة يا أمير المؤمنين:

اترى ابن هند للخلافة مالكا هيهات ذاك وأن أراد بعيد
منتك نفسك في الخلاء ضلالة أغراك عمرو للشقا وسعيد

وقال سعيد بن العاص: وهي والله القائلة:

قد كنت أطمع أن أموت ولا أرى فوق المنابر من أمية خاطبا
فالله أخر موتتي فتطاولت حتى رأيت من الزمان عجائبا
في كل يوم للزمان خطيبهم بين الجميع لآل أحمد عائبا

ثم سكتوا فقالت: يا معاوية كلامك أعشى بصري وقسر حجتي أنا والله القائلة لما قالوا، وما خفي عليك مني أكثر فضحك وقال:ليس يمنعنا ذلك من برك أذكري حاجتك قالت: الآن فلا، وخرجت.(لِلَّهِ دَرُّهَا)

* * *

٢١٧٧-بيض الأنوق العرب تضرب المثل ببيض الأنوق للشيء الذي لا يوجد أعز من بيض الأنوق أبعد من بيض الأنوق والأنوق الرخم الذكر، والذكر لا يبيض وإنما البيض للآنثى هذا قول أبي عمرو أما غيره من اللغويين فإنهم أجمعوا على أن الأنوق تلتمس لبيضها الأوكار البعيدة

كالأماكن الوحشية والجبال الشامخة وصدور الصخر الغامضة فلا يصل إلها سبع ولا آدمي قال الشاعر:

وكنت إذا استودعت سراً كتمته كبيض أنوق لا ينال له وكر

ويروي أن رجلاً من أهل الشام طلب إلى معاوية حاجة وسأله أخرى وتمثل معاوية بهذا البيت:

طلب الأبلق العقوق فلما فاته ذاك رام بيض الأنوق

وقال بعض ولد عيينة بن حصن الفزاري لعمر بن عبد العزيز:

إن أولى بالحق في كل حق ثم أحرى بأن يكون حقيقا

من أبوه عبد العزيز بن مروا ن ومن جده الفاروقا

رد أموالنا علينا وكانت في ذرى شاهق يفوق الأنوقا

* * *

٢١٧٨- استوفد معاوية بن أبي سفيان الزرقاء بنت عدي بن غالب بن قيس الهمدانية وكانت شهدت مع قومها يوم صفين فلما قرئ عليها الكتاب قالت: إن كان أمير المؤمنين جعل الخيار لي فإني آتيه وإن كان حَتَّمَ فالطاعة أولى فجهزها عامله بالكوفة أحسن جهاز على ما أمر به، فلما دخلت على معاوية قال: مرحبا وأهلا قدمت خير مقدم قدمه وافد كيف حالك؟ قالت بخير يا أمير المؤمنين أدام الله لك النعمة قال: كيف كنت في مسيرك؟ قالت: ربيبة بنت أو طفل ممهداً قال: بذلك أمرناهم

اتدرين فيم بعثت إليك؟ قالت: أنّي لي بعلم ما لم أعلم قال: الست الراكبة الجمل الأحمر والواقفة بين صفين (يوم صفين) تحضين على القتال؟ وتوقدين الحرب فما حملك على ذلك؟ قالت: ياأمير المؤمنين مات الرأس وبتر الذنب ولم يعد ما ذهب، والدهر ذوغير، ومن تفكر أبصر، والأمر يحدث بعد الأمر، قال لها معاوية: صدقت، أتحفظين كلامك يوم صفين؟ قالت: لا والله لا أحفظه وقد أنسيته، قال: ولكني أحفظه، لِلَّهِ أبوك حين تقولين: أيها الناس إرعوا وارجعوا إنكم قد أصبحتم في فتنة غشتكم جلابيب الظلم وجارت بكم قصد المحجة، فيالها فتنة عمياء، صماء بكماء، لا تسمع لنا عقها ولا تنساق لقائدها، إن المصباح لا يضئ في الشمس، ولا تنير الكواكب مع القمر، ولا يقطع الحديد إلا الحديد، إلا من استرشدنا أرشدناه، ومن سألنا أخبرناه، أيها الناس إن الحق كان يطلب ضآلته فأصابها، فصبراً يامعشر المهاجرين والأنصار على الغصص، فكأن قد اندمل شعب الشتات والتأمت كلمة العدل، ودمغ الحق باطله، فلا يجهلن أحد، فيقول كيف العدل وأنّي، ليقض الله أمراً كان مفعولاً، ألا وإن خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء ولهذا اليوم ما بعده والصبر خير في الأمور عواقبا، إيْهَا في الحرب قدما غيرنا كصين ولا متشاكسين، ثم قال لها: والله يازرقاء، لقد شركت علينا في كل دم سفكه، قالت: أحسن الله بشارتك، وأدام سلامتك، فمثلك بشر بخير وسَرَّ جليسه، قال: أو يسرك ذلك؟ قالت: نعم والله، لقد سررت بالخبر فأني لي بتصديق الفعل. فضحك معاوية

وقال: والله لو فاؤكم له بعد موته أعجب من حبكم له في حياته: " يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه، إذكري حاجتك، قالت: ياأمير المؤمنين آليت على نفسي ألا اسأل أميراً أعنت عليه أبداً ومثلك أعطى من غير مسألة وجاد من غير طلبة، قال: صدقت فأمر لها وللذين جاءوا معها بجوائز وكساء.

* * *

٢١٧٩- ماء الوجه، العرب تستعير من كلامها الماء لكل ما يحسن موقعه ومنظره ويعظم قدره ومحله، فتقول: ماء الوجه، وماء الشباب، وماء السيف، وماء الحيا، وماء النعيم، كما تستعير الاستقاء في طلب خبر، قال علقمة بن عبدة:

وفي كل حي قد خبطــت بنعمــة فحق لشــأس مــن نــداك ذنُــوب

وقال رؤية بن العجاج:

أيهـــا المـــاتح دلـــوي دونكـــا إني رأيـــت النـــاس يحمـــدونكا

وهما لم يسقيا ماء، وإنما طلب أحدهما ماء، وكان الآخر أسيراً، وكذلك سموا السائل والمجتدي مميحاً، وإنما الميح جمع الماء وإخراجه بالدلو، وغاية دعائهم للمرجو والمشكور أن يقولوا: سقاك الله، فإذا تذكروا أياماً طابت لهم قالوا: سقى الله تلك الأيام! وربما دعو لديار المحبوب بالسقيا كما قال طرفة:

فسقى ديارك غير مفسدها ... صوب الربيع وديمة تهمى

فأما قولهم ماء الوجه، فهو عبارة عن الحياء الذي هو أفضل الماء، وقد أحسن أبو تمام في قوله لأبي سعيد الطائي:

رددت رونق وجهي في صحيفته ... رد الصقال بماء الصارم الخذم

وما أبالي وخير القول أصدقه ... حقنت لي ماء وجهي أم حقنت دمي

وقال أبو الطيب:

ولقد بكيت على الشباب وَلِمَّتِيْ ... مسودة ولماء وجهي رونق

ولا مزيد على قول ابن المعتز:

لم ترد ماء وجهه العين إلا ... شرقت قبل ريها برقيب

ولأبي تمام استعارات في الماء أحسن وصفها كقوله في وصف نساء ثكالي:

خاضت محاسنها مخاوف غادرت ... ماء الصِّبَا والحسن غير زلال

وقوله في الأفشين:

قد كان بوأه الخليفة منزلاً ... من قلبه حرما على الأقدار

فسقاه ماء الخفض غير مصرد ... وأنامه في الأمن غير غرار

وقوله:

ألا أيها الموت فجَّعتنا ... بماء الحياة وماء الحياء

٢١٨٠- حبس مروان بن الحكم وهو وال على المدينة غلاماً من بني ليث في جناية جناها، فأتته جدة الغلام لأبيه أم سنان بنت خيثمة بن خرشة المذحجية فكلمته في الغلام، فأغلظ مروان عليها، فخرجت إلى معاوية، فدخلت عليه فانتسبت فعرفها فقال لها: مرحباً ياأبنة خيثمة، ما أقدمك أرضنا؟ وقد عهدتك تشتميننا، وتحضين علينا عدونا، فقالت: إن لبني أمية أخلاقاً طاهرة، وإحلاماً وافرة، لا يجهلون بعد علم، ولا يسفهون بعد حلم، ولا ينقمون بعد عفو، وإن أولى الناس بإتباع ماسَنَّ آباؤه لأنت، قال: صدقت نحن كذلك، فكيف قولك:

عَزبَ الرقاد فمقلتي لا ترقد	والليل يصدر بالهموم ويورد
يا آل مذحج لا مقام فشمروا	إن العدو لآل أحمد يقصد
هذا علي كالهلال تحفه	وسط السماء من الكواكب أسعد
خير الخلائق وابن عم محمد	إن يهدكم بالنور منه قتدوا
مازال مذ شهد الحروب مظفراً	والنصر فوق لوائه ما يفقد

قالت: كان ذلك ياأمير المؤمنين، وأرجو أن تكون لنا خلفاً بعده، فقال رجل من جلسائه، كيف ياأمير المؤمنين وهي القائلة:

إما هلكت أبا الحسين فلم تزل	بالحق تعرف هاديا مهديا
فاذهب عليك صلاة ربك مادعت	فوق الغصون حمامة قمريا
قد كنت بعد محمد خلفا كما	أوصى إليك بنا فكنت وفيا
فاليوم لا خلف يؤمل بعده	هيهات نأمل بعده إنسياً

قالت: ياأمير المؤمنين، لسان نطق وقول صدق، ولئن تحقق فيك ما ظننا فحظك الأوفر، والله ما ورثك الشنآن في قلوب المسلمين إلا هؤلا، فادحض مقالتهم، وأبعد مترلتهم، فإنك إن فعلت ذلك تزدد من الله قرباً، ومن المؤمنين حباً، قال: وإنك لتقولين ذلك؟ قالت: سبحان الله! والله ما مثلك مدح بباطل، ولا اعتَذر إليك بكذل، وإنك لتعلم ذلك من رأينا، وضمير قلوبنا، كان والله عَليٌّ أحب إلينا منك، وأنت أحب إلينا من غيرك، قال: ممن؟ قالت: من مروان بن الحكم وسعيد بن العاصي، قال: وبِمَ استحققت ذلك عندك؟ قالت: بسعة حلمك، وكريم عفوك، قال: فإنهما يطمعان في ذلك، قالت: هما والله من الرأي على ما كنت عليه لعثمان بن عفان رحمه الله (تريد أنهما يأملان الخلافة بعدك كما كنت تأملها بعد عثمان)، قال: والله لقد قاربت، فما حاجتك؟ قالت: ياأمير المؤمنين إن مروان تبنك (توسع وتثبت) بالمدينة تبنك من لا يريد البراح منها، لا يحكم بعدل، ولا يقضي بسنة، يتتبع عثرات المسلمين، ويكشف عورات المؤمنين، حبس ابن ابني فقال كيت وكيت، فألقمته أخشن من الحجر، والقمته أمَرُّ من الصاب، ثم رجعت إلى نفسي باللائمة وقلت: لِمَ لا اصرف ذلك إلى من هو أولى بالعفو منه، فأتيك ياأمير المؤمنين لتكون في أمري ناظراً، وعليه معديا (معيناً) قال: صدقت، لا اسألك عن ذنبه، ولا عن القيام بحجته، اكتبوا لها بإطلاقه، قالت: ياأمير المؤمنين وأنّي بالرجعة وقد نفد زادي وكلت راحلتي، فأمر لها براحلة موطأة (مريحة) وخمسة آلاف درهم.

٢١٨١- عروة بن حزام العذرى وصاحبته عفراء حيث مات وجداً عليها وذكره جرير بقوله:

هل أنت شافية قلبا يهيم بكم	**لم يلق عروة من عفراء ما وجدا**
ما في فؤادي من داء يخامره	**إلا التي لو رآها راهب سجدا**
إن الشفاء وإن ضنت بنائله	**فرع البشام الذي تجلوا به البردا**

وعفراء هي بنت هِصْرْ أخي جزام كلاهما أبناء مالك من بطن العذريين يقال له نهد، وسبب عشقه لها أن أباه حزاما توفي ولعروة من العمر أربع سنين، وكفله هصر أبو عفراء فنشأ جميعاً، فكان يألفها وتألفه، فلما بلغ الحلم سأل عروة عمه أن يزوجها إياه

، فوعده ذلك ثم أخرجه إلى الشام بعير (قافلة) له، وجاء ابن أخ له يقال له إثالة بن سعيد بن مالك فنزل بعمه هصر، فبينما هو جالس يوماً تجاه البيت إذ خرجت عفراء حاسرة عن وجهها ومعصميها تحمل أداة سمن وعليها إزار خز أخضر، فلما رآها وقعت من قلبه بمكانة عظيمة فخطبها إلى عمه فزوجه بها، وإن عروة أقبل مع العير وقد حمل أثالة عفراء على جمل أحمر فعرفها من البعد، وأخبر أصحابه ولما التقيا وعرف الأمر بهت لا يحير جوابا حتى افترق القوم فأنشد:

وإني لتعروني لذكراك رعدة	**لها بين جلدي والعظام دبيب**
فما هو إلا أن رآها فجاءة	**فأبهت حتى ما يكاد يجيب**
فقلت لعراف اليمامة داوني	**فإنك إن ابرأتني لطبيب**

فما بي من حُمَّى ولا مس جِنَّةٍ ... ولكن عمي الحميري كذوب
عشية لا عفراء منك بعيدة ... فتسلوا ولا عفراء منك قريب
بنا من جوى الأحزان والبعد لوعة ... تكاد لها نفس الشفيق تذوب
ولكنما أبغي حشاشة مقول ... على ما به عود هناك صليب
وما عجبي موت المحبين في الهوى ... ولكن بقاء العاشقين عجيب

وعانى قاسي المعاناة من حبها حتى مات وجداً عليها في صراع طويل فلما مات قالت عفراء لزوجها: قد تعلم ما بيني وبينك وبيني وبين الرجل من رحم وما عنده من الوجد وإن ذلك على الحسن الجميل فهل تأذن لي أن أخرج إلى قبره فأندبه، فقد بلغني أنه قضى، قال: ذلك إليك، فخرجت حتى أتت قبره فتمرغت عليه وبكت طويلاً (حسبنا الله على أبيها المجرم) وأنشدت:

ألا أيها الركب المخثون ويحكم ... بحق نعيتم عروة بن حزام
فإن كان حقا ما تقولون فاعلموا ... بأن قد نعيتم بدر كل ظلام
فلا لقي الفتيان بعد بعدك راحة ... ولا رجعوا من غيبة بسلام
ولا وضعت انثى تماما بمثله ... ولا فرحت من بعده بغلام
ولا لا بلغتم حيث وجهتم به ... ونغصتم لذات كل طعام

* * *

٢١٨٢- دخلت عكرشة بنت الأطرش بن رواحة على معاوية متوكئة على عكازها، فسلمت عليه بالخلافة، ثم جلست، فقال لها معاوية: الآن ياعكرشة صرت عندك أمير المؤمنين؟ قالت: نعم إذ لا عَلِيٌّ حي، قال: ألست المتقلدة حمائل السيف بصفين، وأنت واقفة بين الصفين تقولين: أيها الناس عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم، إن الجنة لا يرحل عنها من قطنها ولا يهرم من سكنها ولا يموت من دخلها، فابتاعوها بدار لا يدوم نعيمها، ولا تنصرم همومها، وكونوا قوماً مستبصرين في دينهم، مستظهرين بالصبر على طلب حقهم، إن معاوية دلف إليكم بعجم العرب، غلف القلوب، لا يفقهون الإيمان ولا يدرون ما الحكمة، دعاهم بالدنيا فأجابوه، واستدعاهم إلى الباطل فلبوه، فالله الله ياعباد الله في دين الله وإياكم والتواكل، فإن ذلك ينقض عرى الإسلام، ويطفئ نور الحق، هذه بدر الصغرى، والعقبة الأخرى، يامعشر المهاجرين والأنصار، امضوا على بعير لكم، واصبروا على عزيمتكم، فكأني بكم غداً وقد نفيتم أهل الشام كالحمر الناهقة تصقع صقع البقر، وتروث روث العقاق (الإبل)، فكأني أراك على عصاك هذه وقد انكفأ عليك العسكران يقولون: هذه عكرشة بنت الأطرش بن رواحة، فإن كدت لتقتلين أهل الشام لولا قدر الله، وكان أمر الله قدراً مقدوراً فما حملك على ذلك، قالت: ياأمير المؤمنين قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ المائدة: ١٠١، وإن اللبيب إذا كره أمراً لا يحب إعادته قال: صدقت، فاذكري

حاجتك، قالت: إنه كان صدقاتنا (اي زكاة أموالنا) تؤخذ من أغنيائنا فترد على فقرائنا، وإنا قد فقدنا ذلك، فما يجبر لنا كسير، ولا ينعش لنا فقير، فإن كان ذلك عن رأيك، فمثلك قد انتبه من الغفلة، وراجع التوبة، وإن كان من غير رأيك، فما مثلك من استعان بالخونة، ولا استعمل الظلمة. قال معاوية: ياهذه إنه ينوبنا من أمور رعيتنا أمور تنبثق وبحور تنفهق، قالت: سبحان الله، والله ما فرض الله لنا حقاً فجعل فيه ضرراًعلى غيرنا وهو علام الغيوب، قال معاوية: هيهات، ياأهل العراق نبهكم علي بن أبي طالب فلن تطاقوا ثم أمر برد صدقاهم فيهم وإنصافها.

* * *

٢١٨٣- دخل رجل عذري على معاوية بن أبي سفيان فلما أخذ كل مجلسه قام فأنشد:

معاوي ياذا الحلم والفضل والعقـــل	وذا البر الإحسان والجود والفضـــل
أتيتك لما ضاق في الأرض مســـلكي	وأنكرت مما قد أصـــيب بـــه عقلـــي
ففـــرج كـــلاك الله عـــني فـــإنني	لقيت الـــذي لم يلقـــه أحـــد قبلـــي
وخذلي هداك الله حقي من الـــذي	رماني بســـهم كـــان أهونـــه قتلـــي
وكنـــت أرجـــى عدلـــه إذ أتيتـــه	فأكثر تردادي مع الحـــبس والكبـــل
فطلقتها من جهد ما قـــد أصـــابني	فهذا أمير المـــؤمنين مـــن العـــدل؟!

فاستدناه وقال له: ما شأنك؟ قال : تزوجت ابنة عمي وكانت من المبرزات في الجمال والحياء، فأنفقت عليها إلى أن أملقت، فرفع أبوها إلى ابن ام الحكم (والي المدينة) فضيق على السجن والقيود حتى طلقت كارهاً فأعطى أباها عشرة آلاف درهم وتزوج بها، فأتيتك مستغيثاً بعد ذلك، فكتب معاوية إليه يغلظ عليه ويأمره بالتخلي عنها ويقول في آخر كتابه:

ركبت ذنبا عظيماً لست أعرفه ... فاستغفر الله من جور امرئ زاني
قد كنت تشبه صوفي له كتب ... عن الفرائض أو آيات قرآن
حتى أتاني الفتى العذري منتحباً ... يشكو إليَّ بحق غير بهتان
أعطي الإله عهوداً لا أخيس بها ... أو لا فبرئت من ديني وإيماني
إن أنت راجعتني فيما كتبت به ... لأجعلنك لحما بين عقبان
طلق سعاد وفارقها بمجتمع ... واشهد على ذلك نصر وابن ظبيان
فما سمعت كما بلغت من عجب ... ولافعالك حقا فعل إنسان

فلما وقف عليه، قال: وددت لو خُلِّي بيني وبينها سنة، ثم عرضني على السيف، ثم طلقها فأخرجها، فلما وصلت إلى معاوية وقد تعجب الناس من حسنها، وقالوا: هذه لا تصلح لأعرابي، إنما تكون لأمير المؤمنين فعجب بها ثم استنطقها فإذا هي فتنة فقال له: معاوية : هل لك عوض عنها، قال: نعم إذا بأن رأسي عن بدني ثم أنشد:

لا تجعلني والأمثال تضرب بي ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

أردد سعاد على حـران مكتئب   يمســي ويصــبح في هــم وتــذكار
قد شــفه قلــق مــا مثلــه قلــق   وأشــعر القلــب منــه أي إشــعار
والله والله لا أنســـى محبتــها   حــتى أغيــب في رمــس وأحجــار
كيف السُلُوُّ وقد هام الفــؤاد بهــا   وأصبح القلب عنــها غــير صــبار

فغضب معاوية من ذلك فخيرها بينه وبين ابن أم الحكم وبين ابن عمها فأنشدت:

هـــذا وإن أصــبح في أطمـــار   وكـــان في نقـــص مـــن اليســـار
أكــبر عنــدي مــن أبي وجــاري   وصـــاحب الـــدرهم والـــدينار
أخشــى إذا عــذرت حــر النــار   خــل ســبيلي مــا بــه مــن عــار
لعلنـــا نرجـــع للـــديار   وأن عســـى نظفـــر بالأوطـــار

فقال معاوية: خذها لا بارك الله لك فيها وأمر أن تقيم إلى تمام العدة فلما انقضت دفعها إليه مع ناقة وعشرة آلاف دينار.

* * *

٢١٨٤- أبو صخر الهذلي واسمه عبد الله بن مسلم السهمي الهذلي، وكان يهوى إمرأة من قضاعة يقال لها ليلى بنت سعد (القضاعية) وتكنى أم حكيم وكانا يتواصلان برهة من دهرهما ثم تزوجت ورحل بها زوجها إلى قومه فقال بذلك أبو صخر:

ألم خيـــال طـــارق متـــأوب   لأم حكـــيم بعـــد نمـــت موصـــب

وقد دنت الجـوزاء وهــي كأنهــا ... ومرزمهــا بــالغور ثــور وربــرب
فبات شرابي في المنــام مــع المنى ... غريض اللمى يشفى جوى الحزن أشنب
قضــاعية أدنى ديــار تحلــها ... قنــاة وأدنى مــن قنــاة المحصــب
سراج الدجى تفتل بالمسك طفلــة ... فلا هــي متفــال ولا اللــون أكهــب
دميثة ما تحــت الثيــاب عميمــة ... هضيم الحشــا بكــر المجســة ثيــب
تعلقتــها خــوداً لذيــذاً حــديثها ... ليــالي لا تحمــى ولا هــي تحجــب
فكان لهــا ودى ومحــض علاقــتي ... وليــداً إلى أن رأســي اليــوم أشــيب
فلم أر مثلي أيأست بعــد علمهــا ... بودي ولا مثلى على اليــأس يطلــب
ولو تلتقي أصــداؤنا بعــد موتنــا ... ومن دون رمسينا من الأرض سبســب
لظل صدى رمسي ولو كنت رمــة ... لصوت صدى ليلــى يهــش ويطــرب

* * *

٢١٨٥- روى رجل من بني أسد قال: ضلت لي إبل فطلبتها في قضاعة (أي في أرض قضاعة) حتى إذا دهمني الليل أمسيت في بيت تفرست أنه كفؤ للضيف، فناديت أهله، فلقيتني إمرأة كأنها الشمس جمالاً وقالت إنزل على الرحب وإجلستني عند نار، فاصطليت وأتت بعشاء كثير فأكلت وهي تحادثني وإذا إبل كثيرة قد أقبلت إلى البيت وقد أقبل شخص فبادرت إليه ومعها ولد تلاعبه، فتناوله وجعل يلثمه ويترشفه وأنا أظنه عبداً لقباحته، حتى جلس إلى جانبها فقال لها: ممن الضيف؟ قالت: أسدي فعلمت أنه زوجها، فجعلت اتأمل ما بينهما من المباينة (جميلة

بيضاء وأسود قبيح) ففطن لذلك فقال: كأنك تعجب منا، قلت إي والله وأي العجب، قال: أحدثك بوصولها إلي؟ قلت ما أشوقني إلى ذلك، قال: أعلم أني كنت سابع سبعة إخوة إذا رأيتني ظننتي عبدهم، وكانوا يطرحوني للرعي ونحوه فضل لنا بعير، فقالوا: إمض في طلبه، قلت ما انصفتموني، فقال أبي: إذهب يَالُكَعْ، وإلا جعلته آخر أيامك، وهددوني بالضرب فمضيت وأنا أسوأ حالة من البرد والجوع، فدفعني المسار إلى عجوز عليها سمة الخير والشرف، وإلى جانبها هذه العزبة فجعلت تسخر مني وتقول: هل لك إذا نام الناس أن تدخل علي فأتحدث معك فإني لم أر أحسن منك (الكلام غير وجهه) فقلت دعيني من هذا، وأقبل أبوها وإخوتها سبعة فناموا بإزاء الخيمة، فأغراني الشبع والدفء فدخلت الستر، فلما شعرت بي قالت: من يكون؟ قلت: الضيف قالت: أخرج لا حياك الله ولا صحبك، فخرجت فزعاً، فتلقاني كلبهم يريد أن يأكلني وأنا أرده بعصاي حتى علق بجبة صوف عليَّ فتجاذبنا حتى سقطت أنا وإياه في حفرة عميقة لا ماء فيها وكانت الصبية قد شعرت بذلك فأقبلت حتى أبصرت بي قالت: وددت والله أن أجعلها قبرك لولا خشية الضرر، ثم أدلت إليَّ حبلاً وقالت لي إرق فحين قاربت فم الحفرة إنهارت من تحت أقدامها فسقطنا جميعاً، فلما كان الصباح وافتقدوها فلم يجدوها وكان أبوها عارف بما حصل فأقبلوا بالسيوف والأحجار على قتلنا، فقال أبوها: إني لا أعرف من ابنتي ما لا ريبة فيه، فأمسكونا وأخرجونا فأقبل عليَّ أبوها وقال: أفيك خير

لأزوجك بها إتقاء الشهرة؟ فقلت حين شممت الحياة وهل عندي إلا الخير، فزوجني بها على خمسين بكرة وأمة وعبداً، ورجعت إلى أبي فأخبرته بذلك فأحضرها واقبلت بها إليهم فأخذوها وبنيت بها وها هي تسمع ما أقول. (رب ضارة نافعة).

* * *

٢١٨٦- حج معاوية بن أبي سفيان فسأل عن إمرأة من بني كنانة تنزل الحجون يقال لها دارمية الحجونية، وكانت سوداء كثيرة اللحم وجيئ بها قال: ما حالك ياابنة حام؟ فقالت: لست لحام إن عبتني، أنا إمرأة من بني كنانة، قال: صدقت، أتدرين لِمَ بعثت إليك؟ قالت: لا يعلم الغيب إلا الله، قال: بعثت إليك لأسالك علام أحببت علياً وابغضتني؟ وواليته وعاديتني؟ قالت: أو تعفيني ياأمير المؤمنين؟ قال: لا أعفيك، قالت: أما إذا أبيت فإني أحببت علياً على عدله في الرعية، وقسمه بالسوية، وأبغضتك على قتالك من هو أولى منك بالأمر، وطلبتك ما ليس لك بحق، وواليت علياً على ما عقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاء، وحبه المساكين، وإعظامه لأهل الدين، وعاديتك على سفكك الدماء، وجورك في القضاء وحكمك بالهوى، قال: فلذلك انتفخ بطنك، وعظم ثدياك، وربت عجيزتك، قالت: ياهذا بهند والله كان يضرب المثل لابِيْ (هند بنت عتبة أم معاوية) قال معاوية: ياهذه، إرْبعيْ فإنا لم نقل إلا خيراً وإنه إذا انتفخ بطن المرأة تم خلق ولدها، وإذا عظم ثدياها

تروي رضيعها، وإذا عظمت عجيزتها رزت مجلسها، فرجعت وسكنت قال لها: ياهذه هل رأيت علياً؟ قالت إي والله قال : فكيف رأيته؟ قالت: رايته والله لم يفتنه الملك الذي فتنك، ولم تشغله النعمة التي اشغلتك، قال: فهل سمعت كلامه؟ قالت: نعم والله، كان يجلو القلوب من العمى، كما يجلو الزيت صدأ الطست، قال صدقت، فهل لك من حاجة؟ قالت: أو تفعل إذا سألتك؟ قال: نعم قالت: تعطيني مئة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها، قال: تصنعين بها ماذا؟ قالت: أغذو بالبانها الصغار، واستحيي بها الكبار، واكتسب بها المكارم، وأصلح بها بين العشائر، قال: فإن أعطيتك ذلك فهل أحل عندك محل علي بن أبي طالب؟ فقالت: ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان وفتى ولا كمالك، ياسبحان الله أودونه فأنشا معاوية يقول:

إذا لم أعد بالحكم مني عليكم　　فمن ذا الذي بعدي يؤمل للحكم

خذيها هنيئا واذكري فعل ماجد　　جزاك على حرب العداوة بالسلم

ثم قال: أما والله لو كان علياً حياً ما أعطاك منها شيئاً، قالت: لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين.

* * *

٢١٨٧- دخل كثير عزة على عبد الملك بن مروان فقال عبد الملك: أأنت كثير عزة؟ قال: نعم قال: أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه (المثل) فقال:

يأمير المؤمنين كُلٌّ عند مَحَكِّهِ رحب الفناء، شامخ البناء، عالي السنان، ثم انشأ يقول:

ترى الرجل النحيف فتزدريه ... وفي أثوابه أسد هصور
ويعجبك الطرير فتبتليه ... فيخلف ظنك الرجل الطرير
بغاث الطير أطولها رقاباً ... ولم تطل البزاة ولا الصقور
خشاش الطير اكثرها فراخاً ... وام الصقر مقلاة نزور
ضعاف الأسد أكثر زئيراً ... وأصرمها اللواتي لا تزير
وقد عظم البعير بغير لب ... فلم يستغن بالعظم البعير
ينوخ ثم يضرب بالهراوي ... فلا عرف لديه ولا نكير
يقوده الصبي بكل أرض ... وينحره على الترب الصغير
فما عظم الرجال لهم بفخر ... ولكن زينهم كرم وخير

فقال عبد الملك: لِلَّهِ دَرُّك، ما أفصح لسانك وأضبط جنانك وأطول عنانك والله إني لأظنك كما وصفت نفسك.

* * *

٢١٨٨- قال أبو بكر الهذلي: ان أروى بنت الحارث بن عبد المطلب دخلت على معاوية بن أبي سفيان وهي عجوز كبيرة، فلما رآها معاوية قال: مرحبا بك وأهلاً وسهلاً ياعمة فكيف كنت بعدنا؟ قالت: يا بن أخي لقد كفرت يد النعمة، واسأت لابن عمك الصحبة وتسميت بغير إسمك

وأخذت غير حقك من غير بلاءكان منك ولا من آبائك ولا سابقة في الاسلام بعد أن كفرتم برسول الله صل الله عليه وسلم فأتعس الله منكم الجدود واضرع منكم الخدود ورد الحق إلى أهله ولو كره المشركون وكانت كلمتنا هي العليا ونبينا صل الله عليه وسلم هو المنصور فوليتم علينا من بعده تحتجون بقرابتكم من رسول الله صل الله عليه وسلم ونحن أقرب إليه منكم وأولى بهذا الأمر فكنا فيكم بمنزلة بني اسرائيل في آل فرعون وكان علي بن أبي طالب رحمه الله بعد نبينا صل الله عليه وسلم بمنزلة هارون من موسى فغايتنا الجنة وغايتكم النار، فقال لها عمرو بن العاص: كفى أيتها العجوز الضالة وأقصري في قولك مع ذهاب عقلك إذ لا تجوز شهادتك وحدك! فقالت: وأنت يا ابن النابغة تتكلم! وأمك كانت أشهر إمرأة تغني بمكة وآخذهن عن الأجرة إدعاك خمسة نفر من قريش فسئلت أمك عنهم، فقالت: كلهم أتاني فانظروا أشبههم به فالحقوه به، فغلب عليك شبه العاصي بن وائل فلحقت به قال مروان: كفى أيتها العجوز واقصدي لما جئت له فقالت: وأنت أيضا يا ابن الزرقاء تتكلم! ثم التفتت إلى معاوية فقالت: ما أجرأ عليَّ هؤلاء غيرك فإن أمك القائلة في قتل حمزة:

نحـــن جزينـــاكم بيـــوم بـــدر والحـــرب بعـــد الحـــرب ذات ســـعر
ما كان لي من عتبـــة مـــن صـــبر وشـــكر وحشـــي عَلَـــيَّ دهـــري
حتى ترم أعظمي في قبري

فأجابتها ابنة عمي وهي تقول:

خزيـــت في بـــدر وبعـــد بـــدر يابنـــة جبـــار عظـــيم الكفـــر

فقال معاوية عفا الله عما سلف يا عمة، هاتي حاجتك فقالت: مالي حاجة وخرجت عنه. .(لِلَّهِ دَرُّهَا)

* * *

٢١٨٩- كان خنافر بن التوءم الحميري كاهنا وقد أوتي بسطة في الجسم وسعة في المال وكان عاتيا فلما وفدت وفود اليمن على النبي صل الله عليه وسلم وظهر الاسلام أغار على إبل لمراد فاكتسحها وخرج بأهله وماله ولحق بالشحر (جهة في حضر موت) فحالف جودان بن يحي القرضمي (بطن من مهرة بن جيدان) وكان سيداً منيعاً ونزل بواد من أودية الشحر مخصبا كثير الشجر من الأيك والعرين قال خنافر: وكان رئيي في الجاهلية (الرئي صاحب الكاهن من الجن) لا يكاد يتغيب عني فلما شاع الاسلام فقدته مدة طويلة وساءني ذلك، فبنما أنا ليلة بذلك الوادي نائماً إذ هوي هوي العقاب (أي سقط علي) فقال: خنافر ، قلت شَعْصَبّارْ (اسمه) فقال: اسمع فقال: عِهْ تَغْنَمْ، لكل مدة نهاية، وكل ذي أمر إلى غاية، قلت: أجل، قال: كل دولة إلى أجل، ثم يتاح لها حول، انتسخت النِّحَلْ، ورجعت إلى حقائقها الملك، إنك سجير موصول، والنصح لك مبذول، وإني آنست بأرض الشام (يعني جهة

الشام من الشحر ويعني بها مكة) نظراً من آل العذام حكام على الحكام، يذيرون ذا رونق من الكلام، ليس بالشعر المؤلف، ولا السجع المتكلف، فأصغيت فزجرت، فعاودت فظلفت، فقلت بِمَ تهينمون، وإلام تعتزون؟ قالوا: خطاب كبار، جاء من عند الملك الجبار، فاسمع ياشعصبار، عن أصدق الأخبار، واسلك أوضح الاثار، تنج من أوار النار، فقلت وما هذا الكلام؟ قالوا: فرقان بين الكفر والإيمان، ورسول من مضر، من أهل المدر (المباني) ابتعث فظهر فجاء بقول قد بهر، وأوضح نهج قد دثر، فيه مواعظ من اعتبر،ومعاذ لمن إزدجر،آلف بالآي الكبر، قلت: ومن هذا المبعوث من مضر؟ قال: أحمد خير البشر، فإن آمنت به أعطيت الشبر، وإن خلفت صليت سقر، فآضت ياخنافر وأقبلت إليك أبا در، فجانب كل كافر، وشايع كل مؤمن طاهر، وإلا فهو الفراق، لا عن تلاق، قلت: أين أبغي هذا الدين؟ قال: من ذات الحرتين، والنفر اليمانيين، أهل الماء والطين، قلت: أوضح، قال: إلحق بيثرب ذات النخل، والحرة ذات النعل، فهناك أهل الطول والفضل، والمواساة والبذل، ثم أمْلَسَ عني فبت مذعوراً أراعي الصباح، فلما برق النور امتطيت راحلتي وآذنت عبدي واحتملت أهلي حتى وردت الجوف (جوف اليمن) فرددت الإبل على أربابها بحولها وسقابها، وأقبلت أريد صنعاء فأصبت بها معاذ بن جبل أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته عَلَىَّ الإسلام وعلمني سوراً من القرآن فَمَنَّ الله على بالهدى بعد الضلالة والعلم بعد الجهالة فقلت:

ألم تـــر أن الله عــــاد بفضــــله فأنقذ مــن لفــح الــزخيخ خنــافرا
وكشّف لي عــن حجــتي عمائمــا وأوضح لي فجــا وقــد كــان دائــرا
دعاني شصار للــتي لــو رفعتــها لأصليت جمراً من لظى الهــوب واهــرا
فأصبحت والإسلام حشو جــوانحي وجانبت من أمسى عــن الحــق نــائرا
وكان مضلي من هــديت لرشــده فللــه مُعْــوِ عِــاد بالرشـــد آمــرا
نجوت بحمد الله مــن كــل قحمــة تؤرث هلكا يــوم شــايعت شاصــرا
فمن مبلغ فتيــان قــومي ألوكــة بأني مــن أقتــال مــن كــان كــافرا
عليكم سواء القصد لا فُلَّ حــدكم فقد أصبح الإســلام للكفــر قــاهرا

* * *

٢١٩٠- كتب قيصر (الروم) إلى معاوية: أخبرني عما لا قبلة له، وعمن لا أباله، وعمن لا عشيرة له، وعمن ساربه قبرة، وعن ثلاثة أشياء لم تخلق في رحم، وعن شيء، ونصف شيء، ولا شيء، وأبعث إليَّ في هذا القارورة ببزر كل شيء، فبعث معاوية بالكتاب والقارورة إلى عبد الله بن عباس، فقال ابن عباس: أما ما لا قبلة له فسطح الكعبة، وأما من لا أباله، فعيسى بن مريم عليه السلام، وأما من لا عشيرة له فآدم عليه السلام، وأما من سار به قبره فيونس عليه السلام، وأما ثلاثة أشياء لم تخلق في رحم، فكبش إبراهيم، وناقة ثمود، وحية موسى، وأما الشيء فالرجل له عقل ويعمل بعقله، وأما نصف شيء فالرجل ليس له عقل ويعمل برأي ذوي العقول، وأما لا شيء، فالذي ليس له عقل يعمل به،

ولا يستعين بعقل غيره، وملأ القارورة ماء وقال: هذا بزر كل شيء فبعث به إلى معاوية، فبعث به معاوية إلى قيصر، فلما وصل إليه الكتاب والقارورة قال: ما خرج هذا إلا من بيت النبوة.

* * *

٢١٩١- كان مصاد بن مذعور القيني رئيسا قد أخذ مرباع قومه دهراً، وكان ذا مال، فَنَدَّ (شرد) ذود من أذواد له، فخرج في بغائها قال: إني لفي طلبها إذ هبطت وادياً شجيراً كثيف الظلال، وقد تفسحت أينا، فأنخت راحلتي في ظل شجرة، وحططت رحلي ورسغت بعير (قيدته) وأضطجعت في بردي، فإذا أربع جوار كأهن اللآلئ يرعين بهما لهن (البَهْمُ صغار الغنم) فلما خالطت عيني السِّنَة (النوم) أقبلن حتى جلسن قريباً مني وفي كف كل واحدة منهن حصيات تقلبهن، فخطت إحداهن ثم طرقت فقالت: قلن يابنات عراف، في صاحب الجمل النياف، والبرد الكثاف، والجرم الخفاف، ثم طرقت الثانية فقالت: مضل أذواد أعلاكد، كوم صلاخد، منهن ثلاث مقاصد، وأربع جرائد شسف ضمارد ثم طرقت الثالثة فقالت: رعين الفرع، ثم هبطن الكرع، بين العقدات والجرع، فقالت الرابعة: ليهبط الغائط الأفيح ثم ليظهر في الملا ، الصحصح، بين سدير وأملح، فهناك الذود رتاع بمنعرج الأجرع، قال: قمت إلى جملي فشددت عليه رحله وركبت، ووالله ما سألتهن من هن ولا ممن هن، فلما أدبرت قالت إحداهن: أبرح فتى في طلب فما له

غيرهن نشب وسيثوب عن كثب ففزع قلبي والله قولها فقلت: وكيف هذا؟ وقد خلفت بوادي عرجا عكامساً فركبت السمت الذي وصف لي حتى انتهيت إلى الموضع فإذا ذودي رواتع فضربت أعجازهن حتى أشرفت على الوادي الذي فيه إبلي فإذا الرعاء تدعو بالويل فقلت ما شانكم قالوا: أغارت بهراء على إبلك فاسحفتها فأمسيت والله مالي مال غير الذود فرمى الله في نواصيهن بالرغس وإني اليوم لأكثر بني القين مالاً وفي ذلك أقول:

هل الدهر آس تارة ثم جارح ... سوانحه مبثوثة والبوارح

فبينا الفتى في ظل نعماء غضة ... تباكره أفياؤه وترواح

إلى أن رمته الحادثات بنكبة ... تضيق به منها الرحاب الفسائح

فاصبح نضوا لاينوء كأنما ... باعظمه مما عراه القوادح

فما خلتي من بعد عرج عكامس ... أقس أذواداً وهن روازح

جدابير ما ينهضن إلا تحاملاً ... شواسف عوج أسأرها الجوانح

فياواثقا بالدهر كن غير آمن ... بما تنتضيه الباهضات الفوادج

فلست على أيامه بمحكم ... إذا فغرت فاها الخطوب الكوالح

مجيرك منه الصبر إن كنت صابراً ... وإلا كما يهوى العدو المكاشح

* * *

٢١٩٢- دخل سهل بن هارون على الرشيد فوجده يضاحك ابنه المأمون فقال: اللهم زده في الخيرات وابسط له في البركات حتى يكون كل يوم من أيامه موفيا عن أمسه مقصراً عن غده، فقال له الرشيد يا سهل من روى من الشعر أحسنه وأجوده، ومن الحديث أصحه وابلغه، ومن البيان أفصحه وأوضحه، إذا رام أن يقول لا يعجزه؟ قال سهل: يا أمير المؤمنين ما ظننت أن أحداً تقدمني وسبقني إلي هذا المعنى فقال الرشيد بل أعشى همدان حيث يقول:

وجدتك أمس خير من لؤي وأنت اليوم خير منك أمس
وأنت غداً تزيد الخير ضعفا كذلك تزيد سادة عبد شمس

* * *

٢١٩٣- قدم وفد على أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك وفيهم رجل من قريش يقال له: اسماعيل بن أبي الجهم وكان أكبرهم سنا، وأفضلهم رأيا وحلما فقام مثوكئا على عصاه وقال: يا أمير المؤمنين إن خطباء قريش قالت فيك وأطنبت وأثت عليك فأحسنت ووالله ما بلغ قائلهم قدرك ولا أحصى مثنيهم فضلك أفتأذن لي في الكلام؟ قال: تكلم قال: أفأوجز أم أطنب (أطيل) قال: بل أوجز قال: توجك الله يا أمير المؤمنين بالحسنى وزينك بالتقى وجمع لك خير الآخرة والأولى إن لي حوائج أفأذكرها؟ قال: نعم قال: كبرت سني وضعفت قواي واشتدت حاجتي فإن رأى

أمير المؤمنين أن يجبر كسري وينفي فقري قال ما يجبر كسرك وينفي فقرك؟ قال: ألف دينار والف دينار وألف دينار قال: هيهات يا ابن جهم! بيت المال لا يحتمل هذا قال: كأنك آليت يا أمير المؤمنين ألا تقضي لي حاجة مقامي هذا قال هشام: ألف دينار لماذا؟ قال: أقضي بها دينا قد فدحني حمله وأرهقني أهله قال: نعم المسلك سلكتها دينا قضيت وأمانة أديت قال هشام: وألف دينار لماذا؟ قال: أزوج بها من أدرك من ولدي فأشد بهم عضدي ويكثر بهم عددي قال: ولا بأس أغضضت طرفا وحصنت فرجاً وأمرت نسلاً وألف دينار لماذا؟ قال: أشتري بها أرضا فأعود بفضلها على ولدي وبفضل فضلها على قرابتي قال: ولا بأس أردت دخراً ورجوت أجراً ووصلت رحماً، قد أمرنا لك بها فقال: الله المحمود على ذلك وجزاك الله يا أمير المؤمنين والرحم خيراً فقال هشام تالله ما رأيت رجلاً الطف في سؤال ولا أرفق في مقال من هذا هكذا بكون القرشي.

* * *

٢١٩٤- كان عبد الله بن ابي معقل الأنصاري كثيراً الأسفار في طلب الرزق فلامته إمرأته أم نهيك وهي ابنة عمه على ذلك وقد قدم من مصر فلم يلبث أن قال لها: جهزيني إلى الكوفة، إلى المغيرة بن شعبه فإنه صديقي وقد وليها فجهزته وقالت: لن تزال في أسفارك هذه تتردد حتى تموت فقال لها: أو أثري ثم أنشأ يقول:

أأم هيك إرفعي الظن صاعداً ولا تيأسي أن يثري الدهر بائس
فلو لا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام رامس
فمنهن تحريك الكميت عنانه إذا ابتدر النهب البعيد الفوارس
ومنهن سبق العاذلات بشرية كأن أخاها وهو يقظان ناعس
ومنهن تجريد الأوانس كالدمي إذا ابتز عن أكفالهن الملابس

* * *

٢١٩٥- امتدح: أبو العتاهية عمر بن العلاء مولى عمرو بن حريث صاحب المهدي فأمر له بسبعين ألف درهم، وأمر من حضر من خدمه وغلمانه أن يخلعوا عليه، فخلعوا عليه حتى لم يقدر على القيام لما عليه من الثياب ثم إن جماعة من الشعراء كانوا بباب عمر، فقال بعضهم: ياعجبا للأمير يعطي أبا العتاهية سبعين ألف درهم! فبلغ ذلك عمر فقال: عليَّ بهم، فأدخلوا عليه فقال: ما أحسد بعضكم لبعض يا معشر الشعراء! إن أحدكم يأتينا يريد مدحنا، فيشبب في قصيدته بصديقته بخمسين بيتاً فما يبلغنا حتى تذهب لذاذة مدحه ورونق شعره، وقد أتانا أبو العتاهية فشبب ببيتين ثم قال:

إني أمنت من الزمان وريبه لما علقت من الأمير حبالاً
لو يستطيع الناس من إجلاله لحذوا له حر الوجوه نعالا
ما كان هذا الجود حتى كنت يا عمراً ولو يوماً تزول لزالا

إن المطايا تشتكيك لأنها قطعت إليك سباسبا ورمالا
فإذا أتين بنا أتين بخفة وإذا رجعن بنا رجعن ثقالا

فقال له عمر حين مدحه: أقم حتى أنظر في أمرك، فأقام أياماً ولم ير شيئاً وكان عمر ينتظر مالاً يجيئ من وجه، فابطأ عليه فكتب إليه أبو العتاهية:

ياابن العلاء وياابن العزم مرداس إني امتدحتك في صحبي وجلاسي
أثنى عليك ولي حال تكذبني فيما اقول فاستحيي من الناس
حتى إذا قيل ما أعطاك من صفد طأطأت من سوء حال عندها رأسي

فقال عمر لحاجبه: أكفنيه أياماً، فقال الحاجب: كلاماً دفعه به وقال له: انتظر، فكتب إليه أبو العتاهية:

أصابت علينا جودك العين ياعمر فنحن لها نبغي التمائم والفشر
أصابتك عين في سخائك صلبة ويارب عين صلبة تفلق الحجر
سنرقيك بالأشعار حتى تتمها فإن لم تفق منها رقيناك بالسور

فضحك عمرو وقال لصاحب بيت ماله: كم عندك؟ فقال: سبعون ألف درهم، قال: إدفعها إليه، واعذرني عنده ولا تدخله عليَّ فإني أستحي منه.

* * *

٢١٩٦- القطامي لقبه واسمه عمير بن شييم التغلبي شاعر إسلامي ومن جيد شعره:

ما اعتاد حب سليمي حين معتاد	ولا تقضي بواقي دينها الصادي
بيضاء محطوطة المتنين بهكنة	ريا الروادف لم تحفل بأولاد
ما للكواعب ودعن الحياة كما	ودعنني واتخذن الشيب ميعادي
أبصارهن إلى الشبان مائلة	وقد أراهن عني غير صداد
إذ باطلي لم تقشع جاهلية	عني ولم يترك الخلان تقوادي
كنية الحي من ذي القبضة احتملوا	مستحقبين فؤاد ماله فادي
بانوا وكانوا حياتي في اجتماعهم	وفي تفرقهم قتلي واقصادي
يقتلننا بحديث ليس يعلمه	من يتقين ولا مكنونة بادي
فهن ينبذن من قول يصبن به	مواقع الماء من ذي الغلة الصادي

* * *

٢١٩٧- قال ابن دريد: دفعت يوماً في تلمس البادية إلى واد خلاء لا أنيس به إلا بيت مقتز بفنائه أعتز، وقد ظمئت فيممته فسلمت، فإذا عجوز قد برزت كأنها نعامة راخم، فقلت: هل من ماء؟ فقالت: أو لبن؟ فقلت: ما كان يغنيني إلا الماء، فإذا يسر الله اللبن فإني إليه فقير، فقامت إلى قعب فأفرغت فيه ماء ونظفت غسله ثم جاءت إلى الأعتز فتغبرتهن حتى احتلبت قراب ملء القعب، ثم أفرغت عليه ماء حتى رغا وطفحت ثمالته

كأنها غمامة بيضاء ثم ناولتني إياه، فشربت حتى تجببت ريا، واطمأنت، فقلت: إني أراك معتزة في هذا الوادي الموحش، والحلة منك قريب، فلو انضممت إلى جنابهم فأنست بهم، فقالت: "يا ابن أخي إني لآنس بالوحشة، وأستريح إلى الوحدة، ويطمئن قلبي إلى هذ الوادي الموحش، فأتذكر من عهدت، فكأني أخاطب أعيانهم، وأتراءى أشباحهم وتتخيل لي أندية رجالهم، وملاعب ولدانهم، ومندى أموالهم، والله ياابن أخي، لقد رأيت بشع اللديدين بأهل أرواح وقباب، ونعم كالهضاب، وخيل كالذئاب وفتيات كالرماح، يبارون الرياح، ويحمون الصياح، فأحال عليهم الجلاء، فما بغرفة، فأصبحت الآثار دارسة، والمحال طامسة، وكذلك سيرة الدهر فيمن وثق به، ثم قالت: إرم بعينيك هذا الملأ المتباط، فنظرت فإذا قبور نحو أربعين أو خمسين، فقالت: ألا ترى تلك الأجداث؟ قلت: نعم! قالت: ما انطوت إلا على أخ أو أبن أخ أو عم أو ابن عم فأصبحوا المأت عليهم الأرض وأنا أترقب ما غالهم.

* * *

٢١٩٨- عَبِيْدُ بن الأبرص الأسدي شاعر فحل عظيم الشهرة قديم الذكر وقد سافر في ركب بني أسد، فبينما هم يسيرون إذا هم بشجاع (ثعبان) يتمعك على الرمضاء فاتحاً فاه من العطش، وكانت مع عبيد قلة ماء، ليس معه ماء غيرها، فترل فسقاه الشجاع عن آخره حتى روي وانتعش فانساب في الرمل، فلما كان من الليل ونام القوم ندت رواحلهم

(ذهبت) فلم يرى لشيء منها أثر، فقام كل واحد يطلب راحلته فتفرقوا فبينما عبيد كذلك وقد أيقن بالهلكة والموت، إذا هو بهاتف يهتف به:

يا أيها الساري المضل مذهبه دونك هذا البكر منا فاركبه
وبكرك الشارد أيضاً فاجنبه حتى غذا الليل تجلى غيهبه

فحط عنه رحله وسيبه

فقال عبيد: يا هذا نشدتك الله إلا أخبرتني من أنت؟ فأنشأ يقول:

أنا الشجاع الذي الفيته رمضا في قفرة بين أحجار وأعقاد
فجدت بالماء لما ضن حامله وزدت فيه ولم تبخل بانكاد
الخير يبقى وإن طال الزمان به والشر أخبث ما أوعيت من زاد

فركب البكر وجنب بكره فبلغ أهله من الصبح فترل عنه ورحل رحله فغاب عن عينه وجاء من سلم من القوم بعد ثلاثة أيام.

* * *

٢١٩٩- كان رجل من العرب له ثلاث بنات قد عَضُلْنَ ومنعهن الأكفاء فقالت إحداهن: إن قام أبونا على هذا الرأي فارقنا وقد ذهب حظ الرجال منا، فينبغي لنا أن نعرض له ما في نفوسنا، وكان يدخل على كل واحدة منهن يوماً فلما دخل على الكبرى تحادثا ساعة فحين أراد الانصراف أنشدت:

أيزجر لا هينا وتلحى على الصبا وما نحن والفتيان إلا شقائق

يــؤبن حبيبــات مـــراراً كــثيرة   وتنبـــاق أحيانـــا بهـــن البوائـــق

فلما سمع الشعر ساءه ثم دخل على الوسطى في اليوم الثاني فتحادثا فلما أراد الانصراف أنشدت:

ألآ أيهـــا الفتيـــان إن فتـــاتكم   دهاهـــا سمـــاع العاشـــقين فحنـــت

فدونكم ابغوها فتي غـــير مزمـــل   وإلا صـــبت تلـــك الفتـــاة وجنـــت

فلما سمع شعرها ساءه ثم دخل في اليوم الثالث على الصغرى في يومها فتحادثا فلما أراد الانصراف أنشدت:

أما كان في ثنتين مـــا يـــزع الفـــتى   ويعقل هذا الشـــيخ إن كـــان يعقـــل

فما هو إلا الحل أو طلـــب الصـــبا   ولابـــد منـــه فـــأتمر كيـــف تفعـــل

فلما رأى تواطؤ هن على ذلك زوجهن.

* * *

٢٢٠٠- عبد الله بن العجلان النهدي القضاعي أحد المتيمين من الشعراء كان أبوه سيداً في قومه وابن سيد من ساداتهم، وكان أكثر بني نهد مالاً، وكانت هند إمرأة عبد الله يذكرها في شعره إمرأة من قومه بني نهد وكانت أحب الناس إليه واحظاهم عنده فمكثت منه سنين سبعا أو ثمانيا لم تلد فقال له أبوه: إنه لا ولدلي غيرك ولا ولد لك، هذه المرأة عاقر فطلقها وتزوج غيرها فأبي ذلك فألى ألا يكلمه أبداً حتى يطلقها فأقام على امره ثم طلبه وهو عند هند فقالت له: لا تمضي إليه فو الله لا

يريد بك خيراً وإنما يريدك أن تطلقني فأبي وعصاها فتعلقت بثوبه ومضى إلى أبيه فعاوده في أمرها وأنبه وضعفه وجمع عليه مشيخة الحي وفتيانهم فتناولوه بألسنتهم وعيروه بشغفه بها وضعف حزمه وكان في حالة سكر و لم يزالوا به حتى طلقها فلما أصبح وصحى خبر بذلك وقد علمت به هند فاحتجبت عنه وعادت إلى أبيها فأسف عليها أسفا شديداً فلما رجعت إلى أبيها خطبها رجل من بني نمير فزوجها أبوها منه فبني بها عندهم وأخرجها إلى بلده فلم يزل عبد الله بن العجلان دنفا سقيما يقول فيها الشعر ويبكيها وعرضوا عليه فتيات الحي جميعا فلم يقبل واحدة منهن حتى مات أسفا عليها وقال في طلاقه إياها:

فارقـــت هنـــد طائعـــاً ... فنـــدمت عنـــد فراقهـــا
فـــالعين تـــذرف دمعـــة ... كالـــدر مـــن أماقهـــا
متحلبـــا فـــوق الـــردا ... ء يجـــول في رقـــراقهـــا
خـــود رداح طفلـــة ... مـــالفحش مـــن أخلاقهـــا
ولقـــد ألـــذ حـــديثها ... وأســـر عنـــد عناقهـــا

* * *

٢٢٠١- قال الطرماح بن حكيم الطائي: خرج خمسة نفر من طيء من ذوي الحجا والرأي منهم برج من مسهر وهو أحد المعمرين وأنيف بن حارثة بن لأم وعبد الله بن سعد بن الحشرج أبو حاتم وعارق الشاعر ومرة بن عبد رضا يريدون سواد بن قارب الدوسي ليمتحنوا علمه فلما قربو من

السراة قالوا: يخبأ كل رجل منا خبيئاً لا يخبر به صاحبه ليسأله عنه فإذا أصاب عرفنا علمه، وإن أخطأ ارتحلنا عنه فخبأ كل واحد خبيئاً ثم صار وا إليه فأهدوا له إبلاً وطرفا من طرف الحيرة فضرب عليهم قبة ونحر لهم فلما مضت ثلاث دعاهم فدخلوا عليه فتكلم برج وكان أسنهم فقال: جادك السحاب، وأمرع لك الجناب، وضفت عليك النعم الرغاب، نحن أولوا الآكال (الجبال) والحدائق والأغيال، والنعم الحفال، ونحن أصهار الأملاك، وفرسان العراك، يورِّي عنهم أنهم من بكر بن وائل، فقال سواد: ورب السماء والأرض، والغمر والبرض والقرض والفرض، إنكم لأهل الهضاب الشم، والنخيل العم، والصخورالصم، من أجأ العبطاء، وسلمى ذات الرقبة السطعاء، قالوا: إنا كذلك وقد خبأ كل رجل منا خبيئاً لتخبرنا باسمه وخبيئته، فقال لبرج أقسم (برب) الضياء والحلك، والنجوم والفلك، والشروق والولك لقد خبأت برثن فرخ (برثن الطائر) في عليط مرخ (الوعاء من المرخ) تحت أسرة الشرخ(الشداد) قال: ما أخطأت شيئاً فمن أنا؟ قال: برج بن مسهر عصرة الممعر (المحتاج) وثمال (مروي) المحجر (الظمآن) ثم قام أنيف بن حارثة وقال: ما خبيئتي وما اسمي؟ قال : (ورب) السحاب والتراب والأصباب والأحداب، والنعم الكثاب لقد خبأت قطامة فسيط (قطعة صغيرة) وقدة مريط في قذة من مدى مطيط (القذة طرف الجلد ونحوه) قال: ما أخطأت شيئاً، قال: فمن أنا؟ قال: أنت أنيف قاري الضيف، ومعمل السيف، وخالط الشتاء بالصيف، ثم قام عبد الله بن سعد فقال: ما خبيئتي وما اسمي؟ فقال

سواد: أقسم (برب) السوام العازب، والوفير الكالب، والمجد الراكب، والمشيح الحارب، لقد خبأت نفاثة فنن في قطيع قد مرن(لان) أو أدم قد جرى (تمدد) و(النفاثة ما ينفثه الإنسان من فيه) قال: ما اخطأت حرفاً، فمن أنا؟ قال: أنت ابن سعد النوال، عطاؤك سجال، وشرك عضال، وعمدك طوال، وبيت لاينال ثم قام عارق فقال: ما خبيئتي وما اسمي؟ فقال سواد: اقسم (برب) نفيف اللوح، والماء المسفوح، والفضاء المندوح لقد خبأت رقعة طلا أعفر في زعنفه أدم أحمر، تحت حلس نضو أدبر (والطلا من أسماء ولد الظبي قطعة من جلد طلا في جار تحت شداد بعير أدبر) فقال: خبأت شيئاً فمن أنا؟ قال: أنت عارق ذو اللسان العضب، والقلب الندب، والمضاء العزب، منَّاع السرب، ومبيح النهب،ثم قام مرة بن عبد رُضَا فقال: ما خبيئتي؟ وما اسمي: فقال سواد: أقسم (برب) الأرض والسماء، والبروج والأنواء، والظلمة والضياء لقد خبأت دمة في رمة تحت مشيط لمة (والدمة القملة) قال ما أخطأت شيئاً ، فمن أنا؟ قال: أنت مُرَّة السريع الكرة، البطيئ الغرة، الشديد المرة، قالوا: اخبرنا بما رأينا في طريقنا إليك؟ قال: والناظر من حيث لا يرى، والسامع قبل أن يناجي، والعالم بما لا يدري، لقد عنت لكم عقاب عجزاء في شغانيب دوحة جرداء تحمل جدلاً فتماريتم إما يداً أو رجلاً، فقالوا: كذلك ثم مَهْ؟ فقال: سلح لكم قبل طلوع الشرق (الشمس) سِيْدُ أمق (ذئب طويل) على ماء طرق (غير صافي)، قالوا: ثم ماذا؟ قال: ثم تيس أفرق، سند في أبرق، فرماه الغلام الأزرق فأصيب بين الوابلة

والمرفق، قالوا: صدقت وأنت أعلم من تحمل الأرض ثم ارتحلوا عنه فقال عارق:

ألا لله علـــم لا يجـــاري إلى الغايـــات في جـــنبي ســواد

أتينــــاه نســـائله امتحانـــا ونحســـب أن ســيعمد بالعنـــاد

فأبــدى مـــن خفـــي مخبـــآت فاضحى ســرها للنـــاس بـــادي

حســـام لا يليـــق ولا يشـــأني عن القصـــد المـــيمم والســداد

كـــأن خبيئنـــا لمـــا انتحينـــا بعينيــــه يصـــرح أو ينـــادي

فاقسم.......................... ومـــن نســـك... م العيـــاد

لقد حزت الكهانـــة مـــن ســـطيح وشـــق والمرفـــل مـــن إيـــاد

ملاحظة: كان الكاهن يقسم بغير الله وهذا غير جائز في الإسلام فلا يقسم إلا بالله تعالى فوضعت بين قوسين اسم الله العزيز العليم.

* * *

٢٢٠٢- أبو حزابة اسمه الوليد بن حنيفة من مناة بني تميم، دخل على طلحة، الطلحات الخزاعي، وقد استعمله يزيد بن معاوية على سجستان، وكان أبو حزابة قد مدحه فأبطأت عليه الجائزة من جهته ورأى ما يعطي غيره من الجوائز فأنشدأ:

وأدليـــت دلـــوي في دلاء كـــثيرة فقد جئن ملأى غير دلوي كماهيا

وأهلكـــني الا تـــزال رغيبـــة تقصـــر دوني أو تحـــل ورائيـــا

أراني إذا استمطرت منك ســحابة لتمطرني عادت عجاجا وســافيا

فرماه طلحه بِحُقٌ فيه در، فأصاب صدره، ووقعت في حجره، ويقال: بل أعطاه اربعة أحجار وقال له : لا تخدع عنها فباعها بأربعين ألفاً ومات طلحة بسجستان ثم ولي من بعده رجل من بني عبد شمس يقال له عبد الله بن عدي شحيحا فقال له أبو حزابة:

يا أبن علي برح الخفاء قد علم الجيران والأكفاء

بأنك النذل واللفاء وأنت لعين طلحة الفداء

بنو عدي كلهم سواء كأنهم زبنية جراء

والزبنية : الكلاب الصينية.

* * *

٢٢٠٣- كان جرير عند الحجاج بن يوسف في العراق، وكان آمنه بعدما أخافه اشد الخوف، فقدم الحجاج البصرة وجرير والفرزدق يتسابان سبع سنين قبل قدومه، وجرير مقيم بالبصرة وكان قبل ذلك مقيماً بالبادية، فكتب إليه بنو يربوع: أنت مقيم بالبادية وليس أحد يروي عنك، والفرزدق ملأ عليك العراق، فانحدر إلى جماعة من الناس فأشد بالرجل كما يشيد بك فانحدر وأقام بالبصرة فلذلك يقول:

وإذا شهدت لثغر قومي مشهداً آثرت ذاك على بنيَّ ومالي

فأوجهه الحجاج وملأ بمدحه الأرض، وبلغ أهل الشام وأمير المؤمنين ورواه الناس، ثم إن الحجاج أوفده مع ابنه محمد عاشر عشرة من أهل العراق بعدما أجازه بعشرة من الرقيق وأموال كثيرة، قال: فقدمنا على عبد الملك بن مروان، فخطب بين يديه، ثم أجلسه على سريره عند رجليه، ثم دعا بالوفد منا رجلاً رجلاً، وكلنا له خطبة ثم قال: من هذا يامحمد؟ قال: هذا يا أمير المؤمنين ابن الخطفي، قال مادح الحجاج؟ قلت ومادحك ياأمير المؤمنين فأذن لي أن أنشدك، فقال: هات ما قلت في الحجاج فاندفعت في قولي:

صبرت النفس ياأبن أبي عقيل ... محافظة فكيف ترى الثوابا

ولو لم يرض ربك لم يترل ... مع النصر لملائكة الغضابا

إذا سعر الخليفة نار حرب ... رأى الحجاج أثقبها شهاباً

فقال: صدقت، وورائي الأخطل جالساً لا أراه. ثم قال هات بالحجاج فأنشدته:

طربت لعهد هيجته المنازل ... وكيف تصابي المرء والشيب شامل

فما فرغت منها حتى خيلت في وجه الخليفة الغضب وقال: هات بالحجاج فأنشدته:

هاج الهوى لفؤادك المهتاج ... فانظر بتوضح باكر الأحداج

حتى أتيت قولي:

من سَدَّ مُطّلَع النفاق عليهم ... أم من يصول كصولة الحجاج

أم من يغار على النســاء حفيظــة   إذ لا يـــثقن بغـــيرة الأزواج

فتكلم الأخطل وقال: أين أمير المؤمنين ياابن المراغة! فعلمت أنه الأخطل، قد بيت حيال وجهي بكمي وقلت: إخسأ، ومضيت حتى أنشدته كلها، فقال الخليفة اجلس ثم قال: قم ياأخطل هات مدير أمير المؤمنين فقال حيالي، فانشد أشعر وأمدح الناس فقال له الخليفة: أنت شاعرنا ومادحنا، إركبه(أي إركب فوق ظهر جرير) فرمى بردائه والقى قميصه على منكبه ووضع يده على عنقي، فقلت يا أمير المؤمنين: إن النصراني الكافر لا يعلو على ظهر المسلم ولا يركبه فقال أهل المجلس: صدق ياأمير المؤمنين.

فقال للأخطل : دعه وانتقض المجلس وخرجنا، فدخل الوفد عليه ثمانية أيام مع محمد كلهن أحجب فلا أدخل عليه، ثم دخلوا في التاسع وأخذوا جوائزهم، وتهيأوا في العاشر للدخول والتوديع للرحيل فقال: لي محمد، ياأبا حزرة، مالي لا أراك تتجهز؟ فقلت: كيف وأمير المؤمنين ساخط! ما أنا ببارح أو يرضى عني، فلما دخل عليه محمد ليودعه قال: ياأمير المؤمنين إن ابن الخطفي مادحك وشاعرك ومادح الحجاج سيفك وأمينك، وقد لزمتنا له صحبة وذمام فإن رأيت أن تأذن له! فإن أبى أن يخرج معنا وأنت غضبان وآلي أنه لا يخرج أو ترضى عنه، فيدخل ويودعك فأذن لي فدخلت عليه ودعوت له فقال: إنما أنت للحجاج، قلت: ولك ياأمير المؤمنين ثم استأذنته في الإنشاد ولم يأذن لي فاندفعت فقلت.

أتصحو أم فؤادك غير صاح.

فقال: بل فؤادك.

عشية هم صحبك بالرواح.

حتى فرغت منها وعلمت إني أن خرجت بدون جائزة كان إسقاطي آخر الدهر، فلما بلغت إلى شكوى ام حزرة قلت في أثر ذلك:

الستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

فجعل يقول: نحن كذلك ثم قال: ردها عليَّ فرددتها فطرب لذلك وقال: ويحك! أتراها ترويها مئة من الإبل؟ قلت: نعم، نعم إن كانت من نعم كلب (قبيلة كلب)، وقد كنت رأيت خمسمائة من نعم كلب مخصفة ذراها ثنيانا وجذعانا فقال: أخرجو له مئة من النعم التي جاءت من عند كلب (القبيلة) ولا تر ذلوها فشكرت له وشكر له أصحابي ومن شهدني من العرب ثم قلت ياأمير المؤمنين إنما نحن أشباح من أهل العراق وليس في واحد منا فضل عن راحلته قال: أفتجعل لك أثمانها؟ قلت: لا، ولكن الرعاء يا أمير المؤمنين. فأمر لي بثمانية أعبد أربعة صقالبة وأربعة نوبية وإذا قد أهدى إليه بعض الدهاقين ثلاث صحاف فضة وهن بين يديه يقرعهن بالخيزرانة، فقلت المحلب يا أمير المؤمنين؟ فندس (قذف) إلي منهن واحدة فقال: خذها لا نفعتك! قلت بلى كل ما أخذته منك ينفعني إن شاء الله، وانصرفنا وودعناه، وكتب محمد إلى أبيه بالحديث كله، فلما قدمنا على الحجاج قال لي: أما والله لولا أن يبلغ أمير المؤمنين فيجد علي (يغضب) لأعطيتك مثلها ولكن هذه

خمسون راحلة وأحمالها حنطة تأتي بها إلى أهلك فتميرهم فقبضتها وانصرفت.

* * *

٢٢٠٤- النمر بن تولب العكلي، ومن الأخبار المروية عن الحسن بن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب قال: جاء أعرابي إلى أبي وهو مستتر بسويقة قبل خروجه ومعه سيف قد علاه الصدأ، فقال: ياابن بنت رسول الله، إني كنت ببطن قديد (وادي) أرعى إبلي وفيها فحل قَطِمْ (صَوَّال) قد كنت ضربته فحقد علي وأنا لا أدري، فخلا بي فشد عَلَيَّ يريدني وأنا أحضر (أجري بسرعة) ودنا مني حتى أن لعابه وزبده يسقط على راسي لقربه مني، فأنا أشتد وأنا أنظر إلى الأرض لعلي أرى شيئاً أذبه عني به، إذ وقعت عيني على هذا السيف قد فحص نصفه السيل (أي أظهره) فظننته عوداً بالياً، فضربت بيدي إليه فأخذته فإذا هو سيف، فذببت به البعير عني ذباً والله ما أردت به الذي بلغته منه، فأصبت خيشومه فرميت بفقمه (اللحى وطرف الخطم) فعلمت أنه سيف جيد، وظننته من سيوف القوم الذين قتلوا في وقعة قديد، وها هو ذا قد أهديته لك، ياأبن بنت رسول الله قال: فأخذه منه وسرَّبه وجلست والأعرابي يحادثه فبينما هو كذلك، إذ أقبلت غنم لأبي ثلاثمائة شاة فيها رعاوها، فقال له يا أعرابي، هذه الغنم والرعاة لك مكافأة عن هذا السيف ثم أرسل بالسيف إلى المدينة أو أرسل إلى قين فأتى به من

المدينة فأمر به فجلي، فخرج أكرم سيوف الناس، فأمر فاتخذ له جفن ودفعه إلى أختي فاطمة بنت محمد وبقي السيف عندها.

*   *   *

٢٢٠٥-قال الأصعمي: سرت في تطوافي في العرب بجبلي طيء، فدفعت إلى قوم منهم يحتلبون اللبن ثم يصحيون: الضيف، الضيف فإن جاءهم من يضيفهم وإلا أراقوه، فلا يذوقون منه شيئاً دون الضيف إلا أن يجهدهم الجوع، ثم دفعت إلى رجل من ولد حاتم بن عبد الله فسألته القرى فقال: القرى والله كثير، ولكن لا سبيل إليه، فقلت: ما أحسب عندك شيئاً، فأمر بالجفان فاخرجت مكرمة بالثريد عليها وذر اللحم، وإذا هو جاء بالمنع فقلت ما أشبهت أباك حيث يقول:

وابـرز قـدري بالفنـاء قليلـها   يرى غير مضنون بـه وكثيرهـا

فقال: إلا أن أشبهه في هذا فقد أشبهته في قوله:

أمـاوي أمـا مـانع فَمُـبَيِّنٌ   وإما عطـاء لا ينهنـه بـالزجر

فانا والله مانع مبين، فرحلت عنه ودفعت إلى إمرأة من ولد ابن هرمة، فسألتها القرى، فقالت: إني والله مرملة مسنة ما عندي شيء، فقلت: أما عندك جزور؟ فقالت: ولا شاة ولا دجاجة ولابيضة، فقلت: أما ابن هرمة أبوك؟ قالت: بلى والله إني لمن صميمهم، قلت: قاتل الله أباك! ما أكذبه حيث يقول:

لا أمنـع العـوذ بالعضـال ولا   أبتـاع إلا قريبـة الأجـل

إني إذا مـــا البخيـــل آمنـــها   باتت ضموز مـــني علـــى وجـــل

ووليت فنادت! إربع أيها الراكب، فعله والله ذلك أقله عندنا، فقلت: ألا تكوني أوسعتنا قرى، فقد أوسعنا جواباً.

* * *

٢٢٠٦- شظاظ الضبي أحد لصوص العرب قالوأ له: أخبرنا بأعجب ما أخذت في لصوصيتك ورأيت فيها؟ قال: كان فلان رجل من أهل البصرة له بنت عم ذات مال كثير، وهو وليها، وكانت له نسوة فخطبها فأبت أن تتزوجه، فحلف ألا يزوجها من أحد ضراراً لها، وكان يخطبها رجل غني من أهل البصرة، فحرصت عليه، وأبى الآخر أن يزوجها منه، فما إن ولي الأمر حج حتى إذا كان بالدَّوِّ، على مرحلة من البصرة حذاء ماء قريب منه جبل يقال له سنام، وهو منزل الرفاق إذا صدرت أو وردت، مات الولي فدفن برابية وشيد على قبره، فتزوجت الرجل الذي كان يخطبها، قال شظاظ، وخرجت رفقة من البصرة ومعهم بَزٌّ (والبز القماش) ومتاع فتبصرهم وما معهم، واتبعتهم من البصرة حتى نزلوا فلما ناموا أتيتهم واخذت من متاعهم، ثم إن القوم أخذوني وضربوني ضرباً شديداً، وجردوني، وذلك في ليلة قرة باردة، وسحبوني كل قليل وكثير فتركوني عرياناً، وتماوت لهم، وارتحل القوم، فقلت: كيف أصنع؟ ثم ذكرت قبر الرجل فأتيته فنزعت لوحة، ثم حفرت فيه سرباً فدخلت فيه ثم سددت باللوح وقلت: لعلي الآن أدفأ فأتبعهم، ومرَّ الرجل الذي تزوج المرأة في الرفقة فمر بالقبر الذي أنا فيه فوقف عليه وقال لرفيقه: والله لأنزلن إلى قبر فلان حتى انظر هل يحمي

الآن يُضْعِ فلانة؟ (أي فرجها) قال شظاظ: فعرفت صوته، فخلعت اللوح ثم خرجت عليه بالسيف من القبر وقلت: بلى ورب الكعبة لأحميها فوقع والله الرجل مغشياً عليه لا يتحرك ولا يعقل فسقط من يده خطام الراحلة فأخذت وعهد الله بخطامها فجلست عليه وعليها كل أداة وثياب ونقد كان معه، ثم وجهتها إلى مطلع الشمس هارباً من الناس فنجوت بها، فكنت بعد ذلك اسمعه يحدث الناس بالبصرة، ويحلف لهم أن الميت الذي كان منعه من تزويج المرأة خرج عليه من قبره وسلبه وكتفه فبقي يومه ثم هرب منه، والناس يعجبون منه فعاقلهم بكذبه، والأحمق منهم يصدقه وأنا أعرف القصة فأضحك منهم كالمتعجب.

* * *

٢٢٠٧- قال عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ : خرجت مع أناس من قريش في تجارة إلى الشام في الجاهلية، فإني في سوق من أسواقها إذا ببطريق (من بطارقة النصارى) قد قبض على عنقي، فذهبت أنازعه، فقيل لي: لا تفعل فإنه لأنصف لك منه، فأدخلني كنيسة فإذا تراب عظيم ملقى، فجاءني بزنبيل ومجرفة، فقال لي: انقل من هاهنا، فجلست أمثل أمري كيف أصنع فلما كان في الهاجرة جاءني وعليه سِبْنِيَّة (نوع شفاف من الثياب) أرى سائر جسده منها، فقال: إنك على ما أرى ما فعلت شيئاً ! ثم جمع يديه وضرب بهما دماغي، فقلت: واثكل أمك ياعمر، أبلغت ما أرى! ثم وثبت على المجرفة فضربت بها هامته ثم واريته

في التراب،وخرجت على وجهي لا أرى أين أسير فسرت بقية يومي وليلتي ومن الغد إلى الهاجرة، فأتيت إلى دَيْر فاستظللت في فنائه فخرج إليّ رجل فقال: ياعبد الله ما يقعدك ها هنا؟ قلت أضللت أصحابي، فقال: ما أنت على طريق، وإنك لتنظر بعيني خائف، فادخل فاصب من الطعام واسترح، فدخلت فأتاني بطعام وشراب وألطفني، ثم صَعَّد إليّ وصَوَّب فقال: قد علم أهل الكتاب أو الكتب أنه ما على وجه الأرض أعلم بالكتاب أو الكتب مني، وإني لأجد صفتك الصفة التي تخرجنا من هذا الدير وتغلبنا عليه، فقلت ياهذا لقد ذهبت في غير مذهب، فقال لي: ما أسمك؟ فقلت عمر بن الخطاب، فقال: أنت والله صاحبنا، فاكتب على ديري هذا وما فيه، فقلت له: ياهذا إنك قد صنعت إليّ صنيعة فلا تكدرها، فقال: إنما هو كتاب على رق، فإن كنت صاحبنا فذاك، وإلاّ لم يضرك بشيء، فكتبت على ديره وما فيه، وأتاني بثياب ودراهم فدفعها إليّ ثم أو كف أتانا (جعل عليها ولية أوبرذعه) قال لي: أترها؟ قلت: نعم، قال: سر عليها فإنك لا تمر على قوم إلا سقوها وعلفوها وأضافوك، فإذا بلغت مأمنك، فاضرب وجهها مدبرة، فإنهم يفعلون بها كذلك حتى ترجع إليّ، قال فركبتها حتى لحقت أصحابي فانطلقت معهم. فلما وافي عمر الشام في خلافته جاءه ذلك الراهب بالكتاب وهو صاحب دير عدس، فلما رآه عمر عرفه وقال: قد جاء ما لا مذهب لعمر عنه ثم أقبل على أصحابه فحدثهم بحديثه فلما فرغ منه أقبل على

الراهب فقال: أضفتم المسلمين وعرضتموهم وراشدتموهم فعلنا ذلك قال: نعم ياأمير المؤمنين فوفى له عمر.

* * *

٢٢٠٨- نصيب الأصغر، غير نصيب بن رياح، فهذا مولى المهدي نشأ باليمامة له شعر جيد من ذلك قوله يمدح بها هارون الرشيد مطلعها:

خليلــيَّ إني مــا يــزال يشــوقني   قطين الحمى والراحــل المتأمــل

دخل على الفضل بن يحي مسلماً فوجد عنده جماعة من الشعراء قد امتدحوه فهم ينشدونه ويأمر لهم بالجوائز، ولم يكن امتدحه ولا أعد له شيئاً، فلما فرغوان وكان يروي قولاً في نفسه استأذن في الإنشاد ثم أنشد قصيدته التي أولها:

طرقتــك ميــة والمــزار شــطيب   وتثيبك الهجران وهــي قريــب

لله مَيَّــــة خلــــة لــــو أَهــــا   تجــزي الــوداد بودنــا وتثيــب

وكأن ميــة حــين أتلــع جيــدها   رشأ أغَنَّ مــن الظبــاء ربيــب

نصفان ما تحــت المــؤزر عانــك   دعص أغر وفــوق ذاك قضــيب

إلى أن قال:

وتقول مية مــا لمثلــك والصِّــبَا   واللون أســود حالــك غربيــب

شاب الغراب ومــا أراك تشــيب   وطلابك البيض الحسان عجيــب

أعلاقــــة أســــباهن وإنمــــا   أفنان رأســك فلفــل وزبيــب

لا تهزئي مني فربت عائب مالا يعيب الناس وهو معيب

وأجر من حلل الملوك طرائفا منها عَلَيَّ عصائب وسبيب

وأسالب الحسناء فضل إزارها فأصورها وإزارها مسلوب

* * *

٢٢٠٩-قال الأخفش: كنت يوماً بحضرة ثعلب فأسرعت القيام قبل انقضاء المجلس فقال لي: إلى أين؟ ما أراك تصبر عن مجلس الخلدي (يعني محمد بن يزيد المبرد) فقلت له: لي حاجة، فقال: إني أراه يقدم البحتري على أبي تمام فإذا أتيته فقل له ما معنى قول أبي تمام:

أآلفة النحيب كم افتراق أظل فكان داعية اجتماع

قال أبو الحسن فلما صرت إلى أبي العباس المبرد سألته عنه فقال: معنى هذا أن المتحابين والعاشقين قد يتصارمان ويتهاجران إدلالاً لا عزما على القطيعة، وإذا حان الرحيل وأحَسَّا بالفراق تراجعا إلى الود وتلاقيا خوف الفراق وأن يطول العهد بالالتقاء بعده فيكون الفراق حينئذ سببا للاجتماع كما قال الآخر:

متعا بالفراق يوم الفراق مستجيرين بالبكا والعناق

كم أسرا هواهما حذرا لنا س وكم كتما غليل اشتياق

فأظل الفراق فالتقيا فيـ ـه فراق أتاهما باتفاق

كيفما ادعو على الفراق بحتف وغداة الفراق كان التلاقي

قال فلما عدت إلى ثعلب في المجلس الآخر سألني عنه فأعدت عليه الجواب والأبيات، فقال: ما أشد تمويهه، ما صنع شيئاً! إنما معنى البيت أن الإنسان لا يفارق محبوبه رجاء أن يغنم في سفره، فيعود إلى محبوبه مستغنياً عن التصرف فيطول اجتماعه معه ألا تراه في البيت الثاني:

وليســـت فرحـــة الأوبـــات إلا   لموقـــوف علـــى تـــرح الـــوداع

وهذا نظير قول الآخر بل منه أخذ أبو تمام:

واطلب بعد الدار مـــنكم لتقربـــوا   وتسكب عيناي الدموع لتجمـــدا

هذا هو ذاك بعينه.

* * *

٢٢١٠- محمد بن عبد الملك الزيات كان شاعراً مجيداً وقد وزر عدة مرات وقد جلس يوماً للمظالم، فلما انقضى المجلس رأى رجلاً جالساً فقال له:ألك حاجة ؟ قال: نعم، تدنيني إليك فإني مظلوم، فأدناه فقال: إني مظلوم وقد أعوزني الانصاف، قال: ومن ظلمك؟ قال: أنت، ولست أصل إليك فأذكر حاجتي، قال: ومن يحجبك مني؟ وقد ترى مجلسي مبذولاً؟ قال: يحجبني عنك هيبتي لك، وطول لسانك وفصاحتك واطراد حجتك، قال: ففيم ظلمتك؟ قال: ضيعتي الفلانية أخذها وكيلك غصباً بغير ثمن، فإذا وجب عليها خراج أديته بإسمي لأ لا يثبت لك اسم في ملكها فيبطل ملكي، فوكيلك يأخذ غلتها، وأنا أودي خراجها، وهذا لم يسمع بمثله في الظلم، فقال له محمد: هذا قول تحتاج فيه إلى بينة

وشهود وأشياء، فقال له الرجل: أيؤمنني الوزير من غضبه حتى أجيب؟ قال: قد آمنتك، قال: البينة هم الشهود وإذا شهدوا فلا يحتاج معهم إلى شيء، فما معنى قولك بينة وشهود وأشياء، أي شيء هذه الأشياء، إلا العي والتغرطرس؟ فضحك وقال: صدقت، والبلاء موكل بالمنطق وإني لأرى فيك مصطنعاً، ثم وقع له برد ضيعته وأن يطلق له كَرُّ حنطة وكَرُّ شعير ومائة دينار يستعين بها على عمارة ضيعته وصيره من أصحابه واصطنعه (الكر مكيال قيل أنه أربعون أردباً).

* * *

٢٢١١- لما اشتد بحصن بن حذيفة بن بدر الفزاري وجعه من طعنة كرز بن عامر إياه يوم بني عقيل، دعا ولده فقال: إن الموت أهون مما أجد، فأيكم يطيعني؟ قالوا: كلنا نطيعك، فبدأ بأكبرهم فقال:قم فخذ سيفي واطعن به حيث آمرك ولا تعجل، فقال: يا أبتاه: أيقتل المرء أباه! فأتى على أبنائه كلهم فأجابوه جواب الأول حتى انتهى إلى عيينه فقال: ياأبتاه أليس لك فيما تأمرني به راحة، ولي بذلك طاعة وهو هواك؟ قال: بلى، قال: فمرني كيف أصنع، قال: قم فخذ سيفي ضعه حيث آمرك، ولا تعجل، فقام فأخذ سيفه ووضعه على قلبه ثم قال: ياأبتاه! كيف أصنع؟ قال: ألق السيف، إنما أردت أن أعلم أيكم أمضى لما آمر به، فأنت خليفتي ورئيس قومك من بعدي فقال القوم: إنه سيقول فيما كان بيتا فأحضروه فلما أمسى قال:

وَلُّوْا عيينة من بعدي أموركم واستيقنوا أنه بعدي لكم حامي
إما هلكت فإني قد بنيت لكم عز الحياة بما قدمت قدامي
واستوسقوا للتي فيها مروءتكم قود الجياد وضرب القوم بالهام
والقرب من قومكم والقرب ينفعكم والبعد إن باعدوا والرمي للرامي
ولى حذيفة إذولي وخلفني يوم الهباة يتيما وسط أيتام
لا أرفع الطرف ذلاً عند مهلكة ألقى العدو بوجه خده دامي
حتى اعتقدت لوا قومي فقمت به ثم ارتحلت إلى الجفنى إلى الشام
أمسو لما كانت الآباء تطلبه عند الملوك فطرفي عندهم سامي
والدهر آخره شبه لأوله قوم كقوم وأيام كأيام
فابنوا ولا تهدموا فالناس كلهم من بين بان إلى العليا وهدام

ثم أصبح ودعى بني بدر فقال: لو ائي ورياستي لعينيه فأخذ عينيه الرئاسة وقال:

أطعت أبا عيينة في هواه فلم تخلج صريمتي الظنون
وقد عرض الرئيس على بنيه فقال القوم هذا لا يكون
سيحيا أو يموت فطاولوه وقتل المرء والده حتون
فلم أقتل بفضل الله حصنا وكل فتى ستدركه المنون
ولم أنكل عليه وكل أمر إذا هونته يوماً يهون
فإن يك بدء هذا الأمر غثا فآخره بني بدر سمين

٢٢١٢- السرى بن عبد الله الأنصاري، كان قصيراً دميماً أزرق، وكان يهوى جارية يقال لها زينب ويشبب بها، فخرج إلى البادية فرآها في نسوة، فصار إلى راع هناك، فأعطاه ثيابه، وأخذ منه جبته وعصاه، وأقبل يسوق الغنم، حتى صار إلى النسوة، فلم يحفلن به، وظنن أنه أعرابي، فأقبل يقلب وينقب في عصاه الأرض وينظر إليهن. قلن له اذهب منك ياراعي الغنم شيء فأنت تطلبه؟ فقال: نعم ذهب قلبي فضربت زينب بكمها على وجهها وقالت: السرى والله، أخزاه الله فأنشأ يقول:

مازال فينا سقيم يستطب به   من ريح زينب فينا ليلة الأحد

حزت الجمال ونشراً طيباً أرجاً   فما تسمين إلا مكة البلد

أما فؤادي فشيء قد ذهبت به   فما يضرك إلا تحربي جسدي

* * *

٢٢١٣-عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الوهاب السويطي الظفيري ـ رحمه الله ـ من مواليد بلدة المستجدة في منطقة حائل نحو عام ١٣٦٨هـ ـ عاش فيها جزءاً من طفولتة ثم انتقل مع والديه وأخيه عبد الوهاب إلى حائل عام ١٣٧٥هـ ـ واكمل فيها طفولته وشبابه ثم انتقل إلى جدة موظفاً في الخطوط الجوية السعودية، وعمل بها في قسم التموين ثم تزوج واستقر بجدة وبعد مدة ترقى على وظيفة في مطار طريف وذهب مع زميل له بالسيارة لمباشرة عمله هناك وللأسف الشديد حصل لهما حادث مروري في الطريق حصل له كسور في الظهر والحوض واليدين مما

أقعده عن الحركة، أما زميله فكان أخف منه، وبقي مقعداً أكثر من عشرين سنة حتى لاقى وجه ربه في ١٤٢٥/١٢/١٧هـ ــ رحمه الله ــ رحمة واسعة، وكان لطيفاً طيب العشرة لين الجانب كريم النفس والكف فالذي بيده ليس له، بشوشاً مبتسماً كثير الأصدقاء، أهدى إليَّ سبحة ثمينة خرزها من المرجان الأحمر وخيطها وشواهدها من الذهب وقال: لقد وجدتها في الطائرة بعد نزول الركاب ويبدو أنها لأحد الأمراء وإني أخاف أن تؤخذ مني وأنت خير من أهديها له للذكرى ولا تزال عندي حتى الآن وكان من شأنه أنه في أحد أيام الربيع من عام ١٣٨٨هـ كنت في جولة تفتيشية على المناطق قادماً من تبوك إلى جدة، في ذلك اليوم كان على تبوك موجة برد شديد وقد ارتديت ثياب الصوف وعباءة الوبر وقبل وصولنا إلى جدة بنحو ساعة هطلت على جدة أمطار غزيرة أصبحت الشوارع فيها أودية جارفة وانقطعت المواصلات من السيارات تماماً ونزلت في الصالة وخرج بعض الناس على أقدامهم، والجو في جدة حار رطب تكاد تخنق الرطوبة فيه فتورطت في ثياب الصوف التي علي إضافة إلى حقيبة الملابس، خرجت مع من خرج على رصيف الشارع أحمل الحقيبة وتكاد تخرج روحي من شدة الحرارة والرطوبة وثياب الصوف، أتيت صاحب صندقة وطلبت منه أن أضع حقيبتي عنده، فأبى وذهبت للثاني فأبي، وذهبت أجرجرها على الرصيف بين غدران الماء وبعد حوالي ساعة طالعت من بعيد عبد العزيز وزميل له خارجين على أقدامهم يتفرجان على السيل الذي يزخر

به الشارع، وكان بيتهما قريب من المطار القديم في حي الشرفية ولوحت لعبد العزيز بيدي وشماغي فرآني وقال بصوت مرتفع: أبو خالد! قلت: نعم تعال ومن معك وبالكاد أقبلا متماسكي الأيدي فقطعا الشارع الذي يشبه الوادي نحوي ثم أخذا الحقيبة وبالكاد قطعنا الشارع إلى البيت وذلك قبل أن يتزوج رحمه الله.

* * *

٢٢١٤- قال الأصمعي: تصرفت في الأسباب على باب الرشيد مؤملاً للظفر به، والوصول إليه، حتى أني صرت لبعض حرسه خدينا، فإني في ليلة قد نثر السعادة والتوفيق فيها الأرق بين أجفان الرشيد إذ خرج خادم فقال: أبا الحضرة واحد ينشد الشعر؟ فقلت: الله أكبر! رُبَّ قيد مضيقة قد حله التيسير، فقال لي الخادم: إدخل، فلعلها أن تكون ليلة تعرس في صباحها بالغنى إن فزت بالحظوة عند أمير المؤمنين، فدخلت فوجدت الرشيد في بهوه، والفضل بن يحيي إلى جانبه، فوقف الخادم بي حيث يسمع التسليم، فسلمت ورد السلام، قال: ياغلام أرحه قليلا ثم قلت: يأمير المؤمنين إضاءة مجدك، وبهاء كرمك، بجبران لمن نظر إليك عن اعتراض أذية، فقا: أُدْنُ، فدنوت فقال: أشاعر أم راوية؟ فقلت راوية لكل ذي جد وهزل، بعد أن يكون محسناً، فقال: تاالله مارأيت إدعاء أعم! فقلت: أنا على الميدان فأطلق من عناني يأمير المؤمنين، قال: " قد أنصف القارة من رماها" ثم قال: ما معنى هذه الكلمة بدءاً؟ قلت: فيها

قولان: القارة هي الحرة من الأرض، وزعمت الرواة أن القارة كانت رماة للتبابعة (ملوك اليمن) والملك إذ ذاك حسان فواقف عسكره عسكر للصغد (بين سمرقند وبخاري) فخرج فارس من الصغد قد وضع سهمه في كبد قوسه، فقال: أين رماة العرب؟ فقالت العرب: "أنصف القارة من رماها" فقال الرشيد: أصبت ثم قال: أتروي لرؤية بن العجاج شيئا؟ فقلت: هما شاهداني في القوافي وإن غيبا عن بصرك بالأشخاص، فأخرج من ثني فرشه رقعة ثم قال:أنشدني أرقني هم أرقا فمضيت فيها مضي الجواد في ميدانه تهد ربي أشداقي ثم قال: أتروي لعدي بن الرقاع: عرف الديار توهما فاعتادها.

قلت: نعم، قال: هات فمضيت فيها وبعد ذلك قال الرشيد: أرح فقد وجدناك ممتعاً، وعرفناك محسناً، ثم قال: ياغلام يؤمر صالح الخادم بتعجيل ثلاثين ألف درهم على هذا الرجل، في ليلته، ولا يحجب في المستأنف، فقال الفضل: لولا أنه مجلس أمير المؤمنين ولا يأمر فيه غيره لأمرت لك بمثل ما أمر لك به، وقد أمرت لك به، إلا ألف درهم فتلق لخادم صباحاً، قال: فلما صليت الصبح من غدٍ إلا وفي مترلي تسعة وخمسون ألف درهم.

* * *

٢٢١٥-مسكين الدارمي واسمه ربيعة بن عامر التميمي وهو القائل:

أنـــا مســـكين لمـــن أنكـــرني ولمـــن يعـــرفني حـــد تفـــق

وقال:

وسميت مسكينا وكانت بحاجة وإني لمسكين إلى الله راغب

وقال:

إن إدع مسكينا فلست بمنكر وهل تنكرن الشمس ذر شعاعها

لعمرك ما الأسماء الإمعارة منار ومن خير المنار ارتفاعها

قدم على معاوية بن أبي سفيان، وسأله أن يفرض له (أي يجعل له مالاً مفروضا يتقاضاه كل سنة) فأبى معاوية عليه وكان لا يفرض إلا لليمن (أي القحطانيين) فخرج من عنده وهو يقول:

أخاك أخاك إن من لا أخا له كساع إلى الهيجا بدون سلاح

وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازى بغير جناح

وما طالب الحاجات إلا مغرر وما نال شيئاً طالب كنجاح

فلم يزل معاوية كذلك وكثرت، وضعفت عدنان، فبلغ معاوية أن رجلاً من أهل اليمن قال يوماً: لهممت ألا أدع بالشام أحداً من مضر (يعني العدنانيين) بل هممت ألا أحل حبوتي حتى أخرج كل نزاري بالشام، فبلغت معاوية، ففرض من وقته لأربعة آلاف رجل من قيس سوى خندف وقدم على تفئة (في حينه) ذلك عطارد بن حاجب التميمي على معاوية فقال له: ما فعل الفتى الدارمي الصبيح الوجه الفصيح اللسان؟ يعني مسكيناً، فقال صالح: ياأمير المؤمنين، فقال: أعلمه أني قد فرضت له في شرف العطاء وهو في بلاده، فإن شاء أن يقيم بها أو عندنا فاليفعل

فإن عطاءه سيأتيه، وبشره بأني فقد فرضت لأربعة آلاف من قومه من خندف، قال وكان معاوية بعد ذلك يغزي اليمن في البحر ويغزي قيسا في البر فقال شاعر اليمن:

ألا أيها القوم الذين تجمعوا ... بعكا أناس أنتم أم أباعر
أتترك قيس آمنين بدارهم ... ونركب ظهر البحر والبحر زاخر
فوالله ما أدري وإني لسائل ... أهمدان تحمى ضيمها أم يحابر
أم الشرف الأعلى من أولاد حِمْيَرٍ ... بنو مالك إذ تستمر المرائر
أأوصي أبوهم بينهم أن تواصلوا ... وأوصى أبوكم بينكم أن تدابروا

* * *

٢٢١٦- أمية بن حرثان الأسكر، ذهب ابنه كلاب بن أمية مع الجهاد، وكان أبوه قد كبر وضعف فلما طالت غيبته عنه قال:

لمن شيخان قد نشدا كلابا ... كتاب الله إن قبل الكتابا
أناديه فيعرض في إباء ... فلا وأبي كلاب ما أصابا
إذا سجعت حمامة بطن واد ... إلى بيضاتها أدعوا كلابا
أتاه مهاجران تكنفاه ... ففارق شيخه خطأ وخابا
تركت أباك مرعشة يداه ... وأمك ما تسيغ لها شرابا
تمسح مهره شفقا عليه ... وتجنبه أباعرها الصعابا
وإنك قد تركت أباك شيخاً ... يطارد أينقا سربا طرابا

فإنك والتمـاس الأجـر بعـدي كبـاغ المـاء يتبـع السـرايا

فبلغت أبياته عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلم يردد كلاباً وطال مقامه فأهتر أمية (أي فقد عقله من الكبر والمرض والحزن) وخلط جزعاً عليه ثم أتاه يوماً وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله المهاجرون والأنصار فوقف عليه ثم انشأ.

أعاذل قـد عـذلت بغـير قـدر ولا تـدرين عـاذل مـا ألاقـي

فإمـا كنـت عـاذلتي فـردي كلابـا إذ توجـه للعـراق

ولم أقـض اللبانـة مـن كـلاب غـداة غـدو وآذن بـالفراق

فـتى الفتيـان في عسـر ويسـر شديد الـركن في يـوم التلاقـي

فمـا والله مـا باليـت وجـدي ولا شفقي عليـك ولا اشـتياقي

وإبقـائي عليـك إذا شـتونا وضمك تحت نحـري واعتنـاقي

فلو فلـق الفـؤاد حمـاط وجـد لهـم سـواد قلـبي بـانفلاق

سأستعدي علـى الفـاروق ربـا لـه دفـع الحجـيج إلى بسـاق

وادعـو الله مجتهـد عليـه بـبطن الأخشـبين إلى دفـاق

إن الفـاروق لم يـردد كلابـا إلى شـيخين هامهـا زواقـى

فبكى عمر بكاء شديداً، وكتب برد كلاب إلى المدينة، فلما قدم دخل عليه فقال له: ما بلغ من برك بأبيك؟ قال: كنت أدثره، وأكفيه أمره، وكنت أعتمد إذا أرد أن أحلب له لبنا أغزر ناقة في إبله وأسمنها فأريحها وأتركها حتى تستقر ثم أغسل أخلافها حتى تبرد ثم أحلب له فأسقيه،

فبعث عمر إلى أمية من جاء به إليه فأدخله يتهادى، وقد ضعف بصره، وانحني صلبة، فقال له: كيف أنت يا أبا كلاب؟ قال: كما تراني يا أمير المؤمنين، قال: فهل لك من حاجة؟ قال: نعم أشتهى أن أرى كلاباً، فأشمه شمة، وأضمه ضمة، قبل أن أموت فبكى عمر ثم قال: ستبلغ من هذا ما تحب إن شاء الله تعالى، ثم أمر كلاباً أن يحتلب لأبيه ناقة، كما كان يفعل ويبعث إليه بلبنها ففعل فناوله عمر الإناء، وقال: دونك ياأبا كلاب، فلما أخذه وأدناه من فمه قال لعمر: والله ياأمير المؤمنين إني لأجد رائحة يدي كلاب من هذا الإناء فبكى عمر، وقال هذا كلاب عندك حاضراً قد جئناك به، فوثب إلى أبنه وضمه إليه وقبله وجعل عمر يبكي ومن حضره وقال لكلاب: إلزم أبويك فجاهد فيهما ما بقيا، ثم شأنك بنفسك بعدهما وأمر له بعطائه، وصرفه مع أبيه، فلم يزل معه مقيماً حتى مات أبوه.

* * *

٢٢١٧- البحتري هو الوليد بن عبيد الطائي الشاعر المشهور، أنه دخل على أبي سعيد محمد بن يوسف الثغري، وقد مدحه بقصيدة فالفى عنده أبا تمام وقد أنشده قصيدة له، فاستأذنه البحتري في الإنشاد وهو يومئذ حدث السن فقال له: ياغلام أتنشدني بحضرة أبي تمام؟ قال: تأذن لي وتسمع، فأذن له ، فقام فأنشده إياها، وأبو تمام يسمع وهو يهتز من قرنه إلى قدمه استحساناً لها، فلما فرغ منها قال له: أحسنت والله ياغلام، فممن

أنت؟ فقال: من طيء فطرب أبو تمام وقال: من طيء؟ الحمد لله على ذلك، لوددت أن كل طائية تلد مثلك وقبله بين عينيه وضمه إليه، قال: قد جعلت له جائزتي فضمت إلى مثلها ودفعت للبحتري، وأعطي أبا تمام مثلها وخص به.

* * *

٢٢١٨-صعصعة بن ناجية بن عقال التميمي جد الفرزدق كان يقال له محيي الموؤودات، وذلك أنه مرَّ برجل من قومه وهو يحفر بئراً (حفرة عميقة) وامرأته تبكى فقال لها صعصعة ما يبكيك؟ قالت: إن زوجي يريد أن يئد ابنتي هذه (الوأد دفن الطفلة وهي حية) فقال له: ما حملك على هذا ؟ قال: الفقر، قال: فإني اشتريها منك بناقتين يتبعهما أولادهما، تعيشون بألبانهما ولا تئد الصبية، قال: قد فعلت: فاعطاه الناقتين وجملاً كان تحته فحلاً، وقال في نفسه: إن هذه المكرمة ما سبقني إليها أحد من العرب فجعل على نفسه ألا يسمع بموؤدة إلا فداها فجاء الإسلام وقد فدى ثلاثمائة موؤدة وقيل أربعمائة.

* * *

٢٢١٩- الحمد لله مصرف الأحوال ومحقق الآمال، ورافع الظلم وإن طال، وأخيراً جرَّ الطغاة المتعجرفون أذيال الهزيمة بعد أن وهت قواهم وتحطمت معنوياتهم على الصخرة العربية والإسلامية في العراق

وأفغانستان، وكانوا يظنون أن الله غافل عما يفعل الظالمون فهو سبحانه وتعالى يمهل ولا يهمل، وما الأرواح التي أزهقت بالآلاف بل مئات الآلاف من الأطفال والعجائز والشيوخ وغيرهم الذين هدمت بيوتهم على رؤوسهم وأمسوا تحتها جثثاها مدة ممزقة بفعل آلة هذا الظالم العنيد ما هي من نظر الله ببعيد ولا عن علمه بخافية ولكنه سبحانه وتعالى سينتقم لهم من هؤلاء الظلمة المعتدين لا محالة، لقد تشظت جبهة هذا المعتدى وتصدع يافوخة من مناطحة هذه الصخرة العربية الإسلامية، ولم يغنه من استفزهم واستنجد بهم من الدول المنافقة من حلف الأطلسي بقوة (ألا يساف) الذين فزعوا بقوات رمزية لإثبات وجودهم، وسبق أن قلت أن من يساعدون هذا الطاغي على طغيانه ليس حباً له ولا من باب المساعدة والمساندة وإنما هو في الحقيقة من باب التوريط وزيادة الإرهاق والإضعاف وزيادة كراهية الناس له، وهذا ما حصل وموقفهم هذا شبيه بموقف ما يقارب خمسين دولة شاركت الظالم في حرب الخليج الثانية على عهد بوش الأب، دخلوا معه ليوهموه أنهم يساعدونه ولكنهم في الحقيقة ليورطوه ويرهقوه، ثم جاء بوش الابن المشئوم على بلده وهوفي رأيي مثل شؤم (قيدار) أحمر ثمود الذي عقر الناقة وتسبب في هلاك ثمود، وهذا بوش الابن أحمر أمريكا الذي تسبب في إنهاك بلده بالنفقات العسكرية لحربه التي دامت نحو ثمان سنوات وأورث جحيماً أكلت الرطب واليابس من الاقتصاد الأمريكي وامتصت مدخرات المؤسسات المالية الكبرى البنك الدولي للإنشاء والتعمير

وصندوق النقد الدولي وغيرهما من المؤسسات المالية ثم التفت كالمجنون يقترض من هنا وهناك فلم يترك مؤسسة كبرى ولا دولة إلا استدان منها بأرباح مركبة حتى بلغت ديون أمريكا الخارجية أكثر من ستة عشر تريليون دولار مما سبب وقوف أمريكا على حافة الانهيار ووضعها الخطر خلفها أوهامه الجنونية المبنى معظمها على البهتان والأكاذيب التي صاغتها الصهيونية الأمريكية وهرول خلفها بدون تعقل المحافظون الجدد وقادهم بوش الابن الذي تسبب في تدهور أمريكا ووصولها إلى الحد المزري الذي توقف عن تمويل نفقات زيارة الرئيس باراك أوباما لاجتماع الدول العشرين بسبب الأزمة المالية الخانقة التي أوشكت أن تؤدي بإنهيار الاقتصاد الأمريكي وهذا ولا شك كله بتدبير الله الحي القيوم القوي العزيز ليأخذ بثأر أولئك المسلمين المساكين من عرب مسلمين وأفغان مسلمين الذين سحقتهم آلة القوات الظالمة ودمرت بنيتهم التحتية ودكت مساكنهم على رؤوسهم وكل ما فيها، ودمرت حضارتهم في هذين البلدين بحجة القضاء على أسامة بن لادن والقضاء على القاعدة مما حدا بالشيخ أسامة بن لادن رحمه الله على تفجير نفسه كما تقول إحدى الروايات حينما قبضوا عليه بعد مطاردة قوية وعنيفة وطويلة استمرت سنوات وكانوا حريصين على القبض عليه حياً ليكتشفوا أسرار أمره لكنه فجر نفسه فخيب أملهم وتمزق جسمه فجمعوا أشلاءه ولفوها في قماش وألقوها في البحر ولم يقضوا على القاعدة التي أوجدها بل زادوها انتشاراً في كثير من الأقطار وما تلك

الدمى التي خلفوها لتحكم العراق وأفغانستان إلا مثل الدمى التي خلفوها في فيتنام قبل ذلك فزالت عن الوجود لمجرد انسحابهم، وها هم الآن سينسحبون يجرون أذيال الخيبة والذل في عام ٢٠١٤م متبعين أقصر الطرق البحرية وأرخصها عن طريق بحر البلطيق وغيرها حتى لا يحملوا الاقتصاد الأمريكي مزيداً من الديون فيزيدون الطين بَلّة. بعد أن جاءوا بالأمس يهدرون ويزنون ويرعدون بأساطيلهم وحاملات طائراتهم وصواريخهم العابرة للمحيطات وطائراتهم الجبارة (ب٥٢) وغير ذلك من الأسلحة الفتاكة التي تحدث الدمار والخراب لكل ما دكت من الأرض وما عليها ولم تسلم منها حتى كهوف الجبال التي يختبئ فيها الأفغان وأخيراً "رغى الجمل وخارت قواه" الآن بعد انهيارهم المالي يتوقون إلى وصول أرض بلادهم ولو بثيابهم، وقد اضطرت الحكومة الأمريكية للتخفيف من الوطأة الاقتصادية الموجعة أن تعرض جزءاً من أهم مدخراتها الاقتصادية الاستراتيجية وهو الذهب حيث رفعت سعره إلى أعلى مستوى لعلها أن تحصل من وراء ذلك على ما يعزز وينعش وضعها الاقتصادي ويسند دولارها المترنح تحت ضربات الأزمة المالية كل هذا بسبب الظلم والمفاخرة والغطرسة التي عاشتها أمريكا في عهد البوشين الأب والابن، ومن قبل هذه الحروب كان الناس عموماً والعرب والمسلمين خصوصاً ينظرون لأمريكا باحترام كدولة عظمى تجارية واقتصادية غير معتدية، قبل أن تطل عليهم بوجهها الوقح في حرب فيتنام التي هزمت فيها هزيمة منكرة وانسحبت بذل وخزي،

ولكنها وللأسف لم تتعظ من ذلك وإنما ركبت رأسها ثانية في حرب افغانستان ثم العراق ثم أفغانستان بإيعاز من الصهاينة وعسى أن تكون هذه الحرب هي الأخيرة لينعم الشعب الأمريكي بأمواله وخيرات بلده بدلاً من أن تلتهمها نيران الحروب.

*　　*　　*

٢٢٢٠- عروة بن أذينة، وقفت عليه سكينة بنت الحسين بن على في موكبها ومعها جواريها فقالت: ياأبا عامر، أنت الذي تزعم أن لك مروءة وان غزلك من وراء عفة وأنك تقي؟ قال:نعم. قالت: فأنت الذي تقول:

قالت وأبثثها وجدي فبحت به　　قد كنت عندي تحب الستر فاستتر

ألست تبصر من حولي فقلت لها　　غطى هواك وما ألقى على بصري

قال لها: بلى قالت: هن حرائر إن كان هذا خرج من قلب سليم أو قالت من قلب صحيح. ومرت بعروة بن أذينة إمراة وهو بفناء داره فقالت له: أأنت عروة بن أذينة؟ قال: نعم، قالت: أأنت الذي يقول الناس أنك رجل صالح وأنت الذي تقول:

إذا وجدت أوار الحب في كبدي　　عمدت نحو سقاء القوم ابترد

هبني بردت ببرد الماء ظاهرة　　فمن لحر على الأحشاء يتقد

وكان عروة بن أذينة نازلاً بدار أبي العتيق فسمعه ينشد:

إن التي زعمت فؤادك ملها　　جعلت هواك كما جعلت هوى لها

فيك الذي زعمت بها وكلاكما يبدى لصاحبه الصبابة كلها
ويبيت بين جوانحي حب لها لو كان تحت فراشها لأقلها
ولعمرها لو كان حبك فوقها يوماً وقد ضحيت إذا لأظلها
وإذا وجدت لها وساوس سلوة شفع الفؤاد إلى الضمير فسلها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها بلباقة فأدقها وأحلها
لما عرضت مسلماً لي حاجة أرجو معونتها وأخشى ذلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبي ما كان أكثرها لنا وأقلها
فدنا فقال لعلها معذورة من أجل رقبتها فقلت لعلها

* * *

٢٢٢١- مسلم بن الوليد الأنصاري (صريع الغواني) قال: كنت جالساً في دكان خياط بإزاء منزلي، إذ رأيت طارق ببابي، فقمت إليه فإذا هو صديق لي من أهل الكوفة قد قدم من قُمْ، فسررت له، وكأن انسان لطم وجهي، لأنه لم يكن عندي درهم واحد أنفقه عليه، فسلمت عليه وأدخلته منزلي، وأخذت خفين كانا لي أتجمل بهما فدفعتهما إلى جاريتي وكتبت معها ورقة إلى بعض معارفي في السوق اسأله أن يبيع الخفين ويشتري لي لحماً وخبزاً بشيء سميته، فمضت الجارية وعادت إلى وقد اشترى لها ما قد حددت له، وقد باع الخف بتسعة دراهم فكأنها إنما جاءت بخفين جديدين، فقعدت أنا وضيفي وأمرت الجارية بأن تغلق

الباب مخافة طارق يجئ فيشركنا فيما نحن فيه ليبقي لي وله ما نأكله إلى أن ينصرف، فإنا لجالسان حتى طرق طارق الباب، فقلت لجاريتي: انظري من هذا؟ فنظرت من شق الباب فإذا رجل عليه سواد وشاشية ومنطقة ومعه شاكري (حمال) فخبرتني بموضعه فأنكرت أمري ثم رجعت نفسي ففتحت الباب وخرجت إليه، فترل عن دابته وقال: أأنت مسلم بن الوليد؟ قلت: نعم، قال:كيف لي بمعرفتك؟ قلت: الذي دَلَّك على مترلي يصحح معرفتي، فقال لغلامه: إمض إلى الخياط فاسأله عنه، فمضى فسأله عني، فقال : نعم هو مسلم بن الوليد، وأخرج إليَّ كتاباً من خفه وقال: هذا الكتاب من الأمير يزيد بن مزيد إليَّ يأمرني ألا أفضه إلا عند لقائك، فإذا فيه : إذا لقيت مسلم بن الوليد فادفع له هذه العشرة آلاف درهم التي أنفذها تكون له في مترله، وادفع ثلاثة آلاف درهم نفقة ليتحمل بها إلينا، وأخذت الثلاثة عشر ألفا ودخلت إلى مترلي والرجل معي فأكلنا ذلك الطعام وتوسعت عليَّ فاشتريت فاكهة وأعطيت ضيفي وتبين أن الرجل أحد حجابه.

* * *

٢٢٢٢- محمد بن بشير الخارجي قال: حدث عم الزبير بن بكار: قال هارون الرشيد يوماً لجلسائه أنشدوني شعراً حسناً في امرأة خفرة كريمة، فأنشدوا وأكثروا وأنا ساكت، فقال لي: إيه ياأبا مصعب أما إنك لو

شئت لكفيتنا سائر اليوم فقلت: نعم ياأمير المؤمنين لقد أحسن والله محمد بن بشير الخارجي حيث يقول:

بيضاء خالصة البياض كأنها ... قمر توسط جنح ليل مبرد
موسومة بالحسن ذات حواسد ... إن الحسان مظنة للحسد
وترى مدامعها ترقرق مقلة ... حوراء ترغب في سواد الأثمد
خود إذا كثر الكلام تعوذت ... بحمى الحياء وإن تكلم تقصد
لم يطغها شرف الشباب ولم تضع ... فيها معاهدة النصيح المرشد
وتعرضت لك فاستبتك بواضح ... صلت وأسود في النصيف معقد
وكأن طعم سلافه مشمولة ... بالريق في إثر السواك الأغيد

فقال الرشيد: هذا والله الشعر لا ما أنشدتمونيه سائر اليوم ثم أمر مؤدب ابنيه محد الأمين وعبد الله المأمون فرواهما الأبيات، ولمحمد بن بشير أبيات من قصيدة طويلة يقول فيها:

جنية أولها جن تعلمها ... رمى القلوب بقوس مالها وتر
تجلو بقادمتي ورقاء عن برد ... حمر المفاغر في أطرافها أشر
خود مبتلة ريًّا معاصمها ... قدر الثياب ولا طول ولا قصر
إذا مجاسدها اغتالت فواضلها ... منها روادف فعمات ومؤتزر
إن هبت الريح حنت في تنسمها ... كما يجاوب عود القينة الوتر
بيضاء تعشو بها الأبصار إن برزت ... في الحج ليلة إحدى عشرة القمر

٢٢٢٣-اجتمع في ضيافة سكينة بنت الحسين الشعراء جرير، الفرزدق وكثير عزة، وجميل بثينة، ونصيب، فمكثوا أياماً ثم أذنت لهم فدخلوا عليها، فقعدت حيث تراهم ولا يرونها، وتسمع كلامهم، ثم خرجت وصيفة لها وضيئة قد روت الأشعار والأحاديث فقالت: أيكم الفرزدق؟ فقال هاأنا ذا فقالت: أأنت القائل:

هما دلياني من ثمانين قامة ... كما انحط باز أقتم الريش كاسره

فلما استوت رجلاي بالأرض قالتا ... أَحَيٌّ يرجى أم قتيل نحاذره

فقلت ارفعوا الأمراس لا يشعروا بنا ... وأقبلت في أعجاز ليل أبادره

أبادر بوابين قد وكلا بنا ... وأحمر من ساح تَبُضُّ مسامره

قال: نعم، قالت: فما دعاك إلى إفشاء سرها وسرك هلا سترتها وسترت نفسك؟ خذ هذه ألف درهم ثم الحق بأهلك ثم دخلت إلى مولاتها وخرجت فقالت: أيكم جرير؟ قال: هاأنذا. فقالت أنت القائل:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ... حين الزيارة فارجعي بسلام

تجري السواك على أغر كأنه ... برد تحدر من متون غمام

لو كان عهدك كالذي حدثتنا ... لو صلت ذاك فكان خير رمام

إني أواصل من أردت وصاله ... بحبال لا صلف ولا لوام

قال نعم: قالت: أولا أخذت بيدها ورحبت بها وقلت لها ما يقال لمثلها، أنت عفيف وفيك ضعف خذ هذه ألف درهم والحق بأهلك ثم دخلت

إلى مولاها وخرجت فقالت: أيكم كثير؟ قال: ها أنذا قالت: أنت القائل:

وأعجبني ياعز منك خلائق كرام إذا عد الخلائق أربع

دنوك حتى يطمع الطالب الصِّبا ورفعك أسباب الهوى حين يطمع

فوالله ما يدري كريم مماطل أينساك إذ باعدت أم يتضرع

قال: نعم، قالت: ملحت وشكلت خذ هذه ثلاثة آلاف درهم والحق بأهلك. ثم دخلت على مولاها وخرجت فقالت أيكم نصيب؟ قال: هاآنذا فقالت: أنت القائل:

ولولا أن يقال صبا نصيب لقلت بنفسي النشأ الصغار

بنفسي كل مهضوم حشاها إذا ظلمت فليس بها انتصار

قال: نعم ،فقالت: ربيتنا صغاراً ومدحتنا كباراً خذ هذه أربعة آلاف درهم والحق بأهلك. ثم دخلت إلى مولاها وخرجت فقالت: ياجميل مولاتي تقرئك السلام وتقول لك مشتاقة إلى رؤيتك منذ سمعت قولك:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادي القرى إني إذا لسعيد

لكل حديث بينهن بشاشة وكل قتيل عندهن شهيد

جعلت حديثنا بشاشة وقتلانا شهداء خذ هذه أربعة آلاف درهم والحق بأهلك وقبل البيت الثاني بيت يقول:

يقولون جاهد ياجميل بغزوة وأي جهاد غيرهن أريد

٢٢٢٤-حمزة بن بيض الحنفي وكان من شأنه أنه لما وفد الكميت بن زيد الأسدي إلى مخلد بن يزيد وهو يخلف أباه على خراسان ومدحه بقصيدة أعطاه مئة ألف درهم سوى العروض والحملان فقدم الكوفة في هيئة لم ير مثلها قال حمزة: شخصت إلى مخلد في خراسان فأنزلني وفرش لي وأخذ مني وكساني وخلطني بنفسه، فكنت أسمر معه، فقال لي ليلة أعليك دين ياابن بيض؟ فقلت دعني عن مسألتك إياي عن الدين، إنك قد أعطيت الكميت عطية لست أرضى بأقل منها، وإلا لم أدخل الكوفة ولم أعير بتقصيرك بي عنه، فضحك ثم قال لي: بل أزيدك على ما أعطيت الكميت، فأمر لي بمئة ألف درهم كما أعطى الكميت وزادني عليه في سائر الإلطاف كما صنع به، فلما فرغ من حاجتي أتيته يوماً ومعي تذكرة حاجة القوم من الديات فلما جلس أنشدته:

أتينـــاك في حاجـــة فاقضـــها	وقــل مرحبــاً يجــب المرحــب
ولا لا تكلنـــــا إلى معشــــر	مــتى يعــدوا عــدة يكـــذبوا
فإنــك في الفــرع مــن أشــره	لهم خضــع الشــرق والمغــرب
وفي أدب منــــهم مــــا نشــــأت	ونعــــم لعمــــرك مــــا أدبــــوا
بلغت لعشر مضــت مــن سنيـــ	ـنك ما يبلـــغ الســـيد الأشـــيب
فهمـــك يغشـــى جســـام الأمــور	وهـــم لـــداتك أن يلعبـــوا

فقال: مرحباً بك وبحاجتك. فأخرجت له رقعة القوم ونقلت له حمالات في الديات فتبسم ثم أمر بقضاء حمالاتهم.

٢٢٢٥- جاء يوماً محمد بن صالح الحسني العلوي إلى إبراهيم بن المدبر بعد أن أطلق من الحبس، فقال: أني أريد المقام عندك اليوم على خلوة لأبثك من أمري ما لا يصلح أن يسمعه غيرنا، فقلت: أفعل. فصرفت من كان بحضرتي وخلوت معه، فقال محمد: أعلمك أني خرجت لسنة كذا وكذا ومن معي على القافلة الفلانية فقاتلنا من كان فيها فهزمناهم وملكنا القافلة، وبينما أنا أحوز القافلة إذ طلعت علينا إمرأة من العمّارية ما رأيت قط أحسن منها وجهاً ولا أحلى منطقاً فقالت: يافتى إن رأيت أن تدعو لي بالشريف المتولي على هذا الجيش فإن له عندي حاجة، فقلت رايته وسمع كلامك، فقالت: سألتك بحق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أنت هو؟ فقلت: نعم، قالت: أنا حمدونة بنت عيسى بن موسى الحربي، ولأبي محل من سلطانه، ولنا نعمة إن كنت سمعت بها فقد كفاك ما سمعت، وإن كنت لم تسمع بها فسل عنها غيري وما اسألك إلا أن تصونني وتسترني، وهذا ألف دينار لنفقتي فخذها حلالاً وهذا الحُلِي عَلَيَّ من خمسمائة دينار فخذه، وضمني ما شئت بعد آخذه لك من تجار المدينة أو مكة أو من أهل الموسم، فليس منهم أحد يمنعني شيئاً أطلبه وادفع عني واحمني من أصحابك ومن عار يلحقني، فناديت أصحابي فاجتمعوا فقلت لهم: إني قد أجرت هذه القافلة وأهلها وخفرها وحميتهاولها ذمة الله ورسوله وذمتي فما أخذ منها خيطاً ولا عقالاً فانصرفوا معي وانصرفت، فلما أخذت وحبست بينما أنا ذات يوم في محبسي إذ جاءني السجان وقال: إن بالباب إمراتين تزعمان أنهما من

أهلك، وقد حضر على أن يدخل عليك أحد، إلا أنهما أعطتان دملج ذهب وجعلناه لي إن أنا أوصلتهما إليك، وقد أذنت لهما وها هما في الدهليز، فخرجت إليهما فإذا بصاحبتي في القافلة، فلما رأتني بكت لما رأت تغير خلقي وثقل الحديد علي، فأقبلت عليها الأخرى فقالت: أهو هو؟ فقالت: أي والله هو هو، ثم قالت: فداك أبي وأمي والله لو استطعت أن أقيك مما أنت فيه لفعلت وكنت بذلك مني حقيقاً وخلاصك بكل حيلة وشفاعة، وهذه دنانير وثياب وطيب فاستعن بها على موضعك ورسولي يأتيك كل يوم بما يصلحك حتى يفرج الله عنك ثم أخرجت لي كسوة وطيباً ومئتي ديناراً، وكان رسولها يأتيني كل يوم بطعام نظيف ويتواصل برها بالسجان حتى منَّ الله بخلاصي، ثم راسلتها وخطبتها فقالت: أما من جهتي فأنا لك متابعة مطيعة، والأمر إلي أبي فأتيته فخطبتها فردني وقال: ماكنت لأحقق عليها ما قد شاع في الناس عنك في أمرها وقد صيرتنا فضيحة فقمت من عنده منكساً مستحياً وقلت له في ذلك:

رموني وإياهــا بشــنعاء هــم بهــا — أحــق أو إلى الله منــهم فعجــلا

بــأمر تركنــاه وحــق محمــد — عيانــا فإمــا عفــة أو تجمــلا

فقلت له (اي إبراهيم المدبر) إن عيسى صنيعة أخي وهو مطيع لي وأنا أكفيك أمره وذهبت إلى عيسى وطلبت منه أن يخطب الفتاة فاتجه إلى أبيها وقال له: جئتك خاطباً ابنتك فقال: هي أمة وأنا لك عبد وقد أجبتك، فقال عيسى: خطبتها لمن هو خير مني أباً وأماً وأشرف صهراً

ومتصلاً محمد بن صالح العلوين فقال له: هذا الرجل لحقنا بسببه ظنه وقيلت فينا أقوال، فقال: أليست باطلة؟ قال: بلى والحمد لله، قلت: فكأنها لم تقل، وإذا وقع النكاح زال كل قول وتشنيع، قال عيسى: ولم أزل أرفق به حتى أجاب فتزوجها محمد وصارت زوجته.

* * *

٢٢٢٦- امتدح ربيعة بن ثابت الرقي العباس بن محمد بن علي بن عباس بقصيدة لم يسبق إليها حسنا وهي طويلة منها:

لو قيل للعباس ياأبن محمد … قل: لا ، وأنت مخلد ما قالها

ما إن أعد من المكارم خصلة … إلا وجدتك عمها أو خالها

وإذا الملوك تسايروا في بلدة … كانوا كواكبها وكنت هلالها

إن المكارم لم تزل معقولة … حتى حللت براحيتك عقالها

فبعث إليه بدينارين، وكان يقدر فيه ألفين، فلما نظر إلى الدينارين كاد يجن غيظاً وقال للرسول: خذ الدينارين فهما لك على أن ترد الرقعة من حيث لا يدري العباس، فقبل الرسول ذلك فأخذها ربيعة وكتب في ظهرها:

مدحتك مدحة السيف المحلي … لتجري في الكرام كما جريت

فهبها مدحة ذهبت ضياعاً … كذبت عليك فيها وافتريت

فأنت المرء ليس له وفاء … كأني إذ مدحتك قد زنيت

ثم دفعها إلى الرسول: وقال له: ضعها في الموضع الذي أخذهما منه فردها الرسول إلى موضعها فلما كان من الغد أخذها العباس فنظر فيها فلما قرأ الأبيات غضب وقام من وقته فركب إلى الرشيد، وكان أثيراً عنده يبجله ويقدمه، وكان قد هم أن يخطب إليه ابنته فرأى الكراهة في وجهه فقال: ما شأنك؟ قال: هجاني ربيعة الرقي، فأحضر، قال له الرشيد: ياماص كذا وكذا من أمه، أتهجو عمي وآثر الخلق عندي؟ لقد هممت أن أضرب عنقك، فقال والله يا أمير المؤمنين لقد مدحته بقصيدة ما قال مثلها أحد من الشعراء في أحد الخلفاء، ولقد بالغت في الثناء وأكثرت في الوصف فإن راى أمير المؤمنين أن يأمره بإحضارها، فلما سمع الرشيد منه ذلك سكن غضبه وأحب أن ينظر في القصيدة، فأمر العباس بإحضار الرقعة فتلكأ عليه فقال له الرشيد، سألتك بحق أمير المؤمنين إلا أمرت بإحضارها فأحضرت فأخذها الرشيد وإذا فيها القصيدة بعينها فاستحسنها واستجادها وأعجب بها وقال: والله ما قال أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها، لقد صدق ربيعة وبر، ثم قال للعباس: كم أثبته عليها؟ فسكت العباس وتغير لونه وجرض بريقه فقال ربيعة: أثابني عليها ياأمير المؤمنين بدينارين، فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من الموجدة (الغضب) على العباس، فقال: بحياتي يارقي بكم أثابك، فقال : وحياتك يا أمير المؤمنين ما أثابني إلا بدينارين، فغضب الرشيد غضباً شديداً ونظر في وجه العباس بن محمد وقال: سوءة لك أي حال قعدت بك عن إثابته؟ أقلة المال؟ فوالله لقد مولتك جهدي، أم انقطاع المادة عنك؟

فوالله ما انقطعت أن أصلك؟ فهو الأصل لا يدانيه شيء، أم نفسك؟ فلا ذنب لي، فوالله لم تبخل بك إلا نفسك حتى فضحت آباءك وأجدادك، وفضحتني ونفسك، فنكس العباس رأسه ولم ينطق فقال الرشيد: ياغلام أعط ربيعة ثلاثين ألف درهم وخلعة واحمله على بغلة فما حمل المال بين يديه والبس الخلعة قال الرشيد: بحياتي يارقي لا تذكره في شعرك تعريضاً ولا تصريحاً، وفتر الرشيد عما كان هم به من أن يتزوج إليه، وظهر منه له بعد ذلك جفاء كثير وإطِّرَاحٍ له.

* * *

٢٢٢٧- وفد الكميت بن زيد الأسدي على يزيد بن عبد الملك، فدخل عليه يوماً وقد اشتريت له الجارية سَلاَّمة القِسْ فأدخلها إليه والكميت حاضر فقال له: ياأبا المستهل هذه جارية تباع أفترى أن نبتاعها؟ قال: أي والله ياأمير المؤمنين وما أرى أن لها مثلاً في الدنيا فلا تفوتنك، قال: فصفها لي في شعر حتى أقبل رأيك فقال الكميت:

هي شمس النهار في الحسن إلا ... أنها فضلت بقتل الطراف

غضة بضة رخيم لعوب ... وعثة المتن شختة الأطراف

زانها دلها وثغر نقيٌّ ... وحديث مرتل غير خاف

خلقت فوق منية المتمني ... فاقبل النصح يابن عبد مناف

فضحك يزيد وقال: قد قبلنا نصحك يا أبا مسهل وأمر له بجائزة سنية.

٢٢٢٨- أصابت بني نبهان من طيئ سنة ذهبت بالأموال (من الإبل وغيرها من المواشي فخرج رجل منهم بعياله حتى أنزلهم الحيرة، فقال لهم: كونوا قريباً من الملك يصيبكن من خيره حتى أرجع إليكن، وآلي أَلِيَّةً لا يرجع حتى يكسبهن خيراً أو يموت، فتزود زاداً ثم مشى يوماً إلى الليل، فإذا هو بمهر مقيد يد ورجل (مهجور) حول خباء فقال: هذا أول الغنيمة، فذهب يحله ويركبه، فنودي خل عنه وأغنم نفسك، فتركه ومضى سبعة أيام حتى انتهى إلى عطن(مراح) إبل مع تطفيل الشمس (قرب غروبها) فإذا خباء عظيم وقبة من أدم فقال في نفسه:ما لهذا الخباء بد من أهل وما لهذه القبة، يد متدرب، وما لهذا العطن بد من إبل، فنظر في الخباء فإذا شيخ كبير قد اختلفت ترقوتاه من الكبر كأنه نسر، قال فجلست خلفهن فلما وجبت الشمس (غابت) إذا فارس قد أقبل لم أر فارساً قط أعظم منه ولا أهم، على فرس مشرف، ومعه أسودان يمشيان جنبه، وإذا مئة من الإبل معها فحلها، فبرك الفحل وبركت حوله ونزل الفارس فقال لأحد عبديه: أحلب فلانة (أحد النياق) ثم أسق الشيخ فحلب في عس (وعاء) حتى ملأه ووضعه بين يدي الشيخ وتنحى فكرع منه الشيخ (الكرع الشرب من فم الإناء) مرة أو مرتين ثم نزع، فثرت إليه فشربته، فرجع العبد فقال: يامولاي قد أتى على آخره، ففرح بذلك وقال: احلب فلانة (ناقة ثانية) فحلبها ثم وضع العس بين يدي الشيخ فكرع منه كرعة واحدة، ثم نزع، فثرت إليه وشربت نصفه وكرهت أن أتي على آخره فأتهم، فجاء العبد فأخذه وقال لمولاه: قد شرب وروي،

قال: دعه، ثم أمر بشاة فذبحت وشوى للشيخ منها ثم أكل هو وعبداه، فأمهلت حتى ناموا وسمعت الغطيط، ثرت إلى الفحل فحللت عقاله وركبته فاندفع بي وتبعته الإبل، فمشيت ليلتي حتى الصباح فلما أصبحت نظرت فلم أرى أحداً فشللتها شلاً (أي طردت الإبل) عنيفا حتى تعالى النهار، ثم التفت التفاتة فإذا أنا بشيء كأنه طائر، فمازال يدنو حتى تبينته، فإذا هو فارس على فرس، وإذا هو صاحبي بالأمس فعقلت الفحل ونثلت ووقفت بينه وبين الإبل، فقال لي: أحلل عقال الفحل، فقلت: كلا لقد خلفت نسيات (بنيات) بالحيرة وآلَيْتُ أَلِيَّةً لا أرجع حتى أفيدكن أو أموت، قال: فإنك لميت، حل العقال لا أم لك، فقلت : ما هو إلا ما قلت لك، قال: إنك لمغرور، أنصب لي خطابه وأجعل فيه خمس عجر(عقد) ففعلت، فقال: أين تريد أن أضع سهمي؟ فقلت في هذا الموضع، فكأنما وضعه في يد ثم أقبل يرمي حتى أصاب الخمس بخمسة أسهم، فرددت نبلي وحططت قوسي ووقفت مستسلماً فدنا مني وأخذ السيف والقوس ثم قال: أرتدف خلفي، وعرف أني الرجل الذي شرب اللبن عنده، فقال: ما ظنك بي، فقلت: أسوأ ظن، قال: وكيف قلت لما لقيت من تعب ليلتك؟ وقد أظفرك الله بي، فقال: أترانا كنا نهيجك وقدبت تنادم مهلهلاً (والدزيد) قلت: أزيد الخيل أنت؟ قال: نعم أنا زيد الخيل فقلت: كن خير آخذ، فقال: ليس عليك بأس، فمضى إلى موضعه الذي كان فيه، ثم قال: أما لو كانت هذه

الإبل لي لسلمتها إليك،لكنها لبنت مهلهل (أخته) فأقسم عليَّ فإني على شرف غارة، فأقمت أياماً ثم أغار على بني نمير بالملح الذي قال فيه:

ويـــوم الملـــح ملـــح بـــني نمـــير أجبـــتكم بأظفـــار ونـــاب

فأصاب مئة بعير، فقال: هذه أحب إليك أم تلك ؟ قلت هذه، قال: دونكها وبعث معي خفراء من ماء إلى ماء حتى وردوا بي الحيرة فلقيني نبطي فقال: ياأعرابي: أيسرك أن يكون بابلك بستانا من هذه البساتين؟ قلت: وكيف ذاك؟ قال: هذه قرب مخرج نبي يخرج فيملك هذه الأرض ويحول بين أربابها وبينها حتى أن أحدهم ليبتاع البستان من هذه البساتين بثمن بعير (ويعني بذلك النبي محمد صلى الله عليه وسلم) فاحتملت بأهلي حتى انتهيت موضع الشيطين فبينما نحن بالشيطين على ماء لنا قد كان الحوفزان بن شريك أغار على بن تميم فجاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مضت أيام حتى اشتريت بثمن بعير من إبلي بستاناً بالحيرة.

* * *

٢٢٩- قال محمد بن الحجاج الأسدي التميمي حججت فلما صرت بمران منصرفاً من الحج وإذا أنا بغلام أشعث الذؤابة قد أورد غنيمات له فاستنشدته فقال: إني مشغول عنك ولكني أرشدك إلى ما تحت انظر لذلك البيت يلقاك فيه حاجتك، هذا بيت خرقاء ذي الرمة، ومضيت نحوه فطوحت بالسلام من بعيد، فقالت أدنه، فدنوت فقالت: إنك

لحضري فمن أنت؟ قلت: من بني تميم وأنا أحسب أنها لا معرفة لها بالناس،فقالت: من أي تميم؟ فأعلمتها فلم تزل تترل بي فقالت: الحجاج بن عمير بن يزيد؟ قلت: نعم فقالت: رحم الله أبي المثني، ثم قالت: حياك الله يابني وقربك، من أين أقبلت؟ قلت: من الحج، فقالت: فمالك لم تمرني وأنا أحد مناسك الحج، وإن حجك ناقص، فأقم حتى تحج أو تكفر بعتق، قلت وكيف ذاك، قالت: أما سمعت قول غيلا ابن عمك:

تمام الحج أن تقف المطايا ... على خرقاء واضعة اللثام

قال: وكانت هي قاعدة بفناء البيت كأنها قائمة من طولها، بيضاء شهلاء فخمة الوجة، فسألتها عن سنها فقالت: لا أدري إلا أني كنت أذكر شمر بن ذي الجوشن حين قتل الحسين عليه السلام ولما أنشدتني خرقاء بيت ذي الرمة فيها قلت: هيهات ياعمة قد ذهب ذلك منك، قالت: لا تقل يابني أما سمعت قول القحيف العقيلي:

وخرقاء لا تزداد إلا ملاحة ... ولو عمرت تعمير نوح وحلت

ثم قالت: رحم الله ذا الرمة، كان رقيق البشرة، عذب المنطق، حسن الوصف، مقارب الرصف، عفيف الطرف ثم أنشدتني لنفسها في ذي الرمة:

لقد أصبحت في فرعي معدٍّ ... مكان النجم في فلك السماء

إذا ذكرت محاسنه تذرت ... بحار الجود من نحو السماء

حصين شاد باسمك غير شك ... فانت غياث محل بالفناء

إذا ضـــنت ســـحابة مـــاء مـــزن تـــشج بحـــار جـــودك بـــارتواء
لقد مطرت باسمـــك أرض قحـــط كمـــا مطـــرت عـــدي بـــالثراء

فقلت: أحسنت ياخرقاء، فهل سمع ذلك منك ذو الرمة؟ قالت: إِيْ وَرَبِّي.

* * *

٢٢٣٠- يحكي أن امرأة محتالة مخادعة أوقعت برجل برئ أخذه حسن النية والعاطفة ولم يدرك مكر المرأة وخداعها، فقد كان جالساً مع رفاقه التجار في أحد تجمعاهم حين وقفت امرأة غير بعيد عنهم وأشارت بيدها للرجال، فقام أحدهم الذي دفعته الشهامة والنخوة وسرعة الفزعة إلى المرأة، فلما وصلها قالت له: إنني امرأة تزوجني رجل وسافر من عندي منذ أكثر من عشر سنوات ولم يردني منه أي خبر، وصرت كل هذه المدة والآن نفد صبري ولا استطيع الصبر أكثر من ذلك وأريد منك خدمة تخلصني بها من زوجي الغائب، أريد أن تذهب معي إلى القاضي وتقول له:إنني تزوجت هذه المرأة وأجبرتني ظروف حياتي إلى السفر لمكان بعيد وجئت هنا لأطلقها وأعطيها حريتها لتزوج وسأعود إلى مقر عملي في المكان الذي أعمل فيه وربما لن أعود هنا مرة أخرى والآن سأطلقها على يديك أيها القاضي واسمي فلان بن فلان الفلاني واسمها فلانة بنت فلان الفلاني (ولم يكن في ذلك الوقت يوجد هويات بأسماء الأشخاص، وإنما يأتي الموضوع على ما يدلي به الشخص من معلومات شفهية يعتمد عليها القاضي). خف الرجل وانطلق مع المرأة

التي سرقه كلامها وما أدلت فيه من مبررات وعندما وصل معها إلى القاضي أدلى بالكلام الذي قالت له، وطلق المرأة ثلاثاً بتاتا أمام القاضي وعندما سجل القاضي اسميهما وأراد الانصراف قالت له: قف مكانك ثم توجهت بكلامها للقاضي قائلة: أيها القاضي إنني أريد نفقتي خلال هذه السنوات العشر التي غاب عني فيها، وهنا وقع الرجل في المأزق، فلا هو يستطيع أن يتراجع عن كلامه بأنه زوج المرأة التي طلقها ولا هو يستطيع أن يتخلص من هذه الورطة، فقال القاضي: كم تطلبين منه نفقة؟ فقالت: نفقة العشر سنوات لا تقل عن ألف دينار ذهب عن كل سنة مئة دينار، ولن أرضى بدون ذلك، فقال القاضي: أحضر لها ألف دينار حتى أكتب لك مخالصة منها، فاضطر مرغماً أن يدفع لها ألف دينار، وعندما انصرفا من عند القاضي أعطته مما دفع لها عشرين ديناراً وهي تضحك على سذاجته، وقلبه يكاد يتقطع آسى وحزناً على ما حدث.

* * *

٢٢٣١-الموت صفة وجودية خلقت ضد الحياة، والخوف من الموت والفناء ليس مقصوراً على الإنسان فقط وإنما هو عام لكل المخلوقات ذوات الأرواح الحيوان، الطير، الحشرات وحتى أصغر المخلوقات الكبيرة الأليفة كالإبل والبقر والخيل والغنم والجواميس والفيلة وغيرها تخاف من الإنسان والسباع الضارية التي تفترسها وتميتها وتمزق أشلاءها والسباع

يخاف بعضها من بعض ويخاف بعضها من الإنسان، الأسود والفهود والنمور تخاف من بعضها ومن قتل الإنسان لها بل ربما خافت الوحوش الضواري من حيوانات أصغر منها أن تهلكها فقد شاهدت في إحدى القنوات الفضائية أسداً شرساً وقد هجم عليه حيوان صغير بحجم النمس أو هو أصغر منه وصار يهجم على الأسد وينهشه بأنيابه من أعلى براثنه وأسفل قوائمه ثم يهرب قليلاً عنه ثم يُعيد الهجوم المرة تلو الأخرى حتى أدمى براثن الأسد ونزفت دماً والأسد لا يستطيع أن يمسك بذلك الحيوان الصغير فما كان منه إلا أن هرب وقوائمه تترف دماً وهذا الحيوان يطارده في انهزامه، ورأيت لبؤة تطارد قرداً وقد صعد شجرة فصعدت على جذع الشجرة وارتفعت عليها فما كان من القرد إلا أن قفز من رأس الغصن إلى رأس غصن في شجرة أخرى وهرب منها بدافع الخوف من الموت والهلاك، والظباء بأنواعها والجواميس البرية التي تطاردها الوحوش من الأسود والفهود والنمور تهرب منها بالقطعان خوفاً من الموت وأحيانا تهاجم تلك السباع التي تضطر أمام الكثرة من الجواميس إلى الإنهزام والنجاة من الموت والفناء والقوارض والطيور الصغيرة تهرب من الثعابين والحيات، التي تلتهمها وتزدردها، والحيات والثعابين نفسها تخاف من الإنسان أن يقتلها ومن القنافذ أن تأكلها وتهلكها وقد شاهدت بعيني حية يأكلها قنفذ حيث أمسك بذنبها وانكمش وتكور وبدأ يجذبها شيئاً فشيئاً ويقرضها مع ذنبها وهي تتلوى وتلتف حول تكوره الشكوكي وتضرب فيه برقبتها فوقفت أشاهدها

حتى أتت على الحية بضرف حوالي ساعة فلما قربت من رأسها بعد أن ماتت الحية لفظته القنفذ وأنا أشاهده، كما تخاف الحية والثعبان من الإنسان وتروغ عنه كما قال عمير بن شييم القطامي:

فردت سلاماً كارهـــاً ثم أعرضـــت كما انحازت الأفعى مخافة ضارب

والذئب من أشرس السباع وأكثرها إقداماً ومع ذلك فهو أكثرها خوفاً وفزعاً فهو جريئ عن الهجوم والافتراس وشديد الخوف من الإنسان أو غيره لدرجة أنه إذا نام يغمض إحدى عينيه ويبقي الأخرى مفتحة خشية أن يباغته خطر الموت كما قال حميد بن ثور الهلالي:

ونمت كنوم الذئب عن ذي حفيظة أكلت طعاماً دونه وهـــو جـــائع

ينـــام بإحـــدى مقلتيـــه ويتقـــي بأخرى الأعادي فهو يقظان هاجع

والغراب من الطيور المتوسطة أكثرها حذراً وخوفاً، فهو حذر يتلفت يميناً وشمالاً وفوقاً وتحتاً مخافة أن يغدر به أحد، وهناك حكاية تقول: إن الغراب كان يوصي ابنه قائلاً: إذا رأيت إنساناً إنحنى إلى الأرض ربما ليلتقط حجراً يرميك به، فعليك أن تطير وتهرب عنه فقال الابن: إن مجرد اقتراب الإنسان مني، فسأطير وأهرب عنه إذ ربما أخذ الحجر معه في عبه أو يده قبل أن أراه، والطيور الصغيرة من أشدها حذراً العصفور فهو كثير التلفت والقفز، وبمجرد نظر الإنسان إليه فإنه يطير ويبتعد خوفاً من أن يصيبه بأذى يؤدي إلى هلاكه، الكل يخاف من الموت والفناء وحتى الحشرات الصغيرة يعتريها الخوف من الموت والهلاك،

فالبعوضة تنزل على جسم الإنسان لتمتص من دمه فإذا أحست بأي حركة منه طارت بسرعة هائلة وزاغت من بين يديه والدود يَدبُّ على الأرض فإذا أحس بخطر خاف من الموت وتراجع أو توقف أو غير مساره، وقد شاهدت دوداً يصعد على عود حتى إذا وصل إلى رأس العود وشعر أنه سيسقط عاد وانحرف مع الطريق الذي جاء منه وحتى النمل شاهدته يسير على حافة صخرة مقعرة يمكن أن يسقط منها على الأرض فما كان منه إلا أن عاد أدراجه مع الطريق الذي جاء منه وغير ذلك من المخلوقات التي هي أصغر مما ذكرت، الكل يخشى الموت والفناء الإنسان والحيوان والطير والحشرات والأسماك والأحياء البحرية وكل ذات روح فسبحان الخالق العظيم القائل في كتابه العزيز﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾سورة الملك، الآية: ٢

*   *   *

٢٢٣٢- دخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان وهو يتأوه فقال: ياأمير المؤمنين لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب وفنون الأسمار! قال: لست صاحب هزل والجد مع علتي أحجي لي، قال: وما علتك ياأمير المؤمنين؟ قال: هاج بي عرق النَّسَا في ليلتي هذه فبلغ مني، قال: فإن بُدَيْح المليح مولاي أرقى الناس منه، فوجه إليه عبد الملك، فلما مضى الرسول سقط في يدي ابن جعفر، وقال: كذبة قبيحة على الخليفة فما كان أسرع من أن طلع بديح، فقال: كيف رقيتك في عرق النسا؟

قال: أرقى الخلق ياأمير المؤمنين، قال: فَسُرِّي عن عبد الله لأن بديحاً كان صاحب فكاهة يعرف بها، فمدَّ رجله فتفل عليها ورقاها مراراً فقال: عبد الملك : الله أكبر وجدت خِفّاً، ياغلام أدع فلانة حتى تكتب الرقية، فإنا لا نأمن هيجها بالليل فلا ندع بديحاً، فلما جاءت الجارية قال بديح: ياأمير المؤمنين إمرأته بالطلاق إن كتبتها حتى تعجل حبائي (جائزتي) فأمر له بأربعة آلاف درهم فلما صار المال بين يديه، قال وامرأته بالطلاق إن كتبتها أو يعيد المال إلى منزلي، فأمر به فحمل إلى منزله، فلما أحرزه قال: يا أمير المؤمنين إمرأته بالطلاق إن كنت قرأت على رجلك إلا أبيات نصيب بن رباح:

ألا إن ليلى العامرية أصبحت ... على النأي مني ذنب غيري تنقم

وذكر الأبيات وزاد فيها:

ومازلت أستصفى لك الود ابتغى ... محاسنه حتى كأني مجرم

قال: ويلك ما تقول؟ قال: امرأته بالطلاق إن كان رقاك إلا بما قال فاكتمها علي قال: وكيف ذاك وقد سارت بها البرد إلى أخيك بمصر فطفق عبد الملك ضاحكاً يفحص برجليه الأرض.

* * *

٢٢٣٣- مَرَّ الحزين الكناني بجعفر بن محمد بن عبد الله بن نوفل وعليه أطمار فقال له: ياأبن الشعثاء إلى أين أصبحت غادياً؟ قال: أمتع الله بك نزل عبد الله بن عبد الملك الحَرَّة يريد الحج، وقد كنت وفدت إليه في مصر

فأحسن إليَّ، قال: فما وجدت شيئاً تلبسه غير هذه الثياب؟ قال: استعرت من أهل المدينة فلم يعرني أحد منهم شيئاً ألبسه غير هذه الثياب، فدعا جعفر غلاماً له فقال: أئتني بجبة صوف وقميص ورداء، فجاء بذلك فقال: إلبس وأبل وأخلق فلما ولّي الحزين قال جلساء جعفر له: ما صنعت؟ إنه يعمد إلى هذه الثياب التي كسوته بها فيبيعها ويفسد بثمنها، قال: ما أبالي إذا كافأته بثيابه ما صنع بها، فسمع الحزين قولهم ومارد عليهم، ومضى حتى آتى عبد الله بن عبد الملك (بن مروان) فأحسن إليه وكساه فلما أصبح الحزين أتى جعفراً ومعه القوم الذين لاموه بالأمس وأنشده:

ومازال ينمي جعفر بن محمد ... إلى المجد حتى عبهلته عواذله
وقلن له هل من طريف وتالد ... من المال إلا أنت في الحق باذله
يحولنه عن شيمة قد علمنها ... وفي نفسه أمر كريم يحاوله

ثم قال: بأبي أنت وأمي قد سمعت ما قالوا وما رددت عليهم:

* * *

٢٢٣٤- قال علي بن القاسم طارمة: كنت مع المعتصم لما غزا الروم فجاء بعض سراياه بخبر عمه (إبراهيم بن المهدي وخروجه على المأمون) فركب من فوره وسار أجد سير وأنا أسايره فسمع منشداً يتمثل في عسكر:

إن الأمور إذا انسدت مسالكها ... فالصبر يفتح منه كل ما ارتتجا

لا تيأسن وإن طالت مطالبة إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

فسر بذلك وطابت نفسه ثم التفت إليّ وقال: ياعلي أتروي هذا الشعر؟ قلت: نعم، قال: من يقوله؟ قلت: محمد بن يسير الرياشي فتفاءل باسمه ونسبه وقال: أمر محمود وسير سريع يعقب هذا الأمر ثم قال: أنشد الأبيات فأنشدته قوله:

ماذا يكلفك الروحات والدلجا البر طوراً وطوراً تركب اللججا

كم من فتى قصرت في الرزق خطوته ألفيته بسهام الرزق قد فلجا

لا تيأسن وإن طالت مطالبة إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

إن الأمور إذا انسدت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومد من القرع للأبواب أن يلجا

فاطلب لرجلك قبل الخطو موضعها فمن علا زلقا عن غرة زلجا

ولا يغرنك صفو أنت شاربه فربما كان بالتكدير ممتزجا

لا ينتج الناس إلا من لقاحهم يبدو لقاح الفتى يوماً إذا نتجا

* * *

٢٢٣٥- قال الأحنف بن قيس: ذكرت بلاغة النساء عند زياد (ابن أبيه حاكم العراق) فحدثته أن قيس بن عاصم أسلم وعنده إمرأة من بني حنيفة، فأبى أهلها وأبوها أن يسلموا وخافوا إسلامها فاجتمعوا إليها، وأقسموا أنها إن أسلمت لم يكونوا معها في شيء ما بقيت(أي تبرؤا منها)

فطالبت قيساً بالفرقة ففارقها، فلما احتملت لتلحق بأهلها قال لها قيس: أما والله لقد صحبتيني سَارَّة، ولقد فارقتني غير عارة(مصابة بمكروه) لا صحبتك مملولة ولا أخلاقك مذمومة، ولولا ما اخترت ما فرق بيننا إلا الموت، ولكن أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أحق أن يطاع، فقالت: انبئت بحسبك وفضلك، وأنت والله للدائم المحبة، الكثير المؤدة، القليل اللائمة، المعجب الخلوة، البعيد النبوة، ولتعلمن أني لا أسكن بعدك إلى زوج، فقال قيس: ما فارقت نفسي شيئاً قط فتبعته كما تبعتها.

* * *

٢٢٣٦- قال محمد بن حازم بن عمرو الباهلي في مدح الشباب وذم الشيب:

لا حين صبر فخل الدمع ينهمل ... فقد الشباب بيوم المرء متصل

سقيا ورعيا لأيام الشباب وإن ... لم يبق منه له رسم ولا طلل

جرَّ الزمان ذيولاً في مفارقه ... وللزمان على إحسانه علل

وربما جرَّ أذيال الصِّبَا مرحاً ... وبين برديه غصن ناعم خضل

يصبي الغواني ويزهاه بسرته ... شرخ الشباب وثوب حائك رَجِلْ

لا تكذبن فما الدنيا بأجمعها ... من الشباب بيوم واحد بدل

كفاك بالشيب عيبا عند غانية ... وبالشباب شفيعاً أيها الرجل

بان الشباب وولى عنك باطله ... فليس يحسن منك اللهو والغزل

أما الغواني فقد أعرضن عنك قلـــى وكان إعراضهن الدل والخجـــل
أعرنك الهجر ما لاحـــت مطوقـــة فلا وصال ولا عهـــد ولا رســـل
ليـــت المنايـــا أصـــابتني بأســـهمها فكن يبكين عهدي قبـــل أكتـــهل
عهد الشباب لقد أبقيت لي حزنـــا ماجد ذكرك إلا جـــدَّ لي ثكـــل
إن الشباب إذا مـــا حـــل رائـــده في منهل راد يقفو إثـــره أجـــل

*   *   *

٢٢٣٧- قال معبد اليقطيني (المغنى) كنت ذات يوم بمترلي، وإذا ببابي يدق، فخرج غلامي، ثم رجع فقال: على الباب فتى ظاهر المروءة يستأذن عليك فأذنت له، فدخل علي شاب ما رأيت أحسن وجهاً منه، ولا أنظف ثوباً ولا أجمل زياً منه، من رجل دنف عليه آثار السقم ظاهر، فقال لي: أرجو لقاءك منذ مدة فلا أجد إليه سبيلاً وإن لي حاجة، فقلت: ما هي؟ فأخرج ثلاثمائة دينار (ذهب) فوضعها في يدي ثم قال: اسألك أن تقبلها وتصنع في بيتين قلتهما لحناً تغنيني به، فقلت: هاقما فأنشدهما وقال:

والله ياطرفي الحـــاني علـــى بـــدني لتطفئن بـــدمعي لوعـــة الحـــزن
أو لابوحن حتى يحجبـــوا ســـكني فلا أراه ولو ادرجـــت في كفـــني

فصنعت لهما لحناً ثم غنيته إياه، فأغمي عليه حتى ظننته مات، ثم أفاق فقال: أعد فديتك، فناشدته الله في نفسه وقلت: أخشى أن تموت،

فقال: هيهات! أنا أشقى من ذلك ومازال يخضع لي حتى أعدته، فصعق صعقة أشد من الأولى، حتى ظننت أن نفسه قد فاضت، فلما أفاق أعدت الدنانير إليه ووضعتها بين يديه فقلت: ياهذا لا حاجة لي في الدنانير، فقلت: لا والله ولا بعشرة أضعافها إلا على ثلاث شرائط، قال: وما هن؟ قلت: أولها أن تقيم عندي وتتحرم بطعامي، والثانية أن تشرب من النبيذ تشد قلبك وتسكن مابك، والثالثة أن تحدثني بقصتك، فأخذ الدنانير ودعون بطعام وشراب وغنيته بشعر غيره في معناه، فجعل يبكي أحر البكاء وينشج أشد النشيج وينتحب، فلما رأيت ما به خف قلت حدثني حديثك قال: أنا رجل من أهل المدينة خرجت متنزها في ظاهرها وقد سال العقيق (واد من أودية المدينة) في فتية من أقراني فبصرت بقينات خرجن لمثل ماخرجنا له فجلسن حجرة (ناحية) منا وبصرت منهن بفتاة من يلاحظها، فأظللنا وأظللن حتى تفرق الناس، وقد أبقت بقلبي جرحاً عميقاً بطيئاً اندماله، فعدت لبيتي وأنا وقيذ، ثم جعلت أتتبعها في طرق المدينة وأسواقها وسقمت حتى أيس مني أهلي، ودخلت ظئرى فاستعلمت حالي وضمنت لي السعي فيما أحبه فأخبرتها بقصتي فقالت: لا بأس عليك، هذه أيام الربيع وهي سنة خصب وأنواء وليس ببعيد عنك المطر فتخرج حيئذ وأخرج معك، فإن النسوة سيخرجن فإذا رأيتها تبعتها حتى أعرف موضعها وأصل بينك وبينها فاطمأنت نفسي وخرجت مع إخواني وإذا نحن والنسوة كفرسي رهان

فأومأت إلى ظئري فجلست حجرة منا (مسافة) ومنهن فأقبلت على إخواني فقلت لقد أحسن القائل:

رمتني بسهم أقصد القلب وانثنت وقد غادرت جرحاً به وندوبا

فأقبلت على صويحباها فقالت: أحسن والله القائل:

بنا مثل ما تشكو فصبراً لعلنا نرى فرجاً يشفي السقام قريباً

ثم تفرق الناس وتبعتها ظئري حتى عرفت مترلها فصارت إليّ وأخذت بيدي ومضينا إليها، فلم تزل تتلطف حتى وصلت إليها فتلاقينا وتداورنا على حال مخالسة ومراقبة وشاع حديثي وحديثها وظهر ما بيني وبينها فحجبها أهلها، وتشدد أبوها، وسألت أبي خطبتها فمضى أبي ومشيخة أهلي فخطبوها، فقال أبوها: لو كان بدأ هذا قبل أن يفضحها ويشهرها لأسفته بما التمس ولكنه فضحها فلم أكن لأحقق قول الناس بتزويجه إياها فانصرفت على يأس منها ومن نفسي.

* * *

٢٢٣٨- دخل حاجب يوماً على يزيد بن المهلب وعنده ثابت قطنه الأسدي الشاعر وكعب الأسقري وكانا لا يفارقان مجلسه فوقف بين يديه فقال له: تكلم ياحاجب، فقال يأذن لي الأمير أن أنشده أبياتاً، قال: لا حتى تبدأ فتسأل حاجتك، قال: أيها الأمير، إنه ليس أحد ولو أطنب في وصفك موفيك حقك ولكن المجهد محسن فلا تهجني بمنع الإنشاد، وتأذن

لي فيه، فإذا سمحت فجودك أوسع من مسألتي، فقال له يزيد: هات فمازلت مجيداً محسناً مجملاً، فأنشد:

كم من كَمِيٍّ في الهياج تركته يهوي لغيه مجدلاً مقتولاً
جللت مفرق رأسه ذا رونق عضب المهزة صارماً مصقولاً
قدت الجياد وأنت غر يافع حتى اكتهلت ولم تزل مأمولاً
كم قد حربت وقد جبرت معاشراً وكم امتنيت وكم شفيت غليلاً

فقال له يزيد: سل حاجتك فقال: ما على الأمير بها خفاء، قال: قل، قال: إذا لا أقصر ولا استعظم عظيماً اسأله الأمير، أعزه الله مع عظم قدره قال: أجل فقل يُفعل فلست بما تصير إليه أغبط منا، قال: تحملني، وتخدمني، وتجل جائزتي، فأمر له بخمسة تخوت ثياب وغلامين وجاريتين وفرس وبغل وبرذون وخمسة آلاف درهم فقال حاجب:

شِمْ الغيث وانظر ويلك أين تبعجت كلاه تجدها في يد ابن المهلب
يداه يد تجري بها الله من عصى وفي يده الأخرى حياة المعضب

قال: فحسده ثابت قطنه وقال: والله لو على قدر شعرك أعطاك لما خرجت بملء كفك نوى، ولكنه أعطاك على قدره، وقام مغضباً وقال الحاجب يزيد المهلب: إنما فعل الأمير هذا ليضع منا جزالة العطية لمثل هذا، وإلا فلو إنا اجتهدنا في مديحه مازادنا على هذا.

* * *

٢٢٣٩- لما قتل المفضل بن المهلب دخل ثابت قطنة الأسدي على هند ابنة المهلب والناس حولها يعزونها فأنشدها:

ياهند كيف بنصب بات يبكيني ... وعائر في سواد الليل يؤذيني

كأن ليلي والأصداء هاجدة ... ليل السليم وأعيا من يداويني

لما حنى الدهر من قوسي وعذرني ... شيبي وقاسيت أمر الغلظ واللين

إذا ذكرت أبا غسان أرقني ... هم إذا عرس السارون يشجيني

كان المفضل عزاً في ذرى يمن ... وعصمة وثمالاً للمساكين

مازلت بعدك في هم تجيش به ... نفسي وفي نصب قد كاد يبليني

إني تذكرت قتلي لو شهدتهم ... في حومة الموت لم يصلوا بها دوني

لا خير في العيش إن لم أجن بعدهم ... حرباً تبيئ بهم قتلي فيشفوني

فقالت هند: إجلس ياثابت، فقد قضيت الحق وما من المرثية بد، وكم من ميتة ميت أشرف من حياة حي،وليست المصيبة في قتل من استشهد ذاباً عن دينه، مطيعاً لربه، وإنما المصيبة فيمن قَلَّت بصيرته، وخمل ذكره بعد موته، وأرجو ألا يكون المفضل عند الله خاملاً، يقال أنه ما عزى يومئذ بأحسن من كلامها.

* * *

٢٢٤٠- كانت تحت العباس بن مرداس السلمى حبيبة بنت الضحاك السلمى، فخرج عباس حتى انتهى إلى إبله وهو يريد البني صلى الله عليه وسلم،

فبات بها، فلما أصبح دعا براعيه فأوصاه بإبله وقال له: من سألك عني فحدثه أني لحقت بيثرب، ولا أحسبني إن شاء الله تعالى إلا آتيا محمد وكائنا معه، فإني أرجو أن تكون برحمة من الله ونور، فإن كان خيراً لم أسبق إليه، وإن كان شراً نصرته لخئولته، على أني قد رأيت الفضل البين وكرامة الدنيا والآخرة في طاعته ومؤازرته واتباعه ومبايعته، وإيثار أمره على جميع الأمور، فإن مناهج سبيله واضحة، وأعلام ما يجئ به من الحق نيرة، ولا أرى أحد من العرب ينصب له (يعاديه) إلا أعطى عليه الظفر والعلو، وأراني قد ألقيت على محبة له، وأنا باذل نفسي دون نفسه، إريد بذلك رضا إله السماء والأرض، قال: ثم سار نحو النبي صلى الله عليه وسلم، وانتهى الراعي نحو إبله، فأتى إمرأته فأخبرها الذي كان من أمره ومسيره إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقامت وقوضت بيتهان ولحقت بأهلها وذلك حيث يقول عباس بن مرداس حين أحرق ضماراً ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم:

لعمري أني يوم أجعل جاهداً ... ضماراً لرب العالمين مشاركاً

وتركي رسول الله والأوس حوله ... أولئك أنصار له ما أولئكا [1]

كتارك سهل الأرض والحزن يبتغي ... ليسلك في غيب الأمور المسالكا

فآمنت بالله الذي أنا عبده ... وخالفت من أمسى يريد الممالكا

ووجهت وجهي نحو مكة قاصداً ... وتابعت بين الأخشبين المباركا

[1] أولئكا: استفهام للتعظيم والتهويل.

نبي أتانا بعد عيسى بناطق | من الحق فيه الفصل منه كذا لكا
أميناً على الفرقان أول شافع | وآخر مبعوث يجيب الملائكا
تلاقى عرى الإسلام بعد انفصامها | فأحكمها حتى أقام المناسكا
رأيتك ياخير البرية كلها | توسطت في القربى من المجد مالكا
سبقتهم بالمجد والجود والعلا | وبالغاية القصوى تفوت السنابكا
فأنت المصفى من قريش إذا سمت | غلاصمها تبغى القروم الفواركا

فقدم عباس على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة حيث أراد المسير إلى مكة عام الفتح فواعد رسول الله قُدَيْداً، قال: القني أنت وقومك بقديد، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قديداً وهو ذاهب لقيه عباس في ألف من بني سليم ففي ذلك يقول عباس بن مرداس السلمي:

بلغ عباد الله أن محمداً | رسول الإله راشد أين يمما
دعا قومه واستنصر الله ربه | فأصبح قد وافي الإله وأنعما
عشية واعدنا قديداً محمداً | يؤم بنا أمراً من الله محكما
حلفت يميناً بَرَّة لمحمد | فألفيته ألفا من الخيل معلما
سرايا بداها الله وهو أميرها | يؤم بها في الدين من كان أظلما
من الخيل مشدوداً علينا دروعنا | وخيلا كدفاع الأَبِيِّ عرمرما
أطعناك حتى أسلم الناس كلهم | وحتى صبحنا الخيل أهل يلملما

* * *

٢٢٤١- الشيخ غيث بن سبهان بن بنيان بن سعدي البريكي الشمري، عاش في أرض قومه في منطقة حائل وتوفى بها أو على مشارف العراق ـــ رحمه الله ـــ وكان رجلاً كريماً شجاعاً ذا مروءة ونخوة، وكان من شأنه أنه كان متجهاً إلى العراق ومعه إبل له هزلى في سنة غير خصبة وفي طريقه ورد مورد التَّيْمْ إلى الشمال الشرقي عن حائل وأراد أن يرتاح حول الماء بعض الأيام وفي ليلة نزل عليه ضيوف في مترله، ولم يكن لديه من الطعام ما يقري به ضيوفه، وليس معه من النقود ما يشتري به وإبله هزلى فأسرع إلى أهل الغنم النازلين حول المورد يريد ذبيحة يعشي بها ضيوفه وليس معه إلا سيفه مع ارتفاع قيمة السيف ولكن كما يقول المثل عند الحاجة الماسة: "تباع الكحيلة بعشا ليلة" ولم يجد أحداً يبيعه ذبيحة بالسيف وانتشر الخبر بين النازلين حول الماء وعاد إلى ضيوفه مكسور الخاطر حزيناً وعزم على نحر أحد إبله لاقراء ضيوفه حتى لو كانت هزيلة، لكن فزعة الله جاءته من حيث لا يحتسب حيث لحقه بعد مغادرته المكان شمري شهم هو حماد بن فايز الرزني، أو حماد بن عرموش الرزني من عبدة حيث سمع الخبر فما كان منه إلا أن عاد إلى غنمه الغير بعيدة عن المكان فاقتاد خروفاً سيمناً وأمر زوجته أن تحمل فوق راسها كيساً به قمح مجروش وتوجها حالاً إلى حيث يقيم غيث فلحقاه وقد كاد أن ينحر أحد إبله وناداه الرزني وأعطاه الخروف والقمح وقال: ما كنت حاضراً حين قدمت إلى الترل وعلمت بحاجتك بعدما غادرت المكان وهذه الشاة عشِّ بها ضيوفك واقض حاجتك، جاءت هذه الفزعة

من الرزني وكأنها سيقت إليه الدنيا بحذافيرها فعشى ضيوفه وانتهت أزمته، ومضت الأيام والشهور ووصل غيث إلى العراق وبعد فترة جاء العقيد بدر بن هايس القعيط إلى العراق ومعه إبل قد كسبها يريد بيعها فطلب منه غيث من خيار الإبل جملين جزلين سمينين وحملهما بالطعام والكسوة من الخام والعبي والفراء والقهوة والهيل وجاءت الحدرة وهي قوافل التموين وسأل عن الرزني فلم يجده معهم وأرسل معهم الجملين المحملين إلى رفيقه الذي فزع له ليلة حاجته لقرى ضيوفه، وهذه من شيم الرجال الطيبين جزاء المعروف بما هو أفضل منه.

* * *

٢٢٤٢- دخل إرطاة بن سهية على عبد الملك بن مروان فقال له: كيف حالك يا ارطاة؟ وقد كان أسن، فقال: ضعفت أوصالي، وضاع مالي، وقل مني ماكنت أحب كثرته، وكثر مني ما كنت أحب قلته، قال: كيف أنت في شعرك؟ فقال: يأأمير المؤمنين ما أُطْربُ ولا أُغْضِبُ ولا أُرْغِبُ ولا أُرْهِبُ، وما يكون الشعر إلا من نتاج هذه الأربع على أني القائل:

رأيت المرء تأكله الليالي كأكل الأرض ساقطة الحديد

وما تبغي المنية حين تأتي على نفس ابن آدم من مزيد

وأعلم أنها ستكر حتى توفى نذرها بأبي الوليد

فارتك (إنزعج) عبد الملك ثم قال: بل توفى نذرها بك ويلك! ما لي ولك؟ فقال لا ترع يأأمير المؤمنين فإنما عنيت نفسي وكان ابن أرطاة يكني أبا

الوليد فسكن عبد الملك ثم استعبر باكياً وقال: أما والله على ذلك لتلمنّ بي، وقوله إن بواعث الشعر أربعة الأطراب والأغضاب والأرغاب والأرهاب فهي التي تقدح الشعر وتخرجه.

*　*　*

٢٢٤٣- عن عمرو بن جبلة قال: تزوج عبد الرحمن بن سهيل بن عمرو أم هشام بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب، وكانت من أجمل نساء قريش، وكان يجد بها وجداً شديداً (يحبها حباً شديداً) فمرض مرضه الذي هلك فيه، فجعل يديم النظر إليها وهي عند رأسه فقالت له: إنك لتنظر إليّ نظر رجل له حاجة، قال: إي والله إن لي إليك حاجة لو ظفرت بها لهان عليَّ ما أنا فيه، قالت: وما هي؟ قال: أخاف أن تتزوجي بعدي قالت: فما يرضيك عن ذلك؟ قال: أن توثقي لي بالأيمان المغلظة فحلفت له بكل يمين سكنت إليها نفسه ثم هلك، فلما قضت عدتها خطبها عمر بن عبد العزيز بن مروان وهو أمير المدينة، فأرسلت إليه، مأأراك إلا وقد بلغتك يمين، فأرسل إليها، لك مكان كل عبد وأمة عبدان وأمتان ومكان كل علق علقان ومكان كل شيء ضعفه فتزوجته، فدخل بها، بطال بالمدينة وقبل كان من مشيخة قريش مغفلاً فما رآها مع عمر جالسة قال:

تبدلت بعد الخيزران جريدة　　　وبعد ثياب الخز أحلام نائم

فقال له عمر: جعلتني ويلك جريدة وأحلام نائم، فقالت أم هشام: ليس كما قلت، ولكن كما قال أرطاة بن سهية:

وكائن ترى من ذات بث وعولــة بكت شجوها بعد الحنين المرجــع

فكانت كذات البوِّ لـــا تعطفــت على قطع مـــن شـــلوه المتمـــزع

مـــتى لا تجـــده تنصـــرف لطياهـــا من الأرض أو تعمد لألف فترتـــع

عن الدهر فاصفح إنه غير معتـــب وفي غيره قد وارت الأرض فاطمع

* * *

وبهذا انتهى الجزء الخامس من كتاب فتافيت، ويليه إن شاء الله الجزء السادس متى توفرت المادة له.

الرياض ٢٣/١/١٤٣٥هـ/٢٣/١١/٢٠١٣م

شرح الأبيات من الشعر الشعبي الواردة بهذا الجزء

١- عِذَابَهْ : أسنانها، يوضح الشاعر لرفيقه أن خليلته ليست بالطويلة وإنما هي مربوعة القوام وأن أسنانها مثل صف نظيم اللؤلؤ.

٢- عسلوجة : الطرية الغضة، حشاها: وسطها شمحوط: ممشوقة القوام، يقول إنها شابة غضة ممشوقة القوام بارزة الردفين وخطرعلى ثيابها أن يمزعها ردفاها.

٣- يهيا : يستأهلها، قاصر البوع: الرديء من الرجال، شاف: راي يقول إن مثل هذه الفتاة لا يستأهلها سواك ولا ينبغي لها أن تكون للردئ من الرجال.

٤- ياكود : إلا، أشقر الريش: الصقر ويرمز به للرجل الطيب على التشبيه بالصقر، قاطوع: صارم. يقول أنه لا ينبغي لها أن تكون إلا لك أيها الكريم الذي ينفق في ضحى واحد ما ينفقه غيرك في سنة.

٥- الاغضا : النوم، دنيف: مرهق، شاعبه: قد شعبه وشق عليه، يقول: عفى الله عن عيني التي لم تذق طعم النوم وجسمي المرهق النحيل الدنف والهموم المتراكمة الزائدة من طاقته قد احرقته.

٦- المعافي : الذي لا هموم لديه، ساكبة: منهمرة، يقول: إنني أسهر

الليل إذا نام خلي البال المعافى من الهموم وينهمر دمعي منسكباً من عيني لشدةت معاناتي بينما غيري يغط في نوم عميق.

٧- خلني : اتركني، شرواك مثلك. يقول: دع العذل لا تعذلني فما في نفسي يكفي وعليك أن تتركني ومثلي لا يرضى بالهوان لصاحبه فلماذا تعذلني.

٨- شهرت : نزعت وأبعدت، الزهد ما يزهد فيه من الأمور هي : الدنيا يقول: إنني قد نزعت وأبعدت عن الأمور الزهيدة ورأيت الدنيا واسعة فسيحة ولا يستطيع الإنسان أن يمنع ما كتبه الله عليه في هذه الحياة.

٩- وهايبه : أعطياته، يقول: إن الرجل له في كل أرض يحل بها ما يستطيع العيش منه والأرزاق بيد الله الذي تكفل عباده بأرزاقهم وهو عظيم وجزيل الأعطيات.

١٠- نازح : بعيد، النيا: المكان، يقول: إنه قد اختار بعد الموطن عن قربه مع بعد المكان، كل هذا خير من القول إن بركات قد أذعن لهذه الدسيسة ولان جانبه وخضع لرأي زوجة أبيه.

١١- : يقول الشاعر عن أولئك الرجال ذوي الجود الفياض والثناءالعاطر ومن شب وعلامات المعالي مكاسبه ويعني والده.

١٢- مبارك بن مطلب : يعني والده، العانين جمع عاني وهو القاصر، يمتدح الشاعر والده في هذا البيت قائلاً أنه رفيع المجني والمحتد وهو ذري للجار وملجأ العاني الذي قصده والتجأ إليه لحمايته أو لمساعدته على مصاعب الحياة.

١٣- : يواصل الشاعر مدح والده حيث شبهه بكعبة الوفاد الذين يفدون متوجهين إليه في أوقات الشدة والقسا إذا النذل من الرجال أغضى عن الضيوف وتخفى عنهم وتركهم دون أن يقوم بواجبهم.

١٤- إلى : إذا، المرزمات: السحاب ترزم بالرعد، أجدبت: أمحلت، قل الحيا: يعني الغيث، والا محال الجدب كالبة: مشتدة

١٥- : يسترسل الشاعر في مدح والده ويقول: لقد بنيت لنا بيتاً شامخاً من العز والرفعة وإني اسأل الله واسألوه معي ألا يتمكن الأعداء من هدم هذا البيت السامق العزيز.

١٦- : يبدأ الشاعر بالاعتذار لوالده بقوله: لا تحسبني بعد إحسانك إليّ ورضاك عنّي سأغضبك وأجحد فضلك ومعروفك في هذه الحياة الدنيا مادمت على قيد الحياة وإن أغضبت أي إنسان غيرك.

١٧- الرماق : الحُساد وأهل الشر، يقول: لكن نزوحي عنك أنه قد جاءني منك كلمة جرحتني وهذه الكلمة يقال أنه قال

له "يَالثِّبرْ" على حضرة من الحساد وعامة الناس وهذه الكلمة هي التي أغضبتني وأجزعتني وجعلتني أنزح عنك.

١٨- زلة : خطأ، الردى: الأعمال الرديئة، يقول: تعاتبني بهذه الكلمة و لم أرتكب خطأ، بينما غيري لو ارتكب الخطأ لم تعاتبه أو تقول له شيئاً وربما يعني زوجته.

١٩- ماريتني : اهمتني، يمضي: يقوم مقامي، الجنى: الواجب، يقول: لقد اهمتني والبستني ثوباً غير ثوبي واهمتني بذنب لم أجنه وعسى من زين لك وخطط لهذه التهمة أن يقوم مقامي.

٢٠- المال : المواشي من الإبل وغيرها، يحدا: يحد جافل: مفزع، معازبه: مراعية، يقول معاتباً أباه: لعلك تذكرني إن ضاقت عليك الدنيا إذا اعتدى الأعداء على أموالك ونهبت أو جاءت يحدوها الأعداء من مراعيها وتريد من يدافع عنها ويصد الأعداء عنك لعلك تذكرني في تلك الساعة.

٢١- داج الليل : شدة سواده قتامة: غبار المال والمعركة، السبايا: مجموعات الخيل، الخواريق: المخاريق ويعني الرماح، يتابع عتابه فيقول: لعلك تذكرني في ذلك اليوم الذي يكون كالليل الداجي يغطي غبار المعركة الشمس

وتشتبك مجموعات الخيل وسربها وتتعاقب الرماح بالطعن بين الفرسان وكانها المخاريق.

٢٢- يوم من الجوزاء : النجم المعروف ويعني شدة الحر، يستاقد الحصى: يحتمي، تلوذ: تتظلل، المطايا: جمع مطية وهي الركاب جخادبه: الجنادب ، وهذا البيت مضرب المثل في وقت شدة الحر، يذكر والده ويصور اشتداد الحر في وسط القيظ على طلوع نجم الجوزاء في ذلك اليوم ترى الجنادب تتململ فوق الرمضاء وتطير وتتظلل بظل المطية وهي سائرة لتنتهز فرصة ولو لحظة تتقي فيها شدة حرارة الشمس، وقد شاهدها بنفسي عدة مرات.

٢٣- التميمي : يعني عبد الرحيم صاحب أشيقر وقصته كاملة في كتابنا وقع وصدى وبيته يقول: (من باعنا بالهجر بعناه بالنيا.. ومن جذحبلي ما وصلت رشاه) يقول إنه تمثل بهذا البيت عندما ابتعد عن أبيه.

٢٤- تر : إعلم، الدوحة: الشجرة الكبيرة، هذا البيت ملئ بالحكمة ويتردد على أفواه الناس، يقول إعلم أن الدوحة لا تعيب إلا من أصلها وآفة الإنسان قد تأتيه من أقاربه فهي أكثر ألماً وأشد نكأ كما قال طرفة بن العبد:

وظلم ذوي القربى أشد مضامضة
على المرء من وقع الحسام المهند

٢٥- : شوقي من أشتاق إليه من الرجال كزوج أو هو زوجي، هبة الريح: العلم الغانم، تقول إن زوجي قد غلب زوجك بالأفعال الطيبة والعلم الغانم.

٢٦- مشاويح : مسرعات، الفى: وصل ليلاً، صكوا عليه: اجتمعوا حوله واحاطوا به، تقول إن زوجي إذا وصل من غزو أو سفر اجتمع عليه رجال جماعته ليسمعوا من أخباره، فركابه دائماً مسرعة في الغزوات والأسفار.

٢٧- البيض : النساء، شومن: انصرفن وتطلعن، المفاليح: الطيبين، الدناعة: الأمور الدونية. تنادي الشاعرة بنات جنسها من النساء بأن لا يتزوجن إلا الرجال الطيبين وأن يتركن الرجال الرديئين.

٢٨- المناعير : جمع منعور وهو الرجل الشجاع، الصلفين: الشديدين، تقول إنه لا يخفاني رجال الشجاعة ولكنهم صلفين لا يناسبونني.

٢٩- مندس : مختفي. تقول أريد رجلاً مندساً بوسط جماعته وغير بارز وعمله رعي أغنامهم وإبلهم وهمهم وليس له طموح أكثر من ذلك ويقوم بواجبه نحوي.

٣٠- نزرته : نهرته بقوة، داف الحشا: يعني زوجته ويش تبغين:

ماذا تريدين، تقول : إذا نهرته أصابته رعاعة ورعب وقال: ماذا تريدين مني.

٣١- : تقول إنه في هذه الحالة من الخفة والفزع إذا قلت له هات الحطب والقدور ومواعين الطبخ أسرع باحضار ما أطلب منه.

٣٢- : وتقول إن هذا الزوج الرعاعة الذي تلك صفته لو ضربته في ساعة غضبي فلا هو مشتكيني لأحد ولا الناس دارين ما أفعل به، وهذا الزوج قد لا يكون أمنيتها الحقيقية، وبعض النساء تفضل هذا النوع من الرجال.

٣٣- : يفتتح الشاعر هذه القصيدة بأنه لا يرد الكلام ترديداً ويعني الشعر وإنما يأتي بالجديد المفيد ولا يريد الكلام البالي.

٣٤- تواليف : مؤتلفات ويعني أبيات القصيدة، تقل: كأنه يقول: إن أبيات القصيدة تأتي إليه مؤتلفة على ما يريد وان أردت قول الشعر فكأنه يصف أمامي انتقي منه ما أريد.

٣٥- الدبى : أولاد الجراد، الكواريد: الفلاحين، تقلل: ارتفع، رهالي: بأعداد كثيفة، يقول: إن أبيات الشعر عنده كثر أولاد الجراد إذا دخل زروع الفلاحين أو كثر

الجراد إذا طار وارتفع عن الأرض.

٣٦- المعيد : البعير المعد للسني، يرسم معاناته ويقول: إنه يقعد ويقوم ولا يدري أين يريد؟ مثل ذلك البعير الذى جفل وإصابه الفزع وهذا الوصف من بيئة الفلاحين.

٣٧- المعاويد : جمع معواد أو معيد السابق بيانها، ألافخ: أرمح ظلالي ينادي محبوبته ويقول لها: إنني قد أصبت بجفال الإبل المفزعة التي تخاف من أظلتها وتبدأ ترمحها تحسبها أجساماً غريبة.

٣٨- تدله : تلهى وتتسلى، نقل البواريد: البواريد البنادق ويعني مطاردة الصيد ليلهيك عما أنت فيه. ينادي قلبه قائلاً له: أما تتسلى وتدله بطرد الصيد بالبنادق وتجوز عن ذكر الحبيبة حسينة الدل.

٣٩- : يقول لقلبه لو تنسى ذكر تلك المحبوبة عيدت عيداً لوجه الله، فلعلك تطرب وينساح بالي وارتاح مما أنا فيه.

٤٠- نطيت : ارتقيت، الأقاويد: الجبال، مشمرخات: ذات الرؤوس والشماريخ العالية، يقول: لولا الحياء من الناس لأرتقى رؤوس الجبال العالية وارفع صوتي لأسمع من حولي.

٤١- الأجاويد : جمع جواد ، يقول وأصيح بأعلى صوتي قائلاً:

يالأجواد أنظروا في فعل براقة الأسنان بحالي حين أوصلتني إلى ما أنا فيه.

٤٢- الخلال : العصى المبري، يقول: إن حبي لها برى جسمي وبيد حيلي وأوهن عظمي فصار جسمي كأنه العود المبري.

٤٣- شفني : أبحث لي عن حل، المناقيد: ما ينتقد عليه الإنسان. يناديها ويقول ابحثي عن حل يجنبني كثيراً مما ينتقدني عليه الناس إذا شاهدهم أمامي.

٤٤- هرجك : كلامك، يقول في الختام وإلا أنتِ فكلامك يربع به قلبي ويزيد وخاصة إذا نظرتك أمامي.

٤٥- الفد : سير المطية الجنفاء يظهر في جريها ، محاقب: مكان حبل الحقب، الكور: الشداد، السوج حركة الحبل. يركب الشاعر هذه المطية السليمة من الميلان أثناء سيرها وجريها فهي سريعة لا عيب فيها، تلك المطية التي تغير لون شعر محاقبها إثر حركة الحقب حيث تغير لون شعر مكان حقبها.

٤٦- نصه : وجهها، عتيق، هو عتيق بن حمود بن فالح الشلاقي قرم: الشجاع الحيوي، المعاريض الأشياء والسلع التي يحصل عليها البيع بالمقايضة سلعة بسلعة هذه المطية التي تلك صفاها وذيك طباعها وجهها أيها المندوب إلى رفيقه عتيق الذي سيشكو إليه حاله ويبدي عليه

أسراره.

٤٧- ماكر : وكر الصقور، التبع هو الدرجة الأخيرة من الصقور الأول النادر الثاني اللزيز والثالث التبع.
العديم: المقدام، يهدي: يقنص به، ربعه: رفاقه، مراكيض: جمع مركاض وهو كناية عن ميدان المعركة. يمتدح رفيقه ويقول إنه من تلك الفئة الذين أدناهم درجة في مقدمة ميدان المعركة وقد رمز إليه بالتبع وهو أدنى درجات الصقور وإذا كان هذا هو أدناهم فكيف بالنادر منهم فهم بجملتهم أصحاب شجاعة وإقدام ولهم في ميادين المعارك باع طويل ومركاض واسع.

٤٨- بعد حيي وميتي : هذه الجملة من السماة المميزة لقبيلة الشاعر وما تحويه منطقتها من سكان آخرين وتعني أفديك بمن يمتون إليّ بصلة القربى والنسب من الأحياء والأموت، وفي رواية أخرى لصدر البيت "لا يابعد عمي وخالي وجدي" باللي غدا: بالذي فات، المعاويض: العوض يفدي ممدوحه بجملته الشمرية المحبوبة حيث يقول: أفديك بمن لي من الأحياء والأموات وأجدادي وبرأسك العوض عن كل ما فات من الأمور.

٤٩- أبى : أريد، النبا: الكلام، تعاريض: تلميحات. هنا يبين من

كل ما سبق وهو إبداء سده على رفيقه هذا وهو ما يعانيه من لواعج الشوق، وهو لايستطيع البوح به إلا لمن هو مثل صاحبه حلو المنطق لطيف التلميح كتوم لمثل هذا السر.

٥٠- بري : براء، استرد: انبعث، زغزغي: الفتاة الجميلة الغضة الناعمة في أول ربيع شبابها. يشكو الشاعر على رفيقه ما سبب انبعاث جرحه الذي قد برئ من قبل مشاهدته لتلك الفتاة الرائعة الجمال بغضاضتها ونعومتها في مقتبل ربيع العمر وقد جددت جروح قلبه ونقضت ما برئ منها.

٥١- سوهجت : استمرت بسيرها الهويني، يشبه عين تلك الفتاة باستدارة الساعة التي قد يكون رآها أو ذكرت له، أو عين تلك الرئم التي قامت من مربضها واستمرت تسير الهويني إلى مرعاها باحثة عن الشجيرات المبرضة لتتناول منها ما يلذها.

٥٢- قِبَلْ : دائماً، تقصر الرجل: أي تقصر في مشيتك، وتريض: تتأخر، يقول: إنه قد تعلقت عيناه بتلك الفتاة ويود لو أنه دائماً ينظر إليها لايغضي عنها أبداً، وإن ساقته قدماه إلى المسير من حولها فيفضل أن يقصر في الخطى ويتأنى لديها لامتاع نظره منها.

٥٣- بليا : بدون، يقول إن منظر تلك الفتاة يغني عن الطعام والشراب خاصة لمن تولع في تلك الفتاة وأمثالها من الحسان أما من لم يخالج قلبه الإعجاب بهن فلن يهمه ذلك.

٥٤- الثليل : شعر الرأس، يقول إن جدائل شعرها تغطي ردفيها وهي مجدولة عندما تكون واقفة فما بالك بها إذا نقضت تلك الجدائل وتفلل شعرها وانتثر.

٥٥- الشط : نصف السنام، هو حوير ابن الناقة مصغراً، الشاوي: أصحاب الشاء ورعاتها، تخاضيض، خض اللبن كناية عن توفره. يقول إن ردف تلك الفتاة يشبه شط القعود السمين الذي غذاه الراعي بالأغداق عليه من الحليب حتى ارتفع سنامه منتصباً واكتز بالشحم لا يستوعب أكثر مما هو فيه.

٥٦- البراطم : الشفايف، يقول إن ثناياها وأسنانها البيضاء ناصعة إذا تبلجت عنها تلك الشفتان الحلوتان، وخدها الأبيض ممتزجاً بحمرة.

٥٧- خد : أرض لينة، الرقاد: الماء الدائم، تفاييض: منحدر عليه بانسياب يصف جسم تلك الفتاة بساق شجرة الموز النابت في تلك الأرض اللينة الذي ينساب إليه الماء انسياباً مستمراً فهو ريان غض متغطرف.

٥٨- تبي : تكاد، تقد: تشق، يقول إن جيب ثوبها يكاد أن ينشق من شدة اكتناز ثدييها الصغيران ويشبهها ببيض الحمام وكان الحمام قد وضع بيضه بصدرها وهذه مبالغة شطح الخيال بالشاعر وربما أجبرته القافية وإلا فبيض الحمام صغير جداً لا يتناسب مع الحجم الطبيعي للثديين.

٥٩- عين لربعه : أي عين لرفاقه، الضواري: السباع، لعافيض بقايا يمتدح الشاعر هذه الفتاة بطيب محتدها فأبوها من خيار قومه وهو العين الساهرة على مصالحهم وإلى جانب هذا فهو شجاع مقدام تشبع السباع على أثره من كثرة ما يجندل من الرجال وحذار من الاقتراب من فتاته التي تسمى ترفة الفلاح الشمرية.

٦٠- أبو حمود : هو عبد العزيز بن حمود بن صالح الزيد ـ رحمه الله ـ يستفتح هذه الأبيات بمناداته للمعني ويصفه بالكرم وأن أعطياته كثيرة.

٦١- المير : الطعام، المناشب: متطلبات الحياة.يشتكي إليه بقوله إن بيته فارغاً من الطعام والتزاماته كثيرة.

٦٢- : يقول إنه لولا هذه الظروف الصعبة أني لأكون رفيقاً لكم وخويا معكم.

٦٣- سعود : لا أدري من يقصد قد يعني سعود بن عبد العزيز آل

سعود أو غيره يصف حاله وينادي سعوداً ويصفه بسلطان العرب وأنت أيها الأمير جعلكم الله لمن هو في مثل حالي ذخيرة.

٦٤-		:	ينادي الشاعر بقوله عاوني على شفاء نفسي.
٦٥-		:	يقول كن مثل عادل الميزان تأخذ مني وتعطيني.
٦٦-	بليهان	:	الجمل، عذرب: عاب، يقول إن الولف لم يعب الجمل إذا اشتاق حن.
٦٧-		:	ينادي الشاعر أهل الفكر والآداب والعقول النيرة بأن ينتبهوا إلى ما يقول.
٦٨-		:	يدعوان يجزي الله كل عالم له كتاب يقرأه الناس ويستفيدون منه.
٦٩-		:	يوجه كلامه لمؤلفي الكتب واصفاً إياهم بسبيل الخير ويقول بعد الله كسبنا منكم الغنيمة.
٧٠-		:	يخص المعني ويصفه بأنه من رجال طيبين.
٧١-	المرقاب	:	المرتقى الذي ترى من فوقه ما حولك.
٧٢-		:	شبه المعنى بالقمر الذي يضي في الليالي المعتمة.
٧٣-		:	يقول اشهد أنه للأشياء الجزلة من المعاني وأنه حُرٌّ وابن حُرّ.
٧٤-	تعزوى	:	تحفز ونشط ولم يشب، والشعر يفخر به وبأمثاله.
٧٥-		:	يقول الشاعر إنه يضحك بك الذي قد عجز أن يفعل

كما تفعل، فلا هو فاعل مثل ما فعلت ولا هو تاركك وشأنك.

٧٦- : يقول إن المستريح الغافل الذي لا يفكر في كل شيء وإذا رأيت من يفكر في كل شيء فاعرف أن الهم من طبعه.

٧٧- دك : هجس، والداكوك الهاجس، الطوب: صوت المدفع الورق الحمام، يقول إذا دك بقلبه هاجس فإنه يذهل نفسه ولا يدري ما حوله ولا يسمع صوت المدفع وإذا انتبه لنفسه صار يهذي أو يغني كالحمام.

٧٨- صوب : جهة المنيوب من عضه الغلث وهو المصاب بداء الكلب يقول أن من بات في جهة وأهله في جهة فإن أمره صعباً فلا تبحث وضعه فهو كمن أصابه الغلث.

٧٩- : يقول إن شربك من الماء العذب مع راحة النفس يعتبر بمترلة الطعام لمن وجد من يكفيه الهموم الشديدة.

٨٠- : يقول هذه عجوز هرمة ليس جيلها من جيل الأحياء وتريد أن تحارب واحداً لم يحاربها.

٨١- دلت : صارت تيل: السلك، وبلاتيل لاسلكي، أبها المدينة المعروفة يقول إن هذه العجوز صارت تنقل الأخبار بدون أسلاك أي لاسلكي وليس لها شبيه إلا برقية أبها المدينة المشهورة بالجنوب.

٨٢- : يقول إن جهدك معروف ومشكور على هديتك لي من الكتب.

٨٣- : يقول إن هذه الهدية عبارة عن كتب حوت في أجوافها الدرر والأزاهير وسوف تحتفظ بها أيدٍ أمينة.

٨٤- : يقول إن الكلام المسطر فيها هو من إنتاج فكرك الرزين.

٨٥- : يقول إن من يشتغل مثلك بالأعمال الفكرية فعسى الله أن يعينه.

٨٦- : يقول أنك وفرت الكتب في المكتبات وفي البيوت ومن قرأها قال: أعانه الله.

٨٧- : يقول إن دار السويداء للنشر والتوزيع تشع منها أنوار المعرفة مثل أضواء الفجر.

٨٨- : يقول إنه من قرأ كتبك فرح ومسرور وابن الوطن يقرأها بقلبه وعينيه.

٨٩- : ثم يعتذر عن التقصير ويقول إن غلاك وحبك في قلبي وعراه متينة

٩٠- : يقول إن الوادي الذي جرى يوماً من الأيام من سيل المطر لابد له أن يجري مرة ثانية في يوم آخر طال الزمن أو قصر فلا تستهن بالوادي وتسكن فيه.

٩١- : ميقوع دعص أو طعس رمل في منطقة الجوف، نط:

ارتقى يقول: أنه ارتقى ذلك الدعص من ضمن من ارتقاه.

٩٢- الملقوع : المصاب بمصيبة، يقول: إن هذا الدعص مشراف أو مرقب من عذبه ربه.

٩٣- الهماليل : هلل السحابة، يقول: من باب المبالغة أنه سيل رمل ذلك الدعص بدمعه الذي يشبه هلل السحاب.

٩٤- المدلاة : من يعتمد عليه في المهمات، تنشد: تسأل،ينادي عمراً من قصيدة طويلة ويقول أنت عذبتني من العام تسألني عن حالي.

٩٥- الخصر : نظيم من الخرز تضعه النساء بمكان السوار، الشنوف: حلية توضع في أعلى الأذن وهو هنا يقصد المرأة.

٩٦- : يقول لو اعترضت لي تلك الفتاة الجميلة في مكان خالي من الناس.

٩٧- أبيه : أريدها، يقول لو اعترضت لي في ذلك المكان الخالي الآمن فإنني لا أريدها ولو كانت تريدني.

٩٨- : يقول إن الشعر لو يعطيني على ما تمنيت فلن أوفيك حقك

٩٩- : يصف الممدوح بالوفاء و لم تمنعه بعد المسافة من إتمام ما وعد به.

١٠٠- : يصف الممدوح بالصقر من الطيور وهو مدح تقليدي

يمدح به الرجال وإن كان الرجل أعز وأوفى وأرفع من الصقر الأبخر.

١٠١- : يقول إنني أخذت من بحر علمك وإنك مشهور كالنار فوق الجبل كل يراها.

١٠٢- : يقول إنك قد ألفت الكتب التي انتشرت في كل مكان.

١٠٣- : يقول إنني ارتويت من المعلومات التي أوردتها.

١٠٤- : يقول إنني قلت الشعر و لم أوفيك حقك.

١٠٥- عديت : ارتقيت، رجم جبل أو هضبة أو قارة ونحوها الجوازي: الظباء، يقول: أنني ارتقيت برأس ذلك الشاخص المرتفع بأرض قفر ليس فيها سوى الظباء والوحوش.

١٠٦- وَقت : أطليت مع رأسه، يقول: إذا اطليت مع راسه دقت الهواجس في قلبي وعوى ضميري واستلحن ضلوعي.

١٠٧- ورع : الصغير والمقصود بها الفتاة الشابة، تكد: تمشط، يقول عليك أيتها الفتاة الصغيرة التي تمشط راسها وهي صغيرة وقد نهد ثدياها.

١٠٨- عبيد : هو زوج تلك الفتاة، حضين: تصغير حضن

١٠٩- : يهني عبيداً زوج تلك الفتاة الغضة الذي منامة في حضنها.

١١٠- : المهفة الأرض المكشوفة، الزرايب: الجيلان أو الحفر

١١١- : يقول وأنا منامي في ذلك المكان المعرض لهبوب الرياح وأتكئ على جال تلك الزريبة.

فهرس أسماء الأعلام من الرجال مرتبة على حروف الهجاء

إبراهيم بن طلحة بن معمر
إبان بن عثمان
إبن أبي الصلت
ابن عائشة
ابن أبي بكر بن حزم
ابن أبي الأبيض
ابن عدي
ابن دريد
ابن البعلبكي
ابن سعيد الشمري
ابن حلوية
ابن أبي عتيق
ابن أثال
ابن جريج
ابن سريج
ابن الخياط الخفاجي
ابن جامع
ابن دأب
إبن بشير
إبن مبارك
إبن دبيح
إبن أبي الأزهر
إبن أم الحكم
إسحاق بن إبراهيم الموصلي
إسحاق بن يحيي بن طلحة
إسحاق بن عزيز
إسحاق بن إبراهيم الرافقي
إسحاق بن سليمان العباسي
إسماعيل بن جامع
إسماعيل المختار
إسماعيل بن هشام
إسماعيل بن يونس
إسماعيل بن أبي الجهم
إسماعيل بن يسار
إسماعيل بن زهران
الأحنف بن قيس
أكثم بن صيفي
أنيشتاين
أنس بن زنيم
الأصمعي عبد الملك بن قريب
الأحوص الأنصاري
الأسكندر بن فيليب المقدوني
أحمد بن أبي خالد
أحمد بن عبد الله بن عمار
أحمد بن يوسف
أحمد السباعي
أحمد الصافي النجفي
أحمد زكي أبو شادي
أحمد رامي
أحمد منيف

أحمد الأسكندري
أحمد بن عبد ربه
إمرؤ القيس بن حجر
اشعب
الأعشى ميمون بن قيس
أعشى همدان
الأخطل
أمية بن أبي الصلت
إيلمر
أزهر السمان
أسيد بن عنقاء الفزاري
أسد بن عبد الله القسري
أعشى بني سليم
الأبيرد
الأخفش
أمية بن حرثان الأسكر
أرطاة بن سهية
أورفيل رايت
الباهلي
بدر بن عبد العزيز
بدر بن هايس القعيط
بديح المليح
برج بن مسهر الطائي
بركات بن مبارك بن مطلب
بشر بن ارطاة

بشر بن عبد الرحمن الأنصاري
بشار بن برد
بندر بن نواف التمياط
بكري شيخ أحمد
بيهس الذبياني
تميم بن جميل الأوسي
توبة بن الحمير
توماسماير
توفيق مفرج
ثابت قطنة الأسدي
ثعلب
ثور بن الطثرية
الجاحظ عمرو بن بحر
جار الله الزمخشري
جبلة بن الحويرث
جحدر بن ربيعة
جذيل بن لغيضم
جرير بن عبد المسيح الضبعي
جرير بن الخطفي
جريبيع بن سويلم العتري
جريم بن خلف
جعفر بن قدامة
جعفر بن سليمان
جعفر بن محمد بن عبد الله
جعفر بن عباس

جعفر بن أبي جعفر
جعيفران الموسوس
جورج جور داق
جندل بن عبيد النميري
الحارث بن مضاض الجرهمي
الحارث بن سليمان الهجيمي
الحارث بن عوف المري
الحارث بن ظالم المري
الحارث بن خالد المخزومي
الحجاج بن يوسف الثقفي
حجي بن مليح الرماحي
الحزن بن سليل الأسدي
الحرمازي
الحزين الكناني
الحسن بن سهل
الحسن بن رجاء
الحسن بن علي بن أبي طالب
الحسين بن علي بن أبي طالب
الحسن بن محمد بن عبادي
الحسين بن يحيى
الحسين الحلواني
حسن القصيي
حسن بن يوسف الفريح
حصين بن حذيفة الفزاري
الحكم بن عمرو البهراني

الحكم بن عبدل الأسدي
حماد بن فايز الرزني
حماد بن زايد الجهني
حماد بن إسحاق
حماد بن قيسرة
حمدان بن عيد العتري
حمود بن عبيد الرشيد
حمود بن خزعل الفريسي
حممة بن رافع الدوسي
حمزة بن بيض الحنفي
حنظلة بن أبي عامر
م. خالد بن عبد العزيز
خالد بن يزيد بن معاوية
خالد بن المهاجر
خالد عتاب الرياحي
خالد بن حمل
خالد بن محمد بن شماس
خداش بن حابس
خزيمة الأسدي
خزيم بن فاتك الأسدي
خضير بن راضي الصعيليك
خلف بن دخيل أبو زويد
خليفة بن بوزل
خنافر بن التوأم الحميري
دارم بن عقال

دريد بن الصمة الجشمي
دعبل الخزاعي
داود المهلبي
داود بن الرشيد
دليم بن براك الرشيدي
دكين الراجز
دواس بن حبيب
دواس بن رزين الخزاعي
ذعار بن سعدي الحربي
ذو الأصبع العدواني
راشد الخلاوي
الراعي عبيد بن الحصين النميري
رباح بن مطلق الحربي
ربيعة بن مكرم
ربيعة بن ثابت الرقى
رضيمان بن حسين الشمري
الرماح بن ابرد ابن ميادة
رؤبة بن العجاج
روبرت تي كيو ساكي
الزبير بن بكار
الزبرقان بن بدر
زرارة بن علس
الزفيان العوافي
زهير بن عبد شمس
زياد بن عثمان الغطفاني
زياد بن أبيه
زيد الخيل الطائي
زيد بن سلامة الخشم
زيد بن سليمان
سالم بن عبد الله بن عمر
سحيم بن حفص
السائب
السري بن عبد الله الأنصاري
سديد الملك بن منقذ
سعد بن جوفان الجنيدي
سعد بن محشم الجهيلي
سعد بن أبي وقاص
سعد بن عامر العامر
سعيد بن عثمان
سعيد بن هشام بن عبد الملك
سعيد بن خالد
سعيد بن العاص
م. سعود بن عبد العزيز
سعود بن عبد الله الجلعود
أ.سعود بن عبد العزيز الرشيد
سعية بن الغريض
سليمان بن عبد الملك بن مروان
سليمان بن داود عليه السلام
سليمان بن محمد الجلعود
سليمان بن مجاهد

عبد العزيز بن سعود الجلعود
عبد العزيز بن محمد الجلعود
عبد العزيز بن رباح الشايع
عبد العزيز البشري
عبد العزيز بن مروان
عبد العزيز بن إبراهيم السويطي
عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري
عبد العزيز بن حمود بن زيد
م.عبد الله بن عبد العزيز
عبد الله بن الحسن بن علي
عبد الله بن عمر العرجي
عبد الله بن هارون الرشيد
عبد الله بن الخليفة أبو بكر
عبد الله بن الزبير
عبد الله بن محمد السفاح
عبد الله بن عباس
عبد الله البشري
عبد الله بن طاهر
عبد الله بن جعفر بن أبي طالب
عبد الله بن سليمان الحمدان
عبد الله السديري
عبد الله بن محمد بن خميس
عبد الله بن محمد الأنصار ي (الأحوص)
عبد الله الزبعري السهمي

عبد الله بن إبراهيم الجمحي
عبد الله بن مالك
عبد الله بن مصعب
عبد الله بن قيس
عبد الله بن أبي معقل
عبد الله بن مروان
عبد الله المرزبان
عبد الله بن العجلان
عبد الله بن سعد الحشرج
عب الله بن عبد الملك بن مروان
عبد الله بن عبد الملك السلولي
عبد الله بن سطيع الأسود
عبد الكريم بن عبد العزيز الجهيمان
عبد الحميد خان
عبد الملك بن مروان
عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي
عبد المطلب بن عبد مناف
عبد مناف بن قصي بن كلاب
عبد الواحد بن سليمان
عبيد الله بن عتبة
عبيد بن شرية الجرهمي
عبيد الله بن عباس
عبيد بن الأبرص الأسدي
عباس بن فرناس الأموي

محمد بن يوسف العريفي
محمد بن عائشة المغنى
محمد بن عباس اليزيدي
محمد بن حازم الباهلي
محمد بن عبد العزيز الجلوي
محمد بن عبد الملك الزيات
محمد بن بشير الخارجي
محمد بن صالح العلوي
محمد بن الحجاج الأسدي
محمد بن إدريس الشافعي
محمد بن الحسن
محمد صالح نصيف
محمد العصيمي
محمد بن عبد الله الثقفي
أ. محمد بن عبد الله الرشيد
محمد بن لادن
مروان بن محمد
متمم العبدي
المتوكل العباسي
محشم بن حشم الجهيلي
المحلق الكلابي
مخارق
مسكين الدارمي
مسلم بن الوليد الأنصاري
مسلمة بن عبد الملك بن مروان
مسهر بن يزيد الحارثي
مشعل بن عبد العزيز
مصعب بن الزبير بن العوام
مصعب بن بكار
مصاد بن مذعور القيني
مبارك بن عمير العتري
محسن بن صويان الرشيدي
مجاهد الدين بوزان
مرة بن عبد رضا
مريخان بن طريس الحربي
المتنبي
مزاحم العقيلي
المعتضد العباسي
المعتصم بن هارون
المغيرة بن شعبة
معاوية بن أبي سفيان
مصطفى عناني
منظور بن زيان
المطلب بن عبد الله بن مالك
معبد النقسطني
منظور بن رواحة
معن بن زائدة الشيباني
معن بن أوس المزني
أ.منصور بن عبد العزيز
منصور الهروي

المنصور بن أبي عامر
مكي بن سوادة
المكشوح المرادي
مسلم بن جندب
معبد بن وهب
مطيع بن إياس
المعتز العباسي
مترل بن صايل الخريصي
ملبس بن هجرس الجبرين
ميمون الآمدي
موسى الهادي بن المهدي
موسى شهوات
مويس بن عمران
ناصر بن محمد العساف
ناصر السديري
نافع بن شميلان الرشيدي
ناهس بن فديغم الرشيدي
النابغة الذبياني
النعمان بن المنذر
نصيب بن رباح
نصيب الأصغر
النجاشي الحبشي
الواثق العباسي
نوح عليه السلام

وهب بن ناجية الرصافي
وضاح اليمن
الوليد بن يزيد بن معاوية
الوليد بن يزيد بن عبد الملك
الوليد بن عبد الملك بن مروان
الوليد بن عبيد الطائي (البحتري)
الوليد بن حنيفة التميمي
ولبورن رايت
هارون الرشيد
هاشم بن سليمان
هاشم بن عبد مناف
هاشم بن حرملة المرى
هشام بن عبد الملك بن مروان
هشام بن محمد الكلبي
هلال بن الأسعر التميمي
هطيل بن عبد الله الجنيدي
هليل بن حمود الجنيدي
الهيثم بن عدي
الهيثم بن الأسود النخعي
يزيد بن عبد الملك بن مروان
يزيد بن الحكم بن عثمان
يزيد بن مزيد
يزيد بن الطثرية
يزيد بن المهلب

فهرس أسماء الأعلام من النساء مرتبة على حروف الهجاء

عمرة بنت سبيع

غادرة

فاطمة بنت عمر

فاطمة بنت محمد

لبنى بنت الحباب

ليلى بنت الضرب

ليلى المزنية

ليلى بنت المهدي

ليلى الأخيلية

ليلى بنت سعد

ماردة

مزنة بنت مروان

مويضي بنت أبي الحنايا

ميمونة بنت الحضرمي

نورة بنت محمد الخليفة

وحشية الجرمية

ولادة بنت العباس

هند بنت أسماء بن خارجة

هند بنت عتبة

أسماء الكتب التي صدرت للمؤلف

أولاً: عن دار السويداء للنشر والتوزيع		
١-	اللغة العربية	١- فصيح العامي في شمال نجد ثلاثة أجزاء يحتوي على أكثر من ٥٠٠٠لفظ فصيح ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م. ٢- النكهة الطائية في اللهجة الحائلية، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م. ٣- من أحاديث المجالس قبل (٥٠) سنة (في الطريق).
٢-	الشعر العربي	١- شذرات لامعة من روائع الشعر العربي ثلاثة أجزاء ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م. ٢- شعراء الجبل أو شعراء منطقة حائل من الشعر الفصيح ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م. ٣- ديوان المؤلف يتكون من: • رؤى مسافر ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م. • لواعج ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م. • هواجس١٤١٢هـ-١٩٩١م. • أشجان١٤١٦هـ-١٩٩٦م. • الوجيب١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م. • السلافة (في الطريق). • مميزات الشاعر، فنان رائع، رسام بارع، مصور حاذق، نحات ماهر١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
٣-	التاريخ	١- الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد ثلاثة أجزاء ط٢، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م. ٢-منطقة حائل عبر التاريخ منذ ما قبل البعثة حتى ١٣٤٠هـ-١٩٢١م،ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م. ٣-الحروب والمجاعات والأمراض وأثرها على التركيبة السكانية في نجد١٤٣١هـ-٢٠١٠م. ٤- الحضارة النجدية إيجابياتها وسلبياتها ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م. ٥- خلاصة الحاضر والمستقبل (في الطريق).

٤-	التاريخ الاقتصادي والاجتماعي	١- نجد في الأمس القريب صور وملامح من أطر الحياة قبل عصر النفط ط٢ ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م. ٢-عقيلات الجبل وتاريخهم الاقتصادي والاجتماعي ط٢ ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م. ٣-السوانح والبوارح من الذكريات خلال خمسين عاماً ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م ٤-أهل المناخ في منطقة حائل وما قيل في الكرم من الأشعار ط٢، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م. ٥- حفلات الزواج / مظهر حضاري أم فقاعة صابون١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م. ٦-فتافيت من المواقف والطرائف والتنكيت ج١،ط٥ ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م .ج٢ ط٤ ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ج٣ط٢ ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ج٤ط١ ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م،ج٥ ط١ ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
٥-	الجغرافيا	١-منطقة رمان،حائل ط٢ ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م،ملحق بالموقع المميز لمنطقة حائل. ٢- الموقع المميز لمنطقة حائل ط١ ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
٦-	النبات	١-القهوة العربية وما قيل فيها من الشعر الفصيح والشعبي ١٤١٠هـ-١٩٩٠م. ٢- النخلة العربية أدبياً وعلمياً واقتصادياً وما قيل فيها من الشعر الفصيح والشعبي ١٤١٤هـ-١٩٩٣م ٣-ثغور الربيع الباسمة من الأعشاب البرية "النجدية" ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٧-	الأدب	١-الثقافة والتعليم في منطقة حائل قبل المدارس النظامية،ط٢ ١٤٢٦هـ/-٢٠٠٥م. ٢-الأدباء والمؤلفون والكتاب في منطقة حائل، ط٢ ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م. ٣-رذاذ حبر المقالات التي كتبها المؤلف خلال خمسين عاماً، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م ٤- أوهام تجلوها الحقائق (في الطريق). ٥- الرسائل الشخصية ودلالاتها الأدبية والعاطفية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية (في الطريق).

-٨	قصص تراثية	١- جذوع وفروع ثلاثة أجزاء ٣٠ قصة واقعية معالجة بتصرف ج١، ٢ ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ج٣ ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م. ٢-وقع وصدى ٣٠ قصة واقعية معالجة بتصرف ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
-٩	الجوانب الدينية	١-النظراء ودورهم الإداري والشرعي خلال خمسين عاماً، ١٤٣١هـ-٢٠٠٧م. ٢- هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حائل خلال ستين عاماً، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
-١٠	المرأة	١-المرأة في مرآة الشعر/ الفصيح والشعبي ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م. ٢- إسهامات المرأة في الحياة العامة ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م. ٣- المرأة وفارس أحلامها / في الطريق.
-١١	الروايات	١-رائد ، رواية اجتماعية تمثل جيل ما بعد النفط ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م. ٢-العزوف، رواية اجتماعية تمثل موضوع الزواج ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م. ٣- مخاض الطفرة ونتاجها رواية اجتماعية واقتصادية تمثل تفاعلات الطفرة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م. ٤- فالح، رواية اجتماعية تمثل جيل ما قبل النفط ١٤١١هـ-١٩٩٠م. ٥- نتائج الطفرة رواية اقتصادية وحضارية تمثل نتائج الطفرة ١٤١٢هـ-١٩٩١م ٦- بائع المساويك، رواية اجتماعية تمثل تفاعلات المجتمع في حرب الخليج الثالثة ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
-١٢	الشعر الشعبي	١-درر الشعر الشعبي ثلاثة أجزاء شعر شعبي (٨٤٠٠) بيت مشروح ط١ ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م. ٢-شعراء الجبل الشعبيون، ط٢، خمسة أجزاء شعر شعبي ٨٦٠٠ بيت مشروح لـ٤٠٠ شاعر وشاعرة، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م. ٣-الأمثال الشعبية السائرة في منطقة حائل يحتوي على أكثر من ٢٠٠٠ مثل مشروح١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

ومن الكتب الخاصة بمنطقة حائل من هذه المؤلفات

١- نجد في الأمس القريب،ط٢ ، ١٤٢٥هـ.

٢- جذوع وفروع ثلاثة أجزاء، ١٤٠٦هـ.

٣- فصيح العامي في شمال نجد ٣ أجزاء ــ حائل، ١٤٠٧هـ.

٤- النكهة الطائية في اللهجة الحائلية ١٤١٨هـ.

٥- عقيلات الجبل في حائل، ١٤١٦هـ.

٦- منطقة رمان ــ في حائل، ١٤١٣هـ.

٧- شعراء الجبل أو شعراء حائل من الشعر الفصيح، ١٤٢٦هـ.

٨- الثقافة والتعليم في منطقة حائل، ١٤٢٦هـ.

٩- أهل المناخ في منطقة حائل، ١٤٢٦هـ.

١٠- الأدباء والمؤرخون والكُتّاب في منطقة حائل جزءين، ١٤٣٣هـ

١١- الأمثال الشعبية السائرةن في منطقة حائل، ١٤٢٨هـ.

١٢- وقع وصدى من قصص منطقة حائل،١٤١٢هـ.

١٣- الموقع الميز لمنطقة حائل،١٤٣٣هـ

١٤ النظراء ودورهم الإداري والشرعي في حائل،١٤٣١هـ.

١٥- منطقة حائل عبر التاريخ، ١٤٢٩هـ.

١٦- شعراء الجبل الشعبيون خمسة أجزاء من حائل،١٤٣٤هـ.

١٧- هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحائل، ١٤٣٤هـ.

١٨- فتافيت بأجزائه الخمسة ويحتوي على أكثر من ٢٢٠٠ فقرة ٨٠% من منطقة حائل.

ثانياً - دار العلوم بالرياض، نجد في الأمس القريب،ط١ ١٤٠٣،١ هـ ١٩٨٣م.

ثالثاً - النادي الأدبي لمنطقة حائل، عقيلات الجبل، ط١، ١٤١٦هـ، شعراء الجبل، الشعر الفصيح،ج١، ١٤٢٠هـ.

رابعاً - دار الأندلس للنشر والتوزيع، النكهة الطائية، ط١ ،١٤١٨هـ، عقيلات الجبل، ط٢، شعراء الجبل ط٢.

خامساً - دار الدائرة، موسوعة الثقافة التقليدية، ١٢ مجلد ١٤٢٥هـ اشتركت في المجلد

السادس عن الإبل و١٠ عن القنص والصيد وراجعت معظم الأجزاء.

سادساً - مؤسسة أسبار، موسوعة علماء الثقافة الإسلامية، ٣ أجزاء، ١٤٢٠هـ واشتركت فيها عن حائل.

سابعاً - مؤسسة اسبار اشتركت في كتاب المملكة العربية السعودية ماضياً وحاضراً، ١٤٣٤هـ .

قائمة المراجع والمصادر

١- نباتات مدهشة/ مصطفى غنيم

٢- نوادر المخطوطات تحقيق عبد السلام هارون

٣- التحليق داخل القفص/ ضحوى الصعيب

٤- الطيران في المملكة/ محمد بن عبد الرزاق القشمعي

٥- الأغاني / لأبي الفرج الأصفهاني

٦- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب/ لأبي منصور الثعالبي

٧- ثمرات الأوراق/ تح محمد أبو الفضل ابراهيم

٨- قصص العرب/ محمد جاد المولى ورفيقاه

٩- الأمالي/ إسماعيل بن القاسم القالي

١٠- الأمالي / محمد بن العباس اليزيدي

١١- الأمالى / عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي

١٢- مجمع الأمثال / أحمد بن محمد الميداني

١٣- جمهرة الأمثال / الحسن بن عبد الله العسكري

١٤ الخصائص / عثمان بن جني

١٥- حدائق الآداب / عبد الله بن محمد الأبهري